

5776
518

تراشنا

نهاية التلاوة

في

فنونه الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب التويري

٦٧٧ هـ - ٧٣٢ هـ

السفر الخامس

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

المؤسسة المصرية العامة

للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

5776
518

مطابع کوستانو ماس و شرکاه
۵ شارع قیام المریوطی بالقاهره ۱۱۸ ۹
القاهره

فهرست

السفر الخامس

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب

للنويري

(تابع) أخبار المختين الذين نقلوا الفناء من الفارسية الى العربية
ومن أخذ عنهم ومن أشتهر بالفناء

صفحة

١ ذكر أخبار إسحاق بن إبراهيم
٩ ذكر أخبار علوية
١٣ ذكر أخبار معبد القطنى (صوابه : القطنى)
١٧ ذكر أخبار محمد الرق
١٩ ذكر أخبار محمد بن الأشعث
٢١ ذكر أخبار عمرو بن بانه
٢٢ ذكر أخبار عبد الله بن العباس الريسى
٣٠ ذكر أخبار وجه القرعة
٣٢ ذكر أخبار محمد بن الحارث بن بسخر
٣٣ ذكر أخبار أحمد بن صدقة
٣٥ ذكر أخبار أبى حشيشة
 ذكر أخبار القيان وأول من غنى من النساء ومن أشتهر بالفناء منهم
٣٨ فى الإسلام

صفحة

٤١ ذكر أخبار جميلة (مولاة بنى سليم)

٥٠ ذكر أخبار عزة الميلاء

٥٢ ذكر أخبار سلامة القس

٥٨ ذكر أخبار حابة

٦٤ ذكر أخبار خليدة المكية

٦٥ ذكر أخبار مريم الهاشمية

... .. ذكر أخبار ساجى جارية عبيد الله بن عبد الله بن طاهر (فى الأغانى طبع

٦٩ بلاق : شاجى)

٧٠ ذكر أخبار دقاق

٧١ ذكر أخبار قلم الصالحية

٧٣ ذكر أخبار بصيص جارية آبن تقيس

٧٥ ذكر أخبار جوارى آبن رامين (دع سلامة الرضا، وريجة، وسعدة)

٧٨ ذكر أخبار عنان جارية الناطقى

٨٢ ذكر أخبار شارية جارية إبراهيم بن المهدي

٨٨ ذكر أخبار بدل

٩١ ذكر أخبار ذات الخلال

٩٣ ذكر أخبار دنانير البرمكية

٩٥ ذكر أخبار عريب المأمونية

١١٢ ذكر أخبار محبوبه

١١٤ ذكر أخبار عبيدة الطنبورية

الباب العاشر :

فما يحتاج إليه المغني ويضطر إلى معرفته، وما قيل في الغناء وما وصفت

به القيان، ووصف آلات الطرب ١١٧

صفحة

- ذكر ما يحتاج إليه المنقّى ويضطر إلى معرفته وما قيل في الفتاء والقيان
 من جيد الشعر ... ١١٧ ...
 ذكر ما قيل في وصف آلات الطرب ... ١٢٢ ...

القسم الرابع :

في التهانى والبشائر والمرائى والنوادر والزهد والتوكل والأدعية وفيه

- أربعة أبواب ... ١٢٧ ...

الباب الأول :

- في التهانى والبشائر ... ١٢٧ ...
 ذكر شيء مما هُتّي به ولاية المناصب ... ١٢٧ ...
 ومما هُتّي به من اتصل بزوجة ذات جمال وحسب وأصالة وأدب ... ١٣١ ...
 ومما هُتّي به من رزقه الله ولدا وزاده به قوة وعددا ... ١٣٢ ...
 ومما هُتّي به في المواسم والقُدوم ... ١٣٥ ...
 ومما قيل من شواذّ التهانى وهى الجمع بين التهينة والتعزية، والبشارة
 والتسلية ... ١٣٦ ...
 ذكر نبذة من التهانى العامة والبشائر التامة ... ١٤٠ ...
 ومما قيل في التهانى بالفتوحات وهزيمة جيوش الأعداء ... ١٤٥ ...

الباب الثانى :

- في المرانى والنوادر ... ١٦٤ ...
 ذكر شيء من المرانى والنوادر ... ١٦٨ ...
 ومما قيل في شواذّ المرائى ... ٢١٧ ...

الباب الثالث :

- في الزهد والتوكل ... ٢٣٠ ...
 ذكر بيان حقيقة الزهد ... ٢٣١ ...

منه	
٣٢٩	وأما ما يقال في رد الضلالة
٣٣٠	ذكر ما ورد في أسماء الله الحسنى والأسم الأعظم
	كيفية العلم والعمل بأسماء الله الحسنى وخاصية كل أسم منها وترتيب
٣٣١	فلك إلى عشرة أتماط
٣٣١	النمط الأول
٣٣١	النمط الثاني
٣٣٢	النمط الثالث
٣٣٣	النمط الرابع
٣٣٤	النمط الخامس
٣٣٤	النمط السادس
٣٣٥	النمط السابع
٣٣٦	النمط الثامن
٣٣٧	النمط التاسع
٣٣٧	النمط العاشر
٣٣٧	وأما ما ورد في الأسم الأعظم
٣٣٩	صورة ما ورد بآخر الجزء الخامس في الأصلين المتوغرافيين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه توفيقى

①

ذكر أخبار إسحاق بن إبراهيم

هو أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلى، وقد تقدم نسبه و أخبار أبيه . وكان
 الرشيد يولع به فيكبه أبا صفوان . قال أبو العرج الأصفهاني في ترجمة إسحاق :
 وموضعه من العلم ، ومكانه من الأدب ، ومحلّه من الرواية ، وتقدمه في الشعر ،
 وميزته في سائر المحاسن أشهر من أن يُدَلَّ عليها بوصف . قال : فأما الغناء فكان
 أصغر علومه وأدنى ما يوسم به وإن كان الغالب عليه وعلى ما كان يحسنه ،
 فإنه كان له في سائر أدواته نظراء وأكفأ ولم يكن له في هذا نظير . لحق بمن
 مضى فيه سبق من قد بقى ، وسهل طريق الغناء وأدارها ، فهو إمام أهل صاعته
 جميعا وقُدوتهم ورأسهم ومعلمهم ؛ يعرف ذلك منه الخالص والعام ، ويشهد له به
 الموافق والمعارض . على أنه كان أكره الناس للغناء وأشدّهم بغضا له لئلا يدعى إليه
 ويسمى به . وكان المأمون يقول : لولا ما سقى على ألسنة الناس وشهر به
 عدوهم من الغناء لوليت الغناء بمحضرتي ، فإنه أولى به وأعف وأصدق وأكثر
 ديناً وأمانة من هؤلاء القضاة . وقد روى الحديث ولقي أهله مثل مالك بن أنس
 وسفيان بن عيينة [وهشيم بن بشير] وإبراهيم بن سعد وأبي معاوية الصريّر وروح

(١) كذا في الأعيان . وفي الأصل : « المحاسن » .

(٢) كذا في الأعيان . وفي الأصل . « لولا ما سقى إسحاق على ألسنة الناس وشهرته .. الخ » .

(٣) زيادة عن الأعيان .

أَبْنُ عُبَادَةَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ شَيْوخِ الْعِرَاقِ وَالْحِجَازِ . وَكَانَ مَعَ كَرَاهَتِهِ لِلْفَنَاءِ أَضْحَى خَلَقَ اللَّهُ بِهِ وَأَشْتَمَ بَخْلًا عَلَى كُلِّ أَحَدٍ حَتَّى عَلَى جَوَارِيهِ وَغُلَمَائِهِ وَمَنْ يَأْخُذُ عَنْهُ مَتَسَبِّيًا إِلَيْهِ وَتَتَعَبَّأُ لَهُ فَضْلًا عَنْ زَيْرِهِمْ . قَالَ : وَهُوَ صَحَّحَ أَجْنَاسَ الْفَنَاءِ وَطَرَاتِقَهُ وَمَيَّزَهَا تَمَيِّزًا لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ .

- ٨ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ الْجُرْجَانِيُّ : كَانَ وَاللَّهُ إِسْحَاقَ غُرَّةً فِي زَمَانِهِ ، وَوَاحِدًا فِي عَصَرِهِ عَالِمًا وَفَهْمًا وَأَدْبًا وَوَقَارًا وَجَوْدَةً رَأَى وَصَحَّةَ مَوَدَّةٍ . وَكَانَ وَاللَّهُ يُخْرِسُ النَّاطِقَ إِذَا نَطَقَ ، وَيُخَيِّرُ السَّامِعَ إِذَا تَحَدَّثَ ، لَا يَمَلُّ جَلِيسُهُ مَجْلِسَهُ ، وَلَا تَمُجُّ الْآذَانُ حَدِيثَهُ ، وَلَا تَبْوَ النَّفْسُ عَنْ مُطَاوَلَتِهِ . إِنْ حَدَّثَكَ أَلْهَاكَ ، وَإِنْ نَاطَرَكَ أَفَادَكَ ، وَإِنْ غَنَّاكَ أَطْرَبَكَ . وَمَا كَانَتْ خَصْلَةٌ مِنَ الْأَدَبِ ، وَلَا جِنْسٌ مِنَ الْعِلْمِ يَتَكَلَّمُ فِيهِ إِسْحَاقُ فَيُقَدِّمُ أَحَدٌ عَلَى مَسَاجِلَتِهِ أَوْ مَنَاقِلَتِهِ فِيهِ .

- ٩ . حَكَى أَبُو الْفَرَجِ عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ : دَعَانِي الْمَأمُونُ وَعِنْدَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ وَفِي مَجْلِسِهِ عَشْرُونَ جَارِيَةً قَدْ أَجْلَسَ عَشْرًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَشْرًا عَنْ شِمَالِهِ . فَلَمَّا دَخَلْتُ سَمِعْتُ مِنَ النَّاحِيَةِ الْيُسْرَى خَطَأً فَأَنْكَرْتُهُ . فَقَالَ الْمَأمُونُ : أَسَمِعْتَ خَطَأً ؟ قُلْتُ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ : هَلْ تَسْمَعُ خَطَأً ؟ قَالَ لَا . قَالَ : فَأَعَادَ عَلَى السَّؤَالِ ، فَقُلْتُ : بَلَى وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّهُ لَفِي الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ . فَأَعَادَ لِإِبْرَاهِيمَ تَتَمُّعَهُ إِلَى النَّاحِيَةِ الْيُسْرَى ثُمَّ قَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ خَطَأٌ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَرُّ الْجَوَارِيِ الْآتِيِ عَلَى الْيَمِينِ يُمَسِّكُنَ ، فَأَمْرَهُنَّ فَانْمَسِّكُنَ ، ثُمَّ قُلْتُ لِإِبْرَاهِيمَ : هَلْ تَسْمَعُ خَطَأً ؟ فَتَسْمَعُ ثُمَّ قَالَ : مَا هَاهُنَا خَطَأٌ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، يُمَسِّكُنَ وَتَضْرِبُ الثَّانِيَةَ ، فَأَمْسِكُنْ وَتَضْرِبُ الثَّانِيَةَ ، فَفَرَفَ إِبْرَاهِيمُ الْخَطَأَ فَقَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَاهُنَا خَطَأٌ . فَقَالَ الْمَأمُونُ عَدَّ ذَلِكَ

لإبراهيم بن المهدي : لا تُمارِ إسمحاق بعدها ، فإن رجلا عرف الخطأ بين ثمانين و ترا وعشرين حلقا لجدير ألا تماريه ؛ قال : صدقت .

وقال ابن حمدون : سمعتُ الوراق يقول : ما غناني إسمحاق قط إلا ظننتُ أنه قد زيد في مُلكي ، ولا سمعته قط يغني غناء ابن سُرَّيج إلا ظننتُ أن ابن سُرَّيج قد نُسر ، وإني ليحضرني غيره إذا لم يكن حاضرا ، فيتقدمه عندي بطيب الصوت ، حتى إذا آجتماعا عندي رأيت إسمحاق يعلو ورأيت من ظننتُ أنه يتقدمه يقص . وإن إسمحاق لنعمةٌ من نعم الملوك التي لم يُحظَّ أحد بمثلها . ولو أن العمر والشباب والنشاط مما يُشترى لأشتريتهنَّ له بشطر مُلكي .

وحكى عن أحمد بن المكي عن أبيه قال : كان المغنون يجتمعون مع إسمحاق وكلهم أحسن صوتا منه ولم يكن فيه عيب إلا صوته فيطمعون فيه ، ولا يزال بُلطفه وِحذقه ومعرفة حتى يطلبهم جميعا ويفضّلهم ويتقدم عليهم . قال : وهو أول من أحدث المحبّة ليوافق صوته ويشاكله فجاء معه عجبا من العجب ، وكان في حلقه نَبْوٌ عن الوتر .

وحكى قال : سأل إسمحاق الموصلي المأمون أن يكون دخوله مع أهل العلم والأدب والرواة لا مع المُغنين ، فإذا أراد الغناء غناه ، فأجابه إلى ذلك . ثم سأل به بعد مدة طويلة أن يأذن له في الدخول مع الفقهاء فأذن له ؛ قال : فكان يدخل ويده في يد قاضي القضاة يحيى بن أكثم . ثم سأل إسمحاق المأمون في لبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه في المقصورة ؛ قال : فضحك المأمون وقال : ولا كلّ هذا يا إسمحاق ! وقد أشرت بك هذه المسئلة بمائة ألف دينار وأمر له بها .

وكان لإسحاق مع إبراهيم بن المهدي مخاطبات ومنازعات ومحاورات بسبب
الفناء، وكان الرشيد ينصر إسحاق على إبراهيم أخيه. من ذلك ما حكاه إسحاق قال :
كنت عند الرشيد يوما، وعنده ندمائه وخاصته وفهم إبراهيم بن المهدي؛ فقال لي
الرشيد : غنّ :

• شربت مدامةً وسقيتُ أخرى • وراح المتشون وما آتشتُ

فغنيته . فأقبل على إبراهيم بن المهدي فقال لي : ما أصبت يا إسحاق
ولا أحسنت . فقلت له : ليس هذا مما تعرفه ولا تحسنه ، وإن شئت فغنه
فإن لم أجده أنك تخطئ فيه منذ ابتدأتك إلى آتباتك فدي حلال . ثم أقبلت على
الرشيد فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذه صناعتي وصناعة أبي ، وهي التي قربتنا منك
وأستخدمتنا لك فأوطأنا بساطك ، وإذا نازعنا أحدٌ بغير علم لم نجد بُدًا من الإفصاح
والذب ؛ فقال : لا غرّ ولا لوم عليك . وقام الرشيد ليول ، فأقبل إبراهيم بن المهدي
على وقال : ويحك يا إسحاق ! اتجترى على وتقول لي ما قلت يا ابن العايلة ! لا يَكْنِي .
فداخلى ما لم أملك نفسى معه ، فقلت له : أنت تشتمنى ولا أقدر على إجابتك وأنت
ابن الخليفة وأخو الخليفة ، ولولا ذلك لقلت لك : يا ابن الزانية كما قلت لي يا ابن
الزانية . أو ترى كنت لا أحسن أن أقول : يا ابن الزانية ! ولكن قولى في ذلك
ينصرف كله إلى خالك الأعلم^(١) ، ولولاك لذكرتُ صناعته ومذهبه — قال إسحاق :
وكان يتطارا — قال : ثم سكت ، وعلمت أن إبراهيم سوف يشكونى إلى الرشيد ،
وسوف يسأل من حضر عما جرى فيخبرونه ، فلافيتُ ذلك بأن قلت : إنك تظن أن
الخليفة^(٢) تصير إليك ، فلا تزال تهتدنى بذلك وتعادىنى كما تعادى سائر أولياء أخيك حسدا

٢٠ (١) الأعلم : الذى يشتهه العلماء وحاجيا شق . (٢) كذا فى الأعلى . وفى الأصل :

« أن الخلافة لك ... »

له ولولده على الأمر ! وأنت تضعف عنه وعنهم ، وتستخف بأوليائهم شغياً ، وأرجو
 ألا يخرجها الله من الرشيد وولده ، وأن يقتلك دونها . فإن صارت إليك — والعياذ
 بالله تعالى من ذلك — فحرأماً على — حيثذ العيش ! والموت أطيب من الحياة معك ،
 فأصنع حيثذ ما بدالك ! قال : فلما خرج الرشيد وثب إبراهيم بفلس بين يديه وقال :
 يا أمير المؤمنين ، شتني إصحاقي وذكر أمي وأستخف بي . فغضب وقال لي : ويلك !
 ما تقول ؟ قلت : لا أعلم ، فسئل من حضره فأقبل على مسرور وحسين فسألهما عن القصة
 فجعلا يخبرانه ووجهه برّبد إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلقة فسرى عنه ورجع لونه ،
 وقال لإبراهيم : لا ذنب له ، شتمته فمؤذك أنه لا يقدر على جوابك ، أرجع إلى موضعك
 وأمسك عن هذا . فلما آنفض المجلس وأنصرف الناس أمر الرشيد بالآأبح . وخرج
 كل من حضر حتى لم يبق غيري ، فساء ظني وهمتني نفسي . فأقبل على وقال :
 يا إصحاقي ، أتراني لم أفهم قولك ومرادك ! قد والله زيتته ثلاث مرات ! أتراني لأعرف
 وقائعك وأقدامك وأبن ذهبت ! ويلك لا تعد ! حدثني عنك لو ضربك إبراهيم
 أكننت أقتص لك منه فأضربه وهو أحمى يا جاهل ! أترأه لو أمر غلماناه فقتلوك
 أكننت أقتله بك ! فقلت : والله يا أمير المؤمنين ، قد قتلتني هذا الكلام ، وإن بلغه
 ليقتلني ، وما أشك أنه قد بلغه الآن . فصاح بمسرور وقال له : على بإبراهيم فأحضره ،
 وقال لي : قم فأنصرف . فقلت لجماعة من الخدم — وكلهم كان لي عبداً وإلى — ما مثلاً
 ولي مطيعاً — : أخبروني بما يجري ، فأخبروني من غد أنه لما دخل عليه وبجته
 وجهله وقال له : أنتستخف بخادمي وصنيعتي وأبن خادمي وصنيعتي وصنيعة أبي
 في مجلسي ! وتقدم على — وتستخف بمجلسي وحضرتي ! هاه هاه ! وتقدم على هذا
 وما مثله ! وأنت مالك وللغناء ! وما يدريك ماهو ! ومن أخذك به وطارحك إياه حتى
 تتوهم أنك تبلغ منه مبلغ إصحاقي الذي غدي به وعلمه وهو من صناعته ! ثم تظن أنك

- (١) تُحَطِّطُهُ فَمَا لَا تَدْرِيهِ، ويدعوك إلى إقامة الحجّة عليه فلا تثبت لذلك وتعتصم بشتمه ! هذا مما يدلّ على السقوط وضعف العقل وسوء الأدب من دخولك فيها لا يشبهك، وغلبة لذّتك على مروءتك^(٢) وشرّك، ثم إظهارك إياه ولم تُحْكَمْه، وأدعائك ما لا تعلمه حتى ينسبك إلى إفراط الجهل . ألا تعلم، ويحك، أن هذا سوء أدب وقلة معرفة وقلة مُبالاة بالخطأ والتكذيب والردّ القبيح ! ثم قال : والله العظيم وحقّ رسوله وإلا فأنا بريء من المهدى إن أصابه أحد بسوء أو سقط عليه حجر من السماء أو سقط من دابّته أو سقط عليه سقفه أو مات بقاءة لأقتلنك به . والله ! والله ! والله ! فلا تعرض له وأنت أعلم ! قم الآن فأخرج، فخرج وقد كاد يموت . فلما كان بعد ذلك دخلت على الرشيد وإبراهيم عنده [فأعرضت عن إبراهيم] بفعل ينظر إلى مرة وإلى مرة ويضحك، ثم قال : إني لأعلم محبتك لإسحاق وميلك إليه وإلى الأخذ عنه، وإن هذا لا يحبك من جهته كما تريد إلا بعد أن يرضى، والرضا لا يكون بمكرهه، ولكن أحسنّ إليه وأكرمه وأعرف حقّه وبرّه وصلّه، فإذا فعلت ذلك ثم خالف ماتواه عاقبته بيد مستطيلة منبسطة ولسانٍ منطلق . ثم قال لي : قم إلى مولاك وآبن مولاك فقبل رأسه ؛ فقممت إليه وقام إلى وأصلح الرشيد بيدي .
- قال أبو الفرج : وكان إسحاق جيد الشعر، كان يقول الشعر وينسبه للعرب .
- فمن ذلك قوله :

لَقَطَ الْخُدُورُ إِلَيْكَ حُورًا عَيْنًا * أَنْسَيْنَ مَا جَمَعَ الْكَأْسُ قِطِينًا
فَإِذَا بَسَمَنَ فَمَنْ كَثَلَ عَمَامَةً * أَوْ أُخْثَوَانَ الرَّمْلَ بَاتَ مَعِينًا
وَأَصْحٌ مَا رَأَتْ الْعَيُونُ مَحْجَرًا * وَلَقَدْ أَمْرَاضٌ مَا رَأَيْتَ عَمِيونًا^(٣)

- (١) في الأغاني : عليك . (٢) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « من دخولك فيها لا يشبهك ثم إظهارك إياه وطبعت لذّتك الخ » . (٣) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « وأنت أعلم ولا تعرض له » . (٤) زيادة عن الأغاني . (٥) كذا بالأغاني، وفي الأصل : « جوارحا » .

فكأنما تلك الوجوه أهلة * أقرن بين العشر والعشرينا
وكأنهن إذا نهضن لحاجة * ينهضن بالعقدات من يبرين
وأشعاره في هذا النوع كثيرة .

روى عن الأصمعي قال : دخلت أنا وإسحاق بن إبراهيم الموصلي يوما على
الرشيد فرأيناه لقيس النفس^(١) ، فأنشد إسحاق :

وأمرية بالخل قلت لها أقصيري * فذلك شيء ما إليه سبيل
أرى الناس خلان الكرام ولا أرى * بخيلا له حتى المات خيل
وإني رأيت البخل يزري بأهله * فأكرمت نفسي أن يقال بخيل
ومن خير حالات التي لو علمته * إذا نال خيرا أن يكون يُبيل^(٢)
فعالي فعال الكثيرين تجللا * ومالي كما قد تعلمين قليل
وكيف أخاف الفقر أو أحرم^(٣) النقي * ورأى أمير المؤمنين جميل !

١٠

قال : فقال الرشيد : لا تخف إن شاء الله ؛ ثم قال : فله دَرَّ أبيات تأتينا بها ما أشدَّ
أصولها ، وأحسن فصولها ، وأقل فُضُولها ! وأمر له بخمسين ألف درهم . فقال له
إسحاق : وصفتك والله يا أمير المؤمنين لشعري أحسن منه ، فعلام أخذ الجائزة !
فضحك الرشيد وقال : أجعلوها مائة ألف درهم . قال الأصمعي : فعلت يومئذ أن
إسحاق أخذني بصيد الدراهم متى .

١٥

قال أبو عبد الله بن حمدون : سأل المتوكل عن إسحاق ، فعرف أنه كُفَّ وأنه يمتلئه
ببغداد ، فكتب في إحضاره . فلما دخل عليه رفعه حتى أجلسه فقدم السرير وأعطاه

(١) لقيست نفسه (من باب فرح) : حث وبعثت . (٢) كذا في الأغاني وكتب الأدب .

وفي الأصل :

٢٠

ومن خير حالات التي قد علمته * إذا نال خيرا أن يقال نبيل

(٣) كذا في الأغاني : وفي الأصل : « لا كيف إن شاء الله » .

مخّنة وقال : بلغني أن المعتصم دفع إليك في أول يوم جلست بين يديه مخّنة ، وقال : إنه لا يستجلب ما عند حرّ مثل إكرامه . ثم سأل : هل أكل ؟ فقال نعم ؛ فأمر أن يُسقى . فلما شرب أفدأها قال : هاتوا لأبي محمد عودا ؛ بغىء به فاندفع بغى بشعره :

• ما علة الشيخ عينا بآربعة * تَقَرُّوْ قَانِ بدمع ثم ينسكب
قال ابن حمدون : فما بقي غلامٌ من الغلمان الوقوف [على الخير] ^(١) إلا وجدته يرقص طرباً وهو لا يعلم بما يفعل ؛ فأمر له بمائة ألف دينار . ثم انحدر المتوكل الى الرقة وكان يستطيعها لكثرة تفريد الطير فيها ؛ ففتاه إسحاق :

• أن هتفت ورقاء في روثق الضحى * على فنن غصّ النبات من الرند
بكيت كما يكي الوليد ولم تزل * جليداً وأبديت الذي لم تكن تُبدى
١٠ فضحك المتوكل ثم قال : يا إسحاق ، هذه أخت قمتك بالوائق لما غيبت بالصالحية :

طربتُ إلى أصبيّة صغار * وذكّرتُ الهوى قرب المزار ^(٢)
فكم أعطاك لما أذن لك في الانصراف ؟ قال : مائة ألف دينار ؛ فأمر له بمائة ألف دينار وأذن له بالانصراف ^(٣) . وكان آخر عهده بإسحاق . توفي بعد ذلك بشهرين . وكانت وفاته في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين . وكان يسأل الله تعالى ألا يتلبه بالقولنج لما رأى من صعوبته على أبيه ، فرأى في منامه كأن قائلاً يقول له : قد أجيبت دعوتك ولست تموت بالقولنج ولكك

(١) زيادة عن الأغانى . والجدير : اسم قصر يرمز من رأى بهاء المتوكل وأتفق على عمارته أربعة آلاف ألف درهم . (٢) في الأغانى : "ددم" .

(٣) عبارة الأغانى : « وأذن له بالانصراف الى بغداد . وكان هذا آخر عهدها به لأن إسحاق الخ »

(٤) مرض يصيب المعدة يسمره نروح الفضل والريح .

تموت بضدّه ، فأصابه دَرَبٌ في شهر رمضان ، فكان يتصتّق في كل يوم يمكنه صومه بمائة درهم ، ثم ضَعُفَ عَنْ الصوم فلم يُطْلَقْ ومات في الشهر . ولما نُئِي إلى المتوكل غمّه وحزن طيه وقال : ذهب صدر عظيم من جمال الملك وبهائه وزينته . رحمه الله تعالى .

ذكر أخبار علويه

هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن سيف . وجدّه سيف من الصُّغْد الذين سباهم الوليد بن عثمان وأسرق منهم جماعة اختصهم لخدمته وأعتق بعضهم ولم يُعْتَقِ الباقي فقتلوه . قال أبو الفرج الأصفهاني : وكان على هذا مغنيا حاذقا ، ومؤدِّبا مُحَسِّنا ، وصانعا متقنا ، وضاربا متقدما ، مع خفة رُوح وطيب مجالسة وملاحة نوادر . وكان إبراهيم الموصلي عالمه ونحّجه وعُنِيَ بتحذيقه جدّا ، فبرع وغنى لمحمد الأمين وعاش إلى أيام المتوكل ومات بعد إسحاق الموصلي يسير . وكان سبب وفاته أنه نزع عليه جَرَبٌ ، فشكاه إلى يحيى بن ما سَوِيَه ، فبعث إليه بدواء مُسهل وطلاء ، فشرب الطلاء وأطلى بالدواء ، فقتله ذلك . قال : وكان علويه أعسر ، فكان عوده مقلوب الأوتار : اليم أسفل الأوتار كلها ثم المثلث فوقه ثم المثنى ثم الزير ؛ فكان عوده إذا كان في يد غيره يكون مقلوبا ، وإذا أخذه كان في يده اليمنى وضرب باليسرى فيكون مستويا . وكان إسحاق يتعصب له في أكثر أوقاته على مُحَارِق . وقال حماد ابن إسحاق : قلت لأبي : أيما أفضل عندك مُحَارِق أم علويه ؟ فقال : يا بني ، علويه أصرقهما فهما بما يخرج من رأسه ، وأعلمهما بما يغنيه ويؤديه ، ولو خُيرت بينهما من بطارح جوارى ، أو شاورني من يستنصحنى لما أشرت إلا بعلويه ؛ لأنه يؤدى

الفناء، [و] إذا صنع شيئا صنعه صنعة مُحكمة، ومُخارق تمكّنه من حلّقه وكثرة نعمه لا يُقْبَحُ بالأخذ منه، لأنه لا يؤدي صوتا واحدا كما أخذه ولا يفتيه مرتين غناءً واحدا لكثرة زوائده فيه، ولكنهما إذا اجتمعا عند خليفة أو سُوقٍ غلب مُخارق على المجلس والجارّة بطيب صوته وكثرة نعمه .

- وقال أبو عبد الله بن حمدون : حدّثني أبي قال : اجتمعت مع إسماعق يوما في بعض دُور بني هاشم ، وحضر علويه فنقّي أصواتا ثم غنى من صنعته :

وَبُنْتُ لَيْلٍ أَرْسَلْتُ بِشَفَاعَةٍ • إِلَىٰ فَهَلَّا نَفْسٌ لَيْلٍ شَفِيعُهَا !

فقال له إسماعق : أحسنت أحسنت والله يا أبا الحسن ! أحسنت ما شئت ! فقام علويه من مجلسه فقبل رأس إسماعق وعيَّله وجلس بين يديه وسرّ بقوله سرورا كثيرا ؛

- ١٠ ثم قال : أنت سيدى وآبن سيدى [وأستاذى] وآبن أستاذى ، ولى إليك حاجة .

قال : قل ، فوالله إنى أبلغ فيها ما تُحب . قال : أيما أفضل أنا عندك أم مُخارق ؟ فإنى أحب أن أسمع منك في هذا المعنى قولاً يؤثّر ويحكىه عنك من حضر ، فشرّفتى به .

فقال إسماعق : ما منك إلا مُحسِنٌ مُجمل ، فلا تُريد أن يجرى في هذا شيء . قال : سألتك بحقّ عليك وبترّة أهلك وبكل حقّ تُعظّمه إلا حكمت ! فقال : ويحك ! والله لو كنت

- ١٥ أستعيز أن أقول غير الحقّ لقلته فيما تحب ، فأنا إذ أبيت إلا ذكر ما عندى ،

فلو خُيرت أنا من يطّارح جوارى ويُشغنى لما اخترت غيرك ، ولكنكما إذا غنيتما بين يدي خليفة أو أمير غلبك على إطرابه وأمتدّ عليك بجارته . فنضب علويه

وقام وقال : أفّ من رضاك وغضبك !

وكان الواقى بالله يقول : علويه أصحّ الناس صنعة بعد إسماعق ، وأطيب الناس

- ٢٠ صوتا بعد مُخارق ، وأضربُ الناس بعد زَلْزَل وملاحظ ، فهو مُصلّى كلِّ سابقٍ نادر

(١) زيادة تراها لازمة . (٢) كذا في الأصل . وفي الأصل : "وصل" . (٣) زيادة من الألفاظ .

وفانى كل أول، وأصل كل منقتم . وكان يقول : [غناه] علويه مثل نقر الطست
يبقى ساعة في السمع بعد سكوته .

وقال عبد الله بن طاهر : لو اقتصر على رجل واحد يفتنى لما اخترت سوى /
علويه ؛ لأنه إن حدثني الهاني ، وإن غفاني أنجاني ، وإن رجعت إلى رأيه كفاني .
وقال محمد بن عبد الله بن مالك : كان علويه يفتنى بين يدي الأمين ، ففتنى في بعض
فناكه :

لَيْتَ هَذَا أَنْجَزَنَا مَا يَعِدُّ • وَشَقَّتْ أَهْمُنَا مَا تَجِدُّ

وكان الفضل بن الربيع يضطغن عليه شيئا ، فقال للأمين : إنما يعرض بك
ويستطيع المأمون في محاربتك إليك ؛ فأمر به فضرب خمسين سوطا وبُجِّرَ رجله حتى
أنحرج ، وجفاه مدة ؛ حتى سأل كوثرا أن يقرضه له قرضاه له وردده إلى الخدمة وأمر
له بخمسة آلاف درهم . فلما قديم المأمون تمزب إليه بذلك فلم يقع له بحيث يحب ،
وقال : إن الملك بمنزلة الأسد أو النار فلا تتمرض لما يفضبه ، فإنه ربما جرى منه
ما يهلكك ثم لا يقدر بعد ذلك على تلافى ما فرط منه ؛ ثم قُرب من المأمون بعد ذلك .

قال علويه : أمرنا المأمون أن نباكره لنصطبح ، فلقيني عبد الله بن إسماعيل المراكبي
مولى عريب فقال : أيها الظالم المعتدى ، أما زحمت ولا ترقق ! حريب هائمة من الشوق
إليك تدعو الله وتمسحك عليك وتحلم بك في نومها في كل ليلة ثلاث مرات . قال
[علويه : قلت أم الخلافة زانية] ومضيت معه . فحين دخلت قلت : أستوثق من
الباب فإني أعرف الناس بفضول الجباب ؛ وإذا حريب جالسة على كرمي تطيع
ثلاث قدور من دجاج . فلما دأبني قامت مهاهني وقبطني وقالت : أي شيء تشتهي ؟

فقلت : قدرا من هذه القندور؛ فأفرغت قدرا بيني وبينها فأكلنا ، ودعت بالنيذ
فصببت يطلا فشربت نصفه وسقتني نصفه؛ فما زلتُ أشرب حتى كدت أن أسكر.
ثم قالت : يا أبا الحسن ، غنيتُ البارحة في شعر لأبي العتاهية أعجبنى ، أقتسمعه^(١)
وئصاله ؟ فغنت :

- يَذِري من الإنسان لا إن جَفَوْتُهُ * صفا لي ولا إن صرْتُ طَوَّعَ يديه
وإني لمشتاقٌ إلى ظِلِّ صاحب * يروقُ ويصفو إن كدرت عليه
فصبرناه مجلسا . وقالت : قد بقي فيه شيء ؛ فلم أزل أنا وهي حتى أصلحناه .
ثم قالت : أُحِبُّ أن تَنَيَّ أنت أيضا فيه لحنا ففعلتُ ، وجعلنا نشرب على الخمين^(٢)
ثلاثا . ثم جاء المُجَّاب فكسروا الباب وأستخرجوني ، فدخلت على المأمون فأقبلت
أرقص من أقصى الإيوان وأصقق وأغنى بالصوت ؛ فسمع المأمون والمفتون ما لم
يعرفوه فاستطرفوه ، وقال المأمون : أدنُ يا علوية وردده ، فرددته عليه سبع مرات .
فقال لي في آخرها عند قولي : ” يروق ويصفو إن كدرت عليه “ : يا علوية خذ
الخلافة وأعطني هذا الصاحب .

- وقال علوية : قال إبراهيم الموصلي يوما : إني قد صنعت صوتا وما سمعه مني
أحد بعدُ ، وقد أحبت أن أنفكك به وأرفع منك بأن ألقيه عليك وأهبه لك ، ووالله
ما فعلت هذا بإصحاك قط ، وقد خصصتك به ، فأتحله وأدعه ، فليست أنسبه إلى
نفسى ، وستكسب به مالا . فإني على :

- إذا كان لي شيطان يا أم مالك * فإني لجاري منهما ما تحيرا
فاخذته عنه وأدعيته ، وسترته طول أيام الرشيد خوفا من أن أنهم فيه وطول
أيام الأمين ، حتى حدثت عليه ما حدث وقديم المأمون من نراسان ، وكان يخرج^(٣)

(١) كذا بالأعاني ؛ وليس في الأصل هزة الاستنهام . (٢) في الأعاني : « ملها » .

إلى الشَّامِسيَّة فينتزّه، فركبت يوماً في زُلَّالِي^(١) وجئت أتبعه، فرأيت حرّاقة على بن هشام، فقلت للآلح: أطرح زُلَّالِي على الحرّاقة ففعل، وأسوّذ لي فدخلت وهو يشرب مع الجوّاري، وما كانوا يجربون جوارهم، فغنته الصوت فاستحسنه جداً وطرب عليه، وقال: لمن هذا؟ فقلت: هذا صوت صمته وأهديته لك ولم يسمعه أحد قبلك؛ فأزداد به عجباً وطرباً، وقال للجارية: خُذِيه عنه، فألقيته عليها حتى أخذته، فسرّ بذلك وطرب، وقال لي: ما أجد لك مكافأة على هذه الهدية إلا أن أتحوّل عن هذه الحرّاقة بما فيها وأسلمه إليك؛ فتحوّل إلى أخرى وسلّمت لي بمخزاتها وجميع آلاتها وكل شيء فيها؛ فبعت ذلك بمائة ألف ونمسين ألف درهم، وأشرتير ضيعتي الصالحية.

وقال علّويه: خرج المأمون يوماً ومعه أبيات قد قالها وكتبها في رُفعة بخطه وهي:

خرجتُ إلى صيد الطّباء فصادني * هناك غزالٌ أدجم العين أحورُ
غزالٌ كأنَّ البدر حلَّ جبينه * وفي خذه الشّعري المنيرة زهرُ
فصاد فؤادي إذ رماني بسهمه * وسهم غزالِ الإنسان طرفٌ ومخجورُ
فيا من رأى ظلياً يصيد، ومن رأى * أنا قنصٌ يصطادُ قهراً ويُقسرُ

قال: فغنته فأمر لي بشعرين ألف درهم.

ذكر أخبار معبد اليقطيني

قال أبو الفرج: كان معبد هذا غلاماً مولداً من مولدى المدينة، أخذ الغناء عن جماعة من أهلها، وأشتراه بعض ولد على بن يقطين. وأخذ الغناء بالعراق عن إسحاق وابن جامع وطبقتهما، وخدم الرشيد ولم يخدم غيره من الخلفاء، ومات في أيامه.

(١) زلال (على وزن عراب مصاف إلى ياء المتكلم): ضرب من سمن دجلة كالخرقة والطيّار.

(٢) في الأغاني: «خثرة آلاف».

وكان أكثر أقطاعه إلى البرامكة . وروى أبو الفرج الأصفهاني حكاية عنه أحببت أن أذكرها في هذا الموضع ، وهي ما رواه بسنده إلى محمد بن عبد الله بن مالك الخزازي ، قال حدثني معبد الصغير المغني مولى علي بن يقطين قال : كنت منقطعا إلى البرامكة أحدثهم وألزمهم . فبينما أنا ذات يوم في مقلى إذ أتاني آت فدق بابي ، فخرج غلام ثم رجع إلي فقال لي : على الباب فتى ظاهر المروءة يستأذن عليك ، فأذنت له ، فدخل شاب ما رأيت أحسن وجهًا منه ولا أنظف ثوبا ولا أجمل زيا منه من رجل ديني عليه آثار السقم [ظاهرة] ^(١٦) . فقال لي : إني أحاول لقاءك منذ مدة ولا أجد إلى ذلك سبيلا ، وإن لي حاجة . فقلت : وما هي ؟ فأخرج ثلاثمائة دينار فوضعها بين يدي فقال : أسألك أن تقبلها وتصنع في بيتين قلتهما لحنا تنديني به . فقلت : هاتهما ، فأنشدني :

والله يا طريقي الجاني على بدني • لتطعن بدمي لوعة الحزن
أولاً بوح حتى يحجبوا سكني • فلا أراه وقد أذرجت في كفني ^(١٧)

قال : فصنعت فيه لحنا ثم غنيت إياه ، وأغني عليه حتى ظننته قد مات ، ثم أفاق فقال : أعد ، فديتك ! فتأشده الله في نفسه وقلت : أخشى أن تموت ؛ فقال : هيات ! أنا أشق من ذلك . وما زال يخضع لي ويتضرع حتى أعدته ، فصبر صعقة أشد من الأولى حتى ظننت أن نفسه قد فاضت . فلما أفاق رددت عليه الدنانير فوضعها بين يديه ، وقلت : يا هذا ، خذ دنانيرك وأنصرف عني ، قد قضيت حاجتك وبلغت وطرا مما أردته ، ولست أحب أن أشرك في دمك . فقال : [يا هذا ، ^(١٨) لا حاجة لي في الدنانير ، وهذه مثلها لك ، ثم أخرج ثلاثمائة دينار فوضعها بين يدي وقال : أعد الصوت على مرة أخرى وحل لك دمي ! فشرهت نفسي ، والدنانير ،

(١) زيادة عن الأبي . (٢) كذا في الأبي ، وفي الأصل : « أولاً بوح » ولا معنى له .

وقلت : لا والله ولا بعشرة أضاعها إلا على ثلاث شرائط . قال : وما هي ؟ قلت :
أولاهن أن تقيم عندي وتقوم بطعامي . والثانية أن تشرب أقداحا من النبيذ ^(١) تطبب
قلبك وتسكن ما بك . والثالثة أن تحذني بقصتك . قال : أفعل ما تريد . فأخذت الدنانير
ودعوتُ بطعام فاصاب منه إصابة مُعَدَّر ، ثم دعوت بالنبيذ فشرب أقداحا ، وغنيته
بشعر غيره في معناه وهو يشرب ويسكى ، ثم قال : الشرطُ أصرك الله ! فغنيته صوته
بفعل يكي أحز بُكاءً ويتشج أشد تشيج وينتحب . فلما رأيت ما به قد خف عما
كان يلحقه ورأيت النبيذ قد شدَّ قلبه ، كررت عليه صوته مرارا . ثم قلت : حذني
حديثك ، فقال : أنا رجل من أهل المدينة خرجت متزها في ظاهرها وقد سال العقيق
في قبة من أفراني وأخذاني ، فبصرتُ بفتيات قد خرجن لمثل ما خرجنا له ، فجلسن
حجرة منا ، وبُسررت منهن بفتاة كأنها قضيب قد طله الندي ، تنظر بينين ما أردت
طرفهما إلا بففس من يلاحظهما . فاطلنا وأطلن حتى تفزق الناس ، وأنصرفن
وأنصرفنا وقد أبت بقلبي جرحا بطيئا أندماله ؛ فمدت إلى متلى وأنا وقيد ، وخرجت
من الغد إلى العقيق وليس به أحد فلم أر لها ولا لصواحبها أثرا ، ثم جعلت أتبعها
في طرق المدينة وأسواقها ، وكأنت الأرض أضمرت لها فلم أحس لها بعين ولا أثر ، وسيقت
حتى أيس مني أهل . وعلت بي ظنري فاستلمتني حالي وضمنت لي كتابتها والسعي .
فيما أحبه منها ، فأخبرتني بقصتي ؛ فقالت : لا بأس عليك ، هذه أيام الربيع وهي سنة
خصب وأنواء وليس يبعد عنك المطر ، ثم هذا العقيق فتخرج حيثك وأخرج معك
فإن النسوة سيجنن ؛ فإذا فعلن ورأيتهن أتبعها حتى أعرف موضعها ثم أصل بينك
وبينها وأسعى لك في تزويجها . فكأنت نفسي أطمانت إلى ذلك ووثقت به وسكنت
إليه ، فقيوتُ وطيمعت وتراجعت إلى نفسي . وجاء مطر بمقبب ذلك وسال العقيق

(١) في الألفاظ : « تشد » . (٢) ماحية . (٣) كذا بالألفاظ . وفي الأصل : « طريق المدينة » .

ونخرج الناس ونرجت مع إخواني إليه، فجلسنا مجلسنا الأول بعينه، فما كنا والنسوة إلا كَفَرَّيْ رِهان؛ فأومأت إلى ظئري بفلستي، وأقبلتُ على إخواني فقلت: لقد أحسن القائل:

رمتني بهم أقصد القلبَ وآثنتُ * وقد غادرتُ جرحاً به وندوبا

فأقبلتُ على صواحباتها وقالت: أحسن والله القائل، وأحسن من أجابه حيث يقول:

بنا مثلُ ما تشكو فصبراً لعلنا * نرى قرَّباً يشفي السقامَ قريباً

فسكتُ من الجواب خوفاً من أن يظهر مني ما يفضحني وإياها، وعرفت ما أرادت. ثم تفرَّق الناس وأنصرفنا، وتبعَتْها ظئري حتى عرفت منزلها، وصارت إلى فأخذت يدي ومضينا إليها، فلم تزل تتلطف حتى وصلتُ إليها، فتلاقينا وتزاورنا على حال مخالسةٍ ومُراقبةٍ، حتى شاع حديثي وحديثها وظهر ما بيني وبينها، فحببها أهلها وسدوا أبوابها؛ فما زلت أجهد في لقائها فلا أقدر عليه، وشكوت ذلك إلى أبي لشدة ما نالني وسأله يخطبها لي. فضى أبي ومشيخة أهل إلى أبيها فخطبوها؛ فقال: لو كان بدأ بهذا قبل أن يفضحها ويشهرها لأسعفته بما آلتس، ولكنه قد فضحها فلم أكن لأحقق قول الناس فيها بترويحها وإياها؛ فأنصرفتُ على يأس منها ومن نفسي. قال معبد: فسأله أن يزل بجواري، وصارت بيننا عشرة. ثم جلس جعفر بن يحيى ليشرب فأتيته، فكان أول صوت غنَّته صوتي في شعر الفتى، فشرب وطرب عليه طرباً شديداً، وقال: ويحك! إن لهذا الصوت حديثاً فما هو؟ فخذته، فأمر بإحضار الفتى فأحضر من وقته، وأستاده الحديث فأعاده؛ فقال: هي في ذمتي حتى أزوجهك وإياها؛ فطابت نفسه وأقام معنا ليلتنا حتى أصبح، وغدا جعفر إلى الرشيد فخذته الحديث، فحجب منه وأمر بإحضارنا جميعاً فأحضرنا، وأمر بأد أعْيِه الصوت

ففتيته إياه وشرب عليه وسمع حديث الفتى؛ فأمر من وقته بكتاب إلى عامل الحجاز
بإشخاص الرجل وأبنته وجميع أهله إلى حضرته؛ فلم تمض إلا مسافة الطريق حتى
أُحضروا . فأمر الرشيد بإحضار أبي الجارية إليه فأحضر، وخطب إليه الجارية للفتى
وأقسم عليه ألا يخالف أمره؛ فأجابته وزوجها إياه؛ وحمل الرشيد إليه ألف دينار
لجهازها وألف دينار لتفقه طريقه، وأمر للفتى بألف دينار ولألف دينار، وأمر
جعفر لوالفتى بألف دينار . وكان المديني بعد ذلك من نُدماء جعفر بن يحيى .

ذكر أخبار محمد الرف

هو محمد بن عمرو مولى بنى تميم، كوفي المولد والمنشأ .^(١) وألف لقب غلب عليه .
كان مُغنياً ضارباً صالح الصنعة مليح النادرة . وكان أسرع خلق الله أخذاً للفناء
وأصحهم أدباً له وأذكاهم . وكان إذا سمع الصوت مرتين أو ثلاثاً أداه لا يكون بينه
وبين من أخذه عنه فرق فيه . وكان متمصباً على ابن جامع مائلاً إلى إبراهيم الموصلي
وأبنت إسحاق، وكانا يرفعان منه ويقدمانه ويأخذان له الصلوات من الخلفاء . وكانت
فيه عريضة إذا سكر . فعربد بمحضرة الرشيد مرة، فأمر بإخراجه ومنعه من الدخول
إليه وحفاه وتناساه . قال أبو الفرج : وأحسبه مات في خلافته أو خلافة الأمين .
ومن أحباره في جودة الأخذ وسرعة الحفظ ما رواه حماد بن إسحاق عن أبيه قال :
غنى ابن جامع يوماً بمحضرة الرشيد :

جَسَّورٌ عَلَى هَجْرٍ جَبَانٌ عَنِ الْوَصْلِ * كَذُوبٌ عِدَاتٍ يُتَّبِعُ الْوَعْدَ بِالْمَطْلِ
مُقَدِّمٌ رِجْلٍ فِي الْوَصَالِ مُؤَخَّرٌ * لِأُخْرَى يَشُوبُ الْحَدَّ ذَاكَ بِالْمُزَلِّ

(١) ورد في أكثر أصول الأعيان المخطوطة والمطبوعة «الرف» بالراء المهملة، وورد في بعض المواضع

من أصول الأعيان «الرف» بالزاي المعجمة .

- يَسْمُ بنا حتى إذا قلت قد دنا * وجاذبني عطفاه مال إلى البُخْلِ
يزيد أمتاعاً كلما زدتُ صَبَوةً * وأزداد حِرْصاً كلما ضُنَّ بالبَسْطِ
- فأحسن فيه ما شاء وأجمل ، فغمزت عليه محمد الرِّفَ وفِطْن لما أردت ،
وأستحسنه الرشيد وشرب عليه وأستعاده مرتين أو ثلاثاً . ثم قُتُّ إلى الصلاة
وغمزت الرِّفَ بغفائي ، وأومأت إلى مُحَارِقٍ وطوَّبه وعقيد بغفائي ؛ فأمرته بإعادة
الصوت فأعاده وأداه كأنه لم يزل يرويه ؛ ولم يزل يكرره على الجماعة حتى غنَّوه . ثم
حدث إلى المجلس ؛ فلما انتهى الدور إلى ابتدأت فغنيته قبل كل شيء غنيته . فنظر
إلى ابن جامع محدداً طرفه ، وأقبل على الرشيد وقال : أكنت تروى هذا الصوت ؟
قلت : نعم ياسيدي . فقال ابن جامع : كذب والله ما أخذه إلا مني الساعة .
فقلت : هذا صوت أرويه قديماً ، وما فيمن حضر ^(١) [أحد] إلا وقد أخذه مني . وأقبلت
عليهم فقلت لهم : غنَّوه ؛ فغناه طوَّبه ثم عقيد ثم مُحَارِق . فوثب ابن جامع بفلس
بين يديه خلف بجيائه وبطلاق أمراته أن المُنَّ صنعته منذ ثلاث ليال وما يُسمع به
قبل ذلك الوقت . فأقبل الرشيد عليّ وقال : بجيائي أصدقني عن القصة ، فصعدته ،
بفعل يصحك ويصفق ويقول : لكل شيء آفة ، وآفة ابن جامع الرِّفُ .
- قال إسحاق بن إبراهيم : كان محمد الرِّفَ أروى خلق الله تعالى للعناء وأسرعهم
أخذاً لما سمعه ، ليست عليه في ذلك كُلفة ، إنما يسمع الصوت مرة واحدة وقد أحذه .
وكأما معه في بلاء إذا حضر ، فكان كل من غني متاً صوتاً فسأله عدوله أو صديق أن
يُلقِيه عليه فيحل ومنعه إياه وسأل محمد الرِّفَ أن يأخذه فما هو إلا أن يسمعه مرة
واحدة حتى أخذه وألقاه على من سأله . قال : وكان أبي يُبرِّه ويصله ويُجديده من

(١) زيادة من الأمان .

(٢) كما في الأغاني . وفي الأصل : « وكل من غني » .

كل جائزة وفائدة تصل إليه . وكان محمد الرّف مُقرّي بأبن جامع خاصّة من بين المغنّين لبخله ، وكان لا يفتح أبن جامع فاه بصوت إلا وضع عينه عليه وصنّى بسمعه إليه حتى يحكيّه . وكان في أبن جامع بخلٌ شديد لا يقدر معه على أن يُسمّعه بمرّة ويرفد . وساق نحو ما تقدّم إلا أنه قال : إن الرّف أخذ الصوت لأوّل مرّة وألقاه على إسحاق فأخذته عنه في ثلاث مرار . قال حماد : وللفرّ صتعة يسيرة ، وذكر منها أصواتا .

ذكر أخبار محمد بن الأشعث

قال أبو الفرج : كان محمد بن الأشعث القرشيّ ثم الزهرّي كاتباً ، وكان من فيّان أهل الكوفة ومُقرّائهم ، وكان يقول الشعر ويُنّي فيه . فمن ذلك قوله في سلامة زوقاه ابن رامين :

أَمْسَى لِسَلَامَةِ الزُّرْقَاءِ فِي كَيْدِي * صَدْعُ بَقِيمِ طَوَّالِ الدَّهْرِ وَالْأَيْدِ
لَا يَسْتَطِيعُ صَنَاعُ الْقَوْمِ يَتَسَعَّبُ * وَكَيْفَ يُشْعَبُ صَدْعُ الْحَبِّ فِي الْكَيْدِ
إِلَّا بِوَصْلِ الْتِي مِنْ حَبِّهَا أَنْصَدَعْتُ * تِلْكَ الصَّدُوعُ مِنَ الْأَسْقَامِ وَالْكَدِّ

وكان ملازماً لابن رامين ولجاريته سلامة الزرقاء ، فشهر بذلك ، فلامه قومه في فعله فلم يتّفل بمقاتلتهم ، وطال ذلك منه ومنهم ، حتى رأى بعض ما يكره في منزل ابن رامين ، فقال الى صحيفة جارية زُرَيْقِ ابْنِ مَنِيعِ مَوْلَى عَيْسَى بْنِ مُوسَى ، وكان زُرَيْقِ شيعاً كريماً نبيلاً ، يجتمع إليه أشراف أهل الكوفة من كل حي ، وكان الغالب على منزله رجلاً من ولد القاسم بن عبد الغفار العجلّ كغلبة محمد بن الأشعث على منزل ابن رامين ، فتلازما على ملازمة زُرَيْقِ . وفي ذلك يقول محمد بن الأشعث :

٣٣

يَا بْنَ رَامِينَ بَحْتُ بِالتَّصْرِيحِ * فِي هَوَايَ حَبِيقَةَ ابْنِ مِينِجِ
 قِينَةُ عَقَّةٍ وَمَوْلَى كَرِيمٍ * وَنَدِيمٌ مِنَ الْأَبَابِ الصَّرِيحِ
 رَبِّي مُهَذَّبٌ أَرْيَحِي * بِشَرَى الْحَمْدِ بِالْفَعَالِ الرَّبِيعِ
 نَحْنُ مِنْهُ فِي كُلِّ مَا تَشْتَهَى الْأَذَى * فَسُ مِنْ لَذَّةٍ وَعَيْشٍ نَجِيعِ
 عِنْدَ قَوْمٍ مِنْ هَانِمٍ فِي ذُرَاهَا * وَغِنَاءٍ مِنَ الْغَزَالِ الْمَلِيعِ
 فِي سُرُورٍ وَفِي نَعِيمٍ مُفِيمٍ * قَدْ آمَنَّا مِنْ كُلِّ أَمْرِ قَيْعِ
 فَاسْأَلْ عَنَّا كَمَا سَأَلْتَ إِنِّي * غَيْرُ سَالٍ عَنْ ذَاتِ نَفْسِي وَرُوحِي
 حَافِظٌ مِنْكَ كُلِّ مَا كُنْتُ قَدْ ضَعَيْتُ * مِمَّا عَصَيْتُ فِيهِ نَصِيحِي
 فَالْقَلِيلَ مَا حَيْثُ مَنَى لَكَ الدَّهْدُ * رَبِّ بَوْدٌ لِمَتَيْتِي مَمْنُوحِ
 يَا بْنَ رَامِينَ فَالْزَيْنَ مُسْجِدَ الْحَيِّ * بِطُولِ الصَّلَاةِ وَالتَّسْبِيحِ ١٠

قال عمر بن نوفل وهو راوي هذه الأبيات: فلم يدع ابن رامين شريفا بالكوفة
 إلا تحمّل به على ابن الأشعث وهو يابى أن يرصى عنه وأن يعاود زيارته، حتى تحمل عليه
 بالبحوثاني، وهو محمد بن بشر بن بختوان الأسدي وكان يومئذ على الكوفة، فكلّمه
 فرفض عنه وعاد إلى زيارته، ولم يقطع منزله زريق. وقال في حبيقة:

حَبِيقَةُ أُنْتُ وَاحِدَةُ الْقِيَانِ * مَا لَكَ مُشَبِّهٍ فِيهِ نَائِي ١٥
 فَضَلَّتْ عَلَى الْقِيَانِ بِفَصْلِ حَذَقٍ * فَخُزَّتْ عَلَى الْمَدَى قَصَبَ الرَّهَانِ
 سَجْدَنُ لَكَ الْقِيَانُ مُكْفَرَاتٍ * كَمَا سَجَدَ الْخَبُوسُ لِمَرْزُوبَانِ
 وَلَا سِيَّامًا إِذَا غَنَّتْ بِصَوْتٍ * وَحَرَكَتِ الْمَتَالِكُ وَالْمَشَانِي
 ثَرِيثُ الْخَمْرِ حَتَّى حَلَّتْ أُنِي * أَبُو قَابُوسٍ أَوْ عَبْدُ الْمَدَّانِ
 فَأَعْمَالُ الْيَسَارِ عَلَى الْمَلَاوِي * وَمِنْ يَمْنَاكِ تَرْجَمَةُ الْيَابَانِ ٢٠

ولحمد بن الأشعث أصوات له فيها غناء . منها :
 رَجَبْتُ بِلَادُكَ يَا أَمَامَةً * وَسَلَيْتِ مَا سَجَعَتْ حَمَامَةً
 وَسَقَى دِيَارَكَ كَلْبًا * حَنَنْتِ إِلَى السَّقِيَا غَمَامَهُ
 إِنِّي وَإِنْ أَقْصَيْتَنِي * شَفِيقٌ أَحَبُّ لَكَ الْكَرَامَهُ
 وَأَرَى أُمُورَكَ طَاعَةً * مَفْرُوضَةٌ حَتَّى الْقِيَامَهُ
 وله غير ذلك من الأصوات .

ذكر أخبار عمرو بن بانة

قال أبو الفرج الأصفهاني : هو عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد مولى ثقيف .
 وكان أبوه صاحب ديوان ووجهها من وجوه الكتاب، ونُسب إلى أمه . وكان مغنياً
 محسناً، وشاعراً صالح الشعر، وصنعتة صنعة متوسطة، وكان مرتجلاً . قال : وكتابه
 في الأغاني أصل من الأصول . وكان ينحسب مذهب إبراهيم بن المهدي في الغناء،
 ويخالف إسحاق ويتعصب عليه تعصباً شديداً ويواجهه بنفسه . وهو معدود
 في ندماء الخلفاء ومغنيهم، على ما كان به من الوسخ . وفيه يقول الشاعر :

أقول لعمرو وقد مرّ بي * فسلم تسليمًا جافِيَهُ
 لئن فضّلوك بفضل الغنا * فقد فضّل الله بالعافية

وقال أحمد بن حمدون : كان عمرو حسن الحكاية لمن أخذ عنه الغناء، حتى كان
 من يسمعه لو توارى عن عينه [عمرو^(٢)] لم يشك في أنه هو الذي أخذ عنه، لحسن
 حكايته . وكان محظوظًا ممن يعلمه، ما علم أحدًا قط إلا نرج نادرا مبرزا . وله
 أخبار مع الخلفاء وإنعام منهم عليه، منهم المتوكل على الله . رحمه الله .

(١) في الأغاني : "سناها" . (٢) زيادة عن الأغاني .

ذكر أخبار عبد الله بن العباس الربيعي

هو أبو العباس عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع، والربيع، على ما يذهب
أهله، ابن يونس بن أبي فروة. وآل أبي فروة يذنبون ذلك ويؤمنون أنه لقيط وجد
منبوذاً كغفله يونس، فلما خدّم المنصور آذنى إليه. قال أبو الفرج الأصفهاني :
وكان شاعراً مطبوعاً ومغنياً عُشنا جيّد الصنعة نادرها. قال : وهو أوّل من غنى
بالكنكة في الإسلام .

وكان سبب دخوله في الفناء على ما رواه أبو الفرج بسنده إليه قال : كان سبب
دخولي في الفناء وتعلّمي إياه أنّي كنت أهرى جاريةً لعمتي رُقيّة بنت الفضل
ابن الربيع، وكنت لا أقدر على مُلازمتها والجلوس معها خوفاً من أن يظهر
ما لها عندي، فيكون ذلك سبباً مني منها؛ فظهرت لعمتي أنّي أشتبه أن
أنعم الفناء ويكون ذلك في سِتْرِ عن جدّي — وكان جدّي وعمتي على حال من الرقة
على والهبة لي لا نهاية وراءها، لأنّ أبي توفّي في حياة جدّي الفضل — فقالت :
يا بُنّي، وما دعاك إلى ذلك ؟ فقلت : شهوة غلبت على قلبي، إن مُنعتُ منها مُت
غماً — قال : وكان لي في الفناء طبع قوي — فقالت لي : أنت أعلم وما تخاره،
والله ما أحبّ منعك من شيء، وإني كارهة أنْ نحقيق في ذلك وتنتهر قسّةً .
ويفتضح أبوك وجنتك. فقلت : لا تخاف من ذلك، فإنما أخذه منه مقدار ما ألوه به.
ولازمت الجارية لخبتي إذْها بعلّة الفناء، فكنتُ أخذ عنها وعن صواحبائها حتى
تهدّمت الجماعة حدّاً وأقوت لي بذلك، وبلغت ما كنت أريد من الجارية، وصرت
الأزّم مجلس جدّي. ثم لم يكن يزل يحاق ولا لأبني بلابع ولا للزبير بن العزم
ولا لغيرهم صوت إلا أخذته، وكنت سريع الأخذ، إنّا كنت أسمعهم سرّاً .

وقد جمع لى . وأحسست فى نفسى قوة فى الصناعة، فصنعت أول صوت صنعته
فى شعر العرجى :

أماطت كساءً أنز عن حر وجهها * وأدنت على الخدين برداً مهلهلاً
ثم صنعت :

أقفر من بعد خلة شرف * فالمسحوق فالعقيق فالجرف

وعرضتهما على الجارية التى كنت أهماها وسألتهما عما عندهما فيهما ؛ فقالت :
لا يجوز أن يكون فى الصنعة فوق هذا . وكان جوارى الحارث بن بسخر وجوارى
أبيه يدخلن إلى دارنا فيطرحن على جوارى عمى وجوارى جدى وياخذن أيضاً
ماليس عندهن، فأخذتهما منى، وسألن الجارية عنهما فأخبرتهن أنهما من صنعتى .
ثم أشتهرا حتى غنى الرشيد بهما يوماً فاستظرفهما، وسأل إسماعق : هل تعرفهما ؟

فقال : لا ، وإنهما لمن أحسن الصنعة وجيّداه ومثقتاه . ثم سأل الجارية عنهما
فوقفت خوفاً من عمى وحذراً أن يبلغ جدى أنها ذكرتني ؛ فاتمهرها الرشيد فأخبرته
القصة ؛ فوجه من وقته فدعا بجدي فقال له : يا فضل، أياك أن يكون لك ابن يغنى ثم يبلغ
فى الغناء المبلغ الذى يمكنه أن يصنع صوتين يستحسنهما إسماعق وسائر المغنين

ويتداولها جوارى القيان فلا تعلمنى بذلك، كأنك رفعت قدره عن خدمتى فى هذا
الشان ! فقال له جدى : وحق ولائك يا أمير المؤمنين ونعمتك وإلا فانا برئ من
بيعتك وعلى المهدي والميثاق والعق والطلاق إن كنت علمت بشيء من هذا قط^(١)
إلا منك الساعة . [فن هذا من ولدى ؟ قال : عبد الله بن العباس هو، فأحضرني^(٢)
الساعة^(٣)] . فجاء جدى وهو يكاد أن ينشق غيظاً، فدعاني ؛ فلما خرجت إليه شتمنى

(١) كما فى الأغانى . وفى الأصل : "واليان" . (٢) لعل العبارة : « هو عبد الله

ابن العباس » . (٣) زيادة عن الأغانى .

- وقال : [ياكلب] بلغ من أمرك أنك تجسر على أن تتعلم الفناء بغير إذن ! ثم زاد ذلك حتى صنعت ، ولم تقنع بهذا حتى ألفت صنعتك على الجوارى في دارى ، ثم تجاوزهن إلى جوارى الحارث بن بُسْطَر ، فاشتهرت ، وبلغ أمير المؤمنين فتناكر لى ولانى ، وفضحت آباءك في قبورهم وسقطت للأبد إلا من المغنّين ! فبكيت مما جرى على وعلمت أنه صدقنى ، فخرجنى وصنّى إليه وقال : قد صارت الآن مصيبتى في أبيك . مصيبتين ، إحداهما به وقد مضى وفات ، والأخرى بك وهى موصولة بحياتى ، ومصيبة باقية العار على وعلى أهل عدى ، وبكى وقال : عزت على يا بُنى أنى أراك أبداً ما بقيت على غير ما أحب ، وليست لى في هذا الأمر حيلة لأنه أمر قد خرج عن يدي . وقال : جئنى بعود حتى أسمعك وأظرك كيف أنت ، فإن كنت تصلح للخدمة فى هذه الفضيحة وإلا جئت بك منفرداً وعرفته خبرك وأستغفرت لك . فأثبّت بعود وغنّته غناءً قديماً ، فقال : لا ، بل صوتيك اللذين صنعتهما ، فغنّيته إياهما ، فاستحسنهما وبكى ، ثم قال : بطلت والله يا بُنى وخاب أمل فىك . فواحرأ عليك وعلى أبيك ! فقلت : ليتنى مت قبل ما أنكرته أو أنحسرت ! ومالى حيلة ! لكنى وحياتك يا سيدي — وإلا فعلت عهد الله وميثاقه والعتق والطلاق وكل يمين يحلف بها [حالف] لازمة [لى] — لا غنّيت أبداً إلا خليفة أو ولى عهد . فقال : قد أحسنت فيما نبت عليه من هذا . فركب وأمر بى فأحضرته ، ووقفت بين يدي الرشيد وأما أرعد ، فاستدعانى وأستدانى حتى صرْتُ أقرب الجماعة إليه ، ومازحنى

(١) زيادة عن الأماوى .

(٢) فى الأماوى : مصبه ، ولطها : مصيبتك .

(٣) زيادة عن الأماوى .

(٤) الهى فى أساس البلاغة : « تبت على الأمر : تعطلت له » .

وأقبل على وسكن منى ، وأمر جدى بالانصراف ؛ وأوما إلى الجماعة فخذثوني
وسقيت أقداحاً^(٢) وغنى المغنون جميعاً ؛ وأوما إلى إسمحاق بعينه أن أبداً فغنّ إذا بلغت
التوبة إليك قبل أن تؤمر بذلك ليكون ذلك أملح وأجمل بك . فلما جاءت التوبة
إلى أخذتُ عوداً ممن كان إلى جنبي وقمتُ قائماً وأستأذنت في الغناء ؛ فضحك
الرشيد وقال : غنّ جالساً ؛ فغنيتُ لحنى الأول ، فطرب واستعاده ثلاث مرّات
وشرب عليه ثلاثة أنصاف . ثم غنيتُ الثانى فكانت هذه حاله ، فسكروا ودما بمسرور
وقال : أحمل الساعة مع عبد الله عشرة آلاف دينار وثلاثين ثوباً من فاخر ثيابى
وعية مملوءة طيباً ، فحمل ذلك كله معي . قال عبد الله : ولم أزل كلما أراد ولّى عهد
أن يعلم من الخليفة بعد الخليفة هو أم غيره دعانى وأمرنى أن أغنى ، فأعزّفه يميني
فيستأذن الخليفة في ذلك ، فإن أذن لى فى الغناء علم أنه ولّى عهد وإلا عرّف أنه
غيره ، حتى كان آخرهم الواثق فدعانى فى أيام المعتصم وسأله أن يأذن لى فى الغناء ،
فأذن لى ثم دعانى من الغد فقال : ما كنت غناؤك إلا سبياً لظهور سرى وأسرار
الخلفاء قبلى ! والله لقد هممتُ أن آمر بضرب رقبتك ! لا يلفنى أنك أمتعت من
الغناء عند أحد ، فوالله لئن أمتعت لأضرب عنقك ! فاعتقني من كنت تملكه يوم
حلفت ، وطلق من كان عندك يومئذ ، وأرحنا من يمينك هذه المشثومة . نقمت وأنا
لا أعقل جزأاً منه ؛ فاعتقت جميع ما كان بى عندى من ممالئى الذين حلفت
يومئذ وهم فى ملكي ثم تصلقت بجملة ، وأستفتيت فى يميني أبا يوسف القاضي حتى
نرجعت منها ؛ وغنيت بعد ذلك إخواني جميعاً حتى أشهر أمرى ، وبلغ المعتصم
خبرى فتخلصت منه .

(١) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : « وأقبل على الجماعة وشكر منى الخ » .

(٢) فى الأغانى : « وسقيت الجماعة وغنى الخ » .

وروى أبو الفرج أيضا عن الصولي عن الحسين بن يحيى قال : قلت لعبد الله
ابن العباس : إنه بلغني لك خبر مع الرشيد أول ما شُهرت بالفناء فحدثني به ؟ فقال :
نعم ! أول صوت صنته :

أنا في يؤامرني في الصبو • ج ليلًا فقلت له غادها

- (١) فلما دارلى وضربت عليه بالكنكلة ، عرضته على جارية^(٢) لما يقال لها راحة ،
فأستحسنته ، وأخذته عنى . وكانت تختلف إلى إبراهيم الموصلي ، فسمها يوما تغية
وتساخى به جارية من جواريه ، فأستعدها إياه فأعاده ، فقال : لمن هذا الصوت ؟
قالت : صوت قديم . قال : كذبت ، لو كانت قدما لمرجه . وما زال يداريها
ويتقاضب عليها حتى أعترفت له أنه من صنعتي ، فصحب من ذلك . ثم غناه يوما
بمحضرة الرشيد ليغريب به حل المغنين ، فأستحسنه الرشيد ، فقال له : لمن هذا يا إبراهيم ؟
فأسك عن الجواب وخشى أن يكذبه فينبى إليه الخبر من غيره ، وخاف من جدى
إن يصدقه ، فقال له : مالك لا يجيبني ؟ قال : ما يمكنى يا أمير المؤمنين . فأستراب
بالقصة ، فأقسم الرشيد أنه إن لم يرفه عاقبه عقوبة توجعه ، وتوهم أنه لعلية بنت
المهدى أو لبعض حرمه فأستطير غضبا . فلما رأى إبراهيم الحد منه صدقه فيما بينه
وبينه سرا . فدعا لوقته بالفضل بن الربيع وقال له : أيصع ولدك فناء يرويه الناس
ولا تعرفني ! فخرع وحلف بحياته ويعته أنه ما عرف ذلك قط ولا سمع به إلا في
وقته ذلك . وساق باقى الخبر نحو ما تقدم .

قال عبد الله بن العباس : دخل محمد بن عبد الملك الزيات على الواثق وأنا بين يديه
أغنيه وقد أستعاذنى صوتا فأعده ، فأستحسنه محمد بن عبد الملك [وقال :] هذا والله^(٤)

- (١) في الأغاني : « نأى ل » . (٢) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « حل حارة » .
(٣) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « نأى » . (٤) زيادة زها لارة .

يا أمير المؤمنين أوى الناس بإقبالك عليه وإصفاك إليه، قال : أجل ! هذا والله مولاى وأبن موالى لا يعرفون غير ذلك . فقال : ليس كل مولى يا أمير المؤمنين مولى لمواله ، ولا كل مولى يُجَمَّلُ بولائه يجمع ما جمعه عبد الله من ظُرفٍ وأدبٍ وصحَّةِ عقلٍ وفضلٍ علمٍ وجودةٍ شعر . فقال له : صدقت يا محمد . فلما كان من الغد جث محمد بن عبد الملك شاكراً لحسن محضره ، قُلت في أضعاف كلامي : وأفرط الوزير، أعزّه الله تعالى ، في وصفى وتقريظى بكل شيء حتى وصفنى بجمودة الشعر، وليس ذلك عندى، وإنما أعبت باليتين والثلاثة . ولو كان عندى أيضاً شيء من ذلك لصغر عن أن يصفه الوزير ويحكىه في هذا المجلس الرفيع المشهور . فقال : والله يا أنحى لو عرفت مقدار قولك :

يا شادناً رام إذ م * تر في الشَّعائينِ قتل^(٢)

يقول لى : كيف أصبح * ت ؟ كيف يُصبح مثلي

لَمَّا قُلت هذا القول . والله لو لم يكن لك شعر في عمرك إلا قولك : « كيف يصبح مثلى » لكنت شاعراً مجيداً . وهذا الشعر قاله عبد الله بن العباس في نصرانية كان يهواها ولا يصل إليها إلا إذا خرجت إلى البيعة . وله معها أخبار وأشعار له فيها أصوات . منها قوله :

إِذَا فِي الْقَلْبِ مِنَ الظُّبْيِ كُتُومٌ * فَدَجَّ اللَّوْمَ فَإِنَّ اللَّوْمَ لَوْمٌ

حبذا يومُ الشَّعائينِ وما * نِلْتُ بِهِ مِنْ نَعِيمٍ لَوْ يَدُومُ

إِنْ أَكُنْ أَعْظَمْتُ أَنْ هِمَّتْ بِهِ * فَالَّذَى تَرَكْتُ مِنْ صَدِّى عَظِيمٌ

لَمْ أَكُنْ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْمَوَى * فَدَجَّ الْمَذْلَ فَذَا دَاءٌ قَدِيمٌ

(١) لله «المشهود» .

(٢) الشَّعائين : عبد المعارى قبل الفصح بأسبوع .

- وروى أبو الفرج بسنده إلى محمد بن جبير قال : سكا عند أبي عيسى بن الرشيد في زمن ربيع وعندنا مُخارق وعلويه وعبد الله بن العباس الربيعي وعبد الله بن الحارث بن بسُخْرٍ ونحن مصطبحون في طارمة مضروبة على بسنانه وقد تفتح فيه ورد وباسمين وشقائق والماء منيمة غيماً مطبقاً وقد بدأت ترش رشاً ساكناً ، فصحن في أكل نشاط وأحسن يوم ، إذ خرجت قيمة دار أبي عيسى فقالت : ياسيدي ، قد جاءت عساليج ، قال : نخرجُ إلينا فليس بعصرتنا من تحتشمه . قال : فخرجت إلينا جارية شكلة حلوة حسنة العقل والهيئة والأدب في يدها عود فسلمت ، وأمرها أبو عيسى بالجلوس فجلست . وغنى القوم حتى أتته التور إليها ، وظننا أنها لا تصنع شيئاً وخفنا أن تبايناً فتحصّر ، فغنت غناء حسناً مطرباً متقناً ، لم تدع أحداً من حضر إلا غنت صوتاً من صَنَعته فأذنه على غاية الإحكام ، فطربنا وأستحسننا غنائها ١٠ وخطبناها بالاكتمان ، وألح عبد الله بن العباس من بيننا بالاقتراح عليها والمزاح معها والنظر إليها . فقال أبو عيسى : عَشِقْتَهَا وحياتي يا عبد الله ! فقال : لا والله ياسيدي وحياتك ما عَشِقْتَهَا ، ولكن استملحت كل ما شاهدته منها من منظر وشكل وعقل وعشرة وغناء . فقال له : ويحك ! فهذا والله هو العشق وسببه . ورب جد جزه اللعب . قال : وشربنا ، فلما غلب النبيذ على عبد الله غنى أهزاجاً قديمة وحديثة ، وغنى فيما بينها هزجاً في شعر قاله فيها لوقته ، فما فطن له إلا أبو عيسى ، وهو :
- فَلَقَّ الْمَكْتُومُ مَتَى فَبَدَأَ * كَمْ رَى الْمَكْتُومَ مَتَى لَا يَضِغُ
سَحَرُ عَيْلِكَ إِذَا مَا رَتَّنَا * لَمْ يَدْعُ ذَا صَبْوَةٍ أَوْ يَفْتَضِعُ
مَلَكَتْ قَلْبًا فَامْسِ غَلِقًا * عِنْدَهَا صَبَابٌ لَمْ يَسْتَرْحِ

(١) كذا في الأُفان . وفي الأصل :

بِحَالٍ وَغَضَاءٍ حَسَنِ * جَلَّ عَنْ أَنْ يَنْقِيَهُ الْمَقْتَرِحُ^(١)
أَوْرَثَ الْقَلْبَ هُمُومًا وَلَقَدْ * كُنْتُ مَسْرُورًا بِمَرَاهِ قَرِحٍ
وَلَكُمْ مُقْتَبِحٌ هُمًا وَقَدْ * بَاكَرَ اللَّهُ بِكُورِ الْمُصْطَلِحِ

فقال له أبو عيسى : فعلتها والله يا عبد الله، مع والله قولي لك في عساليج وأنت
تُكابر حتى فضحك السكر . فحمد وقال : هذا غناء كنت أرويه . خلف أبو عيسى
أنه ما قاله وما غناه إلا في يومه ؛ وقال له : أحلف بحياتي أن الأمر ليس هو كذلك !
فلم يفعل . فقال أبو عيسى : والله لو كانت لي لوهبتها لك ، ولكنها لا لي يحيى
أبن معاذ ، والله إن باعوها لأملكك إياها ولو بكل ما أملك ! ووحياي لتتصرفن
قبلك إلى متزك . ثم دما بحافظتها وخادماً من خدمه فوجه بها معها إلى منزله .

❦

والتوى عبد الله قليلاً وتجلد ثم أنصرف . وأتصل الأمر بينهما بعد ذلك فأشترتها
عمته رقية بنت الفضل بن الربيع من آل يحيى بن معاذ ، وكانت عندهم حتى ماتت .
قال : وقالت بذل الكبيرة لعبد الله بن العباس : قد بلغني أنك عيشقت جارية أسماها
عساليج ، فأعيرضا علي ، فإما أن عذرتك أو عذلتك ؛ فوجه إليها فحضرت ، وقال
لبذل : هذه هي يا سيدتي ، فأسمعي وأنظري ثم مريني بما شئت أعطك . فأقبلت
عليه عساليج وقالت : يا عبد الله ، أتساورني ! فوالله ما شاورت فيك لما يحيتك .
فقال بذل : أحسنت والله يا صبية ! ولو لم تحسني شيئاً ولا^(٢) كانت فيك خصلة
محمد لوجب أن تمسقي لهذه الكلمة . ثم قالت لعبد الله : ما ضيعت ، احتفظ
بصاحبك هذه .

وقال حدون بن إسماعيل : دخلت يوماً على عبد الله بن العباس الربيعي وخادم
له يسقيه ، ويده عود وهو يفتي :

(١) كذا في الأمان . وفي الأصل : « أن ينقيه » . (٢) الكلمة عن الأغاني .

إذا أصطبحت ثلاثاً * وكان عودي يدي
والكأس تضحك^(١) خفكاً * من كف ظبي رخم
فما على طريق * لطارات المموم
لما رأيت أحسن مما حكى حاله في غنائه ولا سمعت أحسن مما غنى . ومن
صنفته وشعره قوله :

صدع الين الفؤادا * إذ به الصائح نادى
بيننا الأحباب مجمو * عون إذ صاروا فرادى
فأنى بعض بلاداً * وأنى بعض بلاداً
كلما قلت تنأى * حدثان^(٢) التهر زادا

ذكر أخبار وجه القرعة

هو أبو جعفر محمد بن حمزة بن نصير الوصيف مولى المنصور ، ويلقب وجه
القرعة ، أحد المغنيين الحذاق الضراب الرواة . أخذ الفناء عن إبراهيم الموصلي
وطبقته . وكان حسن الأداء طيب الصوت لا علة فيه ، إلا أنه كان إذا غنى المزج
خاصة نرج لا لسبب يعرف ، إلا أنه [إن] تعرض^(٣) للختين في جنس من الأجناس
فلا يصح له البتة .

وروى أبو الفرج بسنده عن محمد الهاشمي أنه شهد إصحاق بن إبراهيم الموصلي
عند عمه هارون بن عيسى وعنده محمد بن الحسن بن مصعب ، قال : فأنانا محمد بن

(١) في الأمانى : « تقرب » .

(٢) هذه رواية الأمانى . وفي الأصل :

كلما قلت سمعت * حادثات الدهر زادا

(٣) زيادة عن الأمانى .

حزمة وجه القرعة، وكان شيرس الأخلاق أبي النفس، وكان إذا سئل الغناء أباه،
فإذا أميك عنه كان هو المبتدئ به؛ فامسكنا عنه حتى طلب العود فأُتي به ففتى :

مَرَّ بِي سِرْبُ غِلَاءٍ * رَائِحَاتٍ مِنْ قُبَاءٍ
زُرْمًا نَحْوِ الْمُصَلَّى * يَمْشِيَنَّ حِذَائِي
فَجَاسَرْتُ وَالْقِي * مَتَّ سِرَابِيلَ الْحِيَاءِ
وَقَدِيمًا كَانَ لَهْوِي * وَفَنَوْنِي بِالنِّسَاءِ

قال : وكان يُحسِّنه ويُعيدُه ، فجعل إسحاق يشرب ويستعيدُه حتى شرب ثلاثة
أرطال، ثم قال : أحسنت يا غلام ! هذا الغناء لي وأنت تُتقدِّمُني فيه ! ولا يَخْلُقُ
الغناء ما دام مثلك ينشأ فيه .

وقال أيضا : سَكَفَى الْبُسْتَانُ الْمَعْرُوفُ بِبُسْتَانِ خَالِصِ النَّصْرَانِيِّ بِبَغْدَادَ ، وَمَعْنَاهُ مُحَمَّدُ
ابن حمزة وجه القرعة وهو يغنينا :

يَا دَارُ أَقْصَرَ رَمْتِهَا * بَيْنَ الْمُحْصَبِّ وَالْمُجُونِ
يَا بَشْرُ إِنِّي فَأَعْلَمِي * وَاللَّهِ بِمُجْتَهِدًا يَمِينِي
مَا إِنْ صَرَمْتُ حِبَالَكُمْ * فَيَصِلُ جِبَالِي أَوْ ذَرِينِي

فإذا برجل راكب على حمار يؤمُّنا وهو يصيح : أحسنت والله ! فقلنا : أصعدُ
إلينا كلًّا من كنت ؛ فصعد وقال : لو منعتموني من الصعود لما آتيتكم ؛ ثم سَفَرُ
اللاثم عن وجهه فإذا هو مُحَارِقٌ . فقال : يا أبا جعفر، أعدْ عليَّ صوتك فأعاده، وشرب
رطلًا من شرابنا وقال : لولا أني مدعُو الخليفة لأثمت عندكم وأسَمِعتُ هذا الغناء
الذي هو أحسن من التَّرهة غِبَّ المطر .

وله مع إسحاق بن إبراهيم ومُحَارِقٍ أخبار شهدا له فيها بحسن الصنعة ؛ وكفاه ذلك
فضلاً في صناعته .

ذكر أخبار محمد بن الحارث بن بسطمر^(١)

١٤

- قال أبو الفرج الأصفهاني : هو من أهل الرّي، مولى المنصور، من ولد بهرام شويين مَرزبان الرّي . قال : وهو مرتجل قليل الصّنعَة حسن الغناء والنغم بقوة وغنّاً وأقدار شديد على الغناء، وكان في زمانه أحد المعدودين في حسن الأدب وتمام المروءة وحسن الرّي والآلة، وكان عظيم الثّبة رفيع الهمة، وكانت له منزلة عند المأمون . قال محمد بن الحارث : كنت مع المأمون وهو يريد بلاد الروم ومعه عدّة من المعتنّين، بفسّ يوماً والمعتمد والعباس معه من حيث لا نراهم وهم يسمعون غناءنا، ففتى المغنّون جميعاً وغنيت هَزَجاً لإسماعيل بن جامع ، فبعث إلى المأمون بأصل شاهسفرم^(٢) وقد لُف أصله بمسديّل حرير؛ فغافنى به الغلام وقال : أعد الصوت؛ فأخذته وشمته ووثبت فأعدته قائماً ، ووضعت الأصل بين يدي وشربت رطلاً وقلت للفنين : حكم لى أمير المؤمنين بالحدق والغناء . فقالوا : وكيف ؟ قلت : دفع إلى لواء الغناء من بينكم . فقالوا : ليس كما ذكرت، ولكن حيّاك إذ أطربته ، والرسول قائم فانصرف بالخبر، فما لبث أن رجع إلى فقال : هو كما ذكرت .
- قال أبو العنّيس بن حمدون : كان محمد بن الحارث أحسن حلق الله شمائل وإشارة إذا غنى . وقال أحمد بن حمدون : صنع محمد بن الحارث [هَزَجاً في هذا الشعر]^(٣) :

أَسَيْتُ عَبْدًا مُسْتَرْقَا * أَيْكِي الْأُلَى سَكُنُوا دِيمَشَقَا

أَعْطَيْتُهُمْ قَلْبِي فَمَنْ * يَمَقِّي بِلَا قَلْبٍ قَابَقِي !

- (١) كذا في تصحيح كتاب الأغانى للأستاذ الشافعى المطوع مصرية ١٣٣٤هـ وبسمر هو أحد الأعمام من مراربة أرى موالى المصور الخليفة العباسى اثنان . وفي الأصل : « بشير » وهو تحريف .
- (٢) في مفردات أبي الطيّار : « شاهسفرم » وهو ضرب من البات عطر الرائحة .
- (٣) الكلمة من الأغانى .

وطرحه على المسدود الطنبورى فوقع له موقعا حسنا، وأستحسنه محمد منه فقال :
أَتَحِبُّ أَنْ أَهْبَهُ لَكَ ؟ قال : نعم ، قال : قد فعلت . فكان المسدود يُغْنِيهِ وَيُدْعِيهِ ،
ولإنما هو لمحمد بن الحارث .

قال محمد : لما قَدِمَ المأمون من خراسان لم يَسْتَقِ مَغْنِيًا بِمَدِينَةِ السَّلامِ غَيْرِي .
فَبَعَثَ إِلَيَّ فَكُنْتُ أَأَدِمُهُ سِرًّا ، ولم يظهر للندماء حتى ظفر بإبراهيم بن المهدي ؟
فلما عفا عنه ظهر للندماء .

ولمحمد بن الحارث شعر، منه قوله :

ومن ظَنُّ أَنْ لَتِيَّةً مِنْ فَضْلِ قَدْرِهِ ^(١) * لَأَنِّي رَأَيْتُ لَتِيَّةً مِنْ صِغَرِ الْقَدْرِ
ولو كَانَتْ ذَا عَرٍّ وَنَفْسٍ أَيْتَةٍ * لَنَقُصَّ الْغَنَى مِنْهُ وَعَزَّ عَنْ الْفَقْرِ
رَأَى فَنَسَهُ لَا تَسْتَقِيلُ بِحَقِّهَا * فَتَنَاهُ انْقِصَ النَّفْسُ أَوْ قَلَّ الشُّكْرُ

ذكر أخبار أحمد بن صدقة

قال أبو الفرج الأصفهاني : هو أحمد بن صدقة بن أبي صدقة . كان أبوه
هَجَازِيًّا مَغْنِيًّا ، فَدِمَ عَلَى الرَّشِيدِ وَغْنَى لَهُ . وَقَدْ ذَكَرْنَا أَخْبَارَهُ فِي النُّوَادِرِ مِنْ تَكَلُّبَاتِهِ هَذَا ،
فَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى إِعَادَتِهَا . وَكَانَ أَحْمَدُ طَنْبُورِيًّا مُحِبًّا مُقَدِّمًا حَازِقًا حَسَنَ الْغِنَاءِ
مُحْكَمَ الصَّنْعَةِ . قَالَ : وَلَهُ غَنَاءٌ كَثِيرٌ فِي الْأَرْمَالِ وَالْأَهْزَاجِ وَمَا يَحْصُرِي بِجَرَاهَا مِنْ
غَنَاءِ الطَّنْبُورِيِّينَ . وَكَانَ يَزِلُّ الشَّامَ . وَوُصِفَ لِلتَّوَكُّلِ فَامَرَ بِإِحْضَارِهِ ، فَقَدِمَ
عَلَيْهِ فَغَنَاهُ ، فَاسْتَحْسِنَ غَنَاءَهُ وَأَجَزَلَ صِلَتَهُ . وَأَشْتَهَاهُ النَّاسُ وَكَثُرَ مَنْ يَدْعُوهُ ، فَكَسَبَ
بِذَلِكَ أَكْثَرَ مِمَّا كَسَبَهُ مِنَ التَّوَكُّلِ أَضْعَافًا .

وروى أبو الفرج عن أحمد بن صدقة قال : اجترت بخالد بن يزيد الكاتب ،
فقلت له : أنتذني بيتين من شعرك حتى أغنيَ فيهما . فقال : وأنى حظَّ لي في ذلك !

(١) في الأصل : « من صل قدرة » .

تأخذ أنت الجائزة وأحصل أنا على الإثم ! خلقت أنى إن أخذت بشعره فائدة
جعلت له فيها حظاً، وأذكرت به الخليفة رسالته فيه. فقال: أما الخط من جهتك
فأنت أنذل من ذلك، ولكن عسى أن تُفْلِحَ فى مسألة الخليفة؛ وأنشدنى :

تقول سَلاً، قَبْلِ المَدْتَفِّ • وَمَنْ عَيْتُهُ أَبَدًا تَذَرِفُ!

وَمَنْ قَلْبُهُ قَلْبُ خَافِقٍ • عَلَيْكَ وَاحْشَاؤُهُ تَرْجِفُ!

فلما جلس المأمون للشرب دعانى، وكان قد غَضِبَ على حِطْيَةَ له، فحضرتُ مع
المفتين. فلما طابت نفسه وَجَّهْتُ إليه بِتَفَاحَةٍ من عَبرٍ عليها مَكْتُوبٌ بالذهب :
« يا سَيِّدِى سلوت » ، وما علم الله أنى صرفت شيئاً من خبرهما . وآتتهى الدُّور
إلى فَنَعَيْتِ البَيْتَيْنِ؛ فَأَحْزَمَ وجه المأمون وأَقْلَبَتْ حِينَاهُ وقال: يَا بَنَ القَاظِلَةِ، لك على

١٠ وعلى حُرْمِى صاحب خبر! فَوَيْتُتْ وقلت : يا سَيِّدِى ، ما السبب ؟ قال : من أين
عرفتَ قِصَّتِى مع جاريتى حتى غَنَيْتَ فى معنى ما بَيْنَنَا ؟ خلُفْتُ أنى لم أعرف شيئاً
من ذلك ، وحدثته بحدِيثِى مع خالد، فلما أَتَيْتِ إلى قوله : « أنت أنذل من ذلك »
ضحك وقال : صدق، وعَجِبَ من هذا الاتِّخَافِ؛ وأمر لى بخمسة آلاف درهم وخُلالد
بمُطْلَها .

١٥ وروى عنه أيضاً قال : دخلت على المأمون فى يوم الشَّعَانَيْنِ وبين يديه عشرون
وصيفةً جَلَبَ رُومِيَّاتٍ مُزَوَّرَاتٍ قد تَزَيَّنَ بالنسياج الرُّومى، وعلَّقن فى أعناقهن صُلباناً
من الذهب، وفى أيديهن الخوص والزيتون . فقال لى المأمون : ويلك يا أحد !
قد قلتُ فى هؤلاء أبياتاً فَنَنْبَها، ثم أنشدنى :

(١) الشَّعَانَيْنِ : عيد من أعياد الصَّارِى ويسمى : « الزَّيْتُونَةُ » يملأونه فى ساج أحد من صومهم .

ومعنى الشَّعَانَيْنِ : التَّسْهِيحُ .

طلباء كالتناير • ملاح في المقاصير
جلائق الشمانين • علينا في الزنايسير
وقد زرقن أصدافاً • كأذئاب الزرازير
وأقبلن بأوساط • كأوساط الزناير

• حفظته وغنته ، فلم يزل يشرب والوصائف يرقصن بين يديه بأنواع الرقص من الاستبدا^(١) إلى الإيل^(٢) حتى سكر ، وأمر لي بألف دينار ، وأمر بأن ينثر على الجوارى ثلاثة آلاف دينار ، فقبضت الألف وتيرت ثلاثة آلاف الدينار فأتهبها مهن • قال : ولم يزل أحد بالعراق حتى بلغه موت بنية له بالشام ، فشخص نحو منزله ، وخرج عليه الأعراب فأخذوا ما معه وقتلوه •

ذكر أخبار أبي حشيشة

قال أبو الفرج : أبو حشيشة لقب ظب عليه ، وهو محمد بن أبي أمية ، ويكنى أبا جعفر . وكان أهله جميعاً متصلين بإبراهيم بن المهدي ، وكان هو من بينهم يفتي بالطيور أحسن الناس شأه . وخدم جماعة من الخلفاء ، أولهم المأمون ومن بعده إلى المعتمد . قال : وكان أكثر انقطاعه إلى أبي أحمد بن الرشيد أيام حياته . وكان أبوه وجده وأخواله كُتُبا •

قال أحمد بن جعفر محظية في ترجمة أبي حشيشة : وكان له صنعة تهتم فيها كل طُكْبُورٍ لا أحاشى أحدًا في ذلك . قال : فمنها :

(١) زرقن صديده : جعلهما كالتزيين ، وهو حلقه الياب •

(٢) الاستبدا : نوع من أنواع رقص الجوس يأخذ بعضهم بيد بعض ويدورون ويرقصون •

كَانَ هُمُومَ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا * عَلَى وَقَلْبِي بَيْنَهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٍ
وَلِي شَاهِدًا عَدِيلٍ مُبَاهِدٌ وَعَبْرَةٌ * وَكَمْ مُدْجٍ لَلْهَبِ مِنْ غَيْرِ شَاهِدٍ
قَالَ بِحِظَةِ : وَرَأَيْتَهُ بَيْنَ يَدَيِ الْمُعْتَمِدِ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ غَنَاهُ مِنْ شَرِّ عَلَى بْنِ مُحَمَّدٍ
ابن نصر :

حَرِمْتُ بَدْلَ نَوَالِكٍ * وَأَسْوَدًا مِنْ فِصَالِكِ !
لَمَّا مَلَكَتْ رِصَالِي * آيَسْتِي مِنْ رِصَالِكِ
فَوَهَبَ لَهُ مَائَتِي دِينَارًا . قَالَ : وَغَنَى يَوْمًا عِنْدَ ابْنِ الْمَدْبَرِ بِمَحْضَةِ عَرَبٍ ، فَقَالَتْ
لَهُ : أَحْسَنْتَ يَا أَبَا جَعْفَرٍ ! وَلَوْ عَاشَ الشَّيْخَانُ مَا قُلْتُ لَهَا هَذَا (تَعْنِي عَلَيْهِ وَتَحَارِقًا) .
وَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ : إِنَّ أَبَا حَشِيشَةَ أَلْفَ كِتَابًا جَمَعَ فِيهِ أَخْبَارَهُ مَعَ مِنْ طَائِفَةِ وَخْدَمِ
مِنَ الْخُلَفَاءِ ، قَالَ : وَهُوَ تَابٌ مَشْهُورٌ . قَالَ : أَوَّلُ مَنْ سَمِعَنِي مِنَ الْخُلَفَاءِ الْمَأْمُونُ ،
وَصَفَّقَنِي لَهُ مُحَارِقًا ، فَأَمَرَ بِإِشْغَاحِي إِلَيْهِ ، وَأَمَرَ لِي بِأَلْفِ دِرْهَمٍ أَتَجَهَّزُ بِهَا . فَلَمَّا وَصَلَتْ
إِلَيْهِ أَدْنَانِي وَأَعْجَبَ بِي ، وَقَالَ لِلْعَصَمِ : هَذَا أَثَرُ خَدَمِكَ وَخَدَمَ آبَاكَ وَأَجْدَادَكَ
يَا أَبَا إِصْحَاقَ . وَذَكَرَ مَا كَانَ يُشْتَبِهُ عَلَيْهِ كُلُّ خَلِيفَةٍ ، فَقَالَ : كَانَ الْمَأْمُونُ يُشْتَبِهُ
مِنْ غِنَايَ :

كَانَ يَنْتَهَى فَنَهَى حَتَّى [سَلَا] ^(١) * وَأَنْجَلَتْ عَنْهُ غَيَايَاتُ الْعُصْبَا
خَلَعَ اللَّهُوَّ وَأَخْضَى مُسَيَّلًا * لِلنُّهَى فَضْلَ قَيْصٍ وَرِدَا
قَالَ : وَكَانَ الْمُعْتَصِمُ يُشْتَبِهُ عَلَى :
أَسْرَفَتْ فِي سُوءِ الصَّنِيعِ * وَفَتَكَتْ بِي فَتَكَ الْخَلِيعِ

(١) آخر النسخة الأولى من البيت مفقود من الأصل ، ولم نوفق إليه حين التصحيح . طبع الكلمة التي

وضعناها تكون قرية من الأصل .

وَوَلِمْتَ بِي مَمْتَرِدًا * وَالْعُدْرُ فِي طَرَقِ الْوَلُوعِ
صَبِرْتُ حَبْكُ شَافِعًا * فَأُثِيتُ مِنْ قِبَلِ الشَّفِيعِ

قال : وكان الواصل يختار من غنائى :

يَا تَارِكِي مُتَلَذِّذِ ال * حُدَالِ جَدَلَانَ الْعِدَاةِ
أَنْظُرِي إِلَى بَسِينِ رَا * مِنْ نَظَرَةٍ قَبْلَ الْمَاتِ
خَلِّتِي بَيْنَ الْوَعْدِ * يَدِ وَبَيْنَ أَلْسِنَةِ الْوَشَاةِ !
مَاذَا يُرَبِّحِي بِالْحَيَا * مَةِ مُنْخَصِّ رُوحِ الْحَيَاةِ !

١١

قال : وكان المتوكل يحببني ويستخفني، وكانت أغانيه التي يشتبهها على كثيرة.

منها :

أَطَمْتَ الْهَوَى وَخَلَمْتَ الْعِدَارَا * وَبَاكَرْتَ بَعْدَ الْمَرَاكِحِ الْعُقَارَا
وَنَازَعَكَ الْكَأَسَ مِنْ هَاشِمٍ * كَرِيمٍ يُحِبُّ طَيْبَهَا الْوَقَارَا
فَتَى فَتَرَكَ الْحَمْدُ أَمْوَالَهُ * يُحَرِّقُ الْقَمِيصَ وَيُرْنِي الْإِزَارَا
رَأَى اللَّهُ جَعْفَرَ خَيْرَ الْأَنَامِ * فَلَمَّكَه وَوَقَاهُ الْحِذَارَا

١٠

قال : وكان المستعين يشتهي على :

وَمَا أُنْسَ لَا أُنْسَ مِنْهَا الْحُشُوعِ * وَفَيْضَ الدَّمُوعِ وَعَمَزَ الْيَسَدِ
وَحَدَى مُضَافٌ إِلَى خَدِّهَا * قِيَامًا إِلَى الصَّبِيحِ لَمْ تَرْقُدِ

١٥

قال : وأشتهى على المعتمد :

قَلْبِي يُجِبُّكَ يَا مُنَى * قَلْبِي وَيُنْفِصُ مَنْ يُجِبُّكَ
لَا كُونَ فَرْدًا وَهُوَ * لِي، فَلَيْتَ شَعْرَى كَيْفَ قَلْبُكَ؟

قال بحظلة : وكانت وفاة أبي حشيشة بسُرْمَ رَأى . وسببها أنه أصطبغ عند قَلَمِ غلام الفضل بن كَلُوش في يوم بارد ، فقال له : أنا لا أكل إلا طعاما حاراً ، فأتاه بِشُجْلِيَّةٍ باردة وقال : تُساعدني وتاكل معي ، فأكل منها نَحْمِدَ قلبه فمات .

ذكر أخبار القيان

- وأول من غُفِيَ من النساء ومن أشهر بالفناء منهن في الإسلام قالوا : أول من غُفِيَ الفناء العربيّ جُرَادَتَا ابْنِ جُدْعَانَ . قال أبو الفرج الأصفهاني : قال ابن الكلبي : كان لابن جُدْعَانَ أَمْتَانِ يُسَمَّيانِ الجُرَادَتَيْنِ يُنْتَانِ في الجاهلية ، وسمّاهما جُرَادَتَى عِبَادَ ، ووهبهما عبدُ الله بن جُدْعَانَ لِأُمَيَّةَ بنِ أَبِي الصَّلْتِ التَّقْفِيّ^(١) وكان قد آتدحه . وآبَن جُدْعَانَ هو عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد ابن نيم بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيٍّ بن غالب . كان سَيِّداً جَوَاداً ، فرأى أُمَيَّةَ ينظر إلى الجُرَادَتَيْنِ وهو عنده فأعطاه إياهما . وقد قيل في سبب إعطائه إياهما : إن أُمَيَّةَ بنِ أَبِي الصَّلْتِ قَدِمَ عليه ، فقال له عبد الله : أَمْرٌ مَا أَتَى بِكَ ! فقال أُمَيَّةُ : كلاب غرما ، قد نَحْمَتْنِي ونَهَشْتَنِي . فقال له عبد الله : قَدِمْتَ عَلَيَّ وأنا طليل وحقوقٌ لحقتني ولزمتني ، فَأَنْظِرْنِي قَلِيلاً وقد صَحِمْتُ قضاءَ دينك فلا أسألك عن مبلغه ، قال : فأقام أُمَيَّةُ إياهما ثم أتاه فقال :
- ١٥

أَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي * حَيَاؤُكَ إِثْمٌ شِمَتَكَ الْحَيَاءُ
وَعَلْتُكَ بِالْأُمُورِ وَأَنْتَ قَرْمٌ * لَكَ الْحَسْبُ الْمُهْدَبُ وَالسَّنَاءُ
كَرِيمٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ * عَنِ الْخُلُقِ الْكَرِيمِ وَلَا مَسَاءُ
تُبَارِي الرَّيْحَ مَكْرَمَةً وَمَجْدًا * إِذَا مَا الْكَلْبُ أَجْمَرَهُ الشَّنَاءُ

إذا أنفى عليك المرء يوماً * كفاه من تعرضه الثناء^(١)
إذا خلقت عبد الله فاعلم * بأن القوم ليس لهم جزاء
فأرضك كل مكرمة بثها * بنوتهم وأنت لهم سماء
وهل تخفى السماء على بصير! * وهل بالشمس طالعة خفاء!

فلما أنشده أمية هذا الشعر كانت عنده قيتان ، فقال لأمية : خذ أيتها شئت ،
فاخذ إحداها وأنصرف ؛ فترجّلس من مجالس قريش فلاموه على أخذها ، وقالوا
له : لقد ألفتته غيلاً ، فلورّدتها عليه ، فإن الشيخ محتاج إلى خدمتها ، كان ذلك أقرب^(٢)
لك عنده وأكثر من كل حق ضيقه . فوقع الكلام من أمية موقعاً ونديم ؛ فرجع إليه
ليردّها عليه . فلما أراه بها ، قال ابن جُدعان : لعلك إنما رددتها لأن قريشاً لاموك
على أخذها ؛ وذكر لأمية ما قال القوم . فقال أمية : والله ما أخطأت يا أبا زهير .
قال : فما الذي قلت في ذلك ؟ فقال :

عطاؤك زينٌ لأمرئٍ إن حيّوته * ببئلي وما كلّ العطاء يزيرُ
وليس بشينٌ لأمرئٍ بذلٌ وجهه * إليك كما بعضُ السؤال يشيرُ

فقال عبد الله لأمية : خذ الأخرى ؛ فاخذها جميعاً ونرج . فلما أن صار إلى القوم
بهما أنشأ يقول :

ومالي لا أحْيِيهِ وعندي * مواهبٌ قد طلعن من النجاد
لأبيض من بني عمرو بن تميم * وهم كالمشرفيات الحِداد
لكلّ قَيْلَةٍ هادٍ ورأس * وأنت الرأسُ تقدّم كلّ هادٍ

(١) في الأصل : « تزعمه » .

(٢) كما بالأعاني . وفي الأصل : « قال لأمية : خذ إحداها أهما شئت فاخذها وأنصرف الخ » .

(٣) كما في الأعاني . وفي الأصل : « مكان ... » زيادة الفاء .

عِمَادُ الْخَيْفِ قَدْ عَلِمْتَ مَعْدُ * وَإِنِّ الْبَيْتَ يُرْفَعُ بِالْعَادِ
لَهُ دَائِجٌ بِمَكَّةَ مُشْمِلٌ * وَأَخْرُ فَوْقَ دَارِهِ يُنَادِي
إِلَى رُدْجٍ مِنَ الشَّيْزَى مِلَاءٍ * لُبَابُ الْبَرِّ يَلِيكَ بِالشَّهَادِ

وكان سبب قول أمية بن أبي الصلت هذا الشعر أن عبد الله بن جُدعان وفد

- على كسرى فأكل عنده الفالوذج؛ فسأل عنه فقيل له : هذا الفالوذج . قال : وبم يصنع ؟
قيل : لُبَابُ الْبَرِّ يَلِيكَ مع عسل النحل . قال : أبغوني غلاماً يصنعه ؛ فاتوه بسلام
يصنعه فابتاعه ، ثم قدم به مكة ؛ فأمره أن يصنع الفالوذج ففعل ، ثم وضع الموائد من
الأبطح إلى باب المسجد ، ثم نادى متناديه : أَلَا من أراد الفالوذج فليحضر ، فحضره
الناس . وكان فيمن حضر أمية بن أبي الصلت فقال الأبيات . وقال فيه أيضا :

- ١٠ ذِكْرُ ابْنِ جُدْعَانَ بِحِي * رَكَلْنَا ذِكْرَ الْكَرَامِ
مَنْ لَا يَخْوُفُ وَلَا يَتَّقُ وَلَا يُخْشَى الْإِنَامُ
يَهَبُ النَجِيَّةَ وَالنَّجِي * مَبَّ لَهُ الرَّحَالَةُ وَالزَّمَامُ

وَأَبْنُ جُدْعَانَ مِمَّنْ تَرَكَ شَرْبَ الْخَمْرِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ . وَهَجَاهُ دُرَيْدُ

- ابن الصَّمَّةِ بِشعر ؛ فلقبه بعد ذلك عبد الله بسوق عكاظ ، فحياه وقال : هل تعرفني
يا دُرَيْدُ ؟ قال لا . قال : فَلِمَ هَجَوْتَنِي ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : عبد الله بن
١٥ جُدْعَانَ . قال : هجوتك لأنك كنت أترأ كرمياً فأحببت أن أضع شعري موضعه .
فقال له عبد الله : لئن كنت هجوت لقد مدحت ؛ وكساه وحمله على ناقه برحلهما ،
فقال دُرَيْدُ :

- إِلَيْكَ ابْنُ جُدْعَانَ أَعْمَلْتُهَا * مُحَقَّقَةً لِلشَّرِّ وَالنَّصَبِ
فَلَا خَفَضَ حَتَّى تَلَاقَ أَمْرًا * جَوَادَ الرِّضَا وَحَلِيمَ النَّصَبِ
٢٠ وَجَلَدًا إِذَا الْحَرْبُ مَرَّتْ بِهِ * يُعِينُ عَلَيْهَا بِحَمَلِ الْحَطَبِ

وَجُلْتُ الْبِلَادَ فَإِنْ أَرَى • شَيْئَ ابْنِ جُدْعَانَ وَسَطَ الْعَرَبِ
سِوَى مَلِكٍ شَاخٍ مُلْكُهُ • لَهُ الْبَحْرُ يَجْرِي وَصَيْنُ الذَّهَبِ
وأخبار ابن جُدعان كثيرة وسيادته في الجاهلية مشهورة ، ليس هذا موضع إيرادها ،
وإنما أوردنا ما أوردنا منها في هذا الموضع على سبيل الاستطراد ، فالشيء بالشيء ،
يذكر . فلنرجع إلى أخبار القيان .

ذكر أخبار جميلة

هي جميلة مولاة بنى سليم ، ثم مولاة بطن منهم يقال لهم بنو بهز ، وكان لها زوج
من موالى بنى الحارث بن الخزرج ، وكان يزل فيهم ، فغلب عليها ولاء زوجها
ف قيل لها : مولاة الأنصار . وقد قيل : إنها كانت لرجل من الأنصار يزل بالسُّنْع .
وقيل : كانت مولاة الحجاج بن علاط السلمي . قال أبو الفرج الأصفهاني : وهي
أصل من أصول النساء ، أخذ منها معبد وابن عائشة وجبابة وسلامة وعقيلة
والعقيقة وغيرهم . وفيها يقول عبد الرحمن بن أوطاة :

إِنَّ الدَّلَالَ وَحَسَنَ النِّسَاءِ • وَسَطَ بَيُوتِ بَنِي الْخَزَرَجِ

وَتِلْكَ جَمِيلَةُ زَيْنِ النِّسَاءِ • إِذَا هِيَ تَزْدَانُ لِلْمَخْرَجِ

إِذَا جَتَّهَا بِذَلِكَ وَدَّهَا • بَوَاحٍ مُنِيرٍ لَهَا أَلْبَحِ

قال : وكانت جميلة أعلم خلق الله بالفن . وكان معبد يقول : أصل الفناء جميلة
وفرعه نحن ، ولولا جميلة لم تكن نحن مغنيين . قال : وسئلت جميلة : أتى لك هذا الفناء ؟
قالت : والله ما هو إلهام ولا تعليم ، ولكن أبا جعفر سائب خاثر كان جازنا ، وكنت
أسمعه يفتي ويضرب بالعود فلا أفهم ، فأخذت تلك النخات وبنيت عليها غنائى ،
بقامت أجود من تأليف ذلك الفناء ، غنيت وأقيمت ، فسمعتى مولاتى يوما وأنا

أَغْنَى سُرًّا، فَفَهِمْنِي وَدَخَلْنِي عَلَى وَقَلْن : قَدْ عَلِمْنَا مَا تَكْتُمِينَ وَأَقْسَمْنَ عَلَى ؛
 فَرَفَعَتْ صَوْتِي وَغَنَيْتُهُنَّ بِشَعْرُ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ :
 وَمَا ذَكَرْتُكَ إِلَّا هَجَيْتَ لِي طَرَبًا * إِنَّ الْمَحَبَّ بِيَعُضُ الْأَمْرِ مَعْنُورٌ
 لَيْسَ الْمَحَبُّ كَنْ إِنْ شَطَّ غَيْرُهُ * هَجْرُ الْحَبِيبِ، وَفِي الْهَجْرَانِ تَغْيِيرٌ

- فينثذ شاع أمرى وظهر ذكرى وقصدي الناس وجلست للتعليم ؛ فكان الجوارى
 يَكْثُرْنَ صَدَى ، وَرَبَّمَا أَنْصَرَفَ أَكْثَرُهُنَّ . وَلَمْ يَأْخُذْنَ شَيْئًا سِوَى مَا سَمِعْنِي ^(١)
 أَطَارِحَ غَيْرُهُنَّ ، وَقَدْ كَسَبَتْ لِمَوَالِي مَا لَمْ يَحْطِرْ لَهُنَّ بِيَالٍ ، وَأَهْلُ ذَلِكَ كَانُوا وَكُنْتُ .
 وَقَدْ أَقْرَبَ لَجَلِيلَةَ كُلِّ مَكِيٍّ وَمَدَنِيٍّ مِنَ الْمُغَنِّيِّينَ . قَالَ : وَلَمَّا قَدِمَ ابْنُ سَرِيجَ وَالغَرَّابِيُّ
 وَابْنُ مِسْجَحٍ وَسَلَمُ بْنُ مُحَرَّرِ الْمَدِينَةِ وَاجْتَمَعُوا هُمْ وَمَعْبُدٌ وَابْنُ عَائِشَةَ حَكَّوْهَا بَيْنَهُمْ ؛
 وَاجْتَمَعُوا عِنْدَهَا ، وَصَحَّ كُلُّ مَنَّهُمْ صَوْتًا وَغَنَاءً بِحَضْرَتِهَا — وَقَدْ ذَكَرَ الْأَصْفَهَانِيُّ ^(٢)
 الْأَصْوَاتَ — فَلَمَّا سَمِعَتْ الْأَصْوَاتَ قَالَتْ : كُلُّكُمْ مُحْسِنٌ مُجِيدٌ فِي غِنَائِهِ وَمُذَنِّبٌ .
 قَالَ ابْنُ عَائِشَةَ : لَيْسَ هَذَا بِمُقْبِعٍ . قَالَتْ : أَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا يَحْيَى فَنُضْجُكَ الشَّكْلِي
 بِحَسَنِ صَوْتِكَ وَمِشَاكَلَتِهِ النَّفُوسَ . وَأَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا عَبَّادٍ فَتَسْبِيحُ وَحْدِهِ بِتَأْلِيفِكَ وَحَسَنِ
 نَظْمِكَ وَعَذُوبَةِ غِنَاكَ . وَأَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا عَثْمَانَ فَكَأُولَئِكَ هَذَا الْأَمْرُ وَفَضْلُهُ . وَأَمَّا
 أَنْتَ يَا أَبَا جَعْفَرَ فَمَنْعُ الْخَلْفَاءِ تَصْلُحُ . وَأَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا الْخَطَّابِ فَلَوْ قَدِمْتُ أَحَدًا عَلَى ^(٣)
 نَفْسِي لَقَدِمْتُكَ . وَأَمَّا أَنْتَ يَا مَوْلَى الْعَلَاتِ فَلَوْ ابْتَدَأْتَ قَدَمْتُكَ عَلَيْهِمْ . ثُمَّ سَأَلُوهَا
 مِمَّا أَنْ تَغْنِيَهُمْ لَحْنًا كَمَا غَنَّاؤُا ، فَغَنَّتْهُمْ ، فَكَلَّمَهُمْ أَقْرَؤُا لَهَا وَفَضَّلُوهَا .
 وَكَانَتْ بِحِيلَةٍ قَدْ آلَتْ أَنَّهَا لَا تَغْنِي أَحَدًا إِلَّا فِي مَرْتَلَا . فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرَ

(١) كَذَا فِي الْأَعْنَى . رَوَى الْأَمَلُ : « وَلَمْ يَأْخُذْنَ شَيْئًا مِمَّا سَمِعْنِي » .

(٢) كَذَا فِي الْأَعْنَى . رَوَى الْأَمَلُ : « وَأَصْلُ » .

(٣) فِي الْأَعْنَى : « بِجُودَةِ تَأْلِيكِ » .

يأتيها في جلسها فيجلس عندها وتفتيه . فأرادت أن تكفر عن يمينها وتأتيه فتفتيه في يمينه ؛ فقال : لا أكلفك ذلك .

وروى الأصفهاني أن ابن أبي عتيق وابن أبي ربيعة والأحوص بن محمد الأنصاري أتوا منزلاً جميلة واستأذنوا عليها فأذنت لهم . فلما جلسوا سألت عن عمر ، فقال لها : إني قصدتك من مكة للسلام عليك ؛ فقالت : أهل الفضل أنت . قال : وقد أحببت أن تفرغي لنا نفسك اليوم وتخلي جليتك ؛ قالت : أفعل . فقال لها الأحوص : أحب ألا تغني إلا بما سألك ؛ فقالت : ليس المجلس لك ، القوم شركاؤك ؛ فقال : أجل . قال عمر : فإني أرى أن نجعل الخيار إليها . قال ابن أبي عتيق : وفكك الله . فدعت بعود فغنت :

١٠
بمشي الموتى إذا مشيت ففعلًا • مَشَى التَّريِّفُ الغُمُورِي الصُّعْدِ
تَظَلُّ من بَيدِ بيتِ جارِها • واضمةٌ كَفَّها على الكَيدِ
يا مَنْ لِقَلْبِ مُتَمِّمِ سَديم • عَيبَ رَهيْنِ مُكَلِّمِ كَيدِ
أزجره وهو غير مُتَزَجِر • عنها بطرفِ مُكَمِّلِ السَّيدِ

قال راوي هذه الحكاية : فلقد سمعتُ للبيت زلزلةً وللدار همهمةً . فقال عمر :
١٥
لله دَرَكُ يا جميلة ! ما أنا أعطيت ! أنت أولُ الزَّمانِ وآخره ! ثم سكنت ساعةً وأخذت
العود فغنت ، فطرب القوم وصفقوا بأيديهم وخصوا بأرجلهم وحزوا رموسهم ،
وقالوا : نحن فداؤك من المذكرة ، ما أحسن ما غيّت وأجمل ما قليت . . وأحضر
الغداء فتعدى القوم بأنواع من الأطعمة ومن الشواكه ، ثم دعت بأنواع الأشرية ؛
فقال عمر : لا أشرب ، وقال ابن أبي نبيت من ذلك ؛ فقال الأحوص : لكنني

- أشرب، وما جزاء جميلة أن يُمتنع من شربها ! فقال عمر : ليس ذاك كما ظننت .
 فقالت جميلة : من شاء أن يحلّي نفسه ويخلط روحه بروحي فعل ، ومن أبي ذاك
 صلتناه ، ولم يمنعه ذلك عندنا ما يريد من قضاء حوائجه والأُنس بمحادثته . قال
 ابن أبي عتيق : ما يحسنُ بنا إلا مساعدتك . فقال عمر : إني لا أكون أخسكم ،
 افعلوا ما شئتم تجدوني سامعاً مطيعاً ، فشرب القوم أجمع ، فغنت بشعر ابن أبي ربيعة :

ولقد قالت لجاراتها * كالمها يلعبن في محجرتها
 حُذْنٌ عني الظلّ لا يتبغى * ومضت تسعى إلى قبتها
 لم تُعَلّق رجلاً فيما مضى * طفلة غيداء في حلتها
 لم يَطش قط لها سهمٌ ومن * تزيه لا ينج من رمتها

- فصاح عمر ثم شق جيب قميصه إلى أسفله ، ثم ثاب إليه عقله فنديم واعتذر
 وقال : لم أملك من نفسي شيئاً . وقال القوم : قد أصابنا الذي أصابك وأُغْمِي طينا
 غير أننا قد فارقناك في تخريق الثياب . فدعت جميلة بثياب لجعلتها على عمر فقيلها
 ولبسها ، وأنصرف القوم إلى منازلهم . وكان عمر نازلاً على ابن أبي عتيق ، فوجه
 إلى جميلة بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب كانت معه فقيلتها جميلة ، وأنصرف
 عمر إلى مكة جذلاً مسروراً .

- وروى أبو الفرج بأسانيد رفعها إلى يونس الكاتب والزيبر بن بكار عن عمه
 مُصْعَب قالاً : حَجَّتْ جميلة نخرج معها من الرجال المغنين والنساء والأشراف وغيرهم
 جماعة ذكروهم أبو الفرج ، منهم من المغنين هنب وطويس والدلال ومعبد ومالك بن
 أبي السَّمْع وأبن عائشة ونافع الخير . فع بن طنبورة وغير هؤلاء من ذكروهم ، ومن
 النساء المغنيات جماعة ذكروهن : منهن الرِّيحَة وعزّة الميلاء وحباة وسلامة وخليدة
 وعقيلة والشَّامِسيّة وقرعة وتبيلة ولثة العيش وسعيدة والزرقاء ، ومن غير المغنين من

الأشراف ابن أبي عتيق والأحوص وكثير عزة ونصيب؛ وجماعة من الأشراف الرجال والنساء . ورجع معها من القيان مشيعات لها ومعظّمات لقدرها نحمسون قينة وجهه بن موالين معها وأعطوهن النفقات وحملوهن على الإبل في الهوداج والقياب وغير ذلك؛ فابت جميلة أن تنفق واحدةً منهن درهما لها فوقه حتى يرجعن . قال : وتخار من خرج معها في اتخاذ أنواع اللباس العجيب والهوداج والقياب . قال : ولما قاربوا مكة تلقاهم سعيد بن مسجح وابن سريج والفريض وابن عجز والمهذّبون وجماعة من المغنين من أهل مكة وقبان كثير؛ ومن غير المغنين عمر بن أبي ربيعة والحارث ابن خالد المخزومي والعرجي وجماعة من الأشراف . فدخلت جميلة مكة وما بالمجاز من حاذق ولا منية إلا وهو معها وجماعة من الأشراف [من تبتنا وغيرهم من الرجال والنساء، وخرج أبناء أهل مكة من] الرجال والنساء ينظرون إلى جمعها وحسن هيئتهم . فلما قضت حجبها سألها المكيون أن تجعل لهم تجلسا؛ فقالت : للغناء أم للحديث ؟ فقالوا : لها جميعا . قالت : ما كنت لأخطب جدّا بهزل ، وأبى أن تجلس للغناء . فقال عمر بن أبي ربيعة : أقسمت على من كان في قلبه حب لسماع غنائها إلا أخرج معها إلى المدينة ، فإني خارج معها . فخرجت في جمع كثير من الأشراف وغيرهم أكثر من جمها بالمدينة . فلما قدمت المدينة تلقاها الناس والأشراف من الرجال والنساء . فدمست بأحسن مما خرجت منها ، وخرج الرجال والنساء فوققوا على أبواب دُورهم يشعرون إلى جمعها وإلى القادمين معها . فلما دخلت إلى منزلها ونفرت الناس إلى منازلهم ونزل أهل مكة على أقاربهم وإخوانهم ، أتاهم الناس مسلمين ، وباسنكتف من ذاك صغير ولا كبير . فلما مضى لتقدمها عشرة أيام جلست للغناء ، وقالت لعمر بن أبي ربيعة : إني جالسة . ولا تصحباك ، فإذا شئت فعد الناس .

(١) في الأغاني : «وقبان كثيرة لم يسمين» . (٢) زيادة عن «الأغاني» .

فَقَصَّت الدار بالأشراف من الرجال والنساء، وأبتدأت جميلةً فَنُتت بشعر لعمر بن أبي ربيعة :

- هيات من أمة الرحمن منزلاً^(١) * إذا حللنا بسيف البحر من عذٍ
وأحل أهلك أجياداً فليس لنا^(٢) * إلا التذكر^(٣) أو حظ من الحزن
لو أنها أبصرت بالحزج عبرته * وقد تفرّد قسري على فنٍ
إذا رأت غير ما ظنّت بصاحبها * وأبغنت أن تجتأ ليس من وطني
ما أنس لأنس يوم الخفيف موقفاً * وموقى وكلاهما ذو غشٍ
وقولها للثريا وهي باكبة * والسمع منها على الخلدن دوسنٍ
بأفقه قول له من غير معتبة * ماذا أردت بطول المكث في اليمن
إن كنت حاولت دنيا أو ظفرت بها^(٤) * ما أصبت بترك الحج من ثمين

فكلهم استحسن النساء، وصح القوم لحسن ما سمعوا، وبكى عمر حتى جرت دموعه على ثيابه وليحيته. ثم أقبلت على ابن سريج فقالت : هايت، ففنى صوته بشعر لعمر :

- أليست بالتي قالت * لمولاة لها طهراً
أشيرى بالسلام له * إذا ما تحمونا نظراً
وقولي في ملاطفة * لزنب نولى عمراً
وهذا يحرك النساء * ن قد خبرني الخبراً



(١) كما في الأعاني ودوران عمر بن أبي ربيعة. وفي الأصل : « منزلها » .
(٢) كما في الأعاني ودوران. وفي الأصل : « طيس لم » . (٣) كما في الأعاني ودوران.
وفي الأصل : « حم » . (٤) في الأصل :

ثم قالت لسعيد بن مسجع : هاتِ يا أبا عثمان ، فاندفع ففنى . ثم قالت : يا معبد هات ، فاندفع ففنى فاستحسنته . ثم قالت : هاتِ يا بنُ مُحَرَّر ، فإني لم أؤتركِ لنفسية بك ولا جهلاً بالذي يجب في الصناعة ، ولكني رأيتُك تحب من الأمور كلها أوسطها وأعدلها . فجعلتك حيث تحب واسطة بين المكيين والمدنيين ، ففنى . ثم قالت للغيريض : هاتِ يا مولى البلات ، ففنى بشعر عمرو بن شاس الأبيات ، وفي آخرها :

أرادتِ عِرَاراً بالهَوَانِ وَمَنْ يُرِدْ • عِرَاراً لَعَمْرِي بِالْهَوَانِ فَقَدْ ظَلَمَ

فقالت : أحسن عمرو بن شاس ولم تحسن ، إذ أفسدت غناك بالتمريض ، ورواها ما وضعاك إلا موضعك ولا قصصك من حقلك ، فهاذا ههناك ! ثم أقبلت على الجماعة فقالت : يا هؤلاء اصدقوه وعرفّوه نفسه ليقنع بمكانه . فاقبل القوم عليه وقالوا : يا أبا زيد ، قد أخطأت إن كنتِ عرّضت . فقال : قد كان ذلك ، ولست بماندة ، وقام إلى جميلة فقبل طرف ثوبها واعتذر ، فقيلت عنده وقالت : لا تعد ، وأقبلت على ابن عائشة فقالت : يا أبا جعفر ، هات ، ففنى ، فقالت : حسن ما قلت . ثم أقبلت على نافع وبدّخ فقالت : أحب أن تغنيا جميعاً بصوت ولحن واحد ، ففنيا . ثم أقبلت على الهذليين الثلاثة فقالت : غنّوا صوتاً واحداً ، فاندفعوا فغنّوا . ثم أقبلت على نافع بن طنبورة فقالت : هاتِ يا قشّ الفَضارة ويا حسنّ اللسان ، فاندفع ففنى ، فغناه . حسنّ والله . ثم قالت : يا مالك هات ، فإني لم أؤترك لأنك في ضبعة آخرهم . أردتُ أن أختم بك ، يومنا تبرّكاً بك ، وكى يكون أول مجلسنا كأنه ووسطه وآخره ، فإليك عندي ومعبداً في طريقة واحدة ومذهب واحد ،

(١) ١٥ في الأصل . وفي الأصل : « من الصناعة » .

(٢) ٢٠ كذا في الأعلى . وفي الأصل : « ليقنع » .

لا بدفع ذلك إلا ظالم ولا ينكره إلا عاقل للحق، والحق أقول، فمن شاء أن ينكر، فسكت القوم كلهم إقراراً بما قالت . فاندفع ففتى :

عدو لمن عادت وسلم ليلها * ومن قربت سلمى أحب وقرىبا
هينى أمراً إماً برئنا ظلمتني * وإما مسيئاً تاب بعد وأعتبا
أقول ألتامر المذير لما ظلمتني * وحملتني ذنباً وما كنت مُدنيا
لبيك إثمات العدو بهجرنا * وقطعتك جبل الود حتى قفضبا

فقلت جميلة : يا مالك، ليت صوتك قد دام لنا ودماً له ! وقطعت المجلس، وانصرف عاتمة لباس وبقى خواصهم . قال : ولما كان في اليوم الثاني حضر القوم جميعاً . فقالت لطوئس : هايت يا أبا عبد النعم ، ففتى :

قد طال لبلي وعادنى طرربي * من حب خود كريمة الحسب
غراء مثل الملال آيسة * أو مثل تمال صورة الذهب
صادت فؤادى ببسيد مغزلة * ترعى رياضاً متفتة العشب

فقلت جميلة : حسن والله يا أبا عبد النعم . ثم قالت للدلال : هايت يا أبا يزيد، ففتى، فاستحسنت غناه . ثم قالت لهنب : إنا نملك اليوم لكبر سنك وريقة عظمك ؛ فقال : أجل . ثم قالت لبرد الفؤاد ونومة الضحى : هايتاً جميعاً لنا واحداً، ففتياً، فقالت : أحسبنا . ثم قالت لفند وزجة وهبة الله : هايتوا جميعاً صوتاً واحداً، إنكم متفقون في الأصوات ؛ فاندفعوا ففتوا . ثم غنت جميلة بشعر الأعشى :

بانت سعاد وأمسى حبلاً أقطعا * وأحتلت الفؤاد فآلجدين فآلقرما
وأسنكرتني وما كان الذى نكرت * من الحوادث إلا الشيب والصلما

تقولُ بقی وقد قَرَّبْتُ مُرْتَحِلًا * يَارَبِّ جَنَّبْ أَيْ الْأَوْصَابَ وَالْوَجَمَا
وكانتْ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ فَفَسَّرَهُ * دَهْرٌ مُلِيعٌ عَلَى تَفْسِيرِي مَا جَمَعَا

قال: فلم يُسَمِّعْ شَيْءٌ أَحْسَنُ مِنْ أَيْدَائِهَا بِالْأَمْسِ وَخَتَمِهَا فِي الْيَوْمِ؛ وَقَطَعْتَ الْمَجْلِسَ
وَأَنْصَرَفَ قَوْمٌ وَأَقَامَ آخَرُونَ . فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ أَجْتَمَعَ النَّاسُ فَضَرَبَتْ سِتَارَةَ
وَأَجْلَسْتُ الْجَوَارِي ، فَضَرَبْنَ كُلُّهُنَّ ، وَضَرَبْتُ هِيَ فَضَرَبْتُ عَلَى خَمْسِينَ وَتَرَا فُزِّلَتْ
الدار . ثم غَنَّتْ عَلَى عَوْدِهَا وَهِيَ يَصِيرُنَ عَلَى ضَرْبِهَا :

فَإِنْ خَفِيتُ كَانَتْ لِعَيْنِكَ قُضْرَةٌ * وَإِنْ تَبَدُّ يَوْمًا لَمْ يُصْمَكْ عَارُهَا
مِنْ الْخَفِيرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ تَرَّ غِلْظَةً * وَفِي الْحَسْبِ الضَّخْمِ الرَفِيعِ نِجَارُهَا
فَا رَوْضَةٌ بِالْحَزْنِ طَبِيبَةُ الْفَرَى * يَمِجُّ النَّدى جَنَجْنًا وَعَرَارُهَا
بِاطْيَبٍ مِنْ فِيهَا إِذَا جَثَّتْ مَوْهِنًا * وَقَدْ أَوْقَدَتْ بِالْمَتَدَلِّ الرُّطِيبَ نَارُهَا

وَدَمَعَتْ أَعْيُنُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ حَتَّى بَلَّوْا ثِيَابَهُمْ وَتَفَقَّسُوا الصُّعْدَاءَ ، وَقَالُوا : يَا نَفْسَا
أَيَّتِ يَا جَمِيلَةَ ! ثُمَّ قَالَتْ لِلْجَوَارِي : اكْفَيْنَ فَكُفِّعْنَ ، وَقَالَتْ : يَا عَزَّ غَفَى ،
فَغَنَّتْ بِشِعْرِ لَعْمَر :

تَذَكَّرْتُ يَهْدَا وَأَعْصَارَهَا * وَلَمْ تَقْبِضْ نَفْسُكَ أَوْطَارَهَا
تَذَكَّرْتُ النَّفْسَ مَا قَدْ مَضَى . وَهَاجَتْ عَلَى الْعَيْنِ عَوَارَهَا
لَتَمْنَحَ رَامَةً مِنْهَا الْمَسْوَى * وَتَرَى رَامَةً أَمْرَارَهَا
إِذَا لَمْ تَزُرْهَا إِذْ ذَارَ الْعِيدَا * حَسَدْنَا عَلَى الزُّورِ زُورَارَهَا

فَقَالَتْ جَمِيلَةُ : يَا عَزَّ ، إِنَّكَ لِبَاقِيَةِ عَلَى الدَّهْرِ ، فَهَيْثَا لَكَ حَسَنٌ هَذَا الصَّوْتُ
مَعَ جُودَةِ هَذَا الْعَاءِ . ثُمَّ قَالَتْ لِحَبَابَةِ وَسَلَامَةِ : هَاتِيَا لَنَا وَاحِدًا ، فَغَنَّتَا فَاسْتُحْسِنَ
عَنَاوُهُمَا . ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَى خُلَيْدَةَ فَقَالَتْ : بِنَفْسِي أَنْتِ ! غَفَى فَنَنْتِ ، فَاسْتُحْسِنَ مِنْهَا

- ما خنت . ثم قالت لعقيلة والثبائية : هاتيا ، ففتتا . ثم قالت لفرقة ونيلة ونيديمة
ولدة العيش هاتين ، ففتين ، فقالت : أحسنتن . وقالت لسعيدة والزرقاء : غنيا ،
ففتتا . ثم قالت للحجاعة ففتتا ؛ وأنقضى المجلس وعاد كل إنسان إلى وطنه . فلما رُئى
مجلسٌ ولا جمعٌ أحسنُ من هذه الأيام الثلاثة . وقد ذكر أبو الفرج ما غنى به كل واحد
منهم فأوردنا بعضه وتركنا بعضه اختصارا . وأخبار جميلة كثيرة ، قد ذكر منها
أبو الفرج الأصفهاني جملة تدل على أنها كانت مُبجلة عند الأشراف معظمة عند
المغنيين ؛ يأخذون منها ويأتمرون بأمرها ، ويسعون إليها ، وينطقون إذا أسنطقتهم ،
ويكفون إذا استكفتم ، وفيها قدسناه دلالة على ذلك والله أعلم .

ذكر أخبار عزة الميلاء

- قال أبو الفرج الأصفهاني : كانت عزة مولاة للأنصار ، ومسكنها المدينة ، وهي
أقدم من غنى النساء الموقَّع من نساء المجاز ، وماتت قبل جميلة . قال : وقد أخذ
عنها مَعْبُدٌ ومالك بن أبي السَّمْع وأبن مُحَرِّز وغيرهم من المكيين والمدنيين . وكانت
من أجمل النساء وجها وأحسنهن جسا . وتُسميت الميلاء لتمايلها في مشيتها .
وقال مَعْبُد : كانت من أحسن النساء ضرباً بعود ، مطبوعة على الفناء ، لا يُعيبها
أدأؤه ولا صنعته ولا تأليفه ، وكانت تُغنى أغاني القِيَانِ القُدَّام مثل شيرين وزرَّياب^(٢)
وخولة والرباب وسلمى ورائقة ؛ وكانت رائقة أستاذتها . فلما قَدِمَ نَسِيط ومائب^(٣)

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصل : «صوتا بعود» .

(٢) في الأغاني : «من القدائم» .

(٣) كذا في الأغاني . وفي الأصل : «درائقة» بالعين المهملة .

خاتر المدينة غنياً أغانى بالفارسية، فأخذت عزة عنها تنماً وألقت عليها الحاناً عجبية؛^(١)
فهى أول من قتن أهل المدينة بالغناء وحرصت رجالهم ونساءهم عليه .

وقال الزبيرى . وجدت مشايخ أهل المدينة إذا ذكروا عزة قالوا : لله دَرُّها !
ما كان أحسن غناءها ، وأطلَّ صوتها ، وأندى حلقها ، وأحسن ضربها بالمزاهر
والمعازف وسائر الملاهى ، وأجمل وجهها ، وأظرف لسانها ، وأقرب مجلسها ، وأكرم
خلقها ، وأحصى نقمها ، وأحسن مساعدتها ! . وكانت جميلة تقول مثل ذلك فيها .

وكان ابن سريج في حدائثه يأتى المدينة فيأخذ عنها ويتعلم منها ؛ وكان بها
مُعْجَباً ، وكان إذا سئل : مَنْ أحسن الناس غناء ؟ قال : مولاة الأنصار الْمُتَفَضِّلَةُ
على كل مَنْ غنى وضرب بالمعازف والعيّدان من الرجال والنساء .

وكان ابن مُرْزُوق يقيم بمكة ثلاثة أشهر ثم يأتى المدينة فيقيم بها ثلاثة أشهر من
أجل عزة ، وكان يأخذ عنها . وقد تقدّم ذلك في أخباره .

وكان طُوَيْس أكثر ما يأتى إلى منزل عزة ، وكان في جوارها ، وكان إذا
ذكرها يقول : هى سيّدة من غنى من النساء ، مع جمالٍ بارع ، وخلقى فاضل ،
وإسلام لا يشوبه دنس ، تأمر بالخير وهى من أهله ، وتنهى عن الشر وهى مُجَانِبَةٌ ،
فناهيك بها ! ما كان أنبلها وأنبل مجلسها ! . ثم قال : كانت إذا جلست جلوساً عاماً
فكأن الطير على رموس أهل مجلسها ، فمن تكلم أو تحرك هز رأسه .

وقال صالح بن حسان الأنصارى : كانت عزة مولاة لنا ، وكانت عفيفة جميلة .
وكان عبد الله بن جعفر وابن أبي عتيق وعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ينشئونها

(١) كذا بالأغانى . وفي الأصل : « أغانى الفارسية » .

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « وألقت عليها » . الخ .

في منزلها فتفتنهم . وغتت عمر بن أبي ربيعة لحناً لها في شيء من شعره ، فشقق ثيابه وصاح صيحة عظيمة صمق معها . فلما أفاق قال له القوم : لفسرك الجهل يا أبا الخطّاب ؛ قال : إني سمعت والله مالم أمك معه نفسي ولا عقلي .

وكان حسان بن ثابت مُعجّبا بها ، وكان يقدمها على سائر قيان المدينة . وقد ذكرنا خبرها مع النعمان بن بشير وحسان بن ثابت ، وأن كلّ واحد منهما سمع غناها ، فبكى حسان بن ثابت وأستعاد النعمان بن بشير صوته مرارا ؛ وتقدم أيضا من أخبرها في خبر عائشة بنت طلحة وأخبار جميلة ما يُستغنى عن إعادته في هذا الموضع . فلنذكر من سواها .

ذكر أخبار سلامة القسّ

- ١٠ كانت سلامة القسّ هذه مولدة من مولدات المدينة ، وبها نشأت ، وأخذت الغناء عن معبد وآبن عائشة وجميلة ومالك بن أبي السّمح ومن دونهم ، فهورت فيه . وإنما سُميت سلامة القسّ لأن رجلا يُعرف بعبد الرحمن بن أبي عمار بن جُثم بن معاوية — وكان منزله بمكة ، وهو من قراء أهل المدينة ، كان يلقّب بالقسّ لعبادته — شَغِف بها وشُهر بحبها . وكان سبب ذلك أنه سمع غناها على غير تَعَمُّدٍ منه فبلغ منه كلّ مبلغ . فرآه مولاها فقال : هل لك أن تدخل فتسمع ؟ فأبى . فقال له مولاها : أنا أُعِيدها حيث تسمع غناها ولا تراها . فلم يزل به حتى دخل ، فأسمعه غناها فأعجبها . فقال : هل لك أن أخرجها إليك ؟ قال لا . ثم يزل به حتى أخرجها فأقعدا بين يديه ، فغنت فشَغِف بها وشَغِف به وعرف ذلك أهل مكة . فقالت له يوما : أنا والله أحبُّ . فقال : وأنا والله الذي لا إله إلا هو أحبُّ . فقالت : والله أشهى أن أعانقك وأقبلك . فقال : والله وأنا أشهى من ذلك . قالت :
- ٢٠

وأشهى والله أن أضاجك وأضع بطني على بطنك وصدرى على صدرك قال :
وأنا والله كذلك . قالت : فما يمنعك من ذلك ؟ والله إن المكان لخال . قال :
يمنعني منه قول الله عز وجل : ﴿ الْإِخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ ،
فأنا أكره أن تحول مودتى إليك عداوة يوم القيامة . ثم قام وأنصرف وعاد إلى
ماكان عليه من النكس ، ولم يعد إليها بعد ذلك . وكان يُسَبِّحُ بَعَاءَ بن أبى رباح .
وله فيها أشعار كثيرة ، منها قوله :

إن التي طرقتك بين ركائب * تَمْشِي بِمِزْهَرِهَا وَأَنْتَ حَرَامُ
تَقْصِيدُ قَلْبِكَ أَوْ جِزَاءَ مَوْدَةٍ * إِنَّ الزَّفِيقَ لَهُ عَلَيْكَ ذِمَامُ
بَاتَ تَعَلَّلْنَا وَتَحَسَّبَ أَنَا * فِي ذَاكَ أَقْبَاطُ وَنَحْنُ نِيَامُ
حتى إِذَا سَطَعَ الضياءُ لَنَاظِرٍ * فَإِذَا وَذَلِكَ بَيْنَنَا أَحْلَامُ
فَدَكَنْتُ أَعْدَلُ فِي السَّفَاهَةِ أَهْلَهَا * فَأَعْجَبَ لِي تَأْتِي بِهِ الْأَيَّامُ
فَالْيَوْمَ أَعْدَرُهُمْ وَأَعْلَمُ أَنَا * سُبُلُ الضَّلَالَةِ وَالْهَدَى أَقْسَامُ

وقوله أيضا فيها :

ألم ترها - لَا يُبْعِدُ اللهُ دَارَهَا - * إِذَا رَجَعْتُ فِي صَوْتِهَا كَيْفَ تَصْنَعُ !
تَمُدُّ نِظَامَ الْقَوْلِ ثُمَّ تَرُدُّه * إِلَى صَلَافِ مِنْ صَوْتِهَا يَتَرَجَّعُ

وقوله فيها :

أَلَا قُلْ لِهَذَا الْقَلْبِ هَلْ أَنْتَ مُبْصَرُ * وَهَلْ أَنْتَ عَنْ سَلَامَةِ الْيَوْمِ مُقْصَرُ
أَلَا نَيْتُ أَتَى حَيْثُ صَارَتْ فِي النَّوَى * جَلِيسٌ لِسَانِي كُلَّمَا عَجَّ مِزْهَرُ

وله من قصيدة طويلة أولها :



سَلَامٌ هَلْ لِي مِنْكُمْ نَاصِرٌ * أَمْ هَلْ لِقَلْبِي عَنْكُمْ زَاجِرٌ
قَدْ سَمِعَ النَّاسُ بوجِدِي بِكُمْ * فَهُمْ اللَّامُ وَالْمَازِرُ

في أشعار كثيرة يطول الشرح بذكرها . ومدحها الأحوص أيضا بشعر كثير .
وقال فيها أيضا ابن قيس الرقيات .

وروى أبو الفرج الأصفهاني قال : كانت سلامة ورياً أختين ، وكانتا من
أجمل النساء وأحسنين غناءً ، فاجتمع الأحوص وابن قيس الرقيات عندهما . فقال
لها ابن قيس الرقيات : إني أريد أن أمدحكما بآيات فأصدق فيها و[لا] ^(١) أكذب .
فإن أتما غنيتاني بذلك ولا هونكما ولم أقربكما أبداً . قالنا : فما قلت ؟ قال : قلت :

لَقَدْ قَنَنْتُ رِيًّا وَسَلَامَةً الْقَسَا * فَلَمْ يَتَرَكَ لِلْقَسْرِ عَقْلًا وَلَا تَقَا
فَنَاتَيْنِ أَمَا مَهْمَا فَشِبْهَةٌ أَلْ * سِهْلًا وَآخَرَى مِنْهُمَا تُشْبِهُ الشَّمَا
تَكُنَّانِ ابْنَارًا رِقَاقًا وَأَوْجَهًا * عِنَاقًا وَأَطْرَافًا مُخَضَّبَةً مُلَا
فَفَتَتْهُ سَلَامَةٌ فَاسْتَحْسَنَتْ . وقال ابن قيس الرقيات للأحوص : يا أبا الأنصار ،
ما قلت ؟ قال قلت :

سَلَامٌ هَلْ لُنْتِمِ تَسْوِيلٌ * أَمْ قَدْ صَرَمْتَ وَغَالٌ وَدَكٌ غُولٌ
لَا تَصْرِيرِي عَنِّي وَلَا مَكِ إِنَّهُ * حَسَنٌ لَدَيَّ وَإِنْ تَجَلَّتْ جَمِيلٌ
أَزْعَمْتُ أَنْ مَوْدَتِي رَصَابَتِي * كَذِبٌ وَأَنْتَ زِيَارَتِي تَقْلِيلٌ ^(٢)

ففتت الأبيات . فقال ابن قيس الرقيات : أحسنت والله ! ما أظنك إلا عاشقةً
لهذا الخلف . فقال له الأحوص : وما الذي أخرجك إلى هذا ؟ قال : حُسْنُ غَنَائِهَا

(١) التكلة عن الأغاني .

(٢) في الأغاني : « تليل » .

بشعرك، فلو لا أنَّ لك في قلبها حبة مُقْرِطَةٍ ما جاء هكنا حسناً على هذه البنية .
فقال الأحوص : على قدر حُسن شعري على شعرك هكنا حُسن الغناء به . وما هذا
[منك] ^(٢) إلا حسدٌ، وليس ذلك إلا ما حسدت عليه . فقالت سلامة : لولا أنَّ الدخول
بينكما يُوجب بُغْضَةً لحكمتُ بينكما حكومةً لا يردُّها أحد . قال الأحوص : فأنيت
[من ذلك] ^(٢) آمنة . قال ابن قيس الرقيات : كلاً ! قد أمنت أن تكون الحكومة
طيك ، فلذلك سبقت بالأمان لها . فتفرقا على ذلك . ثم مشى ابن قيس الرقيات إلى
الأحوص فاعتذر إليه فقبل عُذْرَه . ومن شعر الأحوص فيها :

سَلَامُ إِلَيْكَ قَدْ مَلَكَتْ فَأَنْبِجِي • قَدْ يَمْلِكُ الْحُرُّ الْكَرِيمُ فَيُسْجِحُ
مُنَى عَلَى عَائِبِ أَطْلَتْ عَنَامَهُ • فِي الْفُلِّ عِنْدِكَ وَالْعُنَا تُسْرِحُ
إِنِّي لَأَنْصَحُكُمْ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ • سَيَانِ عِنْدَكَ مِنْ يَفْسُ وَيَنْصَحُ
وَإِذَا شَكُوتُ إِلَى سَلَامَةٍ حَبَا • قَالَتْ أَيْدُ مِنْكَ ذَا أَمِ تَمَزَحُ

وحكى أبو الفرج قال : لما قَدِمَ عُمَانُ بْنُ حَيَّانٍ الْمُزَيُّ الْمَدِينَةَ وَالْيَا طَلِيهَا ، قَالَ لَهُ
قَوْمٌ مِنْ وَجْهِهِ النَّاسُ : إِنَّكَ قَدْ وَلَّيْتَ الْمَدِينَةَ عَلَى كَثْرَةِ مِنَ الْفَسَادِ ؛ فَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ
أَنْ تُصْلِحَ فَطَهِّرْهَا مِنَ الْغَنَاءِ وَالرَّثَاءِ . فَصَاحَ فِي ذَلِكَ وَأَجَلَ أَهْلَهُ ثَلَاثًا فَيَخْرُجُونَ فِيهَا
مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ غَاثِيًا ، وَكَانَ مِنْ أَجْلِ الْفَضْلِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَاحِ . فَلَمَّا
كَانَ أَتْرَلِيلَةً مِنَ الْأَجْلِ قَدِمَ فَقَالَ : لَا أَدْخُلُ مَتْرَى حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى سَلَامَةَ الْقَسِّ .
فَدَخَلَ عَلَيْهَا فَقَالَ : مَا دَخَلْتُ مَتْرَى حَتَّى جِئْتُكُمْ لِأَسَلِّمْ عَلَيْكُمْ . فَقَالُوا : مَا أَغْفَلَكَ عَنْ
أَمْرِنَا ! وَآخِرُهُوَ الْخَبَرِ . فَقَالَ : اصْبِرُوا عَلَى اللَّيْلَةِ . فَقَالُوا : نَخَافُ أَلَّا يُمَكِّنَكَ شَيْءٌ .

(١) كذا في الأغانى . وفي الأمل ، : « ما جاء هذا ... » .

(٢) زيادة عن الأغانى .

(٣) ن الأغانى : « والزنا » .

قال : إن خفتم شيئا فأخرجوا في السحر . ثم خرج فاستأذن على عثمان بن حيان فأذن له ، فسلم عليه وذكر غيبته وأنه جاء ليقضى حقه ، ثم جزاه خيأً على ما فعل من إخراج أهل الغناء والرثاء ، وقال : أرجو ألا تكون [مِيتاً] ^(١) عملاً هو خير لك من ذلك . قال عثمان : قد فعلت ذلك وأشار على به أصحابك . فقال : قد أصبت ، ولكن ما تقول في امرأة كانت هذه صناعتها وكانت تُكْرَهُ على ذلك ، ثم تركته وأقبلت على الصلاة والصيام والخير ، وأنا رسولها إليك تقول : أتوجه إليك وأعوذ بك أن تُخرجني من جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجده ، قال قال : فإني أدعها لك ولكلامك . فقال ابن أبي عتيق : لا يدعك الناس ، ولكن تأتيك وتسمع من كلامها وتنتظر إليها ، فإن رأيت أن مثلها ينبغي أن يترك تركتها ، قال نعم بلقاء بها . وقال : احمل معك سُبْحَةً وتَحْشَمِي ففعلت . فلما دخلت على عثمان سلمت عليه وجلست وحدثته ، فإذا هي من أعلم الناس بأمور الناس ، فأعجب بها ، وحدثته عن آباءه وأمورهم ففِكَهَ لذلك فقال ابن أبي عتيق : اقرئي للأُمير . فقرأت ، فقال لها : احدي ففعلت . وكثر عجبها منها . فقال : كيف لو سمعتها في صناعتها ! فلم يزل يُنْزِلُه شيئا فشيئا حتى أمرها بالغناء ففنته . فقام عثمان من مجلسه وقعد بين يديها ، ثم قال : لا والله ما مثل هذه تخرج . فقال ابن أبي عتيق : لا يدعك الناس تُقَرِّرُ سَلَامَةً وتُخْرِجُ غيرها . قال : فدعوهم جميعا . فتركهم جميعا وأصبح الناس يتحدثون بذلك .

ثم اشترى يزيد بن عبد الملك سلامة ، وكانت لُصَّصَ بن سُهَيْل الزُهْرِي ، وقيل : لسهيل بن عبد الرحمن بن عوف . وكانت حَبَابَةَ جارية آل لَاحِقٍ ، فاشترَاهَا جميعا ، فاشترى سلامة بعشرين ألف درهم ، وتسلمها رُسُلُ يزيد فخرجوا بها وشيعتها

(١) زيادة عن الأعاني .

الناس . فلما نزلت سقاية سليمان بن عبد الملك قالت للترسل : إن لي قوماً كانوا
يَفْشَوْنِي وَيُسْأَلُونِ عَلَى ، ولا بد لي من وداعهم والسلام عليهم ، فأذن للناس عليها ،
فاتوا حتى ملئوا رجة القصر والفناء ، ووقفت هي بينهم بارزةً ومعها العودُ ففنت :

فَارْقُونِي وَقَدْ صِلْتُ يَقِينًا * مَا لِمَنْ ذَاقَ مَيْتَةً مِنْ لِيَابِ
إِنَّ أَهْلَ الْحَصَابِ قَدْ تَرَكُونِي * مُوزَعًا مُوَلَّعًا بِأَهْلِ الْحَصَابِ
أَهْلِي بَيْتِ نَسَائِعُوا لِلنَّيَا * مَا عَلَى الدَّهْرِ بَدَمٌ مِنْ عِتَابِ
كَمْ بِذَلِكَ الْمَجُونُ مِنْ حَيِّ صَدِيقٍ * مَنْ كُفُّوا أَعْفَى وَشَبَابِ
سَكَنُوا الْخَزْعَ خَزَعِ بَيْتِ أَبِي مُو * سَى إِلَى النَّخْلِ مِنْ صُنِيِّ السَّبَابِ
فَلَيْ الْوَيْلُ بِمَدَمٍ وَعَلِيمٍ * صَرْتُ فَرْدًا وَمَتْنِي أَصْحَابِي

١٠ قال : فلم تزل تردّد هذا الصوت حتى راحت ، واتحبب الناس بالبكاء عند
ركوبها ، فما شئت أن ترى بائناً نبيلاً إلا رأيته .

قالوا : وكانت حباّبة عند يزيد متقدّمة على سلامة ، وكانت حباّبة تنظر الى
سلامة بتلك العين الجليّة المتقدّمة وتعرف فضلها عليها ، فلما رأت أثره يزيد لها
ومحبّته إياها استخفت بها . فقالت لها سلامة : أَى أُخْتِي ، نَسِيتِ فَضْلِي عَلَيْكَ !
ويلك ! أين ناديب الفناء ! أين حقّ التعلّم ! أنسيتِ قولَ جميلة لك وهي تطارحنا :
١٥ حُذِي إِحْكَامَ مَا أَطَارَحَكَ مِنْ أُخْتِكَ سَلَامَةَ ، فلا ترالين بخير ما بقيت لك وكان
أمركما مؤتلفاً ! . فقالت : صدقتِ واقه لا عدتُ لشيءٍ تكرهينه أبداً . وماتت حباّبة
وعاشت سلامة بعدها دهرًا .

(١) كذا في ديوانه والأعاني ج ١ ص ٣٢١ طبع دار الكتب المصرية . وفي الأصول : « تاهرا »

ولما مات يزيد أحضرها ابنه الوليد وأمرها بالفناء، فتغنصت من ذلك وبكت، ثم غنته . فقال : رحم الله أبى وأطال عمرى وأمتنى بحسن غنائك ! . يا سلامة، بم كان أبى يُقدِّم حَبَابَةَ عليك ؟ قالت : لا أدري والله . قال : لكننى أدري ذلك، بما قسم الله عز وجل لها . قالت : يا سيدي أجل . وهى إحدى من أئمة بني الوليد من جوارى أبيه .

ذكر أخبار حَبَابَةَ

كانت حَبَابَةَ جاريةً مولدةً من مولدات المدينة لرجل من أهلها يعرف بأبن دبابَةَ،^(١) وقيل : بل كانت لآلٍ للاحق المكيين ، وقيل : كانت لرجل يعرف بابن مينا . وكانت تسمى العالية،^(٢) فساها يزيد بن عبد الملك لما اشتراها حَبَابَةَ . وكانت حلوة جميلة الوجه ظريفة حسنة الغناء طيبة الصوت ضاربةً بالعود . أخذت الفناء عن ابن سُرَيْج وابن مُحَرِّز ومالك بن أبي السَّمْع ومعبَد وعن جميلة وعزة الميلاء . وكان يزيد بن عبد الملك يقول : ما تفرغنى بما أوتيتُ من الخلافة حتى أشتري سلامة جاريةً مُصعَّب بن سُلَيْم وحَبَابَةَ جاريةً ابن للاحق المكيَّة . فأرسل فأشترينا له . فلما اجتمعنا عنده قال : أنا الآن كما قال الأول :

فألفت عصاها وأستقرها النوى * كما قرَّ حيناً بالإيَّاب المسافر^(٣)
 وكان يزيد بن عبد الملك في خلافة أخيه سليمان قد قدِم المدينة فتزوج سَعْدَةَ بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان على عشرين ألف دينار، ورُبَيْحَةَ بنت محمد بن علي ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب على مثل ذلك ، وأشتري العالية بأربعة آلاف

(١) في الأغاني : « يعرف بأبن رمانة وقيل : ابن مينا وهو خريجا وأدبها » .

(٢) كذا في الأغاني طبع بولاق والطبري طبع ألمانيا . وفي الأصل : « العالية » بالنون المعجمة .

(٣) كذا في الأغاني ، وفي الأصل : « لم تفرغنى ما أوتيت الخ » .

دينار . فبلغ ذلك سليمان فقال : لأَجْرَتِ عليه . فبلغ يزيد ذلك فاستقال مولى حَبَابَة ؛ ثم اشترأها بعد ذلك رجل من أهل إفريقية . فلما ولى يزيد اشترتها سَعْدَة أَمْرَاتِه وعلمت أنه لابدّ طالبها ومشتريها . فلما حصلت عندها قالت له : هل بقي عليك شيء من الدنيا لم تنله ؟ قال : نعم ، العالیه . قالت : أَوْرَأَيْتَهَا ؟ قال نعم . قالت : أفتعرفها ؟ قال نعم . فرفعت الستر فوأها ، فقالت : هذه هي ؟ قال نعم ؛ قالت : هي لك ، ونرجعت عنهما . ففسأها حَبَابَة وعظم قدرُ سَعْدَة عنده . ويقال : إنها أخذت عليها قبل أن تهبَّها له أن تُوَطَّى لأبْنِها عنده في ولاية العهد .

قال : وأرضع قدر حَبَابَة عند يزيد وتمكَّن حبُّها في قلبه تمكُّنا عظيما . وكان أوَّل ذلك أنه أقبل يوما الى البيت الذى هي فيه فقام من وراء الستر فسمعها تترنم وتغنى :
كان لى يا يزيدُ حُبُّك حينا * كاد يَفْضِي على لَمَّا أَلْتَقِينَا

فرفع الستر فوجدها مضطجعةً مقبلةً على الجدار ، فعلم أنها لم تعلم به ولم يكن ذلك لمكانه ؛ فألقى نفسه عليها وحركت منه .

قال : وأراد يزيد بن عبد الملك أن يتشبه بعمر بن عبد العزيز ، وقال : بماذا صار عمر أَرْجَى لربه منى ! . وقيل : بل لَامَهُ سَلَامَةُ بن عبد الملك على الإلحاح على الغناء والشرب ، وقال له : إنك وَلَيْتَ بعقب عمر بن عبد العزيز ودلِّه ، وقد تشاغلَتْ بهذه الإماء عن النظر فى الأمور ، والوفود ببابك وأصحابُ الظَّلَامَاتِ يصبحون وأنت غافل ! قال : صدقت والله ، وهم أن يترك الشرب ، ولم يدخل على حَبَابَة أياما ، فشق ذلك عليها فأرسلت الى الأَخْوَص أن يقول أبياتا فى ذلك ، فقال :

أَلَا لَا تَلُمُّهُ الْيَوْمُ أَنْ يَتَبَلَّدَا * فَقَدْ غَلَبَ الْحَزُونُ أَنْ يَتَجَلَّدَا
بَكَتُ الصَّبَا جَهْدِي فَن شَاءَ لَامَنِي * وَمَنْ شَاءَ آمَنِي فِي الْبُكَاءِ وَأَسْعَدَا

وإني وإن فُتئتُ في طلب الصَّبَا * لأعلمُ أنّي لستُ في الحبِّ أوحداً
إذا أنت لم تَشَقْ ولم تَدْرِ ما الهوى * فكُنْ حَجْرًا من يابس الصَّخْرِ جَلداً
فما العيشُ إلا ما تَلَدُّ وتَشْتَهَى * وإن لآمَ فيه ذو الشَّانِ وفندا

قال : فلما كان في يوم الجمعة تعرّضتُ له حَبَابَةٌ عند خروجه الى الصلاة،
فلقينته والموذُ في يدها، ففنت البيت الأول، فغطى وجهه وقال : مَهْ لا تفعل . ثم
غنت « وما العيش إلا ما تَلَدُّ وتَشْتَهَى » فعدل إليها وقال : صَدَقْتَ، قَبَّحَ اللهُ من
لأمنى فيكَ ! يا غلام، مُرْ مَسَلَمَةً فَلْيُصَلِّ بالناس . وأقام معها يشرب وهي تغنيه
وعاد إلى حاله، وقال لها : من يقول هذا الشعر؟ قالت : الأحوص . فاستدعاه
وأستنشد الشعر فأنشدته الأبيات . ثم أنشد قصيدته التي أولها :

يا مُوقِدَ النَّارِ بِالْعَلَاءِ من إَضْمٍ * أَرِقْدُ فقد هَجَمَتْ شَوْقًا غيرَ مُنْصَرِمٍ
وهي قصيدة طويلة ، فقال له يزيد : أرفع حوائجك ؛ فكتب إليه في نحو
أربعين ألف درهم من دين وغيره فأمر له بها . وقد قيل في أمر هذه الأبيات :
إن حَبَابَةً لَمَّا بعثتُ الى الأحوص في عمل الشعر قالت له : إن رددتَ أميرَ المؤمنين
عن رأيه فلك ألف دينار، فدخل الأحوص عليه وأستأذنه في الإنشاد ؛ فقال :
ليس هذا وقتك . فلم يزل به حتى أذن له فأنشد الأبيات . فلما سمعها وثب حتى
دخل على حَبَابَةٍ وهو يتثَلَّ :

وما العيشُ إلا ما تَلَدُّ وتَشْتَهَى * وإن لآمَ فيه ذو الشَّانِ وفندا
قالت : ما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فقال : أبيات أنشدتها الأحوص ، فسلي
ما شئت . قالت : ألف دينار تعطيا الأحوص ؛ فأعطاه ألف دينار .

(١) في الأمان : « قالت مارقك يا أمير المؤمنين » .

قال : وقال يزيد يوماً لسلامة وحبابة : أيكما غشيتي ما في نفسي فلها حكمها .
فغشيت سلامة فلم تُصب ما في نفسه ؛ وغشيت حبابة بشعر ابن قيس الرقيات :

حَلَقَ مِنْ بَنِي بَكَّةَ حَوْلِي * يَفْلَسُطِينَ يُبْرِصُونَ الرُّكُوبَا

جَزِعْتُ أَنْ رَأَيْتُ مِثْبَتِي عَرِصِي * لَا تَلْوِي ذَوَائِي أَنْ تَشِيَا

❦

فأصاب ما في نفسه ، فقال : أحسكي . قالت : تهب لي سلامة ومالها . قال :
أطلي غيرها ؛ فأبت غيرها ؛ فقال : أنت أولى بها ومالها ، فلقيت سلامة من ذلك
أمراً عظيماً . فقالت حبابة : لا تَرَيْنَ إِلَّا خيراً . بغاءها يزيد فأسأله أن يبيعه لإياها
بحكمها . فقالت : أشهدك الآن أنها حرة ، فأخطبها الآن أزوجك مولاتي .

قال : وغشيت حبابة يوماً يزيد :

مَا أَحْسَنَ الْجِدِّ مِنْ مُلْكَةٍ وَالسَّلْبَاتِ إِذْ زَانَهَا تَسْرَأُهَا

يَا لَبِثِي لِبْلَةً — إِذَا جَمَعَ النَّاسُ وَنَامَ الْكَلَابُ — صَاحِبُهَا

فِي لِبْلَةٍ لَا يُرَى بِهَا أَحَدٌ * يَسْمَى عَلَيْنَا إِلَّا كَوَاكِبُهَا

فطرب يزيد ، وقال : هل رأيت قط أطرب مني ؟ قالت : نعم ، ابن الطيار معاوية

ابن عبد الرحمن بن جعفر . فكتب يزيد إلى عبد الرحمن بن الضمك لحمله إليه .

فلما قدم أرسلت إليه حبابة : إنما بعث إليك لكذا وكذا وأخبرته بالقصة ؛ فإذا

أدخلت عليه وتغنيت فلا تُظهرن طرباً حتى أغنى الصوت الذي غنيت ؛ فقال : سؤدة

على كبر السن ! فدعاه يزيد وهو على طنفسة نحر ، ووضع لمعاوية مثلها ، وجاءوا بجامتين

فيهما مسك ، فوضع أحدهما بين يدي يزيد والآخر بين يدي معاوية . قال معاوية :

فلم أدر كيف أصنع ، فقلت : أنظر كيف يصنع فأصنع مثله ؛ فكان يُقلبه فتفوح

ريحه وأفعل مثل ذلك . فلما جرى بحبابة وغنت ، فلما غنت ذلك الصوت أخذ معاوية الوسادة فوضعها على رأسه وقام يدور ويقول : الدخن بالنوى يعنى اللوبيا ! وأمر له يزيد بصلات في دفعات مبلغها ثمانية آلاف دينار .

وحكى أيضا أنها غنت يوما يزيد فطرب ، ثم قال : هل رأيت أطرب مني ؟ قالت : نعم ، مولاي الذى باعنى . فغاضه ذلك ، فكتب في حمله مقيدا . فلما وصل أمر يزيد بإدخاله عليه فأدخل يرسف في قيوده ، وأمر يزيد بحبابة أن تغنى فغنت :

نَسِطُ بنا دارَ جيراننا * وللدار بعد غد أبعدُ

فوثب حتى ألقي نفسه على الشمعة فاحترقت لحيته ، وجعل يصيح : الحريق يا أولاد الزنا ! فضحك يزيد وقال : لعمري إن هذا لأطرب الناس ! وأمر بحمل قيوده ووصله بألف دينار ووصلته حبابة ، وردّه الى المدينة .

وروى أبو الفرج الأصفهاني بسنده الى غانم الأزدي قال : نزل يزيد بن عبد الملك بيت رأس بالشام ومعه حبابة ، فقال : زعموا أنه لا يصفو لأحد يوما عيشه الى الليل لا يكدره شيء عليه ، وسأجرب ذلك ؛ ثم قال لمن معه : إذا كان غد لا تخبروني بشيء ولا تأتوني بكاتب . وخلا هو وحبابة ، فأتيا بما يأكلان ، فأكلت رمانة فشرقت بحبة منها فانت ، فأقام لا يدفنها ثلاثا حتى تغيرت وأنتنت وهو يشمها ويرشفها . فعاتبه على ذلك ذوره وأقرباؤه وصديقه وعابوا عليه ما يصنع ، وقالوا : قد صارت جيفة بين يديك ، فأذن لهم في غسلها ودفنها ، فأخرجت في نطع ، وخرج معها لا يتكلم حتى جلس على قبرها . فلما دفنت قال : أصبحت والله كما قال كثير :

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « إن مثل هذا يطرب الناس » .

فَإِنْ تَسَلَّ عَنْكَ النَّفْسُ أَوْ تَدَّعِ الْهَوَى • فَبِالْأَيْسِ تَسَلُّوْا عَنْكَ لَا بِالتَّجَلُّدِ
وَكُلُّ خَلِيلٍ رَأَى بَنِي فَهَوَ قَاتِلٌ • مِنْ أَجْلِكَ هَذَا هَامَةُ الْيَوْمِ أَوْ غَدِ
فَمَا بَقِيَ إِلَّا نَحْسَ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ وَمَاتَ، فَدُفِنَ إِلَى جَنْبِهَا •

وروى أيضا عن مَسَامَةَ بن عبد الملك قال: لما ماتت حَبَابَةُ جَزَعَ عَلَيْهَا يَزِيدُ،
بَغِلَتْ أُسْكَنَهُ وَأَعَزَّيَهُ وَهُوَ ضَارِبٌ بِدَقَّنِهِ عَلَى صَدْرِهِ مَا يَكَلِّمُنِي حَتَّى دَفَنَهَا • فَلَمَّا
بَلَغَ إِلَى بَابِهِ التَّفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ: فَإِنْ تَسَلَّ عَنْكَ النَّفْسُ ... الْبَيْتَ، ثُمَّ دَخَلَ بَيْتَهُ
فَكَثَّ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ هَلَكَ •

قال: وروى المدائني أنه اشتاق إليها بعد ثلاثة أيام من دفنها لِمَاهَا، فقال:
لَا بُدَّ أَنْ تُنَبِّشَ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهَا، فَنُبِّشَتْ وَكُشِفَ لَهُ عَنْ وَجْهِهَا وَقَدْ تَغَيَّرَتْ تَغَيُّرًا
فَيْحًا، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَتَيْتَ اللَّهَ تَعَالَى! أَلَا تَرَاهَا كَيْفَ صَارَتْ! ١٠
فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا الْيَوْمَ، أَنْحَرِجُوهَا • بَقَاءَ مَسَامَةَ وَوَجْهَهُ أَهْلُهُ، فَلَمْ
يَزَالُوا بِهِ حَتَّى أَزَالُوهُ عَنْ ذَلِكَ وَدَفَنُوهُ، وَأَنْصَرَفَ، وَكَيْدَ كَدًّا شَدِيدًا حَتَّى مَاتَ،
فَدُفِنَ إِلَى جَانِبِهَا •

وروى عن عبد الله بن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ قَالَ: نَخَرَجْتُ مَعَ أَبِي إِلَى الشَّامِ زَمَنَ
يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ • فَلَمَّا مَاتَتْ حَبَابَةُ وَأُخْرِجَتْ، لَمْ يَسْتَطِعْ يَزِيدُ الرُّكُوبَ مِنَ الْحَزَنِ ١٥
وَلَا الْمَشْيَ، فَحُمِلَ عَلَى مِئْبَرٍ عَلَى رِقَابِ الرِّجَالِ • فَلَمَّا دُفِنَتْ قَالَ: لَمْ أُصَلِّ عَلَيْهَا، أَنْبَشُوا
عَنْهَا • فَقَالَ لَهُ مَسَامَةُ: تَنْشُدُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لِمَا هِيَ أُمَّةٌ مِنَ الْإِمَاءِ وَقَدْ وَارَاهَا
الْزُّبَيْرُ • فَلَمْ يَأْذَنْ لِلنَّاسِ بَعْدَ حَبَابَةَ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا أَسْتَمَّ دُخُولُ
النَّاسِ حَتَّى قَالَ الْحَاجِبُ: أَنْحَرِجُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ • وَلَمْ يَنْشَبْ يَزِيدُ أَنْ مَاتَ كَدًّا •

ذكر أخبار خُلَيْدَةَ الْمَكِّيَّةِ

قال أبو لرج : هي مولاة لابن شماس، كانت هي وعَقِيلَةُ وَرَبِيعَةُ يُعْرَفْنَ
بِالشَّجَائِرِ . وقد أخذت الغناء عن ابن سُرَيْجٍ ومالك ومَعْبَدٍ .

وروى أبو لمرج بسنده في الفضل بن الربيع أنه قال : ما رأيت ابنَ جامع
يَطْرِبُ لغناء كما يَطْدِبُ لغناء خُلَيْدَةَ الْمَكِّيَّةِ . وكانت سوداء، وفيها يقول الشاعر :
فَتَنَتْ كَاتِبَ الْأَمِيرِ رَبَاجٍ * يَا أَتَقْوِي خُلَيْدَةَ الْمَكِّيَّةِ

وغت هشام بن عُرْوَةَ يوماً، فلما سَمِعَهَا قال : اكْتُبِي عَلَى صَدْرِكَ (قُلْ هُوَ
أَنَّهُ أَحَدٌ) وبين يديك الْمُؤَذِّنِينَ لَا تُصَيِّبُكَ الْعَيْنُ .

وقال عُثْمَرُ بْنُ شَبَّةٍ : بلغني أن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان
أرسل إلى خُلَيْدَةَ الْمَكِّيَّةِ أَبَا عَوْنٍ مولاها يخطبها عليه . فاستأذنت له وعليها
ثِيَابُ رِقَاقٍ لَا تَسْتُرُهَا . ثم وثبتت فقال : إنما ظننتك بمَعْصِ سَفَهَائِنَا، ولكنني
أَبَسَ لَكَ ثِيَابَ مِثْلِكَ ففعلت . وقال : قد أرسلني إليك مولاي، وهو من تعلمين
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عثمان بن عفان ومن عليٍّ وهو ابن عم أمير
المؤمنين، يخطبك . قالت : قد نَسَبْتَ فَأَبْلَغْتَ، فَاسْمَعِ نَسْبِي أَنَا بِأَبِي [أَنْتَ] ! إِنْ
أَبَى يَبِيعَ عَلَيَّ غَيْرَ عَقْدِ الْإِسْلَامِ وَلَا عَهْدِهِ، فَعَاشَ عَبْدًا وَمَاتَ فِي رِجْلِهِ قَيْدٌ وَفِي عُنُقِهِ
سَيْسِلَةٌ عَلَى الْإِبَاقِ وَالسَّرِيقَةِ، وَوَلَدَتْنِي أُمِّي عَلَى غَيْرِ رِشْدَةٍ وَمَاتَتْ وَهِيَ أَبْقَى، فَأَنَا مَنْ
تَعْلَمُ . إِنْ أَرَادَ صَاحِبُكَ نِكَاحًا مَبَاحًا أَوْ زِنَا صُرَاحًا فَهَلُمَّ إِلَيْنَا مَعْنٍ لَهُ . فقال : إنه
لَا يَدْخُلُ فِي الْحَرَامِ . فقالت : لَا يَبْنِي أَنْ يَسْتَحْيِيَ مِنَ الْحِلَالِ، فَأَمَّا نِكَاحُ الْمَرْءِ
فَلَا وَاللَّهِ لَا فَعْلَتُهُ وَلَا كُنْتُ عَارًا عَلَى الْقِيَانِ . قال : فَأَتَيْتُ مُحَمَّدًا فَأَخْبَرْتُهُ؛ فَقَالَ :

وحيثما أتت به من عيني بنت طلحة بن عبيد الله ! لا ! ولكن أرجع إليها
فمن لما : شئت مني ، وأريد حصرى فيها لعل أسلو ، فرجعت إليها فابفتها الرسالة
فهي حكت وقالت : . إنما هذا فتم ، لسنا نمنعه .

ذكر أخبار مقيم الهشامية

قال أبو الفرج : كانت مقيم مولدة صفراء من مولدات البصرة ، وبها نشأت
وندرت وغنت .^(١) وأخذت عن إسماعيل وأبيه قبله وعن طبقتهما من المغنين . وكانت
من تخرج بذي وتعليمها . وأستراها علي بن هشام بعد ذلك فأزدادت أخذاً ممن كان
يفشاء من أكابر المغنين . وكانت من أحسن الناس وجهاً وغاناً وأدباً . وكانت تقول :
الشعر ليس مما يُستجاد ولكنه يُستحسن من مثله . وحظيت عند علي بن هشام
حظوة شديدة ، وتغنمت جوارية جمع عنده ، وهي أم ولده كلهم .

حكى أبو الفرج قال : كان عند علي بن هشام برذون أشهب قرطاسي في نهاية
الحسن والقراءة وكان به مفعباً ، وكان إسماعيل بن إبراهيم يشبهه شبهة شديدة ويعرض
لعل مراراً في طلبه فلم يسمع به . فسار إسماعيل إلى علي يوماً وقد صنعت مقيم :

فلا زلن حصرى فكلما لم حملتها * إلى بلد ناء قليل الأصادي

فاحتبس على . وبعد إلى مقيم يأمرها أن تجعل صوتها في صدر غنائها ففعلت ،
فأطربت إسماعيل أطراباً شديداً ، وجعل يستعده ويستوفيه ليزيد في طربه وهو يصني^(٢)
إليه ويفهمه حتى سمع له . ثم قال لعل : ما فعل البرذون الأشهب ؟ قال : على
ما عهدت من حسنة وقراءته . قال : اختر الآن مني خلة من آتئين : إنما أن

(١) في الأغاني : « دعات » .

(٢) عبارة الأغاني : « وجعل يسترده وترده ويستوفيه ليزيد في إبراهيم إسماعيل وهو يصني ... » .

طَبَّتْ لِي نَفْسًا [بِهِ] وَحَلَّتْني عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا أَنَا بَيْتٌ فَأَدْعِي وَاللهَ هَذَا الصَّوْتُ [لِي] ^(١)
وقد أخذته، أفتارك تقول : إنه لمتيم وأقول : إنه لي، فيؤخذ قولك ويترك قولي؟
فقال : لا والله ما أظن هذا ولا أراه؛ يا غلام، قد البرذون إلى منزل إسحاق، لا بارك
الله لك فيه ! .

(١٨)

- وحكى أن علي بن هشام مولاهما كلمها بشيء فاجابته جواباً لم يرضه، فدفع [يده] .
في صدرها، فغضبت ونهضت وتناقلت عن الخروج إليه . فكتب إليها :
فليت يدي بانث غداة مددتها * إليك ولم ترجع بكف وساعد
فإن يرجع الرحمن ما كان بيننا * فلست إلى يوم التنادي بعائد
قال : وصبت عليه مرة فتأدى عتبها، فترضاها فلم ترض، فكتب إليها : الإمداد
يدعو إلى الملل، ورب هجر دعا إلى صبر، وإنما سمي القلب قلباً لتقلبه؛ وقد صدق
عندي العباس بن الأحنف حيث يقول :

مَا أَرَانِي إِلَّا سَاهُجُ مَنْ لَيْسَ بِرَأْيِي أَقْوَى عَلَى الْمِجْرَانِ
مَلْنِي وَاتَّقَا بِحَسَنٍ وَفَانِي * مَا أَضَرَّ الْوَفَاءَ بِالْإِنْسَانِ ^(٢)

قال : نخرجت إليه من وقها ورضيت .

- وروى عن يحيى المكي قال : قال لي علي بن هشام : لما قَدِمْتُ جَدَّتِي شَاهِك
من ثُرَاسان، قالت : احرض جواريك علي، فعرضتهن عليها . ثم جلسنا على الشراب
وغتْنَا مَتِيمٌ، فأطالت جَدَّتِي الْجُلُوسَ، فلم أنبسط إلى جوارى كما كنت أفعل، فقلت
هذين البيتين :

أَنْتَقَى عَلَى هَذَا وَأَنْتَ قَرِيبَةٌ * وَقَدْ مَنَّ الزُّوَارُ بِعَصَ التَّكَلُّمِ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا سَلَامَ مُودَعٍ * وَلَكِنْ سَلَامٌ مِنْ حَبِيبٍ مَتِيمٍ

٢٠

(١) زيادة عن الأصل . (٢) في الأصل : * قد حداي إلى الجفاء وفاني *

وكتبت بهما في رقعة ورميتها إلى مريم؛ فأخذتها ونهضت لصلاة الظهر، ثم عادت وقد صنعت فيه لحناً فغنته . فقالت شامك : ما أرانا إلا قد ثقلنا عليك اليوم؛ وأمرت الجوارى فحملوا محفاتها، وأمرت للجوارى بجوائز ساوت بينهن، وأمرت مريم بمائة ألف درهم .

قال : ومرت مريم في نسوة وهي متخفية بقصر على بن هشام بعد أن قسله المأمون . فلما رأت بابه مغلقاً لا أنيس به وقد علاه التراب والغبرة وطرحته في أفنيتها المزابل وقفت عليه وتمثلت :

يَا مَتَرِلاً لَمْ تَبَلْ أَطْلَالَهُ * حَاشَى لِأَطْلَالِكَ أَنْ تَبَلَّ
لَمْ أَبْكْ أَطْلَالَكَ لِكُنِّي * بَكَيْتُ عَيْنِي فِيكَ إِذْ وَدَّيْ
قَدْ كَانَ نِي فِيكَ هَوًى مَرَّةً * غَيَّبَ التَّرْبَ وَمَا مُلَّا
فَصِرْتُ أَبْكِي بَعْدَهُ جَاهِداً * عِنْدَ آذْكَارِي حَيْثُ قَدْ حَلَّا
وَالْعَيْشُ أَوَّلَى مَا بَكَاهُ الْفَتَى * لَا بُدَّ لِلْحَزُونِ أَنْ يَسْلَى

قال : ثم بكيت حتى سقطت من قامتها ، وجعل النسوة يناشدنها [ويقُلْنَ^(١)] :
الله الله في نفسك ! فإنك الآن تؤخذين . فبعد لأيي ما أَحْتِمَلْتُ تَهَادِي بَيْنَ أَمْرَاتَيْنِ
حتى جاوزت الموضع .

وحكي عنها قالت : بعث إلى المعتصم بعد قدومه بغداد؛ فلما دخلت أمر بالعود فوضع في حجرى ، وأمرنى بالغناء فغنتُ :

هَلْ مُسْعِدٌ لِبَكَائِي * بِمَسِيرَةٍ أَوْ دِمَاءٍ
وَذَاكَ شَيْءٌ قَلِيلٌ * لِسَادَتِي التَّجْبَاءِ

(١) في الأغاني : « نصرت أبكى جاهداه » .

(٢) زيادة عن « الأغاني » .

— وهذا الشعر لمراد جارية علي بن هشام ترثيه — فقال : اعديل عن هذا الصوت ؛
ففتيت :

* ذهب عن الدنيا وقد ذهب عني *

فدمعت عيناه وقال : عني غير هذا ؛ ففتيت :

أولئك قومي بعد عز وثروة ^(١) * تفانوا فإلا تدري العين أكيد

فبكى بكاء شديدا ، ثم قال : ويحك ! لا تقني في هذا المعنى شيئا . ففتيت :

لا تأمن الموت في حل وفي حریم * إنا المنايا يجني كل إنسان ^(٢)

وأسلك طريقك هونا غير مكترث * فسوف يأتني لك ألماني

فقال : والله إني لأعلم أنك إنما أردت بما فتيت ما في قلبك لصاحبك [وأنك]

لم تريدني ، ولو أعلم أنك تريدني لقتلتك ، ولكن خذوها ! فأخذوا بيدي فأخرجت .

وهذه ميم هي التي كان يوهاها صبد الصمد بن المعتدل ، وأطلق ذلك قبل اتصالها

❧

بعلي بن هشام ، وهي إذ ذاك عند رجل من وجوه البصرة .

قال : وكانت لا تخرج إلا متقبة . فحكى المبرد وغيره : أنها قدمت يوما إلى

أبن عبيد الله بن الحسين المنبري القاضي ، فأحتاج إلى أن يشهد عليها ، فأمر بها

أن تسفر ففعلت . فقيل لعبد الصمد : لو رأيت ميم وقد أسفرها القاضي لرأيت

شيئا عجيبا ! فقال :

ولما سرت عنها القناع ^{روى} ميم * تروح منها المنبري متيا

رأى أبن عبيد الله وهو محكم ^{روى} * عليها لها حرقا عليه محكما

(١) في الأغانى : « ومنعة » .

(٢) في الأغانى : « تنشى » .

وكان قديماً كالح الوجه عابساً * فلما رأى منها السفور بَسَمًا
فإن يَصْبُ قلبُ العنبري فقبله * صبا باليتامى قلبُ يحيى بن أكتما
فبلغ قوله يحيى بن أكتم ، فكتب إليه : عليك لعنة الله ! أى شئ أردت مني
حتى أتاني شرك من البصرة ! فقال لرسوله : قل له : متم أقعدتك على طريق القافية .

• ذكر أخبار ساجي جارية عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

قال أبو الفرج : كانت ساجي إحدى المحسنات المبرزات المتقدمات ، وهي
تخرج مولاه عبيد الله ، وكان مهما صنع من الغناء نسبه إليها ، وكان قد بلغ من
ذلك الغاية ، ولكنه كان يترفع عن ذكره ويكره أن ينسب إليه .

حكى أبو الفرج عن أحمد بن جعفر بحظلة قال : كتب المعتضد إلى عبيد الله
ابن عبد الله ^(١) بقم أن يأمر جاريته ساجي بزيارته ففعل . قال بحظلة : فحدثني
من حضر ذلك المجلس من المغنيات قالت : دخلت علينا وما فينا إلا من ترفل
في الحلي والحلل وهي في أثواب ليست كأثوابنا فأحقرناها ، فلما غنت أحقرنا
أنفسنا ، ولم تزل تلك حالنا حتى صارت في أعيننا كالجليل وصيرنا كلاً شئ . ولما
أنصرفت أمر لها المعتضد بمال وكسوة . ودخلت إلى مولاهما فجعل يسألها عن
خبرها وما رأت مما استظرفت وسمعت وأستغربت ، فقالت : ما استحسنْتُ
هناك شيئاً ولا استغربته من غناء ولا غيره إلا عوداً من عود محفوراً فإني استظرفته .
قال بحظلة : فما قولك فيمن تدخل إلى دار الخليفة ولا تمتد عينها إلى شئ تستظرفه
وتستحسنه إلا عوداً !

قالوا : وكان المعتضد إذا استحسن شيئاً بعث به إلى ساجى فتقضى فيه . وكانت صنعتها في عصره تُسمى غناء الدار . وماتت ساجى في حياة مولاهما وكان وليلاً ، فرثاها بيتين فقال :

يَمِينًا يَمِينًا لَوْ لُبْتُ بِقَفِيدِهَا * وَبِ نَبْضِ عِرْقِ الْحَيَاةِ وَاللُّنْكِسِ
لَأَوْشَكْتُ قَتْلَ النَّفْسِ قَبْلَ فِرَاقِهَا * وَلَكِنهَا مَاتَتْ وَقَدْ ذَهَبَتْ نَفْسِي

ذكر أخبار دُقاق

قال أبو الفرج : كانت دُقاق مَغْنِيَّةً مَحْسَنَةً مُتَقِنَةً الأداء والصنعة جميلة الوجه . أخذت الغناء عن أكابر مغنى الدولة العباسية . وكانت ليحيى بن الربيع ، فولدت له ابنه أحمد . ومات يحيى فترُوجت بعده بعدة من القواد والكتاب لما توارثهم ، ثم أقطعت إلى حمْدُونَةَ بنت الرشيد ثم إلى غَضِيض . وكانت مشهورة بالطرف والمجون .

قال هبة الله بن إبراهيم بن المهدي : وكانت تُواصل جماعة كانوا يميلون إليها وتُرى كل واحد منهم أنها تهواه . وكانت أحسن أهل عصرها وجهًا وأشامهم على من تزوجها أو رابطها . فقال فيها إبراهيم بن المهدي :

عِدْمَتِكَ يَا صَدِيقَةَ كُلِّ خَلْقِي * أَكُلُّ النَّاسِ وَيَحْكُ تَشْقِينَا
وكيف إذا خَلَطَتِ الْفَتَّ مِنْهُمْ * يَلْحَمُ سَمِينِهِمْ لَا تَبْشَمِينَا

قال أبو هفان : خرج يحيى بن الربيع إلى بعض النواحي وترك جاريته دُقاق في داره ؛ فعملت [بعده^(١)] الأوابد . فقال موسى^(٢) الأعشى [فيه^(١)] :

(١) زيادة عن الأغاني .

(٢) في الأغاني : « أبو موسى » .

قل ليحيي نعم صبرت على المرو * ت ولم تحش ريب سهم المتون
كيف قل لي أطلقت ويحك يا يحيى * بي على الضعف منك حمل القرون
يشير بقوله : « سهم ريب المتون » إلى شؤمها .

ذكر أخبار قلم الصالحية

قال أبو الفرج الأصفهاني : كانت قلم الصالحية مؤلدة صفراء حلوة حسنة الغناء
والضرب حاذقة ، قد أخذت عن إبراهيم وأبنة إسحاق ويحيى المكي وزبير بن دحمان .
وكانت لصالح بن عبد الوهاب [أخى أحمد بن عبد الوهاب ^(١)] كاتب صالح بن
الرشيد ، وقيل : بل كانت لابنه . قال : وكانت لها صنعة يسيرة نحو عشرين صوتاً ،
فاشتراها الواقى بعشرة آلاف دينار .

قال أحمد بن الحسين بن هشام : كانت قلم إحدى المغنيات المحسنات المتقدمات ،
ففتى بين يدي الواقى لحن لها في شعر محمد بن كفاة ، وهو :

في آقباض وحشمة فإذا * صادفت أهل الوفاء والكرم
أرسلت نفسي على بحيتيها * وقلت ما قلت غير محتميم

فسأل : لمن الصنعة ؟ فقيل : لقلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب . فبعث
إلى محمد بن عبد الملك الزيات فأحضره وسأله : من صاحب بن عبد الوهاب ؟ فأخبره .
قال : وأين هو ؟ قال : ببغداد . قال : ابعت وأخصمه ويحضر معك جاريته قلم .
فكتب في إشخاصهما ، فقيدا على الواقى ، فدخلت عليه ، فأمرها بالجلوس والغناء ،
فغنت فاستحسن غناها وأمر بآبئاعها . فقال صالح : أبيعها بمائة ألف دينار وولاية
مصر . فغضب الواقى من ذلك وردّها إليه . ثم غنى بعد ذلك زرزور الكبير في مجلس

(١) زيادة عن الأغاني . (٢) في الأغاني « لأبي » .

اوثق بسعير ابتداء فيه لها ، فقال الواثق : لمن هذا الغناء ؟ فقال : لقلم الصالحية ؛
 من ابن الزيات باثخاصها ففعل ، فدخلت على الواثق فأمرها بالغناء ، فعنته
 صرنا ناعجبه غناؤها ، وبعث الى صالح فأحصره وقال له : لاني قد رغبته
 في هذه جارية فاستم في ثمنها سوياً يجوز أن تعطاه . فقال : أما إذ وقعت الرغبة فيها
 ، ثم المؤمنين قد يجوز أن أملك شيئاً له فيه رغبة ، وقد أهديتها الى أمير المؤمنين ،
 ذلك من حقه من إذا تاهت في قضائه أن أصيرها ملكه ، فبارك الله له فيها . فقال
 لواء . عند قلبها ، وأمر ابن الزيات أن يدفع اليه خمسة آلاف دينار ، وسمها اعتباراً .
 فلم يعطه ابن الزيات المال ومطله به ؛ فوجه الى قلم من أعلمها بذلك ؛ فغنت الواثق
 صوتاً وقد أصطحب ؛ فقال لها : بارك الله بك وفيمن ربك . فقالت : يا سيدي
 وما نفع من رباني مني إلا التعب والفقر والخروج مني صغيراً ! فقال : أولم تأمره
 بخمسة آلاف دينار ؟ قالت : بلى ! ولكن ابن الزيات لم يعطه شيئاً . فدعا بخادم من
 حاصصة الخدم ووقع الى ابن الزيات بجمل خمسة آلاف الدينار اليه وبخمسة آلاف
 أخرى معها . قال صالح : فصرته مع الخادم اليه فقرجى وقال : إنما خمسة الآلاف
 الأولى فقد حصرت ، وخمسة الآلاف الأخرى أنا أدفعها اليك بعد جمعة . قال :
 ففعلت ، ثم تأساني كأنه لم يعرفني . فكتبت اليه اقتضيه ؛ فبعث لي : أكتب لي
 قبضاً بها وخذها بعد جمعة . فكريهت أن أكتب اليه قبضاً فلا يحصل لي شيء .
 قال : فاستترت في منزل صديق لي . فلما بلغه أستتاري خاف أن أشكوه الى
 الواثق ، فبعث لي بالمال وأحد كتابي بالقبض . قال : فابتعت بالمال صبيمة
 وتعلقت بها وجعلتها معاشي ، وقعدت عن عمل السلطان ، فما تعرضت لشيء
 بعدها .

إذا دعت بالعود في مشهد * وطوت يميني يديها الشمال

غنت غناء يستفز الفتي * حدقا وزان الحدق منها الدلال

قال : وهوى محمد بن عيسى الجعفرى بصبع فهام بها وطال ذلك عليه ؛

فقال لصديق له : قد شغلني هذه عن صنعي وكلّ أمري ، وقد وجدت مس

السوء عنها ، فأذهب بنا إليها حتى أكشفها ذلك وأستريح . فأتياها ؛ فلما غتهما

قال لما محمد بن عيسى : أفتين :

وكنتم أجكم فسلوت عنكم * عليكم في دياركم السلام

ف قالت : لا ، ولكني أغنى :

تمحّل أهلها عنها فبانوا * على آثار من ذهب العفاء

قال : فاستعيا وأزادها كلفا ولما عشقا فاطرق ساعة ثم قال لها : أفتين :

وأخضع بالعتي إذا كنت مدنيا * وإن أذبت كنت الذى أنتصل

قالت : نعم ، وأغنى أحسن منه :

فإن تقبلوا بالود تقبل بمثله * ونزلكم منا بأقرب منزل

فقاطعا في بيتين وتواصلا في بيتين ، وما شعر بهما أحد .

قال : وحضر أبو السائب المخزومي مجلّسا فيه بصبع ، فغنت :

قلبي حيس عليك موقوف * والعين عبرى والدمع مذروف

والنفس في حصرة بضمتها * قد شفت أرجامها التساوي

إن كنت بالحسن قد وصفت لنا * فأتني بالهوى لموصوف

يا حمرتا حصرة أموت بها * إن لم يكن لي إليك معروف

قال : فطرب أبو السائب وتعر وقال : لا عارف الله من لا يعرف لك

معروفك ، ثم أخذ قناعها عن رأسها ووضعها على رأسه وجعل يبكي ويلطم ويقول

لها : بأبي أنت ! والله إني لأرجو أن تكوّن عند الله أفضل من الشهداء ليأثروا
من السرور، وجعل يصيح : وا غوثاه ! يا لله ما يليق العاشقون ! .

وقال عثمان بن محمد اللّيثي : كنت يوماً في منزل ابن نفيس ، فخرجت إلينا جاريته
بعبص ، وكان في القوم قتي يحبها ، فسأله حاجة فقام ليأتيها بها ، فليسى أن يلبس
نعله ومضى حافياً . فقالت له : يا فلان ، نسيت نعلك ؛ فرجع فلبسها وقال : أنا والله
كما قال الأول :

وَحُبُّكَ يُنْسِينِي عَنِ الشَّيْءِ فِي يَدِي * وَيَسْغُلُنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحَاوِلُهُ
فاجابته فقالت :

وَبِي مِثْلُ مَا تَسْكُوهُ مِنِّي وَإِنِّي . لِأَشْفِقَ مِنْ حُبِّ لَذَاكَ تُرَاوِلُهُ

ذكر أخبار جوارى ابن رامين

وهن سلامة الزرقاء ، وريجة ، وسعدة

قال أبو الفرج : وابن رامين هو عبد الملك بن رامين مولى عبد الملك بن بشر
ابن مروان . وكان له جوارٍ مغنّيات مُحَرِّرات ، وهن سلامة الزرقاء ، وريجة ،
وسعدة . وفيهنّ بقول إسماعيل بن عمار قصيدته التي أولها :

هَلْ مِنْ شِفَاءٍ لِقَلْبٍ لَجَّ بِحَزُونٍ * صَبَا وَصَبَّ إِلَى رَمِّ ابْنِ رَامِينَ
إِلَى رِيحَةٍ إِنَّ اللَّهَ قَضَاهَا . بِخُسْنِهَا وَمِمَّا عَذَى أَمَانِينَ
نَمَّ شِفَاءُكَ مِنْهَا أَنْ تَقُولَ ذَا * تَمَيَّلْنِي يَوْمَ دِيرِ اللَّسَجِ فَأَحِينِي
أَنْتِ الطَّيِّبُ لِدَاءٍ قَدْ تَلَبَّسَ بِهِ . مِنَ الْحَوَى فَأَنْفِي فِيِّي وَارْقِنِي
فَقَسِي نَابِ الْكَمِّ إِلَّا طَوَاعِيَسَةً * وَانْتَ تَحْمِيْنُ أَتَقَا أَنْ تُطْعِمَنِي

ومنها :

لم أنس سَعْدَةَ والزَّرْقَاءَ يَوْمَهُمَا * باللَّحِّ شَرِيفِهِ فوق الدكاكين
يُغْنِيَانِ أَبْنَ رَامِينَ صُحَّاهُمَا * بِالْمُسَجَّحِيِّ وَتَشْيِيبِ الْحَبِينِ
فَا دَعَوْتَ بِهِ فِي عَيْشٍ مَمْلُوكَةٍ * وَلَمْ نَعِشْ يَوْمَنَا عَيْشَ الْمَسَاكِينِ

وهي أبيات طويلة، وله فيها غيرها .

قال : وأشتري جعفر بن سليمان بن عليّ سلامة الزرقاء بمائتين ألف درهم ؛
وقيل : إنه اشترى ربيعة بمائة ألف درهم ، والأول أصح . وقيل : إن الذي أشتري
ربيعة محمد بن سليمان ، وأشتري صالح بن عليّ سَعْدَةَ بتسعين ألف درهم . وقيل :
أشتري مَعْنُ بن زائدة إحداهن . قال : وكانت سلامة الزرقاء عاقلة شَكِلَةً . قال :
ولمّا أشتراها جعفر ومضت لها مئة عنده ، سألتها يوماً : هل ظفّر منك أحدٌ فقط
١٠ ممن كان يهواك بخُلَّةٍ أو قُبْلَةٍ ؟ فخشيت أن يبلغه شيء كانت فعلته بحضرة جماعة
أو يكون قد بلغه شيء ، فقالت : لا والله إلا يزيد بن عَوْنِ العبادي الصيرفي ،
فإنه قبلي قُبْلَةً وقذف في قُبْلَةٍ بئسها بثلاثين ألف درهم . فلم يزل جعفر بن
سليمان يحال له حتى وقع به فضر به بالسَّياط حتى مات .

وقد روى أبو الفرج الأصفهاني في خبر يزيد بن عون هذا بسند رفعه إلى
١٥ عبد الرحمن بن مقرون أنه أجمع هو وروح بن حاتم عند ابن رامين ، وأن الزرقاء
خرجت طلبهم في إزارٍ ورداء [قَهْوِينَ^(١)] مُورَدِينَ ، كأَنَّ الشَّمْسَ طَالَعَهُ بَيْنَ رَأْسِهَا
وَكُمُهَا . قال : ففتنا ساعة ؛ ثم جاء الخادم الذي كان يَأْتِيْهَا - وكان الإذنُ عليها
دون مولاتها - فقام على الباب وهي تغني ، حتى إذا طلعت الغناء نظرت إليه فقالت :
مَهْ ! قال : يزيد بن عَوْنِ العبادي الصيرفي الملقب بالمجان على الباب . قالت :
٢٠

(١) زيادة من الأغانى .

انئذ له . فلما استقبلها طفر ثم ألقى بين يديها ، فوجدت والله له ، ورأيت أن ذلك ،
وتنوقت تنوقا خلافاً لما كانت تفعل بنا . فادخل يده في ثوبه فأنخرج للؤلؤتين فقال :
انظري بازرقاء ، جعلت فداك ! ثم حلف أنه تقد فيهما بالأمس أربعين ألف درهم .
قالت : فما أصنع بك ؟ قال : أردت أن تلعبي . ففنت صوتاً ثم قالت : يا ماجن
هيهما لي ! قال : إن شئت والله فعلت . قالت : قد شئت . قال : فاليمن التي
حلفت بها لازمة [١] إن أخذتهما إلا بشفتيك من شفتي . فقال ابن رامين للأفلام :
ضع لي ماءً ثم خرج عنا ، فقالت : هاتهما . فثنى على ركبتيه وكفيه وهما بين شفتيه
وقال : هالك ؛ فلما ذهبتنا جعل يصد عنها يميناً وشمالاً ليستكثر منها ، فغمزت
جارية على رأسها ، فخرجت كأنها تريد حاجة ثم عطفت عليه ؛ فلما دنا وذهب
ليروغ دفعت منكبيه وأمسكتهما حتى أخذت الزرقاء اللؤلؤتين بشفتيها من فمه ورتخ
جبينها عرفاً حياءً ما . ثم تجلث علينا فأقبلت عليه وقالت : المغبون في آسته عود .
فقال : فاما أما فلا أبالي ، والله لا يزال طيب هذه الرائحة في أنفي وفي ما حبيت .
قال : وأجتمع عند ابن رامين معن بن زائدة وروح بن حاتم وابن المقفع . فلما
فتت الزرقاء وسعدت بعث معن بغى ببيدرة فصبتها بين يديها ، وبعث روح بغى
ببيدرة فصبتها بين يديه . ولم تكن عند ابن المقفع دراهم ، فبعث بغاء بصك ضيعة ،
رمال : هذه حمدة نبيتي حنينا ، فاما الدراهم فما عندي منها شيء . وشريت زرقاء
دواء داهي دسامة المقفع ألف دراجة .

وعن إسحاق بن إبراهيم قال . كان روح بن حاتم من المهلب كثير الغشيان لمزل
ابن رامين . رأته في الزرقاء ، وكان محمد بن حميل يهرأها وتهواه ؛ فقال لها :

(١) تروى في الأصل : ألقى به . (٢) زيادة عن الأصل .
(٣) هكذا في الأصل . وفي الأصل : عليه . (٤) جوع من العيور .

إِنَّ رَوْحَ بَنِ حَاتِمٍ قَدْ ثَقُلَ عَلَيْنَا . قَالَتْ : فَا أَصْبَحْ وَقَدْ غَمَّرَ مَوْلَايَ بِرُوحِهِ ! قَالَ :
 احْتَاطِي لَهُ . فَبَاتَ عِنْدَهُمْ رَوْحُ لَيْلَةٍ ، فَأَخَذَتْ سِرَاوِيلَهُ وَهُوَ نَائِمٌ فَغَسَلَتْهُ . فَلَمَّا أَصْبَحَ
 سَأَلَ عَنْهُ ، فَقَالَتْ : غَسَلْنَاهُ . فَظَنَّ أَنَّهُ أَحْدَثَ فِيهِ فَأَحْتِجَ إِلَى غَسْلِهِ فَأَسْعَحِيَا مِنْ
 ذَلِكَ فَانْقَطَعَ عَنْهُمَا ، وَخَلَا وَجْهُمَا لِابْنِ جَمِيلٍ .

• ذكر أخبار عَنَانَ جارية الناطقي

قال أبو الفرج الأصفهاني : كانت عِنَانُ مَوْلَدَةً مِنْ مَوْلَدَاتِ الْإِمَامَةِ ، وَبِهَا
 نِسَاءُ وَتَأَذَّبَتْ ، وَاشْتَرَاهَا النَّاطِقِيُّ وَرَبَّاهَا . وَكَانَتْ صَفْرَاءَ بَحِيلَةٍ الْوَجْهِ شَكْلَةً مَلِيحَةً
 الْأَدِيبِ وَالشَّعْرِ سَرِيعَةِ الْيَدِيسَةِ ، وَكَانَ غَوْلُ الشَّعْرَاءِ يُسَاجِلُونَهَا وَيُعَارِضُونَهَا فَتَنْتَصِفُ
 مِنْهُمْ . وَلَهَا مَعَ أَبِي نُوَّاسٍ الْحَسَنِ بْنِ هَانٍ وَغَيْرِهِ مِنَ الشَّعْرَاءِ وَالْفَضْلَاءِ مَعَايَاةٌ
 وَمُرَاجَعَاتٌ ، نَذَرَ مِنْهَا طَرَفًا .

قال أبو حَبَشٍ : قَالَ لِي النَّاطِقِيُّ : لَوْ جِئْتَ إِلَى عِنَانَ فَطَارَحْتُهَا ! فَعَزَمْتُ
 عَلَى الْقُدُوءِ إِلَيْهَا ، وَبِثُّ لَيْلَى أَحْوَكُ بَيْتَيْنِ ، ثُمَّ غَدَوْتُ عَلَيْهَا فَأَنْشَدْتُهَا :

أَحَبُّ الْمِلَاحِ الْبَيْضُ قَلْبِي وَرُبَّمَا * أَحَبُّ الْمِلَاحِ الصُّفْرُومِنْ وَلَدِ الْحَبَشِ
 بَكِيٍّ عَلَى صَفْرَاءٍ مِنْهُمْ مَرَّةً * بَكَاءَ أَصَابَ الْعَيْنَ مَنَى بِالْأَدَمِ

فَقَالَتْ بِحَنٍّ :

كَيْتُ ضَمِيهَا إِنَّ قَلْبِي يُجِبُّهَا * وَإِنَّ فُرَادَى كَالْجَنَاحَيْنِ دَوْرَعَشِ
 تَعْنِيْتَنَا بِالشَّعْرِ لَمَّا أَتَيْتَنَا * فَدُونَكَ خُذْهُ مُحْكَمًا يَا أَبَا حَبَشِ

وَقَالَ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ : لَقِيتُ النَّاطِقِيَّ فَدَعَانِي إِلَى عِنَانَ ، فَانْطَلَقْتُ

مَعَهُ . فَدَخَلَ إِلَيْهَا قَبْلَ فَقَالَ : جِئْتُكَ بِأَشْعَرِ النَّاسِ مَرْوَانَ . أ . مَعْصَا : ١٠٠

عليلة فقالت : إني عن مروان لفي شغل . فاهوى إليها بسوط فصرها ، وقال لي :
أدخل ؛ فدخلت وهي تبكي ، فرأيت الدموع تنحدر من عينيها ؛ فقلت :
نَكَتْ عَنَّا بَغْرِي دَمْعُهَا * كَالَّذِ إِذِ يَسْقِي مِنْ خَيْطِهِ
فَقَالَتْ مُسِيرَةً :

فَلَيْتَ مَنْ يَضْرِبُهَا ظَالِمًا * تَيْسُ يُمْنَاهُ عَلَى سَوَاطِلِهِ
قال مروان : فقلت : أَعْتَقَ مَا أَمْلَكَ إِنْ كَانَ فِي الْحَقِّ وَالْإِنْسِ أَشْعَرُ مِنْهَا .
وقال أحمد بن مُعَاوِيَةَ قَالَ لِي رَجُلٌ : تَصَفَّحْتُ كُتُبًا فَوَجَدْتُ فِيهَا بَيْتًا
جَهَدْتُ جَهْدِي أَنْ أَجِدَ مِنْ يُحْيِيهِ فَلَمْ أَجِدْ . فَقَالَ لِي صَدِيقِي لِي : عَلَيْكَ بِعَنَانَ
جَارِيَةِ النَّاطِقِي ؛ فَاتَيْتَهَا فَأَنْشَدْتَهَا الْبَيْتَ وَهُوَ :

وَمَا زَالَ يَشْكُو الْحَبَّ حَتَّى رَأَيْتُهُ * تَنْفَسُ مِنْ أَحْشَائِهِ وَتَكَلَّمَا
فَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ قَالَتْ :

وَيَسْكِي فَايْكِي رَحْمَةً لِبَكَائِهِ ، * إِذَا مَا بَكَى دَمْعًا بِكَتُّهُ لَهُ دِمَا
وقال موسى بن عبد الله التميمي : دخل أبو نُوَاسٍ عَلَى النَّاطِقِي وَعِنَانُ جَالِسَةٌ
تَبْكِي ، وَقَدْ كَانَ النَّاطِقِي ضَرْبَهَا ، فَأَوْمَأَ إِلَى أَبِي نُوَاسٍ أَنْ حَرِّكْهَا بَشِيءًا ؛ فَقَالَ
أَبُو نُوَاسٍ :

يَمَانُ لَوْ حَدَّثْتَ لِي فَأَتَى مِنْ * عُثَيْرِي فِي (أَمْنِ الرَّسُولِ يَمَا)
فَقَالَتْ :

إِنَّا تَمَادَى وَلَا تَمَادَيْتَ فِي * قَطْعِكَ حَبْلِ أَكُنْ كَمَنْ خَتَمَا
فَقَالَ أَبُو نُوَاسٍ :

تَلَفَّتْ مَنْ لَوْ أَتَى عَلَى أَفْسَرِ الْ * حَاضِينَ وَالضَّابِرِينَ مَا يَدِمَا

(١) - ١١١ - . اقتباس هذه الآية ، روى قبل آخر سورة الفرة ، أن يدل على أنه في آخر مرحلة
مرحيا ، وهو يوم مر حمره ، لا بتدار ما تقع هذه الآية من السورة المذكورة .

فقلت :

لو نَظَرْتُ عَيْنَهَا إِلَى حَجَرٍ * وَلَدَ فِيهِ قُوْرُهَا سَقَمًا

وقال أبو جعفر النعماني : كان العباس بن الأخنَف يهوى عَيْنَ جارية الناطلي .

بِفَاءِ نِي يَوْمًا فَقَالَ لِي : اِمِضْ بِنَا إِلَى عَيْنَان . فِصْرْنَا إِلَيْهَا ، فَرَأَيْنَاهَا كَالْمُهَاجِرَةِ لَهُ ؛ فَبَلَسْنَا

قَلِيلًا ؛ ثُمَّ أَتَبَدَأَ الْعَبَّاسُ فَقَالَ :

قَالَ عَبَّاسٌ وَقَدْ أُجِدَّ * حِدَدٌ مِنْ وَجَدٍ شَدِيدٍ

لَيْسَ لِي صَبْرٌ عَلَى الْمَجْدِ * بَرٍّ وَلَا لَذَعُ الصُّدُودِ

لَا وَلَا يَصْبِرُ لِلْهَجْدِ * بَرٍّ فَوَادٌ مِنْ حَدِيدٍ

فَقَالَ عَيْنَان :

مَنْ تَرَاهُ كَانَ أَغْنَى * مِنْكَ عَنْ هَذَا الصُّدُودِ

بَعْدَ وَصَلِيٍّ لَكَ مِنِّي * فِيهِ إِرْقَامُ الْحَسُودِ !

فَأَتَّخِذْ لِلْهَجْرِ إِنْ شُدَّ * سَتَ فَوَادًا مِنْ حَدِيدٍ

مَا رَأَيْتُكَ عَلَى مَا * كُنْتَ تَجْنِي بِمَجْلِدِ

فَقَالَ عَبَّاسُ :

لَوْ تَجُودِي بِنَ لَصَبَّ * رَاحَ ذَا وَجَدٍ شَدِيدِ

وَأَنْتِ جَهْلٌ بِمَا قَدْ * كَانَ يَجْنِي بِالصُّدُودِ

لَيْسَ مَنْ أَحْدَثَ هَجْرًا * لِصَدِيقِي بِسَدِيدِ

لَيْسَ مِنْهُ الْمَوْتُ إِنْ لَمْ * يَصْلِيهِ بِسَيْدِ

قال : قُتِلَ لِلْعَبَّاسِ : وَيْحَكَ ! مَا هَذَا الْأَمْرُ ؟ قَالَ : أَنَا جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِي

بِتَأْيِيْسِي عَلَيْهَا . فَلَمْ أَبْرَحْ حَتَّى تَرْضَيْتَهَا لَهُ .

٢٠

وقال الأصمعي : بعثت إلى أم جعفر أئمة أمير المؤمنين قد هُجِعَ بِذِكْرِ هَذِهِ

الْجَارِيَةِ عَيْنَان ، فَإِنَّ صَرَخَتْ عَنْهَا فَكَانَ حَكْمُكَ . قَالَ : فَكُنْتُ أَرْجُو لِأَنْ أَجِدَ لِلْقَوْلِ

فيها موضعاً فلا أجده ولا أقدم عليه هبة له ؛ إذ دخلت يوماً فرايت في وجهه أثر الغضب فأنزلت . فقال : مالك يا أحمى ؟ قلت : رأيت في وجه أمير المؤمنين أثر الغضب ، فمن الله من أغضبه ! فقال : هذا الناطق ، والله لولا أني لم أجز في حكمي قط متعمداً لجلت على كل جبل منه قطعة ! ومالي في جاريته من أرب غير الشعر . قال الأحمى : فذكرت رسالة أم جعفر قتل : أجل ، والله ما فيها غير الشعر ، أفسر أمير المؤمنين أن يحامع الفرزدق ! فضحك حتى استلقى . وأتصل قولي بأم جعفر فأجزلت لي الجائزة .

وقال يعقوب بن إبراهيم : طلب الرشيد من الناطق جاريته ، فأبى أن يبيعها بأقل من مائة ألف دينار . فقال الرشيد : أعطيك مائة ألف دينار على أن تأخذ الدينار بسبعة دراهم ، فأمتنع عليه ، فأمر أن تحمل إليه . فذكروا أنها دخلت تجلسه في هبتها ؛ فقال لها الرشيد ويلك ! إن هذا قد آتصاص على في أمرك . فقالت : ما متنع أن توفيه وترضيه ؟ فقال : ليس يقتع بما أعطيه ، وأمرها بالانصراف . فتصدق الناطق حين رجعت إليه بثلاثين ألف درهم . فلم تزل في قلب الرشيد حتى مات مولاهما . فلما مات بعث الرشيد مسروراً الخادم ، فأخرجها إلى باب الكوخ وأقامها على سرير وعليها رداءً سيندي قد جلأها ، فودى عليها فيمن يزيد بسد أن شاور الفقهاء فيها ، فقالوا : هذه كيد رطبة وصل الرجل دين ، فأشاروا ببيعها . وكانت تقول وهي على المصطبة : أهان الله من أهانت وأرذل من أرذلني ! فوكرها مسرور بيده . وبلغ بها مسرور مائتي ألف درهم ، فجاء رجل فقال : على زيادة خمسة وعشرين ألف درهم ، فوكرها مسرور وقال : أتريد على أسير المؤمنين ! فبلغ بها مائتين وخمسين ألف درهم وأخذ مالها . قال : ولم يكن فيها عيب يعاب ، فظلموا

لها عينا لا تُصيبها العين، فأوقعوا بِمُخْتَصِرِ رِجْلِهَا فِي ظُفْرِهِ شَيْئًا . قَالَ : وَأَوْلَدَهَا الرَّجُلُ
الَّذِي اشْتَرَاهَا وَلَدَيْنِ ، ثُمَّ نَجَّاهَا إِلَى ثَرَّاسَانَ فَتَاتَ هُنَاكَ وَمَاتَ بَعْدَهُ .

ذِكْرُ أَخْبَارِ شَارِيَةِ جَارِيَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : كَانَتْ شَارِيَةُ مَوْلُودَةً مِنْ مَوْلِدَاتِ الْبَصْرَةِ . يُقَالُ : إِنَّ أَبَاهَا
كَانَ مِنْ بَنِي سَامَةَ بْنِ لُؤْيٍ الْمَعْرُوفِينَ بِبَنِي نَاجِيَةٍ ، وَإِنَّهُ مَجْدُهَا . وَكَانَتْ أُمُّهَا أُمَّةٌ ،
فَدَخَلَتْ فِي الرِّقِّ . وَقِيلَ : إِنَّ أُمُّهَا كَانَتْ تَدَّعِي أَنَّهَا بِنْتُ مُحَمَّدَ بْنِ زَيْدٍ مِنْ بَنِي سَامَةَ
ابْنِ لُؤْيٍ ، وَقِيلَ : إِنَّهَا كَانَتْ تَدَّعِي أَنَّهَا مِنْ بَنِي زُهْرَةَ ، وَقِيلَ : بَلْ مُرِقَتْ فَبِيعَتْ ،
فَاشْتَرَاهَا أَمْرَأَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَأَدْبَتَهَا وَعَلَّمَتَهَا الْغَنَاءَ ، ثُمَّ اشْتَرَاهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ ،
فَأَخَذَتْ عَنْهُ غَنَاءَهُ كُلَّهُ أَوْ أَكْثَرَهُ . وَبِذَلِكَ يَحْتَجُّ مَنْ يُقَدِّمُهَا عَلَى عَرِيبٍ وَيَقُولُ :
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ نَحْبَهَا ، وَكَانَ يَأْخُذُهَا بِصَحَّةِ الْأَدَاءِ لِنَفْسِهِ وَبِمَعْرِفَةٍ مَا يَأْخُذُهَا بِهِ ؛
وَلَمْ تَلْقَ عَرِيبَ ذَلِكَ ، لِأَنَّ الْمَوَاكِبَ لَمْ يَكُنْ يُقَارِبُ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعِلْمِ وَلَا يُقَاسُ بِهِ
فِي بَعْضِهِ فَضْلًا عَنْ سَائِرِهِ .

قَالَ : وَلَمَّا عَرَّضَتْهَا مَوْلَاتُهَا الْمَاشِيَّةُ لِلْبَيْعِ بِيَفْسَادِ عُرِضَتْ عَلَى إِسْحَاقَ بْنِ
إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ فَأَعْطَاهُ فِيهَا ثَلَاثَةَ دِينَارٍ ، ثُمَّ اسْتَغْلَاهَا بِذَلِكَ وَلَمْ يُرِدْهَا . وَبُخِيَ بِهَا إِلَى
إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ فَسَاوَمَ بِهَا ؛ فَقَالَتْ لَهُ مَوْلَاتُهَا : إِنَّ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ أَعْطَى بِهَا
ثَلَاثَةَ دِينَارٍ وَأَنْتِ أَحَقُّ بِهَا . فَقَالَ : زَنَوُا لَهَا مَا قَالَتْ فَوُزِنَ لَهَا . ثُمَّ دَعَا بِقِيَمَتِهِ
فَقَالَ : خُذِي هَذِهِ الْجَارِيَةَ وَلَا تُزَيِّنِيهَا سَنَةً ، وَقُولِي لِلْجَوَارِيِ يَطْرَحْنَ عَلَيْهَا . وَبِذَاكَ
بَعْدَ سَنَةٍ أُخْرِجَتْ إِلَيْهِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَسَمِعَ مِنْهَا ؛ فَارْسَلَ إِلَى إِسْحَاقَ : إِبْرَاهِيمُ ، دَلَا
أَنَّهُ أَرَاهُ لِيَأَيَّاهُ وَأَسْمِعَهُ غَنَاءَهَا ، وَقَالَ : هَذِهِ جَارِيَةُ تَبَاعٍ ، فَبِكِّمُ تَأْخُذُهَا لِنَفْسِهِ .
قَالَ إِسْحَاقُ : أَخَذْتُهَا بِثَلَاثَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَهِيَ رَخِيصَةٌ بِهَا . فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : أَتُرِيدُهَا ؟

قال لا . قال : هذه الجارية التي عرضتها الهاشمية بثلاثمائة دينار فلم قبلها . فيجب إصحاقي من حالها وما صارت إليه .

وقد حكى عن هبة الله بن إبراهيم بن المهدي أنها عرضت ببغداد على إبراهيم فأعجب بها إعجاباً كبيراً ، فلم يزل يعطيها حتى بلغت ثمانية آلاف درهم . قال : ولم يكن عند أبي درهم ولا دنانير ، فقال لي : ويحك ! قد والله أعجبتني هذه الجارية إعجاباً شديداً ، وليس عندنا شيء . فقلت له : بيع ماملكه حتى انصرف وتجمع ثمنها . فقال لي : [قد تذكرت في شيء] ، اذهب إلى علي بن هشام فأقرئه مني السلام ، وقل له : قد عرضت على جارية وقد أخذت بجماع قلبي ، وليس عندي شيء ، فأحب أن تقرضني عشرة آلاف درهم . فقلت : إن ثمنها ثمانية آلاف درهم ، فلم نكث على الرجل بعشرة آلاف درهم ! فقال : إذا اشتريتها بثمانية آلاف درهم فليس لنا بد من أن نكسوها ونقيم لها ما تحتاج إليه . قال : فصرت إلى علي بن هشام وأبلغته الرسالة ، فدعا بوكيل له وقال : ادفع إلى خادمه عشرين ألف درهم ، وقل له : أنا لا أصلك ، ولكن هي لك حلال في الدنيا والآخرة . قال : فصرت إلى أبي بالدرهم ، فلو طلعت عليه بالخلافة لم تكن تعدل عنده تلك الدراهم . قال : وكانت أمتها خبيثة ، وكانت كلما لم يعط إبراهيم آبتها ما تشتهي ذهبت إلى عبد الوهاب بن علي ، ودفعت إليه رقعة يؤصلها إلى المعتصم تسأله أن يأخذ آبتها من إبراهيم .

وحكى عن يوسف بن إبراهيم المصري صاحب إبراهيم بن المهدي أن إبراهيم وجه به إلى عبد الوهاب بن علي في حاجة كانت له . قال : فليتيه وانصرفت من عنده ، فلم أخرج من دهليز عبد الوهاب حتى استقبلني امرأة ، فلما نظرت في وجهي

- سرت وجهها، فأخبرني شاكراً أن المرأة أم شارية جارية إبراهيم. فبادرت إلى إبراهيم
وقلت له: إني رأيت أم شارية في دار عبد الوهاب، وهي من تعلم، وما يفجؤك
إلا جيلة قد أوقعتها. فقال لي: أشهدك أن جاري شارية صدقة على ميمونة بنت
إبراهيم بن المهدي، ثم أشهد أبنة هبة الله على مثل ما أشهدني، وأمرني بالركوب
إلى ابن أبي دواد وإحضار من قدر عليه من الشهود المعتدلين عنده؛ فاحضر أكثر
من عشرين شاهداً. وأمر بإخراج شارية فأخرجت. فقال لها: استري وجهك،
فخرجت من ذلك، فأعلمها أنها أمرها بذلك لخبر يريد لها ففعلت. فقال لها:
تسعى، فقالت: أنا أنتك. فقال لهم: تأملوا وجهها ففعلوا. ثم قال: فإني
أشهدكم أنها حرة لوجه الله تعالى، وأني قد تزوجتها وأصدقته عشرة آلاف درهم؛
ياشارية أرضيت؟ قالت: نعم ياسيدي، قد رضيت، والحمد لله تعالى على ما أنعم
به علي. فأمرها بالدخول، وأطعم الشهود وطيبهم وأنصرفوا. قال: فما أحسبهم
تجاوزوا دار ابن أبي دواد حتى دخل علينا عبد الوهاب بن علي، فأقرأ عمه
سلام المعتصم، ثم قال له: يقول لك أمير المؤمنين: من المفترض علي طاعتك
وصيانتك عن كل ما يسوءك، إذ كنت عمي وصينو أبي. وقد رفعت^(١) [أمرأة]
إلى قصة ذكرت فيها أن شارية أبتها، وأنها امرأة من قريش من بني زهرة،
وأحتجت بأنه لا تكون بنت امرأة من قريش أمة. فإن كانت هذه المرأة
صادقة في أن شارية بتها، وأنها من بني زهرة، فمن المحال أن تكون شارية أمة.
والأسبب بك والأصلح إخراج شارية من دارك وتفسيرها عند بني تميم، به من
أهلك، حتى يكشف عما كانت هذه المرأة. فإن ثبت ذلك أمرت من بعده؛
عنده بإطلاقها، وكان في ذلك الحظ لك في دينك ومررتك. وإن لم يصح ذلك

(١) الكلمة من الألف (ج ١٤ ص ١١٠ طبع بولاق).

أُعِيدَت الْخَارِيَةِ إِلَيْكَ وَقَدْ زَالَ عَنْكَ الْقَوْلُ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِكَ وَلَا يَحْسُنُ . فَقَالَ
 إِبْرَاهِيمُ : فَدَيْتِكَ ، هَبْ شَارِيَةَ بِنْتَ زَهْرَةَ بْنِ كَلَابٍ ، ^(١) أُنْشِرْ عَلَى [أَبْنِ] الْعَبَّاسِ بْنِ
 عَبْدِ الْمَطْلَبِ أَنْ يَكُونَ بَعْلًا لَهَا ! فَقَالَ عَبْدِ الْوَهَّابِ لَا . فَقَالَ : أُبَلِّغُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 — أَبَقَاءَ اللَّهِ — السَّلَامَ ، وَأَخْبِرُهُ أَنَّ شَارِيَةَ حُرَّةٌ ، وَأَنِّي قَدْ تَرَوَّجْتُهَا بِشَهَادَةِ جَمَاعَةٍ
 مِنَ الْعَدُولِ . وَقَدْ كَانَ الشُّهُودُ أَغْلَبُوا أَبْنَ أَبِي دَوَادٍ بِالْقَصَّةِ ، فَكَرَبَ إِلَى الْمُتَعَصِّمِ
 وَحَدَّثَهُ بِالْحَلِيثِ مُعْجِبًا لَهُ مِنْهُ ، فَقَالَ : ضَلَّ سَعْيُ عَبْدِ الْوَهَّابِ . ثُمَّ دَخَلَ عَبْدِ الْوَهَّابِ
 عَلَى الْمُتَعَصِّمِ . فَلَمَّا رَأَاهُ يَمْشِي فِي مَحْنِ الدَّارِ سَدَّ الْمُتَعَصِّمُ أَفْهَهُ وَقَالَ : يَا عَبْدَ الْوَهَّابِ ،
 أَنَا أَشْمُ رَائِحَةً صُوفٍ مُحْرَقٍ ، وَأَحْسِبُ عَمِي لَمْ يَقْتَعْ رَدُّكَ عَلَى أَذْنِكَ صَوْفَةً حَتَّى
 أَحْرِقَهَا ، فَشَمَمْتُ رَائِحَتَهَا مِنْكَ . فَقَالَ : الْأَمْرُ عَلَى مَا ظَنَّنُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَسْمِعْ .
 ١٠ قَالَ : ثُمَّ أَتْبَاعَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَنَتِهِ مِئْوَنَةَ شَارِيَةَ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَسَرَدَ ذَلِكَ عَنْهَا ؛
 فَكَانَ عَتَقَهُ لِمَا هِيَ فِي مَلِكٍ ضَرِيرٍ ، ثُمَّ أَتْبَاعَهَا مِنْ مِئْوَنَةِ لَحَلَّتْ لَهُ ، فَكَانَ يَطْلُوها
 بِمَلِكِ الْيَمِينِ وَهِيَ تُنَوِّمُ أَنَّهَا زَوْجَتُهُ . فَلَمَّا تَوَقَّيْ طَلِبَتْ شَارِيَةَ مِشَارَكَةَ أُمِّ مُحَمَّدِ بِنْتِ
 خَالِدِ زَوْجَةِ إِبْرَاهِيمَ فِي الثَّمَنِ ، فَظَهَرَتْ خَبْرَهَا ؛ فَأَمَرَ الْمُتَعَصِّمُ بِأَبْنَائِهَا مِنْ مِئْوَنَةِ
 بِخَمْسَةِ آلَافٍ وَخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ فَخَوَّلَتْ إِلَى دَارِهِ ، وَكَانَتْ فِي مِلْكِهِ حَتَّى تَوَقَّي . وَقَالَ
 ١٥ ابْنُ الْمُعْتَرِ : وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ الْمُتَعَصِّمَ أَتْبَاعَهَا بِثَلَاثَةِ دِينَارٍ ، وَمَلِكُهَا إِبْرَاهِيمَ وَلَهَا سَبْعُ
 سِنِينَ وَدَبَّاهَا تَرْبِيَةَ الْوَلَدِ .

قَالَ : وَحَدَّثَتْ شَارِيَةَ أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ إِبْرَاهِيمَ فِي حَزَاقَةٍ قَدْ تَوَسَّطَ بِهَا دَجَلَةٌ
 فِي لَيْلَةٍ مُقِيمَةٍ ، فَأَنْدَفَعَتْ فَفَنَّتْ :

لَقَدْ حَثُّوا الْحَمَالَ لِيَهْ * حُرُّبُوا مِنَّا فَلَمْ يَرْطَلُوا

فوثب إليها فأمسك فاما فقال : أنت والله أحسن من الغريص وجهًا وغناءً ،
فلا يؤمّننى عليك ! أمسكى .

ويقال : إنها لم تضرب بالعود إلا في أيام المتوكل لما اتصل الشر بينهما وبين
عريب ، فصارت تقعد بها عند الصرب ، فضربت بعد ذلك .

- قال ابن المعتز : وحدث محمد بن سهل بن عبد الكريم المعروف بسهل الأحول ،
وكان قاضي الكتّاب في زمانه ، كان يكتب لإبراهيم وكان ثقةً ، قال : أعطى المعتصم
لإبراهيم بشارية سبعين ألف دينار ، فأمتنع من بيعها . قال : فعاتبته على ذلك ، فلم
يحبني بشيء . ثم دعاني بعد أيام وبين يديه مائدة لطيفة ، فأحضر التلام سفودًا فيه
ثلاثة قراريج ، فرمى إلى الواحدة فاكلتها وأكل اثنتين ، ثم شرب رطلًا وسقاني ؛
ثم أتني بسفود آخر ففعل كما فعل وشرب [كما شرب^(١)] وسقاني ؛ ثم ضرب سيفًا إلى
جانبه فسمعت حركة العيدان ؛ ثم قال : يا شارية تفنى ، فسمعت شيئًا ذهب بعقلي .
فقال : يا سهل . هي التي عاتبتني في أن أبيعها بسبعين ألف دينار ، لا والله ولا هذه
الساعة الواحدة بسبعين ألف دينار !

- وحكى عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : أمرني المعتز بالله ذات يوم
بالمقام عنده فقلت ، ومُتت الستار وخرج من كان يغني وراءها وفيه شارية ،
ولم أكن سمعتها قبل ذلك فاستعصمت ما سمعت منها . وقال لي المعتز : يا عبيد الله ،
كيف ما تسمع منها عندك ؟ فقلت : حطّ العجب من هذا الفناء أكثر من حفظ
الطرب ؛ فاستحسن ذلك ، وخبرها به فاستحسنته .

- قالوا : وكانت شارية أحسن الناس غناءً منذ توفّي المعتصم إلى آخر خلافة
الواثق . وقيل : إن إبراهيم بن المهدي لم يطأ شارية ، وإن الذي آتضها المعتصم .
وكان إبراهيم يُسمّى شاريةً بقى .

وقال يعقوب بن بيان : كانت شارية لصالح بن وصيف . فلما بلغه رجيل موسى بن بُنا من الجبل يريد به بسبب قتل المعتز ، أودع شارية جوهرة ، فظهرها جوهراً كثيراً بعد ذلك . فلما أوقع موسى بصالح استترت شارية عند هارون بن شعب العكبري ، وكان أنظف حلق الله طعاماً وإسراهم مائدة ، وأوسعهم كل شيء . بعد ذلك ، وكان له بُسرٌ من رأى منزل وفيه بستان كبير ، وكانت شارية تُسميه أوى ، وتزوره في منزله فتحمل معها كل شيء تحتاج إليه حتى الحصيد تقعد عليه . وكانت من أكرم الناس . عاشها أبو الحسن علي بن الحسين عند هارون هذا ، ثم أضاق^(١) في وقت فأقرض منها على غيرهن عشرة آلاف دينار فأقرضته ، ومكثت أكثر من سنة ما أذكرته بها ولا طالبت به ردها .

قال يعقوب بن بيان : وكان الناس بُسرٌ من رأى متحزين ، يقوم مع شارية . وقوم مع عريب ، لا يدخل أصحاب هذه في هؤلاء ، ولا أصحاب هذه في هؤلاء . وكانت [أبو الصقر^(٢)] إسماعيل بن بلبل عريبياً ، فدعا علي بن الحسين يوم الجمعة أبا الصقر وعنده عريب وجواريا . فأتصل الخبر بشارية فبعثت بجواريا إلى علي بن الحسين بعد يوم أو يومين ، وأمرت إحداهم — قال : وما أدرى [من] هي : مهربان أو مطرب أو قرية ، إلا أنها إحدى الثلاث — أن تُغنيه :

لا تعودت بسدا * فترى كيف أضغ

٣٨

فلما سمع الغناء ضحك وقال : لست أعود .

قال : وكان المعتمد قد وثق بشارية فلم يكن يأكل إلا طعامها ، فكثت دهرً تُعد له كل يوم جوتتين ، فكان طعامه منهما في أيام المتوكل .

(١) يقال : أضاق الرجل إذا ذهب ماله وانقر .

(٢) زيادة عن الأمازي .

وقال أبو الفرج : حدثني بحفلة قال : كنت عند المعتمد يوماً ففنت شارية
بشعر مولاهما إبراهيم بن المهدي ولحيته :

يا طولَ جِلَّةِ قلبي للمعتاد • إلفَ الكرامِ ومُحِبَّةِ الأجدادِ
ما زِلْتُ أَلْفُ كُلِّ قَرَمٍ ماجِد • متقدِّمِ الآباءِ والأجدادِ

- فقال لها : أحسنت والله ! فقال : هذا غنائي وأنا غارية ، فكيف لو كنت
كاسية ! فأمر لها بألف ثوب من جميع أصناف الثياب الخاصة ، فحُيِّلَ ذلك إليها .
فقال لي علي بن الحسين بن يحيى المنجم : اجعل أنصرافك معي ، ففعلت . فقال لي :
هل بلغك أن خليفة أمر لغنية بمثل ما أمر به أمير المؤمنين اليوم لشارية ؟ قلت
لا . فأمر بإخراج سائر الخدماء ، فأقبل بها الغلمان في دقَاتَرٍ عظيم ، وصَفَحَها كلها
فوجدنا أحداً قبله فعل مثل ذلك . انقصت أخبار شارية

ذكر أخبار بَدَل

- قال أبو الفرج : كانت بدل صفراء مواندة من موبسات المدينة ورياء
وهي إحدى المحسنات المتفانيات المودعات بكثرة الرواية . يقال : إن الكا . . .
ثلاثين ألف صوت ولها كتاب في الأغاني
يشتمل على نشرت إنها تسمى
وكانت حلوة الوجه ظريفة وابعد
أحدهما محمد بن أبي بكر
فأندردحن وفتح

وقال بحفظة عن أبي حشيشة : وكانت أحسن الناس غناءً في دهرها، وكانت
استاذة كل محسن وعسنة، وكانت أروى خلق الله لغناء. وكانت لجعفر بن موسى
الهادي؛ فوصفت لمحمد الأمين، فبعث إلى جعفر فسأله أن يزيه إياها فأبى؛ فأتاه
الأمين إلى منزله فسمع ما لم يسمع مثله قط؛ فقال لجعفر: يا أحمى، يعني هذه الجارية.
فقال له: يا سيدي، مثل لا يبيع جارية. قال: فبها لي. قال: هي مذبذبة^(١). فأحتال
الأمين عليه حتى أسكره وأمر بحمل بذل إلى الحرقاة وأنصرف بها. فلما أفاق جعفر
سأل عنها، فأخبر بالخبر، فسكت. فبعث إليه محمد من الغد، بجاء وبذل جالسة فلم
يقبل شيئاً. فلما أراد جعفر أن ينصرف قال الأمين: أوقروا حرقة ابن عمي دراهم
فأوقرت، فكان مبلغ ذلك عشرين ألف ألف درهم. وبقيت بذل عند الأمين
إلى أن قيل؛ ثم نرجعت فكان ولد جعفر وولد الأمين يتدعون لأمها؛ فلما ماتت
ورثها ولد الأمين.

وقال محمد بن الحسن الكاتب: إن الأمين وحبها من الجوهر ما لم يملك أحد
مثله، فسلم لها بعد مقتل الأمين، فكانت تبيع منه الشيء بعد الشيء بالمال العظيم؛
فكانت على ذلك مع ما يصل إليها من الخلفاء إلى أن ماتت وعندها منه بقية عظيمة.
قال: ورغب إليها وجوه القواد والكُتاب والمهاشيم في الترويج فأبته، وأقامت على
حالتها حتى ماتت.

وحكى أبو حشيشة قال: كنت يوماً عند بطل وأنا غلام، وذلك في أيام المأمون
وهو ببغداد، وهي في طارمة لها تمتشط؛ فخرجت^(٢) إلى الباب فرأيت الموكب فظننتُ
أن الخليفة يمر على ذلك الموضع؛ فخرجتُ إليها فقلت: يا سيدي، الخليفة يمر على

(١) دير العبد إذا قال له: أنت حر بعد موقى.

(٢) الطارمة: بناء من خشب كالقبة. - مغرب.

- بابك . فقالت : انظروا أى شئ هذا ، إذ دخل بوابها فقال : ^(١) على بن هشام بالباب .
 فقالت : وما أصنع به ! فقامت إليها جارتها وشيك ، وكانت ترسلها إلى الخليفة
 وغيره في حوائجها ، فأكبت على رجلها وقالت : الله ! الله ! أنتجيبين على على بن
 هشام ! فدعت بمنديل فطرحته على رأسها ولم تهم إليه . فقال : إني جئتكم بأمر سيدي
 أمير المؤمنين ، وذلك أنه سألني عنك فقلت له : لم أرها منذ أيام ؛ فقال : هي طيبك
 غَضْبِي ، فبجأتني لا تدخلُ متراك حتى تدخلُ إليها فتسترضيها ! . فقالت : إن كنت
 جئتنا بأمر الخليفة فانا أقوم ، فقامت فقبلت رأسه ويديه ؛ وقعد ساعة وأنصرف .
 فقالت : يا وشيك ، هاتي الدواة وقرطاساً ففعلت ، فجعلت تكتب فيه يومها وليلتها
 حتى كتبت اثني عشر ألف صوت — وقيل : سبعة آلاف صوت — ثم كتبت
 إليه : يا على بن هشام ، تقول : استغيتُ عن بَدَلٍ بأربعة آلاف صوت أخذناها
 منها ! وقد كتبتُ هذا وأنا حَيِّرة ، فكيف لو فرغتُ لك قلبي كله ! . وخنمت الكتاب
 وقالت لها : امضي به إليه . فما كان أسرع من أن جاء رسوله (خادم أسود قال له
 تخارق) بالجواب يقول فيه : يا سيدي ، لا والله ما قلتُ الذي بلغك ، ولقد كُذِبَ
 على عندك ، إنما قلتُ : لا ينبغي أن يكرن في الدنيا أكثر من أربعة آلاف
 صوت ، وقد بعثتُ إلى بديوان لا أُؤدّي شكرك عليه أبداً ؛ وبعثتُ إليها بعشرة آلاف
 درهم وتخوت فيها بزوروشى ^(٢) ومُلح وتختا مطبقاً فيه أنواع الطيب .
 وقيل : إن إبراهيم بن المهدي كان يعظمها ، ثم يرى أنه يستغنى عنها بنفسه .
 فصارت إليه ، فدعت بعود فغنت في طريقة واحدة وأقطعاع واحد وإصبع واحدة
 مائة صوت لم يعرف إبراهيم منها صوتاً واحداً ، ثم وضعت العود وأنصرفت ، ولم
 تدخل داره حتى طال طلبه لها وتضرعها إليها في الرجوع إليه .

(١) في الأغاني (ج ١٥ ص ١٤٥ طبع بلاق) : «وشيك» . (٢) في الأغاني : خز .

وقال أحمد بن سعيد المالكي : إن إسحاق بن إبراهيم الموصلي خالف بذيلاً في نسبة صوت غتته بحضرة المأمون ؛ فأمسكت عنه ساعة ثم غنت ثلاثة أصوات في الثقل الثاني واحداً بعد واحد، وسألت إسحاق عن صانعها فلم يعرفه. فقالت للمأمون: هي والله لأبيه أخذتها من فيه، فإذا كان لا يعرف غناء أبيه فكيف يعرف غناء غيره ! فأشتد ذلك على إسحاق حتى رُئِيَ ذلك فيه .

وقال حماد بن إسحاق : غنت بذلك بين يدي أبي :

إِنْ تَرَنِى نَاحِلَ الْبَدَنِ * فَلَطُولِ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ
كَانَ مَا أَخَشَى بَوَاحِدِي * لَيْتَهُ وَاللهِ لَمْ يَكُنْ

قال : فطرب أبي طرباً شديداً وشرب رطلاً وقال لها : أحسنت يا بنتي، والله لأتغنين صوتاً إلا شربتُ عليه رطلا .

انتهت أخبار بذل .

ذكر أخبار ذات الخلال

قال أبو الفرج الأصبهاني : وأسم ذات الخلال خشف، وكانت لأبي الخطّاب النحاس المعروف بقرين مولى العباسة بنت المهدي . وكانت ذات الخلال من أجمل النساء وأكهن، وكان لها خال فوق شفتها العليا، وقيل : على خدّها . وكان إبراهيم الموصلي يتعشقها ، وله فيها أشعار كثيرة كان يقولها وينثي فيها حتى شبرها بشعره وغنائها . وأتصل خبرها بالرشيد، فأشترها بسبعين ألف درهم . فقال لها ذات يوم : أسألك عن شيء، فإن صدقتني وإلا صدقتي غيرك وكذبك . قالت : أصدقك . قال : هل كان بينك وبين إبراهيم الموصلي شيء قط ؟ وأنا أحلفه أن يصدقني . قال : فسكت ساعة ثم قالت : نعم ! مرة واحدة ؛ فأبغضها . وقال يوماً في مجلسه :



- أَيْمَ لَا يَأْتِي أَنْ يَكُونَ كَشْفًا حَتَّى أَهْبَهُ ذَاتُ الْخِلَالِ؟ فَبَدَرَ حَمَوِيهِ الْوَصِيفُ فَقَالَ:
- أَنَا، فَوَهَبًا لَهُ. ثُمَّ أَشْتَقُّهَا الرِّشِيدَ يَوْمًا فَقَالَ: وَيْلَكَ يَا حَمَوِيهِ! وَهَبْنَا لَكَ الْخِلَارِيَّةَ
- عَلَى أَنْ تَسْمَعَ غَنَامَهَا وَحْدَكَ! فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مُرَّ فِيهَا بِأَمْرِكَ، قَالَ: نَحْنُ
- عِنْدَكَ غَدًا. فَمَضَى فَاسْتَعَدَّ لِنَاكَ وَأَسْتَمَارَ لَهَا مِنْ بَعْضِ الْجَوْهَرِيِّينَ بِذَنَّةٍ وَغَفُودًا
- ثُمَّهَا اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَأَخْرَجَهَا إِلَى الرِّشِيدِ وَهِيَ عَلَيْهَا. فَلَمَّا رَأَاهُ أَنْكَرَهُ وَقَالَ:
- وَيْلَكَ يَا حَمَوِيهِ! مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا؟! مَا وَلَيْتَكَ عَمَلًا تَكْسِبُ فِيهِ مِثْلَهُ وَلَا وَصَلَ
- إِلَيْكَ مَنَى هَذَا الْقَدَرُ! فَصَدَّقَهُ عَنْ أَمْرِهِ، فَبَعَثَ الرِّشِيدُ إِلَى أَصْحَابِ الْجَوْهَرِ،
- فَأَحْضَرَهُمْ وَأَشْتَرَى الْجَوْهَرُ مِنْهُمْ وَوَهَبَ لَهَا، وَحَلَفَ أَلَّا تَسْأَلَهُ فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ حَاجَةً
- إِلَّا قَضَاهَا؛ فَسَأَلَتْهُ أَنْ يُؤْتِيَ حَمَوِيهِ الْحَرْبَ وَالْحَرَجَ بِفَارَسٍ سَبْعَ سِنِينَ، فَفَعَلَ ذَلِكَ
- وَكَتَبَ لَهُ عَهْدَهُ بِذَلِكَ، وَشَرَطَ عَلَى وَلِيِّ الْمَهْدِ أَنْ يَتِمَّهَا لَهُ إِنْ لَمْ تَمْ تَمَّ فِي حَيَاتِهِ.
- ١٠ قَالَ الْأَصْفَهَانِيُّ: وَلِإِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيٍّ فِي ذَاتِ الْخِلَالِ شَعْرٌ كَثِيرٌ غَفَى فِيهِ.
- فَنَهَ قَوْلُهُ:

- أَدَاتُ الْخِلَالِ قَدْ طَالَ * بَيْنَ أَسْقَمَتِهِ الْوَجَعُ
- وَلَيْسَ إِلَى سِوَاكُمْ فِي آلٍ * ذِي يَلْقَى لَهُ قَزَعُ
- أَمَّا يَتَمَعُّكَ الْإِسْلَامُ * مُنْ قَتَلِي وَلَا الْوَرَعُ
- وَمَا يَنْفَكُ لِي فِيكَ * هَوًى قَتَلْتُهُ خَدَعُ
- ١٥

ومنها:

جَرَى اللَّهُ خَيْرًا مِنْ كَلَّفْتُ بِجَبِّهِ * وَلَيْسَ بِهِ إِلَّا التَّمَوُّهُ مِنْ حُبِّي

وَقَالُوا قُلُوبُ الْغَائِبَاتِ رَقِيقَةٌ * فَمَا بَالُ ذَاتِ الْخِلَالِ قَاسِيَةِ الْقَلْبِ

- (١) الكشاح: الديوث. (٢) الدمة: قيس لا كين له تلبسه النساء.
- ٢٠ (١) في الأغاني (ج ١٥ ص ٨٣ طبع بولاق): «الغزوة».

وقالوا لها هذا حييكَ مُعْرِضًا * فقالت لهم إعراضهُ أيسرُ الخَطْبِ
فأَهي إلا نَظْرَةٌ بِتَّيْسٍ * فتَنَشَّبَ رَجُلَاهُ وَيَسْقُطُ لَبَنٌ
وله فيها أشعارُ كثيرةٌ غيرُ ما أوردناه .

ذكر أخبار دنائير البرمكية

قال أبو العرج : كانت دَنَائِيرُ مَولَاةُ يَحْيَى بن خالد البرمكي ، وكانت صفراء مَوْلدة ،
من أحسن الناس وجهًا ، وأظرفهم وأكلمهم أدبًا ، وأكثرهم رِوايةً للغناء والشعر ،
ولها كتاب مجود في الأغاني مشهور . وكان أستاذها في غنائها على ما أخذته من بَنَل ،
وهي نرجتها ؛ وقد أخذت أيضًا عن الأكابر الذين أخذت بَنَل عنهم مثل فُلَيْح
وإبراهيم وأبن جامع وإسحاق ونظرائهم . وكانت تغني غناء إبراهيم فتَحْكِيه فيه حتى
لا يكون بينهما فرق ؛ فكان يقول ليحيى : متى فقدتني ودنائيرُ باقيةٌ ما فقدتني .

وقال أحمد بن المكي : كانت دنائير لرجل من أهل المدينة ، كان قد خرجها
وأذهبها ، وكانت أروى الناس للغناء القديم ، وكانت صفراء صادقة الملاحظة . فلما رآها
يحيى وقعت من قلبه مَوْفَعًا فَأَشْتَرَاهَا . وَشَفَّفَ بها الرشيدُ حتى كان يصير إلى منزل
مولاهُ فيسمعها ، فألفها وأشدَّ إعجابَهُ بها ، وهبَ لها هِباتٍ سنية . منها أنه وهب
لها في ليلةٍ عَقْدًا قيمته ثلاثون ألف دينار ، فردته عليه في مصادرة البرامكة بعد
ذلك . وعرفت أم جعفر الخبر فشكته إلى عُثُمته وأهله ، فصاروا جميعًا إليه فعاتبوه ؛
فقال : مالي في هذه الجارية أَرَبُّ في نفسها ، وإنما أَرَبِي في غنائها ؛ فأسمعوها ، فإن
استحقت أن تؤلف لغنائها وإلا فقولوا ما شئتم . فلما سمعوها عَذَرُوهُ ؛ وعادوا إلى
أم جعفر وأشاروا عليها ألا تُلْعَقَ في أمرها ؛ فقبلت ذلك ، وأهدت إلى الرشيد عشر
جوارٍ منهنَّ أم المامون وأم المعتصم وأم صالح .

وقال عمر بن شبة : إن دنائير أصابها العلة الكلية فكانت لا تصبر عن الطعام ساعة واحدة ، وكان يحيى يتصدق عنها في كل يوم من شهر رمضان بألف دينار لأنها كانت لا تصومه . وبقيت عند البرامكة مدة طويلة .

وقال إسحاق وأحمد بن الطيب : إن الرشيد دعا بدنانير بعد البرامكة ، فأمرها أن تنفى . فقالت : يا أمير المؤمنين ، إنى آليت ألا أغنى بعد سيدي أبدا . فنضب وأمر بصفها فصيفت ، وأقيمت على رجلها وأعطيت العود ، فأخذته وهى تبكى أحرك بكاء ، وأنذفت فغنت :

يا دار سلمى بنازح السند * من الثنايا ومسقط اللبد
لما رأيت الديار قد درست * أيقنت أن النعيم لم يعد

قال : فرق لها الرشيد ، وأمر بإطلاقها ، فانصرفت .
وقال أبو عبد الله بن حمدون : إن عقيدا مولى صالح بن الرشيد خطب دنائير وشيف بها فردته ، فاستشفع إليها بمولاه صالح بن الرشيد وببذل والحسن بن محرز فلم تُجب ، وأقامت على الوفاء لمولاه . فكتب إليها عقيد :

يا دنائير قد تنكر عفى * وتحرث بين وعد ومطيل
شغفى شافعى إليك وإلا * فأقتلنى إن كنت تهوين قتل
أنا بالله والأمير وما آ * مل من موعيد الحسين وبذل
ما أحب الحياة يا حب إن لم * يسمع الله حاجلا بك شمل
فلم يعطها ذلك عليه ، ولم تزل على حالها حتى ماتت . ولعقيد هذا فيها أشعار فيها غناء . وكان عقيد حسن الغناء ؛ وله فيها أصوات ؛ منها قوله :

هذى دنائير تنسانى وأذكركها * وكيف تنسى محبا ليس ينساها
أعود بالله من هجران جارية * أصبحت من حبا أهذى بك كراها

قد أكل الحسن في تركيب صوريتها * فأرتج أسفلها وأهتر أعلاها
قامت تمشي فليت الله صورتي * ذاك التراب الذي مسته رجلاها
واقه والله لو كانت ، إذا برزت ، * نفس المتسم في كفيها ألقاها

ذكر أخبار عريب المأمونية^(١)

قال أبو الفرج الأصفهاني: كانت عريب مغنية تحسنة، وشاعرة صالحة الشعر، وكانت مليحة الخط والمذهب في الكلام، ونهاية في الحسن والجمال والطرف وحسن الصوت وجودة الضرب وإتقان الصنعة والمعرفة بالنم والأوتار والرواية للشعر؛ لم يتعلق بها أحد من نظرائها، ولا رأت في النساء - بعد القيان المجازيات مثل جميلة وعزة الملياء وسلامة الزرقاء ومن جرى مجراهن على قلة عددهن - نظير لها.

قال: وكان فيها من الفضائل التي وصفها ما ليس لمن مما يكون في مثلها من جوارى الخلفاء ومن نساء في قصور الخلفاء وغذى بريق العيش الذي لا يدانيه عيش المجاز والمثناة بين العامة والعرب الجفافة. قال: وقد شهد لها من لا تحتاج مع شهادته إلى غيره، فروى عن حماد بن إسحاق قال أبي: ما رأيت امرأة أضرب من عريب. ولا أحسن صنعة ووجهًا، ولا أخف روحًا، ولا أحسن خطابًا بارعا، ولا أسرع جوابًا. ولا ألب بالشطرنج والترد، ولا أجمع لخصلة

(٤٢)

(١) ورد هذا الاسم مصوفا في الأناج ٢١ ص ١٨٤ طبع ليدن والمحسن والأصداغ ملاحظ
ص ١٩٩ طبع ليدن (بسم أوله وفتح ثابته) . ولكن رأيت في الأناج من الشعر ما يؤيد أن صبطه يفتح
أوله وكسر ثابته، ومن هذا الشعر:

لقد ظلموك يا مظلوم لما * أقاموك الرقيب على عريب

ولو أولوك إصفا وعدلا * لما أحلوك أمت من الرقيب

ومن هذا الشعر أيضا:

قاتل الله مرييا * فطت صلا عجيا

حسنة / أرها في امرأة غيرها قط . قال حماد : فذكرت ذلك ليجي بن أكرم ،
 فعال : صدق أبو محمد ، هي كذلك . قلت : أسمعها ؟ قال : نعم ، هناك (يعني
 في دار المأمون) . قلت : أمكانت كما ذكر أبو محمد في الحنف ؟ قال يحيى : هذه
 مسألة الجواب فيها على أبيك ، هو أعلم مني بها . فأخبرت أبي بذلك ، فضحك
 ثم قال : أما استحييت من قاضي القضاة أن تسأله عن مثل هذا !

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : استدعاني المأمون يوماً فدخلت عليه ،
 فسألني عن صوت وقال لي : أتدري لمن هو ؟ فقلت : أسمعته ثم أخبر أمير المؤمنين
 إن شاء الله بذلك . فأمر جارية من وراء الستارة أن تُغنيه ، فغضبت فإذا هي
 قد شبهته بالقديم ؛ فقلت : زدني معها עודاً آخر ، فإنه أثبت لي ؛ فزادني עודاً آخر .
 فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذا صوتٌ مُحدثٌ لامرأة ضاربة . قال : من أين قلت
 ذلك ؟ فقلت : إني لما سمعتُ لينةً صرختُ أنه مُحدثٌ من غناء النساء ، ولما رأيت
 جودة مقاطعه مايتُ أن صاحبه ضاربة حِفْظتُ مقاطعه وأجزاه ، ثم طلبتُ
 עודاً آخر فلم أشك . قال : صدقت ، الغناء لِعريب .

وقال ابن المعتز : قال علي بن يحيى : أمرني المعتمد على الله أن أجمع غناء
 عريب الذي صنعته ، فأخذتُ منها دفاترها ومُحَقِّفها التي كانت قد جمعتُ فيها غنائها ،
 فكتبته فكان ألف صوت ، وقد قيل أكثر من ذلك . وقد وصفها أبو الفرج
 الأصفهاني وأطنب في وصفها وتفضيلها ، وأستدل على ذلك وبسط القول فيه .

وأما ما قيل في نسبها وسنّها وكيف تنقلت بها الحال إلى أن اتصلت بالمأمون ،
 فقد روي عن إسماعيل بن الحسين خال المعتصم أنها أبتة جعفر بن يحيى ، وأق البرامكة
 لما سُيِّبوا سُرقت وهي صغيرة فبيعت . قال أحمد بن عبد الله بن إسماعيل المراكشي :

إن أم حريب كانت تُسمّى فاطمة، وكانت يتيمة؛ فتزوجها جعفر بن يحيى بن خالد؛
فأنكر عليه أبوه، وقال له: تزوج بن لا يعرف لها أم ولا أب! اشتَر مَكَانها ألف
جارية. فأنحرجها جعفر وأسكنها في دار في ناحية باب الأنبار سراً من أبيه، ووكّل
بها من يحفظها، وكان يتردّد إليها؛ فولدت حريب في سنة إحدى وثمانين ومائة.
وكانت سيّوها إلى أن ماتت ستّاً وتسعين سنة. قال: وماتت أم حريب في حياة
جعفر، فدفعها إلى امرأة نصرانية وجعلها دايةً لها^(١). فلما حدثت بالبرامكة تلك
الحادثة باعها من سنس النخاس، فباعها من المراكبي.

قال ابن المعتز: وأخبرني يوسف بن يعقوب قال: كنت إذا نظرتُ قَدَمَيَّ
عَرِيبَ شَبَهْتُمَا بِقَدَمَيَّ جعفر بن يحيى. قال: وسمعت من يحكى أن بلاغتها في كتبها
ذُكِرتُ لبعض الكُتّاب، فقال: وما يمنعها من ذلك وهي بنت جعفر بن يحيى!
هذا ملخص ما حكاه أبو الفرج في نسبها.

وأما أخبارها مع مَنْ ملكها وكيف تنقلت بها الحال، فقد حكى ابن المعتز عن
المشامي أن مولاهم خرج بها إلى البصرة فأدبها وخرّجها وعلّمها الخطّ والنحو والشعر
والغناء، فبرّعت في ذلك أجمع، وتزايدت حتى قالت الشعر. وكان لمولاهم صديق
يقال له حاتم بن عديّ من قواد خراسان، وقد قيل: إنه كان يكتب لعجيف على
ديوان العرض؛ فكان مولاهم يدعوهم كثيراً ويخالطهم. فركبه دين فاستر عنده؛ فذ
عينه إلى عريب وكتبها فأجابته، ودامت المواصلّة بينهما وعيشته؛ ثم انتقل من
منزل مولاهم. فلم تزل تحتال حتى اتّخذت سُلماً من سب، وقيل: من خيوط
غلاظ، وكان قد اتّخذ لها موضعا، ثم لقت ثيابها وجعلتها في فراشها بالليل ودترتها

(١) الداية: الطفال المرضعة والمرية. (٢) الب: شقة مكان رقيقة. روى الأمل:
«سقب». روى الأعاقى: «سقب». فكلها محرمان عما أتيته.

يُدَارِها، ثم تَسُورُ الحائِطَ وَهَرَبَتْ، وَأَنْتَ فَمَكِثْتَ عِنْدَهُ؛ وَمَوْلَاهَا لَا يَتِمُّهُ شَيْءٌ
 مِنْ أَمْرِهَا . فَقَالَ عِيسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْمُرَاكِبِيِّ يَهْجُو أَبَاهُ وَيَعِزُّ بِهَا —
 وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَهْجُوهُ — :

قَاتَلَ اللَّهُ عَرِييَا * فَعَلْتُ فِعْلًا عَجِييَا
 رَكِبْتُ وَاللَّيْلُ دَاجٍ * مَرَجًا صَعْبًا مَهِييَا
 فَأَرْتَقْتُ مُتَّصِلًا بِالسَّجَمِ * أَوْ مِنْهُ قَرِييَا
 صَبَرْتُ حَتَّى إِذَا مَا * أَقْصَدَ النَّوْمُ الرُّقِيَا
 مَثَلْتُ بَيْنَ حَشَايَا * هَا، لِيَكُنِّي لَا أَسْتَرِيَا
 خَلَقًا مِنْهَا إِذَا نُو * دِي لَمْ يُلَفِّ^(١) عِجِييَا
 وَمَضْتُ بِجَهْلِيهَا انْخَوُ * فُ قَضِييَا وَكَثِييَا
 نَحْنَةً لَوْ حَرَّكَتْ خِفَ * تَ عَلَيْهَا أَنْ تَذُوبَا
 فَتَدَلَّتْ لِيُحِبَّ * فَتَلَقَّاهَا حَيِيَا
 جَذَلًا قَدَمَالًا فِي الدُّز * يَا مِنَ الدُّنْيَا نَصِييَا
 أَتَيْهَا الظُّلَى الَّذِي نَسَ * حَرُّ عَيْنَاهُ الْقَلُوبَا
 وَالَّذِي يَأْكُلُ بَعْضًا * بَعْضُهُ حُسْنًا وَجُبَا
 كُنْتُ تَهَبًّا لِلذَّنَابِ * فَلَقَدْ أَطْمَعْتُ ذِيَا
 وَكَذَا الشَّأْءُ إِذَا لَمْ * يَكُ رَاعِيهَا لَبِيَا
 لَا يُيَالِي وَبَاءَ الْمَرْ * عَى إِذَا كَانَ خَصِييَا
 وَلَقَدْ أَصْبَحَ عَبْدُ اللَّهِ * هَ كَشْحَانًا بَحْرِييَا

(١) كذا في الأمانى . وفي الأصل : « م تلق » .

قَدْ لَعَمْرِي لَعَلَّمُ الْحَدَّ وَقَدْ شَقَّ الْجُيُوبَا
وَجَرَتْ مِنْهُ دُمُوعٌ * بَلَّتِ النَّفْنَ الْخَضِييَا

قال ابن المعتز: وحدثني محمد بن موسى بن يونس: أنها ملته بعد ذلك فهربت منه، فكانت تنفي عند أقوام عرفتهم ببغداد وهي مسترة متخفية. فلما كان يوم من الأيام اجتاز ابن أبي المراكبي بستان كانت فيه مع قوم تنفي، فسمع غياءها فعرفه، فبعث إلى عمه وأقام هو مكانه، فلم يبرح حتى جاء عمه وكبستها، فأخذها وضربها مائة مِرْقَعَةٍ وهي تصيح: يا هذا، لم تقتلني! لست أصبح عليك، أنا امرأة حرة، فإن كنت مملوكة فينفي، لست أصبح على الضيق. فلما كان من الغد ندم على فعله وصار إليها فقبل رأسها ويدها ورجلها ووهب لها عشرة آلاف درهم. ثم بلغ محمدا الأمين خبرها فأخذها. قال: وكان الأمين في حياة أبيه طلبها منه فلم يجبه إلى ذلك. فلما أفضت إليه الخلافة جاء المراكبي ومحمد ركب ليقبل يده، فأمر بمتبعه ودفعه، ففعل ذلك الشاكري^(١)؛ فضربه المراكبي وقال: أمتنني من تقبيل يد مولاي! فجاء الشاكري لما نزل محمد الأمين فشكاه؛ فأمر بإحضار المراكبي فأمر بضرب عنقه، فسئل في أمره فعفا عنه وحسبه، وطالبه بخمسة ألف درهم مما أقطعته من نفقات الكراع؛ وبعث فأخذ عريب من منزله مع خدم كانوا له. فلما قُتل محمد الأمين هربت عريب إلى المراكبي فكانت عنده.

قال ابن المعتز: وأما رواية إسماعيل بن الحسن حال المعتصم فإنها تخالف هذا، وذكر أنها إنما هربت من دار مولاه المراكبي إلى محمد بن حاتم الخاقاني المعروف بالحنشين أحد قوّد نجراسن، وكان أسقرأصب أزرق العين. وفيه تقول عريب وها فيه غناء:

(١) الشاكري: لأجل شحدهم، وهو معروف - كز. (مر قاموس).

بَابِي كُلِّ أَصْهَبٍ • أَزْدِي الْعَيْنِ أَشْفَرِ

جُنَّ قَلْبِي بِهِ وَلِيهِ • حَسْ جُنُونِي بِمُنْكَرِ

- وقال إسحاق بن إبراهيم : لما نفي إلى الأمين خبر صريب بعث في إحضارها وإحضار مولاهما فاحضرا، ففتت بحضرة إبراهيم بن المهدي، فطرب الأمين واستعادها، وقال لإبراهيم : كيف سمعت ؟ قال : سمعت يا سيدي حسنا، وإن تناولت بها الأيام وسكن روعها آزداد غناؤها حسنا وطيبا . فقال للفضل بن الربيع : خذها إليك وسأوم بها ففعل، فاشتت مولاهما في السوم ثم أوجبا له بمائة ألف درهم . وانتقض أمر الأمين وشغل عنها فلم يأمر لمولاهما بشيء حتى قُتل بعد أن آفتضا، فرجعت إلى مولاهما، ثم هربت منه إلى ابن حامد، فلم تزل عنده حتى قدم المأمون بغداد فنظّم المراكبي من محمد بن حامد، فأمر المأمون بإحضاره وشغل عنها فأكرها .
 ١٠ فقال له المأمون : كذبت، وقد سقط إلى خبرك، وأمر صاحب الشرط أن يجزده في مجلس الشرط ويضع عليه السباط حتى يردّها فأخذه . فبلغها الخبر، فركبت حمار مكار وجاعت وقد جرد ليضرب، وهي مكشوفة الوجه وهي تصيح : إن كنت مملوكة فليخني ، وإن كنت حرة فلا سبيل علي . فرفع خبرها إلى المأمون، فأمر بتعديلها عند قتيبة بن زياد القاضي فعُدلت عنده . وتقدم إليه المراكبي مطالباً بها،
 ١٥ فسأله البيّنة على ملكه إياها فصاد منتظماً إلى المأمون وقال : قد طولبت بما لم يطالب به أحدٌ في رقيق . وتظلمت زبيدة بنت جعفر إليه وقالت : من أغظ مابحري عليّ، بسد قتل أبي، هجوم المراكبي على داري وأخذ عيرب منها . فقال المراكبي : إنما أخذت ملكي، لأنه لم يتقدني الثمن . فأمر المأمون بدفعها إلى محمد
 ٢٠ ابن عمر الواقدي، وكان قد ولّاه القضاء بالجانب الشرقي، فأخذها من قتيبة بن زياد

وأمر ببيعها ساذجةً، فأشترها المأمون بخسين ألف درهم، وقيل : أشترها بخمسة آلاف درهم . ودعا عبد الله بن إسماعيل وقال له : لولا أني حلفت ألا أشتري مملوكا بأكثر من هذا لزدتك، ولكني سأؤتيك عملاً تكسب فيه أضعاف هذا الثمن، ورمى إليه بخاتمين من ياقوت أحمر قيمتهما ألف دينار، وخلع عليه خلعاً سنيّة. فقال : يا أمير المؤمنين، إنما ينفع بهذا الأحياء، وأما أنا فإني لا محالة ميت، لأن هذه الجارية كانت حياتي . وخرج فاخطط وتغير عقله ومات بعد أربعين يوماً . وذهبت بالمأمون كلّ مذهب ميلاً إليها ومحبة لها، حتى قيل : إن المأمون قبل رجلها في بعض الأيام وإنها قالت أثر ذلك : وآفه يا أمير المؤمنين، لولا ما شرفها الله به من وضع فك الكريم عليها لقطعنها ! ولكن الله علىّ ألا أغسلها لغير وضوء أو طهر إلا بماء الورد ما عشت . فكانت تفعل ذلك إلى أن ماتت .

وحكى عليّ بن يحيى المتعم أن المأمون لما مات يبعث في ميراثه — ولم يُبع له عبد ولا أمة غيرها — فأشترها المعتصم بمائة ألف وأعتقها فهي مولاته . وقيل : إنه لما مات محمد الأمين تدلت عريب من قصر الخلد بجبل إلى الطريق وهربت إلى حاتم بن صدى .

وحكى إبراهيم بن رباح قال : كنت أتولى فققات المأمون، فوصف له إسحاق ابن إبراهيم الموصلي عريب، فأمره أن يشتريها له، فأشترها بمائة ألف درهم، فأمرني المأمون بحملها، وأت أحمل إلى إسحاق مائة ألف درهم، ففعلت ذلك؛ فلم أدر كيف أتيتها، فكنت في الديوان أت مائة الألف خرجت في ثمن جوهرة، ومائة الألف الأخرى خرجت لصائفها ودلّالها . بغاه الفضل بن مروان إلى المأمون وقد رأى ذلك وأنكره، وسألني عنه فقلت : نعم، هو ما رأيت . فسأل المأمون عن ذلك فقال : وهبت لدلّال وصائف مائة ألف درهم ! وظلّ القصة؛ فأنكرها

المأمون، ودعاني فدوت وأخبرته أن المال الذي خرج في ثمن عريب وصلة إسحاق،
وقلت : أيما أصوب يا أمير المؤمنين : ما فعلتُ ، أم أثبت في الديوان أنها خرجت
تَمَّ مَغْنِيَّةٌ وصلة مَغْنٍ . فضحك المأمون وقال : الذي فعلت أصوب . ثم قال للفضل
ابن مروان : يا نبطي ، لا تعترض على كاتب هذا في شيء .

- ولعريب أخبار قد بسط أبو الفرج الأصبهاني القول بها في كتابه الذي ترجمه
”تحف الواسط في أخبار الولاة“ ، وذكر أيضا أنها من أخبارها في كتابه المترجم
”بالأغاني“ . منها خبرها مع محمد بن حامد المعروف بابن الخشن ، وأخبار لها مع
المأمون ، وأخبار مع صالح المنذرى الخادم ، وإبراهيم بن المدبر ، وغير ذلك من
أخبارها . وقد رأينا أن نُثَبِّتَ لَهَا من ذلك .



١٠

أما أخبارها مع محمد بن حامد — وهو أحد من كانت عشقه ونهواه وتغاطر بنفسها
في الاجتماع — فمنها ما روى عن ابن عبد الملك الضرير أنها لما صارت في دار
المأمون أحالت حتى وصلت إليه ، وكانت تلقاه في الوقت بعد الوقت حتى حملت
منه وولدت بنتا ، فبلغ ذلك المأمون فزوجها لإياها . وقال محمد بن موسى : اصطبغ
المأمون يوما ومعه ثدماؤه وفيهم محمد بن حامد وجماعة من المغنين وعريب معه على
مصلاة ، فأومأ إليها محمد بن حامد بقبلة ، فاندفعت ففنت ابتداء :

١٥

رَمَى ضَرْعَ نَائِبٍ فَاسْتَمَرَ بَطْلَمَنَةً * كَحَاشِيَةِ الْبُرْدِ الْيَمَانِيِّ الْمُتَمَهِّمِ

تريد بفنائها جواب محمد بن حامد بأن يقول له : طعنة . فقال المأمون للندماء : أيكم
أوما إلى عريب بقبلة ؟ والله لئن لم يصدقني لأضربن عنقه ! فقال محمد بن حامد :
أنا يا أمير المؤمنين أوماؤُ إليها ، والعفو أقرب للتقوى . فقال : قد عفوْتُ عنك .
فقال : كيف استدلَّ أمير المؤمنين على ذلك ؟ فقال : ابتدأت صوتا ، وهي لا تفتي

٢٠

أبتداء إلا لمعنى ، فعلتُ أنها لم تبدئ هذا الصوت إلا لشيء أو مسمى إليها به ، ولم يكن من شرط هذا الموضع إلا إيماءً بقُبلة ، فعلتُ أنها أجابته بطعنة . وقد حكي أن المأمون قال في هذه الواقعة عن محمد بن حامد : نكشِخنه قبل أن يَكْشِخِنَا^(١) ، فزوجه إياها ، وأشترط عليه أن يُحْضَرها إلى مجلسه في أوقات عَجَبها له المأمون .

وقال حمدون : كنت ليلةً في مجلس المأمون ببلاد الروم بعد العشاء الآخرة في ليلة ظلماء ذات رُعود وبروق ؛ فقال لي المأمون : اركب الساعة فرس النوبة وسِرْ إلى سكر أبي إسحاق ، (بني المنعم) ، فادَّ إليه رسالتى وهى كيت وكيت . فركبت فلم تَتَّهتْ معى شمة ، وسمعتُ وقع حافر دابةٍ فرَهِيتُ ذلك فجعلتُ أتوقاه حتى صَاحَ ركباني تلك الدابة ، وبرقت بارقة فأبصرتُ وجه الراكب فإذا عَريب ؛ فقلت : عَريب ؟ قالت : نعم ، حمدون ؟ قلت نعم . ثم قلت لها : مِن أين أَقْبَلتِ في هذا الوقت ؟ قالت : من عند محمد بن حامد . قلت : وما صَنَعَتِ عنده ؟ قالت : يانكس ، عَريب تَجيء في هذا الوقت من عند محمد بن حامد خارجةً من مَضْرِب الخليفة راجعةً إليه تقول لها : أى شئِ عَمَلتِ معه ! صَلَّيْتُ معه اتراويح ، أو قرأتُ عليه أجزاء من القرآن ، أو دارسته شيئاً من الفقه ! يا أحمق ، تحدثن وتعاتبن وأصطلحن ! ولعبنا وشربنا وَغَنَيْنَا وأنصرفنا . قال : فأنجِلْنى وعاطِنى وَقَدِّقْنى . ومضيتُ فأدَّيت الرسالة ؛ ثم عدتُ إلى المأمون وأخذنا في الحديث وتناشدنا الأشعر ، فهِمَّتُ أن أحدثه بمحدثيها ثم هَبَّتْهُ ، فقلت : أقدم قبل ذلك تعريضا بشئ من الشعر فأنشدته :

أَلَا حَىَّ أَطْلَالَ لِفَاطِمَةَ الْحَبِيلِ * أَلَوْفُ تُسَوِّى صَاحَ الْقَوْمِ بِزُدْلِ
فَلَوْ أَنَّ مِنْ أُمِّى بِيحَانِبَ تَلْمِةٍ ، لَأَنْ جَبَلْتِ طَى فَنَسَقَطَةُ الْعِلِ

(١) كَشِخْنَه وكَشِخْهُ : شَتْنَه ؛ لَكَشِخْهُ وهى أدباًة وعده لعيرة

جُلُوسٌ إِلَى أَنْ يَقْصَرَ الظِّلُّ عِنْدَهَا * لَرَا حُوا وَكَلَّ الْقَوْمُ مِنْهَا عَلَى وَصِيلٍ
فَقَالَ لِي الْمَأْمُونُ : اخْفِضْ صَوْتَكَ لَا تَسْمَعُ عَرِيبٌ قَتَضَبٌ وَتَنْقُلُ أَنَا فِي حَدِيثِهَا ؛
فَأَمْسَكَتُ عَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَخْبِرَهُ بِهِ ، وَخَارَ اللَّهُ لِي فِي ذَلِكَ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى الْوَائِقِيُّ : قَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ حَامِدٍ لَيْلَةً : أَحَبُّ أَنْ تُفَرِّغَ لِي
مَضْرِيكَ ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَجِيبَكَ فَأَقِيمَ عِنْدَكَ ؛ فَفَعَلْتُ وَأَتَانِي . فَلَمَّا جَلَسَ جِئْتُ
عَرِيبٌ فَدَخَلْتُ وَجَلَسْنَا ؛ فَبَعَلَ مُحَمَّدٌ يَمَانِيَهَا وَيَقُولُ : فَعَلَيْتَ كَذَا وَفَعَلَيْتَ كَذَا !
فَقَالَتْ لِي : يَا مُحَمَّدُ ، هَذَا عِنْدَكَ رَأَى ! ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ فَقَالَتْ : يَا حَاجِرُ ، خُذْ بِنَا فِيهَا
نَحْنُ فِيهِ ، وَأَجْعَلْ سِرَاوِيلِي مَحْتَقِي وَالصَّقَّ خَلْجَالِي بَقُرْطِي ، فَإِذَا كَانَ عَدُّ مَا كَتَبَ
بِتَابِكَ فِي طُومَارٍ حَتَّى أَكْتُبَ إِلَيْكَ بَعْدُزِي فِي مِثْلِهِ ، وَدَعِ عَنْكَ هَذَا الْمَضُولَ ؛ فَقَدْ
قَالَ الشَّاعِرُ :

دَعَيْ عَدَّ الذَّنُوبِ إِذَا اتَّقَيْتُنَا * تَعَالَى لَا تُعْذَرُ وَلَا تُعْذَى
فَأَقْسَمُ لَوْ مَتَّعْتِ بَعْدَ شَعْرِي * إِلَى بَابِ الْجَحِيمِ لَقُلْتُ مُدَى

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ : وَقَعَ بَيْنَ عَرِيبٍ وَبَيْنَ مُحَمَّدُ بْنُ حَامِدٍ شُرْحِي كَذَا يَخْرُجَانِ
إِلَى الْقَطِيعَةِ ، وَكَانَ فِي قَلْبِهَا مِنْهُ أَكْثَرُ مَا فِي قَلْبِهِ مِنْهَا . فَلَقِيْتُهُ يَوْمًا فَقَالَتْ : كَيْفَ
قَلْبُكَ يَا مُحَمَّدُ ؟ قَالَ : أَشَقُّ مَا كَانَتْ وَأَفْرَحُهُ . فَقَالَتْ : اسْتَبْدِلْ تَسْلُ . فَقَالَ لَهَا :
لَوْ كَانَتْ الْبُلُوبُ بِاخْتِيَارٍ لَفَعَلْتُ ! فَقَالَتْ : لَقَدْ طَالَ إِذَا تَعَبُكَ . فَقَالَ : وَمَا يَكُونُ !
أَصْبِرْ مُكْرَمًا ! أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ الْبَاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ :

تَعَبٌ يَطُولُ مَعَ الرَّجَاءِ لِذِي الْهَوَى * خَيْرٌ لَهُ مِنْ رَاحَةٍ فِي الْبَاسِ
لَوْلَا كِرَامَتُكُمْ لَمَّا عَاتَبْتُكُمْ * وَلَكِنَّمْ عِنْدِي كِبَاضُ النَّاسِ

قَالَ : فَذَرَفَتْ عَيْنَاهَا ، وَأَحْذَرْتُ إِلَيْهِ وَأَعْتَقْتُهُ ، وَأَصْطَلَحَا وَعَادَا إِلَى مَا كَانَا عَلَيْهِ .

وحكى أحمد بن جعفر بن حامد قال: لما توفى عمى محمد بن حامد، صار جدى إلى منزله، فنظر إلى تركته وجعل يقلب ما خلف، ويخرج إليه منها الشيء بعد الشيء، إلى أن أخرج إليه سَفَطَ غُثُومٍ؛ فَقَضَّ الحُطَامَ وفتحه، فإذا فيه رِقَاعٌ عَرِيبٌ إليه؛ فجعل يتصفحها ويستم، فوَقَعَتْ في يده رُقْعَةٌ فقرأها ووضعها بين يديه، وقام لحاجته؛ فقرأها فإذا فيها :

وَيْلِيَّ طَيْكَ وَمِنْكَ! * أَوْقَعْتُ فِي الْحَقِّ شَكَا
زَعَمْتُ أَنِّي خَوْثُونٌ * جَوْرًا عَلَى وَإِفْكَ
إِنْ كَانَ مَا قُلْتُ حَقًّا * أَوْ كُنْتُ أَزْمَعْتُ تَرْكَا
فَأَبْدَلُ اللَّهَ مَا بِي * مِنْ ذِلَّةِ الْحُبِّ تُسْكَ

قال : وهذا الشعر لعريب .

وأما أخبارها مع المأمون وإخوته وغير ذلك من أخبارها - قال صالح ابن علي بن الرشيد المعروف بزُفْرَانَةَ : تَمَارَى خَالِي أَبُو عَلِيٍّ وَالْمَأْمُونُ فِي صَوْتٍ ، فقال المأمون : أَيْنَ عَرِيبٌ ؟ بِفَاءٍ وَهِيَ مَجْمُوعَةٌ ، فَسَالَهَا عَنِ الصَّوْتِ ؛ فَقَالَتْ فِيهِ بَعْضُهَا . فقال لها : غَنِيهِ . فَوَلَّتْ لِتَجِيءَ بِالْعُودِ ؛ فَقَالَ : غَنِيهِ بِلَا صُودٍ . فَأَعْتَمَدْتُ مِنَ الْحُمَّى عَلَى الْحَائِطِ وَغَنَنْتُ ، وَأَقْبَلْتُ حَقْرَبُ فَرَأَيْتُهَا وَقَدْ لَسَبَتْ يَدَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، فَانْحَسَتْ يَدَهَا وَلَا سَكَنَتْ حَتَّى فَرِغَتْ مِنَ الصَّوْتِ ؛ ثُمَّ سَقَطَتْ وَقَدْ غُشِيَ عَلَيْهَا .

قال عثمان بن العلاء عن أبيه : عَنَبَ الْمَأْمُونُ عَلَى عَرِيبٍ فَهَجَرَهَا أَيَّامًا ، ثُمَّ أَعْتَلَتْ فَعَادَهَا فَقَالَ : كَيْفَ وَجَدْتِ طَعْمَ 'الْجَرِّ' ؟ فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْلَا مِرَارَةُ

المجر ما عُرفت حلاوة الوصل، ومن ذم بدء الغضب حمداً عاقبة الرضا . فخرج المأمون إلى جلسائه فحدثهم بالقصة ؛ ثم قال : أترى لو كان هذا من كلام النظام لم يكن كثيراً !

وقال أحمد بن أبي دؤاد : جرى بين المأمون وبين عريب كلام، فكلّمها المأمون بشيء غَضِبَتْ منه فهجّره أياماً . فدخلتُ على المأمون، فقال : يا أحمد، اقض بيننا . فقالت عريب : لا حاجة لي في قضائه ودخوله بيننا، وأنشأت تقول :

ونحيط المجر بالوصل ولا * يدخل في الصلح بيننا أحد^(١)

وكانت قد تمكّنت من المأمون وأخذت بجامع قلبه، وذهب به حباً كلّ مدّهب ؛ وقد قدّمنا أنه قبل رجلها .

وكانت عريب تهوى أبا عيسى بن الرشيد أخا المأمون، وكان المشلُّ يضرب بحسنه وحسن غناؤه، وكانت ترمع أنها ما عشت أحدًا من بني هاشم وأصفتَه من الخلفاء وأولادهم سواء . ولم تزل عريب مبعولة عند الخلفاء محبوبة اليهم مُكرّمة لديهم إلى أن غضب عليها المعتصم والوائق وأنحرفا عنها . وكان سبب ذلك أن المعتصم وجد لها كتاباً إلى العباس بن المأمون ببلد الروم تقول فيه : أقتل أنت العلج حتى أقتل أنا الأعرور الليل هاهنا (تعني الواثق، وكان المعتصم آستخلفه ببغداد) . ولسميرى إن هذا من الأمور العظيمة التي لا تُحتمل من الأولاد والإخوة فكيف من أمة مغنّية ! رزق ما عندهم المكانة العظمى والمحّل الكبير لما أبقوها بعد الإطلاع من باطن حالها على هذه الطّوية . وكانت عريب تكابد الواثق فيما يصوغه من الألمان، وتصوغ في ذلك الشعر تغنيته لحناً فيكون أجود من خنّه .

(١) كما في الأعيان . رو الأصل : « ولا يصلح » .

قال : وكانت حَرِيبُ تُعَشِّقُ صَالِحًا الْمُنْذِرَى الْخَادِمَ ، فَرَوَّجَتْهُ سَرًّا . فَخَفِيَ
عنها أَنَّ بَعْضَ الْجَوَارِي دَخَلَتْ عَلَيْهَا يَوْمًا ؛ فَقَالَتْ لَهَا حَرِيبُ : وَيْحَكَ ! تَعَالَى إِلَى !
بِغَامَتِ ؛ فَقَالَتْ : قَبْلُ هَذَا الْمَوْضِعِ مَنَى ، فَإِنَّكَ تَجِدِينَ رِيحَ الْجَنَّةِ ، وَأَوْمَاتٍ إِلَى
سَالِفَتِهَا ، فَفَعَلْتَ ثُمَّ قَالَتْ لَهَا : مَا أَلْسَبُ فِي هَذَا ؟ قَالَتْ : قَبْلَى السَّاعَةِ صَالِحُ الْمُنْذِرَى
فِي هَذَا الْمَوْضِعِ . قَالَ : وَوَجَّهَهُ الْمُتَوَكِّلُ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ فِي حَاجَةٍ ؛ فَقَالَتْ حَرِيبُ فِيهِ :

أَنَا الْحَبِيبُ فَقَدْ مَضَى * بِالرَّغْمِ مَسَى لَا الرُّضَا

أَخْطَأْتُ فِي تَرْكِ لَيْلٍ * لَمْ أَتَى مِنْهُ عِوَضًا

وكانت حَرِيبُ تَهْوَى إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَدْبُورِيِّ هَوَاهَا ، وَلَهَا مَعَهُ أَخْبَارٌ وَحِكَايَاتُ ،
وَيَنْهَمَا أَشْعَارَ وَفِكَاهَاتُ . فَمِنْ مَكَاتِبَاتِهَا إِلَيْهِ مَا رَوَى عَنْ أَبِي الْمَعْتَرِ قَالَ : كَتَبْتُ
إِلَيْهِ تَدْعُوهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ : أَفَدِيكَ بِسَمْعِي وَبَصَرِي ، وَأَهْلَ اللَّهِ عَلَيْكَ هَذَا الشَّهْرُ
بِالْيَمِينِ وَالْمَغْفِرَةِ ، وَأَمَّا نَكْ عَلَى الْمُفْتَرَضِ مِنْهُ وَالْمُسْتَقْلُ ، وَلَيْفَكَ مِثْلُهُ أَعْوَامًا ، وَفَرَجَ
عَنْكَ وَعَنَى فِيهِ . وَكَتَبْتُ فِي شَيْءٍ بَلَّغْتُ عَنْهُ : وَهَبَ اللَّهُ لَنَا بِقَائِكَ مُتَمَتِّعًا بِالنَّعَمِ . مَا زِلْتُ
أَمِيسُ فِي ذِكْرِكَ ، فَزَّةٌ بِمَدْحِكَ ، وَمَرَّةٌ بِأَكْلِكَ وَبَذِكْرِكَ بِمَا فِيكَ لَوْ أَنَّ لَوْنًا . ابْتَحَدَ
ذَنْبُكَ الْآنَ ، وَهَاتِ مُجِيبَ الْكُتَّابِ وَتَفَاقَهُمْ . فَأَمَّا خَبْرُنَا أَمِيسُ فَإِنَّا شَرِينَا مِنْ فَضْلِ
نَبِيذِكَ عَلَى تَدْكَارِكَ رِطْلًا ، وَقَدْ رَفَعْنَا حَسَابِنَا إِلَيْكَ ، فَأَرْفَعْ حَسَابَنَا إِلَيْنَا ، وَخَبْرُنَا
مَنْ زَارَكَ أَمِيسَ وَالْهَلَاكَ ، وَأَيُّ شَيْءٍ كَانَتِ الْقِصَّةُ عَلَى جَهَنَّمَا . [وَلَا تُخْطَرُفُ ^(١)]
فَتُخَوِّجُنَا إِلَى كُشْفِكَ وَالْبَحْثِ طَلِكِ وَعَنْ حَالِكَ] ، وَقُلِ الْحَقُّ ، فَمِنْ صَدَقِ [نَجْمًا] .
وَمَا أَحْوَجَكَ إِلَى تَأْدِيبٍ ، فَإِنَّكَ لَا تُخَيِّنُ أَنْ تُوَدَّ . [وَالْحَقُّ أَقُولُ إِنَّهُ يَمْتَرِكُ كُرَازَ ^(٢)]

(١) كذا في الأغاني (ج ١٨ ص ١٨٤ طبع بلاق) . وفي الأصل * لم أألف عنه سرًا *

(٢) في الأصل : « فبك » . (٣) تخطف الشيء : جازوه . (٤) التكله عن الأمان .

(٥) كذا في الأغاني (ح ١٩ ص ٢٢ : ضبع بلاق) . وبإشارة الأصل : « وما أحوجك إلى تأديب »

فإنك لا تخين أن تودبه : (٦) « كُرَاز : شئ يحسب الإنسان من البرد الشديد .

شديد يجوز حد البتة . وكفاك بهنا من قولي عقوبة . وإن مُدَّت سمعت أكثر منه ^(١) . والسلام .

ولما نكَّب عبد الله بن يحيى بن خاقان ابن المدبر وحسه ، كتبَتْ إليه كتاباً تشوقه وتخبِّره استباحشها له وأهتامها بأمره ، وأنها قد سألت الخليفة في أمره فوعدها ما تحب . فأجابها عن كتابها ، وكتب في آخر الجواب :

لعمرك ما صوتُ بدیع لمَعِيد * بأحسنَ عندي من كتابِ عَرِيب
تأملتُ في أنشائه خطَّ كَاتِب * ورِقَّةَ مُشتاقٍ ولفظَ خَطِيب
وراجعتُ من وصلها ما استغفرتُ * وزهدتُ في وصل كلِّ حبيب
فصرتُ لها عبداً مُقرباً بليتها * ومُستسكماً من ودِّها بنصيب

- ١٠ وقال أبو عبد الله بن حملون : اجتمعت أنا وإبراهيم بن المدبر وابن ميادة والقياس بن زرزر في بستان بالمطيرة في يوم غيم ورذاذ يقطر أحسن قطر ونحن في أطيب عيش وأحسن يوم ، فلم نشعر إلا بعريب قد أقبلت من بعيد ، فوثب إبراهيم من بيننا نفرج حافياً حتى تلقاها ، وأخذ يركبها حتى نزلت ، وقيل الأرض بين يديها . وكانت قد هجرته مدةً لشيء أنكره عليه . بغامت وجلست وأقبلت عليه متبسمة ، ثم قالت : إنما جئتُ إلى مَنْ ما هنا لا إليك . فاعتذر وشفعنا له فريضت .
- ١٥ وأقامت عندنا يومئذ وباتت ، وأصطحبتنا من غد وأقامت عندنا . فقال إبراهيم :

ياي مَنْ حَقَّقَ الظُّلَّ به * وأَنَا زائرٌ مُبْتَدِئَا
كَانَ كَالنِّسْتِ تَرَانِي مُدَّة * وَأَتَى بَعْدَ قُنُوطِ مُرُويَا
طابَ يَوْمَانِ لَنَا فِي قُرْبِهِ * بَعْدَ شَهْرَيْنِ لَهْجَرِ مَضْيَا
فَأَقْرَأَ عَنِّي وَشَفَى * سَمَاءَ كَانَ لَجَسْمِي مُبْلِيَا

٢٠

وقال فيها أيضا :

أَلَا يَا حَرِيبُ وَبِقِتِ الرَّدى * وَجَنِّبِكَ اللهَ صَرْفَ الزَّمنِ
فَإِنَّكَ أَصْبَحْتَ زَيْنَ النِّساءِ * وَوَاحِدَةَ النَّاسِ فِي كُلِّ فَنٍّ
فَقُرْبُكَ يُدْنِي لَدَيْدَ الْحَيَاةِ * وَبُصْدُكَ يَنْفِي لَدَيْدَ الْوَسَنِ
فَنِعَمَ الْأَيْسُ وَنِعَمَ الْجَلِيسُ * وَنِعَمَ السَّمِيرُ وَنِعَمَ السَّكَنُ

وقال أيضا فيها وفي جَارِيَتَيْنِ بِدْعَةٍ وَنُحْفَةٍ :

إِنَّ حَرِيبًا خُلِقَتْ وَحَدَهَا * فِي كُلِّ مَا يَحْسُنُ مِنْ أَمْرِهَا
وَنِعْمَةً فِي خَلْقِهِ * يَقْصُرُ الْعَالَمُ فِي شُكْرِهَا
أَنْهَدْنِي جَارِيَتَاهَا عَلَى * أَنْهَأَ مُحَسَّنَاتِ دَهْرِيهَا
فِي دَعْمَةٍ تُبْدِعُ فِي تَجْوِيهَا * وَنُحْفَةٍ تُخَفِّفُ فِي زَمَرِيهَا
يَارَبِّ أَنْتَعِمَا بِمَا خُوِّلَتْ * وَأَمْدُدْ لَهَا يَارَبِّ فِي عَمْرِهَا

وقال علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب : كنت عند إبراهيم بن المدبر، فزارته
بِدْعَةٍ وَنُحْفَةٍ ، وأخرجنا رَقْعَةً مِنْ حَرِيبٍ ، فَقَرَأَهَا فَإِذَا فِيهَا : بِنَفْسِي أَنْتَ وَسَمْعِي
وَبَصَرِي ، وَقَالَ ذَلِكَ لَكَ . أَصْبَحَ يَوْمَنَا هَذَا طَيِّبًا - طَيِّبَ اللَّهِ عَيْشَكَ - قَدْ أَحْبَبْتَ
سَمَائِهِ ، وَرَقِي هَوَائِهِ ، وَتَكَامَلَ صَفَائِهِ ، وَكَأَنَّهُ أَنْتَ فِي رَقْعَةٍ شَمَائِكَ وَطَيِّبِ مَحْضَرِكَ
وَتَجَوَّرِكَ ، لَا فَقَدْتَ ذَلِكَ أَبَدًا مِنْكَ ! وَلَمْ يُصَادِفْ حَسَنُهُ وَطَيِّبُهُ مَتَا نَسَاطًا وَلَا طَرَبًا
لِأُمُورِ صَدَقَى عَنْ ذَلِكَ ، أَكْرَهَ تَغْيِصَ مَا أَشْتَهَى لَكَ مِنَ السُّرُورِ بِشَرْحِهَا . وَقَدْ بَعَثْتُ
إِلَيْكَ بِدْعَةٍ وَنُحْفَةٍ لِلْإِنْسَانِكَ وَتُسَرِّبُهُمَا سَرَّكَ اللَّهُ وَسَرَّرَ بِكَ ! . فَكُتِبَ إِلَيْهَا :

كَيْفَ السُّرُورُ وَأَنْتِ نَازِحَةٌ ، عَنِّي ! وَكَيْفَ يَسُوعُ إِلَى الطَّرَبِ !
إِنْ غِيَتْ ظَاغَ الْعَيْشُ وَأَتَقَعَعَتْ أَسْبَابُهُ وَأَلْحَتِ الْكُتْرُ

وأنفذ الجواب [إليها] . فلم تلبث أن جاءت على حمارٍ مَصْرِيٍّ، فبادر إليها وتلقاها حافياً حتى جاء بها إلى صدر المجلس، يظا الحمارُ بساطه وما عليه، حتى أخذ يركابها فأجلسها في مجلسه وجلس بين يديها. ثم قال :

أَلَا رَبُّ يَوْمَ قَصَرَ اللَّهُ طَوْلَهُ * بِقُرْبِ عَرِيبٍ، حَبْذَا هُوَ مِنْ قُرْبِ
بِهَا تَحْسُنُ الدُّنْيَا وَيَنْتَمُ عَيْشُهَا * وَتَجْتَمِعُ السَّرَّاءُ لِلْعَيْنِ وَالْقَلْبِ

وقال إبراهيم بن اليزيدي : كُتِبَ مع المأمون في بلد الروم . فبينما أنا أسير في ليلة مظلمة شاتية دات غيم وريح وإلى جاني قُبَّةٌ، إذ برقتْ بَرَقَةٌ فإِذَا في القُبَّةِ عَرِيبٌ . فقالت : يا إبراهيم بن اليزيدي . فقلت : لَيْلِيكَ ! قالت : قل في هذا العرق أبايَا مَلَاًحاً لأُغْنِيَّهَا . فقلت :

١٠ ماذا بقلبي من أليم الحَقِيقِ * إِذَا رَأَيْتُ لَمَعَاتِ الْبَرْقِ
مِنْ قِبَلِ الْأُرْدُنِّ أَوْ دِمَشْقِ * لِأَنَّ مَنْ أَهْوَى بِدَاكِ الْأَثَقِ
فَارْقُتْهُ وَهُوَ أَعَزُّ الْخَلْقِ * عَلَى وَالزُّورِ خِلَافُ الْحَقِ
ذَاكَ الَّذِي يَمْلِكُ مِثِّي رِقِّي * وَلَسْتُ أَبْنِي مَا حَيْثُ عَتَقِي

فَتَنَفَّسْتُ نَفْسًا طَنْتُهُ قَدْ قَطَعَ حَيَارِمُهَا، فقلت : وَيَحْيَاكِ ! عَلَى مَنْ هَذَا
التنفس ؟ فَصَحَّكَتْ ثُمَّ قَالَتْ : عَلَى الْوَطَنِ . فقلت : هِيَاكِ ! لَيْسَ هَذَا كُلُّهُ عَلَى
١٥ الْوَطَنِ . فَعَالَتْ : وَيَلِك ! أَطَلَمْتَ أَمَكِ تَسْتَفْزِنِي ! وَاقِهِ لَقَدْ نَظَرْتُ نَظْرَةً مَرِيَّةً
فِي مَجْلِسٍ فَأَدَّاهَا أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِينَ رَيْسًا، وَاقِهِ مَا عَلِمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِمَنْ كَانَتْ لِي هَذَا
الوقت .

(١) في الأصل : « وانشأ جواباً مع بيت » . والتصويب والزيادة من الأثر ١٩ - ١٠

وقال أبو العباس بن حمدون: غَضِبْتُ حَرِيبَ عَلَى بَعْضِ جَوَارِيهَا، فَبَغْتُ لَهَا
وَسَأَلْتُهَا أَنْ تَمْعُو عَمَّا، فَقَالَتْ - فِي بَعْضِ مَا تَقُولُهُ مِمَّا تَمْتَدُّ بِهِ عَلَيْهَا مِنْ ذُنُوبِهَا - :
يَا أَبَا الْعَبَّاسِ، إِنْ كَسَتْ قَشْتَهُى أَنْ تَرَى زِنَاىَ وَصَفَاقَةَ وَجْهِى وَجُرْأَتِى عَلَى كُلِّ
عَظِيمَةٍ أَيَّامِ شَابِى، مَا ظَنَرْتُ لَهَا وَأَعْرِفُ أَخْبَارَهَا. قَالَ: وَكَانَتْ فِي شَبَابِهَا يُقَدِّمُ
لَهَا الْبَرْذُونَ فَتُطْفِرُ عَلَيْهِ بِلا رِكَابٍ.

وقال أبو العباس بن الفرّات: حَدَّثَنِي بِذُعة جَارِيَةٍ حَرِيبَ: أَنَّ حَرِيبَ
كَانَتْ تَجِدُ فِي رَأْسِهَا بَرْدًا وَكَانَتْ تُثَلِّفُ رَأْسَهَا بِسَتِينَ مِثْقَالًا مِسْكَ وَعَنْدًا، وَتَغْسِلُهُ
مِنْ جَمْعَةٍ إِلَى جَمْعَةٍ، فَإِذَا غَسَلَتْهُ جَدَّدَتْ فِيهِ، وَتَقْتَسِمُ الْجَوَارَى غُسْلَةَ رَأْسِهَا.

وقال حَلِي بْنُ الْمُتَعَمِّمِ: دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى حَرِيبَ مُسَلِّمًا عَلَيْهَا، فَلَمَّا جَلَسْتُ هَمَلْتُ
السَّيَاءَ بِمَطَرٍ عَظِيمٍ. فَقَالَتْ: أَيْمٌ عِنْدِي الْيَوْمَ حَتَّى أَغْنِيَكِ أُمًّا وَجَوَارِي، وَابْعَثْ إِلَى مَنْ
أَحْبَبْتَ مِنْ إِخْوَانِكَ، فَأَمَرْتُ بِدَوَابِّ فُرْدَتْ، وَجَلَسُوا تَحْتَهُ. فَسَأَلَنِي عَنْ خَبَرِنَا
بِالْأَمْسِ فِي مَجْلِسِ الْخَلِيفَةِ وَمَنْ كَانَ يُعْنِينَا، وَأَيُّ شَيْءٍ أَسْتَحْسِنُهُ مِنَ الْفَنَاءِ. فَأَخْبَرْتَهَا
أَنَّ صَوْتَ الْخَلِيفَةِ كَانَ لَحْنًا صَنِهَ بَنَانٍ مِنَ الْمَخَاوِرِ. فَقَالَتْ: وَمَا هُوَ؟ فَقُلْتُ:

تَجَنَّقَى ثُمَّ تَطْلِقُ * جُحُونٌ حَشَوُهَا الْأَرْقُ
وَدَى كَلَفٌ بِكِي جَزَمًا * وَسَفَرُ الْقَوْمِ مُنْطَلِقُ
بِهِ قَلْقُ يُمْلِكُهُ * وَبَرْقُ وَمَا بِهِ قَلْقُ
وَأَعْصَمُهُ عَلَى خَطَرٍ * شُرْبِي تَحْتَرِقُ

فَوَجَّهْتُ رَأْسِي إِلَى مَا نَافَسَ، فَغَضِبَ
وَوَدَّ مَا أَكَلَتْ وَوَدَّ مَا أَكَلَتْ
فَوَجَّهْتُ رَأْسِي إِلَى مَا نَافَسَ، فَغَضِبَ

أجاب الوابلَ الفليقُ * وصاح التّرجسُ الفسّيقُ
وقد ضَيَّ بنانُ لنا : * «جُفُونُ حَشْوِهَا الْأَرْقُ»
فهاك الكاسُ مُتَمَرَّةٌ * كأنَّ خِتامَها حَدَقُ

قال : فما شربنا بقيّة يومنا إلا على هذه الأبيات .

- وأخبار عريب كثيرة، قد وضع عبد الله بن المعرف فيها ديواناً . وفيما أوردناه .
من أخبارها كفاية لا تحتمل المختصرات أكثر منها . والله تعالى أعلم .

ذكر أخبار محبوبه

قال أبو الفرج : كانت مولدة من مولدات البصرة، شاعرة، سريعة الخطا، مطبوعة، لا تكاد تفضلُ الشاعرة الجمالية تتقدمها، وكانت أجمل من فضل وأعف، وكانت تنفي غناء غير فائز .

١٠

وقال علي بن الجهم : كانت محبوبته لبعد الله بن طاهر أهداها إلى المتوكل في جملة أربعائة جارية . وكانت بارعة الحسن والعُرف والأدب، مغنية محسنة، فخطبت عند المتوكل حتى كان يُجلسها خلف الستارة وراء ظهره إذا جلس للشرب، فيدخل رأسه إليها فيراها ويحدثها في كل ساعة .

- وقال علي بن يحيى المنجم : كان علي بن الجهم يقرب من أنس المتوكل جداً، فلا يكتمه شيئاً من سرّه مع حرّمة وأحاديث خلواته . فقال له يوماً : أتى دخلتُ على قبيعة فوجدتها قد كتبت أسمى على خدّها بنالية، فلا والله ما رأيت شيئاً أحسن من سواد تلك الغالية على بياض ذاك الخلد؛ فقل في هذا شيئاً — قال : وكانت محبوبه حاضرة الكلام من وراء الستارة — فدعا علي بن الجهم بدواة، فإلى أن أُوِّد بها وابتدأ يفكر قالت محبوبه على البليهة من غير فكرة ولا روية :

١٠

وكتبت في الخلد بالمسك جعفرًا * بنفى تخط المسك من حيث أُرَا
لئن كتبت في الخلد سطرًا بكفها * لقد أودعت قلبي من الحب أسطرًا
فيامرُ بملوكِ الملكِ يمينه * مُطيع له فيما أسرَّ وأظهرًا!
ويا من هواها في السريرة جعفرُ * سقى الله من سقى سائلك جعفرًا

قال : فبقى على بن الجهم وأجما لا ينطق بحرف ، وأمر المتوكل بالآيات
فبعث إلى عريب وأمرها أن تفتي فيها . قال على بن الجهم : فتعيرت والله
وتحلبت خواطري ، فوالله ما قدرتُ على حرف واحد أقوله .

وقال أيضا : غاضب المتوكل يوما بحبوبة وهجرها ومنع جواريسا جميعا من
كلامها ، ثم نازعته نفسه إليها وأراد فلك ، ثم نازعته العزة منها وامتنع من ابتدائها ،
وامتنعت من ابتدائه دلالة عليه لعلها منه . قال على : فبكرت إليه يوما ، فقال لي :
يا على ، إني رأيت البارحة في نومي كائن صالحت محبوبة . فقلت : أتوالله عينك
يا أمير المؤمنين وأناملك على خير وأيقظك على سرور ؟ أرجو أن يكون هذا الصلح
في البقظة . فبهنا هو يحدثني وأحدثه إذا بوصيفة قد جاءت فأمرت إليه شيئا ، فقال :
أندري ما أسرت إلى هذه ؟ قلت لا . قال : حدثني أنها أجازت بمحبوبة الساعة وهي
في حجرها تفتي ، أفلا تعجب من هذا ؟ أنا مُقاضِبا وهي متهاونة بذلك ، لا تبدؤني
بصلح ثم لا ترضى حتى تفتي في حجرها ، فقم بنا حتى نسمع ما تفتي . ثم قام وتبعته
حتى آتته إلى حجرها ، وإذا هي تفتي :

أدورُ في القصر لا أرى أحدا * أشكو إليه ولا يكلمني
حتى كأتى أثبت مَنصية * ليست لها توبة تُخلصني
فهل لنا شافعُ إلى ملكٍ * قد زارني في الكرى وصالحني
حتى إذا ما الصُّباحُ لاح لنا * عاد إلى هجره فصارمني

فَجِيبُ الْمُتَوَكِّلِ ، وَأَحْسَنُ بِمَكَانِهِ فَأَمَرْتُ بِمَخْدُمَيْهَا أَنْ يَخْرُجُوا وَتَحِيَّتِي ، وَنَجَّيْتُ
إِلَيْهِ لِحَدِيثِهِ أَنَّهَا رَأَتْهُ فِي مَنَامِهَا فَأَتَتْهُت وَقَالَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ وَغَتَتْ فَمَنَّا ؛ فَخَذَّهَا
هُوَ أَيْضًا رُؤْيَاهُ وَأَصْطَلَحَا . فَلَمَّا قُتِلَ الْمُتَوَكِّلُ سَلَامَ جَمِيعِ جَوَارِيهِ غَيْرَهَا ؛ فَإِنَّهَا لَمْ تَزَلْ
حَزِينَةً هَاجِرَةً لِكُلِّ لَذَّةٍ حَتَّى مَاتَتْ . وَلَهَا فِيهِ مَرَاتُ .

حكى أبو الفرج : أنَّ مَصِيفًا بعد قتل المتوكل أحضرها يوماً وأحضر الجوارى ،
 فجئن وعليهن الثياب الملونة المَدْبُوعَة والحُلِيّ وقد تَزَيَّنَّ وتعطَّرنَ ، وجاءت محبوبةٌ وعليها
 ثيابٌ بيضٌ غير فائحة حزنًا على المتوكل . ففنى الجوارى جميعًا وشَرِبْنَ ، وطُربَ
 ومَصِفٌ وشَرِبَ . ثم قال : يا محبوبة ، عَنِّي ؛ فأخذت المود وغنَّتْ وهي تَبْكِي :

اٰی عِشْ یَطِیْبُ لٰی ۝ لَا اَرٰی فِیْہِ جَعْفَرَا

۱۰. مَلِكًا قَدَرَاتُهُ عِجٌّ - فِي قَبِيلٍ مُعَفَّرَا

كُلُّ مَنْ كَانَ ذَاهِيًا • مِمْ وَحُزْنٌ فَقَدْ بَرَّآ

غير محبوبة التي • لو ترى الموت يُسَدِّدِي

لأشترته بملكها * كل هذا الثمنا

إِنَّمُوتُ الْكَثِيبَ أَحْمَرُ * لَحُ مِنْ أَنْ بَعْمَرَا

فاشئذ ذاك على وصيف وممر بقتلها ، فاستوجبها نعمة الله بها له . فاحتقرا ١٥
وأمر بإخراجها وأن تكون : حسنة تغار من اللاد . فخرجت إلى بغداد .
سمر من رأي ، أنعمت ديارها بول عمها وه . فأمم فيها أحد . رحها الله .

دَرِ اَخْصَارِ عَيْبِ الْجُورِيَةِ

قال في الحج المبرور كسائر منعه من الحج المبرور

في النسخة والأدب) ش. د. د. ب. ١٩٤٠. ١١٠

بشهادته . قال : وكان أبو حشيشة يعظمها ويعترف لها بالرياسة والأستاذية . وكانت من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم صوتاً ، وكانت لا تخلو من عشق . قال : ولم يعرف في الدنيا امرأة أعظم صنعة منها في الطنبور . وكانت لها صنعة عجبية . فنها في الرمل :

كُنْ لِي شَفِيعاً إِلَيْكَ * إِنْ خَفَّ ذَاكَ عَلَيْكَ
وَأَعْفِنِي مِنْ سُؤَالِي * سَوَالِكَ مَا فِي يَدَيْكَ
يَا مَنْ أَعَزُّ وَأَهْوَى * مَا لِي أَهْوَيْتُ لَدَيْكَ

قال : وحضرت يوماً عند علي بن المهيم اليزيدي وعنده عمرو بن مسعدة وهارون بن أحمد بن هشام ، بغناه إسحاق بن إبراهيم الموصلي فأخبره خبرهم . فقال له إسحاق : إني كنت أشتى أن أسمع عبيدة ، ولكنها إن عرفني وسألتوني أن أعتق بحضرتها أنقطع ولم تصنع شيئاً ، فدعوها على جبلتها^(١) ، فواقوه على ذلك ، ودخل وكتموها أمره ، وكانت لا تعرف إسحاق . وقدم النبيذ ، ففنت لحناً لها :

قَرِيبٌ غَيْرُ مُقَرَّبٍ * وَمُؤَلَّفٌ كَجُتْنَبٍ
لَهُ وَدَى وَلِي مِنْهُ * دَوَاعِي الْمَمِّ وَالكَرْبِ
أَوَّاهِلُهُ عَلَى سَهَبٍ * وَيَهْجُرُنِي بِلا سَبَبٍ
وَيُظَلِّقُنِي عَلَى تَقِيَةٍ * بِأَنْتَ إِلَيْهِ مُقَلَّبِي

قال : فطرب إسحاق وشرب نصفاً ، ثم تفتت وشرب ، حتى وآلى بين عشرة أنصاف ؛ قال علي بن المهيم : وشربنا معه . وقام إسحاق ليصلي ، فقال لها هارون : ويحك يا عبيدة ! ما تبالين والله متى ميت ! قالت : ولم ؟ قال : أكثرين من المستحسن غناءك والشارب عليه ما شرب ؟ قالت : لا والله . قال : إسحاق بن إبراهيم ، فلا

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصل : «دعوها على حلتها» .

تُمرِّقُهُ أَنْتَ قَدْ عَرَّخْتِهِ . فلما جاء إسحاق ابتدأت تمنى فليحيتها هيبه له واختلاط ،
فتمصت مصصاً يدينا . قال : أعزضوها من أنا؟ فقلت : نعم ، عزضها هارون . فقال
إسحاق : قوم إذا فتنصرف ؛ فإنه لا خير في عشرتكم الليلة ولا فائدة لى ولا لكم ؛
وقام فأنصرف .

- وقال ملاحظ غلام أبى العباس : اجتمع الطنبوريون عند أبى العباس بن الرشيد
يوماً وفيهم المسنود وعبيدة . فقالوا للسود : حن ؛ فقال : لا والله ، لا تقدمت
على عبيدة وهى الأستاذ ، فساغنى حتى غنت . وقال محمد بن عبد الله بن مالك
الخزاعى : سمعت إسحاق يقول : الطنبور إذا تجاوز عبيدة هذيان .



- هذا ما أمكن إيرادها فى هذا الباب من أخبار من أشتهر بالغناء ، وأخبار القيان ،
وهو مختصر مما أورده أبو الفرج الأصفهاني — رحمه الله تعالى — فى كتابه المترجم
بالأغانى من أخبارهم . ولم يلزم استيعابهم بل ذكرنا أكثرهم وأشهرهم بالغناء ،
وذكرنا من أخبارهم ما فيه كفاية . فلنذكر خلاف ذلك .

الباب السابع

من القسم الثالث من الفن الثاني

فيما يحتاج إليه المغني ويضطر إلى معرفته، وما قيل في الغناء،
وما وُصفت به القيّان، ووصف آلات الطرب

ذكر ما يحتاج إليه المغني ويضطر إلى معرفته وما قيل

في الغناء والقيّان من جيد الشعر

- قال مالك بن أبي السَّمْع : سألت ابن أبي إسرائيل عن المُحَسِّن المصيب من
المغنين، فقال : هو الذي يُشج الأَلحان، ويملا الأَغاس، ويمثل الأوزان،
ويفهم الألفاظ، ويعرف الصواب، ويُقيم الإعراب، ويستوفي النغم الطوال،
ويحسن مقاطع النغم القصار، ويصيب أجناس الإيقاع، ويختلس مواضع التبرّات،
ويستوفي ما يشاكلها من التقرّات . فرضتُ ما قال على معبد، فأستحسنه وقال :
ما يقال فيه أكثر من هذا . وقد رُويت هذه المقالة عن ابن سُرَيْج . وقال إبراهيم
الموصل : الغناء على ثلاثة أضرب : فعربٌ مله مطربٌ يحرك ويستغف، وضربٌ
ثانٍ له نغمٌ ورقّة، وضربٌ ثالث حكمة وإتقان صنعة . وقال : كان هذا كله مجعوماً
في غناء ابن سُرَيْج . وقال أبو عثمان الناجم : يُجوّح الحلق الطيّب نُسيبه مريض
الأجفان الفاترة .



وأما ما قيل في الغناء وما وُصفت به القيّان .

- حكى أن بعض المُحدّثين سمع غناءً بحُرّاسان بالفارسية، فلم يدْرِ ما هو غير أنه شوقه
لشجاء وحُسنه، فقال في ذلك، وقيل إنه لأبي تمام :

حَدَّثَكَ لَيْلَةً شَرُفَتْ وَطَابَتْ * أَقَامَ سُهَادَهَا وَمَضَى كَرَاهَا
 سَمِعْتُ بِهَا غِنَاءً كَانَ أَوَّلَى * بَانَ يَهْتَادَ نَفْسِي مِنْ عَنَاهَا
 وَمُسِمِعَةٍ بِحَارِ السَّمْعِ فِيهَا * وَلَمْ تُضِئْهُ، لَا يَصْنَعُ صَدَاهَا
 مَرَرْتُ أَوْتَارَهَا فَشَقَّتْ وَشَاقَتْ * فَلَوْ يَسْطِيعُ حَاسِدُهَا قَدَاهَا
 وَلَمْ أَفْهَمْ مَعَانِيَهَا وَلَكِنْ * وَرَثَ كَيْدِي فَلَمْ أَجْهَلْ شَجَاهَا
 فَكُنْتُ كَأَنِّي أَعْمَى مُعْنَى * بِحَبِّ الْفَانِيَاتِ وَمَا رَأَاهَا

وقال كُتَّاجِمُ فِي بُحَّةِ حَلَقِي الْمَعْنَى :

أَشْتَهَى فِي الْفَنَاءِ بُحَّةَ حَلَقِي * نَاعِمِ الصَّوْتِ مُتَعَبٍ مَكْدُودِ
 كَأَنِّي الْهَبَّ أَضْعَفُهُ الشَّوْ * قِي فَضَاهِي بِهِ أَتَيْنَ الْعُودِ
 لَا أَحِبُّ الْأَوْتَارَ تَعْلُوكَا لَا * أَشْتَهَى الضَّرْبَ لَا زِيَاً لِلْعُودِ
 وَأَحِبُّ الْمَحْنَبَاتِ كَحَيِّ^(١) * لِلْبَايِ مَوْصُولَةً بِالنَّشِيدِ
 كَهُبُوبِ الصَّبَا تَوْسَطَ حَالَا * بَيْنَ حَالَيْنِ شِدَّةٍ وَرُكُودِ

وقال الناجم :

شَدُّوا أَلْدَ مِنْ أَبْتَدَا * الْعَيْنِ فِي إِخْفَاطِهَا
 أَحَلَّ وَأَشْهَى مِنْ مُنَى * تَقَيَّسَ وَصَدَّقَ رَجَاهَا

وقال محمد بن بشير :

وصوت ليني الأحرأ * رَاهِلِ السَّيْرِ الْحُسْنَى
 نَجَّحَ يَسْتَفِرُقُ الْأَوْتَا * رَحَى كُلُّهَا تَقَى
 فَمَا أَدْرَى الْيَدُ الْيُسْرَى * بِهِ أَشَقَى أَمْ الْيُمْنَى ؟

(١) في ديوان كُتَّاجِمِ طبع يوروت وفي نسختين مخطوطين منه أيضا محفوفين بدار الكعب المصرية :

« رَأَحِبِ الْمَحْنَبَاتِ » .

وقلنا لمغنيه * وقد غنى على المنى
 ألا يا ليت هذا الصو * ت حتى الصبح لا يفتي
 فقد أيقظت اللذا * ت عينا لم تزل وسنى
 وما أفهم ما يعنى * مغنيه إذا غنى
 ولكنى من حى * له استحس المعنى

وقال الثعالبي :

غناؤك يزيه جيش الكروب * وعيناك للناس عذر الذنوب
 فويل القلوب إذا ما رتوت * وإما شذوت فويل الحبوب

وقال أيضا :

ومائلة تسأل عنك قلنا * لها في وصفك العجب العجيب
 رنا ظلياً وغنى عندلياً * ولاح شقائقا ومشى قضييا

وقال عكاشة يصف قينة :

من كف جارية كأن بناتها * من فضة قد طرقت عنا
 وكأن يمنها إذا نطقت به * تلى على يدها الشمال حسابا

وقال ابن الرومي :

وقيان كأنها أتمها * عاطفات على بينها حوائى
 مطفلات وما حمن جيتنا * مرضعات واسن ذات لبان
 كل طفل يدعى بأسماء شتى * بين عود ومزهر وكران
 أمه دهر ما ترجم عنه * وهو بادى الغنى عن الترحمان

وقال أيضا :

كأنما رِقَّةٌ مسموعةٌ * رِقَّةٌ شَكَوَى سَبَقَتْ دَمْعَةً
غَنَتْ فلم تَحْتَجِ إِلَى زَامِرٍ * هل تُخَوِّجُ الشَّمْسُ إِلَى شَمْعَةٍ
كأنما غَنَتْ لشمس الضحى * فالْبَسَتْهَا حُسْنًا خَلَقَهُ

وقال التاجم :

ما صَدَحَتْ عَاتِبٌ وَمِنْ مَرُهَا * إِلَّا وَهِنًا بِاللَّهُوِ وَالْفَرَجِ
لَهَا غِنَاءٌ كَالْبَرْءِ فِي جَدِّ * أَضَاءَ طَوْلُ السَّقَامِ وَالْفَرَجِ
تَعْبُدُهَا الرِّيحُ فَهِيَ مَا صَدَحَتْ * إِبْرُقْنَا سَاجِدٌ عَلَى الْقَدَجِ

وقال أيضا :

ما تَنَنَّتْ إِلَّا تَكْشِفُ مُمْ * مِنْ فُؤَادٍ وَأَقْشَمَتْ أَحْزَانُ
تَفْضُلُ الْمُتَسِيمِينَ طَيِّبًا وَحُسْنًا * مَثَلُ مَا يَفْضُلُ السَّمَاعَ الْيَبَانُ
وقال أبو عبادة البُخَيْرِيُّ :

وَأَشَارَتْ عَلَى الْغِنَاءِ بِالْحَا * يَطِ مَرَايِضَ مِنَ التَّصَابِي، مِجْهَاجِ
فَطَرَبْنَا لَمَنْ قَبْلَ الْمَتَانِي * وَسَكَرْنَا لَمَنْ قَبْلَ الرَّاحِ

وقال كشاجم وهو أبو الفتح محمود :

أَفْدَى الَّتِي أَحَدْتُ لَنَا * شَمْسَ الضُّحَى وَاللَّيْلَ حَالِكِ
مَمْلُوكَةً جَلَّتْ فَلَيْدٍ * سَنَ تَغِي بِقِيَمَتِهَا الْمَالِكِ
عَرَضْتُ فَأَمَطْتُ عَوْدَهَا * ضَرْبًا يُمَرِّضُ لِلْهَالِكِ
وَيَقْبَعُهَا فَتَصَوَّرْتُ * بِالضَّرْبِ فِي كُلِّ الْمَسَالِكِ
وَيَسْتُ مِنْ إِدْرَاكِهَا * بَلَعْتُ صَوْتِي عِنْدَ ذَلِكَ
قَصُرَتْ يَدِي عَنْكَ الْغَدَا * ة ، فَكَيْفَ لِي بِبَيْتِ تَالِكِ

وقال أيضا :

بدت في نيسوة مثل آل * حمها أذبح إدماجا
يُخَازِنُ مِنَ الْأَرْدَا * ف كُنْهَانًا وَأَمَاجَا
ويسترن من الألبا * ر في اللباج ديباجا
وَقُضْبَانًا مِنَ الْفِضَّة * ية قد أثرت العاجا
وقد لآتت من الكور * على مفريقها تاجا
فلما طُفِرَ بِالْجِد * س أرمادا وأزواجا
تجَاوَبْنَ فَفَتِنَتْ * لك أرمالًا وأهزاجا
وتركن من الأوتا * ر إمساكا وإدماجا
فلا لوم على قلب * لك إن هيج فأهتاجا

٥

١٠

وقال علي بن عبد الرحمن بن يونس المتجمل في عوادة :

غَنَتْ فَأَخَفَتْ صَوْتَهَا فِي عُوْدِهَا * فَكَأَنَّمَا الصَّوْتَانِ صَوْتُ الْعُودِ
غِبْدَاءُ تَأْمُرُ عُوْدَهَا فَيُطِيعُهَا * أَبْدَا وَيَتَّبِعُهَا أَتْبَاعُ وَدُودِ
أَنْتَدَى مِنَ النَّوَارِ صُبْحًا صَوْتَهَا * وَأَرْقُ مِنْ نَشْرِ الثَّنَاءِ الْمَعُودِ
فَكَأَنَّمَا الصَّوْتَانِ حِينَ تَمَازَجَا * مَاءُ الْغَلَمَةِ وَأَبْنَةُ الْعُقُودِ

١٥

وقال أبو عون الكاتب :

تَسْدُو فَيَرْقُصُ بِالرَّو * مِنْ لَهَا وَيَزْمُرُ بِالْكُثُوسِ

وقال التاجم :

طَفِقْتُ تُغَنِّيَنَا لِحْنًا أَنْهَا * لِسُرُورِنَا بَغْنَاهَا تَغْنِينَا

وقال أبو هلال العسكري :

وَهَيَّجَتْ لِي مِنْ تَجْوِيٍّ وَمِنْ قَرَج * أَيْدٍ نَثَرَتْ عَلَى الْأَوْتَارِ عُشَابَا
لَا عَيْبَ فِي الْعَيْشِ إِلَّا خَوْفُ غَيْبَتِكُمْ * إِنَّتِ السُّرُورَ إِذَا مَا غَيْبْتُمْ غَابَا

٢٠

وقال هارون بن علي المتعم :

غُضِنَ عَلَى دُغِصٍ قَفَا مُنْهَالٍ * سَعَى بِكَاسٍ مِثْلَ لَمَحِ الْآلِ
وَفَاتَسَاتِ الطَّرِيفِ وَالذَّلَالِ * هَيْفَ الْخُصُودِ رُجَّحِ الْأَكْفَالِ
بِأَخْذِنَ مِنْ طَرَائِفِ الْأَرْمَالِ * وَتَحَكَّمَ الْخِفَافِ وَالثِقَالِ
تَجَرَّى مَعَ النَّاسِ بِلَا أَفْصَالِ * مِثْلَ أَخْلَاطِ الْخَمْرِ بِالزُّلَالِ
تَدْعُو إِلَى الصَّبْوَةِ كُلِّ سَالٍ * تَصْرَعُ كُلُّ فَاتِكِ بَطَالِ
بَيْنَ حَرَامِ اللَّهِوِ الْحَلَالِ * أَكْرَمُ مِنْ مَصَارِعِ الْأَبْطَالِ

وقال شاعر يندم مُغْنِيَا :

وَمُغْنٍ بَارِدِ النَّدَى * حِمَاً يُحْتَلُّ الْيَدَيْنِ
مَا رَأَى أَحَدٌ فِي * دَارِ قَوْمٍ مَرَّتَيْنِ
صَوْتُهُ أَقْطَعُ لِلذَّاتِ مِنْ مَطْوِيَةٍ بَيْنِ

وقال ابن الرومي :

فَظَلْتُ أَشْرَبُ بِالْأَرْطَالِ لَا طَرَبًا * عَلَيْهِ بَلْ طَلَبَا السُّكْرَ وَالنَّوْمَ

ذكر ما قيل في وصف آلات الطرب

(٢٤)

من ذلك ما وُصِفَ به العود . نظم أبو الفتح محمود المعروف بكشاجم فيقول

الحكاه : إنا العود مُرْتَكَبٌ عَلَى الطَّبَائِعِ الْأَرْبَعِ ، فَقَالَ :

شَدَّتْ بَقَلَتْ أَسْمَاعَنَا بِمُخَقِّفٍ * يُحْدِثُهَا مِنْ سَرِّهَا وَتُحْدِثُهُ
مُشَاكَلَةً أَوْ تَارُهُ فِي طِبَاعِهَا * عَنَّا صَرَمْنَا أَحْدَثَ الْخَلْقِ مُحْدِثُهُ^(١)
فَلِلنَّارِ مِنْهُ الزَّيْرُ وَالْيَمُّ أَرْضُهُ / وَلِلسَّرِجِ مِثْنَاءٌ وَلِلْإِثْمَانِ مِثْلُهُ

(١) في ديوان كشاجم : « ألف الخلق » .

وَكُلُّ أَمْرٍ يُرَاجَعُ مِنْهُ لِنِعْمَةٍ * عَلَى حَسَبِ الطَّيْعِ الَّذِي مِنْهُ يَبْعَثُهُ
شَكَرًا رَبِّ يُمَنَّا هَا فَظَلَّتْ بِسَارُهَا * تُطَوِّقُهُ طُورًا وَطُورًا تُرْعِشُهُ
فَمَا بَرَحْتُ حَتَّى أَرْتَا حَارِقًا * يُجَاوِبُهُ فِي أَحْسَنِ النَّفَرِ عَشْتُهُ
وَحَتَّى حَسِبْتُ الْبَابِلِيِّينَ أَلْقِيَا ٢٠ * عَلَى لَفْظِهَا السَّحَرَاءُ الَّذِي فِيهِ تَنْفَعُهُ

وقال آخر :

جَاءَتْ بِعُودٍ تُنَاقِضُهُ فَيُسْعِدُهَا * أَنْظَرُ بِدَائِعِ مَا تَأْتِي بِهِ الشَّجَرُ
غَنَّتْ عَلَى عُودِهِ الْأَطْيَارُ مِنْ طَرَبٍ * رَطَبًا، فَلَهَا ذَوَى غَنَّتْ بِهِ الْبَشَرُ
فَلَا يَزَالُ عَلَيْهِ أَوْ بِهِ طَرَبٌ * يَبْجَعُهُ الْأَعْيَانُ : الطَّيْرُ وَالْوَتَرُ

وقال آخر :

سَقَى اللَّهُ أَرْضًا أَنْبَتَ عَوْدَكَ الَّذِي * ذَكَتْ مِنْهُ أَنْفَاسُ وَطَابَتْ مَغَارِسُ
تَفَنَّتْ عَلَيْهِ الْوُرُوقُ وَالْعُودُ أَخْضَرُ * وَغَنَّتْ عَلَيْهِ الْفَيْدُ وَالْعُودُ يَاسُ

وقال آخر :

لَا تَحْسَبِ الْعُودَ إِنْ غَنَّتْكَ شَادِنُهُ * جَاءَكَ بِالطَّيْفِ فِيهِ نَعْمَةُ الْوَتَرِ
وَإِنَّمَا الطَّيْرُ أَلْقَتْ عِنْدَهُ خَبْرًا * فَمَعَذْبُوهَ قَمَّ الْعُودُ بِالْخَبَرِ

وقال آخر :

فَكَانَ فِي جِجْرِهَا وَلَدٌ لَهَا * صَمْتُهُ بَيْنَ تَرَانِيٍّ وَلَبَّانٍ
طُورًا تُدَغْدِغُ بَطْنَهُ فَإِذَا هُنَا * عَمَرَتْ لَهُ أُذُنًا مِنَ الْأَذَانِ

وقال الناجم :

إِذَا أَحْتَضَنْتَ عُودَهَا عَابَتْ * وَنَاقَضَهُ أَحْسَنَ أَنْ يُعْرِبَا
تُدَغْدِغُ فِي مَهَلٍ بَطْنَهُ ٢٠ * فَيُسَمِّمُنَا مُضْحِكًا مُعْجِبَا

وقال الحمدوني :

وانطلي بلسان لا ضميره * كأنه يَحْدُ نِيْطُ إِلَى قَتَمِ
يُئِدِي ضَمِيرَ سِوَاهُ فِي الْحَدِيثِ كَمَا * يُئِدِي ضَمِيرَ سِوَاهُ الْخَطِّ بِالْقَلَمِ

وقال كشاجم :

• جاءت بِسُودٍ كَأَنَّ قَتَمَهُ * صَوْتُ فَنَاءٍ تَشْكُو فِرَاقَ قَيِّ
مُخَفِّفٌ خَفَّتِ النَّفْسُ بِهِ * كَأَنَّمَا الزُّمَرُ حَوْلَهُ نَبَا
دَارَتْ مَلَاوِيهِ فِيهِ وَأَخْتَلَفَتْ * مَثَلِ اخْتِلَافِ الْكَفَّيْنِ شُبَّكَ
لَوْ حَرَّكَتَهُ وَرَاءَ مُنْهَزِمٍ * عَلَى بَرِيدِ لَمَاجٍ وَأَلْتَمَا
يَا حَسَنَ صَوْتَيْهِمَا كَأَنَّهُمَا * أُخْتَانِ فِي صَنْعَةٍ تَرَأَسَا
وهو على ذَا نِيْوُثٍ إِنْ سَكَتَتْ * عَنْهَا ، وَعَنْهُ تَنُوبُ إِنْ سَكَا

١٠

وقال أيضا :

وجاريةٌ مِثْلُ شَمْسِ النَّهَارِ * أَوْ الْبَثْرِ بَيْنَ الْحُجُومِ الدَّرَارِ
أَنْتَكَ تَمِيسُ قَدْ الْقَضِيْبِ * وَتَرَوُ بَعِيْنَ مَهَاةِ الْقِفَارِ
وَتَرْفُلُ فِي مُصْنَبِ أَيْضٍ * تَلَوْنُ مِنْ خَذَّهَا الْجُلَّارِ
وَمَجْمَلُ عَوْدًا فَصَبَّحَ الْجَوَابِ * يُشَارِكُ أَرْوَاحَنَا فِي التَّجَارِ
لَهُ عُنُقٌ كَذِرَاعِ الْفَنَاءِ * وَدَسْتَانَةٌ بِمَكَانِ السُّوَارِ
بِفَادَتْ عَلَيْهِ وَجَدَتْ لَهُ * بِسَيْفِ الْيَمِينِ وَلُطْفِ الْيَسَارِ
وَمَا أَمَلَتْهُ وَلَا نَهَيْتُهُ * مِنْ الظُّهْرِ حَتَّى تَقْصَى النَّهَارِ
وَلَمَّا تَنَنَّتْ غِنَاءَ الْوَدَاعِ * بِكَيْتٍ وَقَلْتُ لِبَعْضِ الْجَوَارِ :
لَنْ عِشْتُ عِنْدَ هَزَارِ اللَّقَاءِ * لَقَدْ مِثْتُ عِنْدَ هَزَارِ الْإِزَارِ

١٥

٢٠



وقال أيضا :

وكثيرة الغات تحسبها * في كل عضو أوتيت حلقا
غنت فظلت إخالى طربا * أسمو إلى الأملاك أو أرقى
وتكلمت أوتارها فانا * فيها أخبر بالذي ألقى
تحكى أنبنى وهى شاكئة * مما أجن وتشتكى عشا
وترى لها عودا نعاقة * وكلامه وكلامها ونفا
لو لم تحركه أاملها * كان الهواء يفيد نطقا
جسته عالمة بحالته * جس الطبيب لمدنف مرقا
فحبت يناها تحركه * رعدا، وخت يسارها برقا

١٠ وقال أيضا :

تيمس من الوثقى في حلة * تجز من فضل أذبالها
وتعمل عودا فصيح الحواب * يضاهي اللحن بأشكالها
له عقى مثل ساق الفتاة * ودسنة مثل خلخالها
فظلت تطارح أوتارها * بأهزاجها وبأرمالها
وتعمل جسا بلحس العروق * وتلوى اللوى بأمالها

وقال آخر يصف الطنبور :

عطف الخصر أجوف * جيله نصف سائر
أنطقه يدافى * فاطر اللحظ ساحر
بقلا عن ضميره * ما حوى في خواطيره

وقال سيف الدين المشد في دُف :

وطارية قَرَعَتْ طَارَهَا * وَغَنَّتْ عَلَيْهِ بِصَوْتِ عَجِيبِ
فَعَايَنْتْ شَمْسَ الضُّحَى أَقْبَلَتْ * وَبَدُرٌ تَقَدَّمَهَا عَنْ قَرِيبِ

وقال أيضا يصف شبابة :

وطارية مِنْ كُلِّ عَيْبٍ ، حَيِيَّةٍ * إِلَى كُلِّ قَلْبٍ بَاتٍ بِالْبَيْنِ مَجْرُوحَا
لَهَا جَسَدٌ مَيَّتٌ يَعِيشُ بِنَفْخَةٍ * مَتَى دَاخَلَتْهُ الرِّيحُ صَارَتْ بِهِ رُوحَا
تُعِيدُ الَّذِي يُلْقَى عَلَيْهَا بِلَذَّةٍ * تَزِيدُ فُرَادَ الصَّبِّ وَجَدًا وَهَرِيحَا
وَتَنْطِقُ بِالسَّحَرِ الْحَلَالِ عَنِ الْهُوَى * وَتُوحِي إِلَى الْأَسْمَاعِ أَطْيَبَ مَا يُوحَى

القسم الرابع من الفن الثاني

في التهانى والبشائر والمرائى والنوادر والزهد والتوكل والأدعية

وفيه أربعة أبواب

الباب الأول

من هذا القسم فى التهانى والبشائر

والتهانى تنقسم إلى قسمين وتُخَاز في جِهَتَيْن : خصوص وعموم . فالخصوص هو ما يتعلّق بالرجل من مُنَاصِبٍ إليه ، ونعمةٍ تواليه ، وولدٍ رُزِقَه ، وشفاءٍ من مرضٍ أَقْلَقَه وأزَقَه ، وقُدومٍ من سَفَرٍ ، وزواجٍ قضى به الأربّ والوطر . والعموم هو ما يتعلّق بالجمهور . ويتساوى فيه الملك والمملوك والآمّر والمأمور : من أنصباب ١٠
غِيثٍ عمّ الرّبا والوهد ، وجرّبانٍ نيل شِمْلٍ بربّه البلاد وآمن العباد وهزيمة عدوّ زد في عُدْرانِه وتمادى في طُغْيانِه ، وفتوح حصنِ أَمِنٍ أهلُه بتشييد أركانه وإتقانِ بِيانِه .

ذكر شيء مما هُتِيَ به ولاية المنصب

كتب بعض الفضلاء تهنئة بخلافة فقل :

أما بعد ، فإن أولى النعم بالدوام ، وأرجأها للبقاء والتمتع . وأجودها بنعمود ، وأقربها إلى المزيد ، وأحرها بالسلامة على نوب الأيام وتصريف لأحداث . بعمة نشأت بِنِئانِه . وسكنت ذَرَاهُ فحِمدتْ مَنوَه . وسأسها - وياؤُها بحسن المجاورة وكرم المصاحبة سياسة الحاني الشفيق . وكفّلوها كِفائَةَ الحَليبِ زَفِيق . فتمتّ وتمتّ ، وخصّت وخصّت ، ثم أعترضه من ريب الزمان ما هاج سَوَكنَه . وأزعج كَرَنَها .

وأصارها إلى الوحشة بعد الأنس، والثَّغرة بعد الإلف، نتقلقل فنقلقل العوادي،
وتشرد شرود الضوأل، لافظة لها الأقطار ونائية بها المحال؛ إلى أن أعادها الله تعالى
بلطفه إلى مغناها المعروف، ورَبَّعها المألوف؛ واستقرزت بعد الاضطراب، وقامت
بعد الاقتراب. وتلك نعمة الله عند سيِّدنا أمير المؤمنين، لما جدد له من كرامته،
وأصطفاه له من خلافه، وطوقه إياه من إمامته؛ وردّه إليه من تدبير الملك،
وأعتمد عليه من سياسة الأئام؛ فأحيا به السَّنن الفاصرة، وأزال به الرسوم الجائرة؛
ونَهج به سبيل العدل، وأقام به منار الفضل.

وقال طرَيْح بن إسماعيل التَّقَفِيّ في المنصور لما أفضت الخلافة إليه :

لَمَّا أَتَى النَّاسَ أَنَّ مُلْكَهُمْ * إِلَيْكَ قَدْ صَارَ أَمْرُهُ مَجْدُودَا

وَأَسْتَبْشَرُوا بِالرَّضَا تَبَاشَرَهُمْ * بِالْخُلْدِ لَوْ قِيلَ إِنَّهُمْ خَلَدُوا

كَتَبْتُ أَرَى أَنَّ مَا وَجَدْتُ مِنَ الْعَرِّ * حَقٌّ لَمْ يَلْقَ بِمِثْلِهِ أَحَدٌ

حَتَّى رَأَيْتُ الْعِبَادَ كُلَّهُمْ * قَدْ وَجَدُوا فِيكَ مِثْلَ مَا أُجِدُ

قَدْ طَلَبَ النَّاسُ مَا بَلَغَتْ فَا * نَالُوا وَلَا قَارِبُوا وَلَا جَهْدُوا

يَرْفَعُكَ اللَّهُ بِالتَّكْرُمِ وَالْتِق * بَوَى فَنَعَلُوا وَأَنْتَ تَقْتَصِدُ

وقال زيد السندي يهجو الوزير يعقوب بن كلثوم بوزارة العزيز بمصر:

إِنَّ الْوِزَارَةَ لَمْ تَزَلْ بِكَ صَبَّةً * تَهْوَاكَ لَمْ يَخْطُرْ سِوَاكَ بِيَاهَا

خُطِبَتْ فَلَمْ تُنْطِ الْفِيَادَ لَطَالِبٍ * وَأَبَتْ عَلَى طُلَّابِهَا بِرِوَالِهَا

وقال ابن بشر الصَّيْلِيُّ الكاتب يهجو الحسن بن إبراهيم التستري بوزارة مصر،

وقد وُزِّرَ لِمَنْ تَنْصَرُ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعَاةٍ :

يَوْمَكَ طَارَتْ فِي الْبِلَادِ الْبَشَائِرُ * وَطَابَتْ بِمَرْجُوعِ الْحَدِيثِ الْحَاضِرُ

وَأَصْبَحَتْ الْأَمْصَارُ أَمْنَا وَغِيظَةً * أَسْرَتْهَا مُهْتَرَةٌ وَالْمَنَابِرُ

وَقَامَ خُطِيبُ الْحَدِيدِ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ * يَمْنَدُ مَا تُعْمَلِي عَلَيْهِ الْمَأْتَرُ

ومنها :

لقد عاشرت منك الوزارة ما جداً • له كَفٌّ لا يَحْتَوِيهِ الْمُعَاشِرُ
فَسِجُّ أَمْتِدَادِ الظَّلِّ بَيْنَ رَحَابِهِ • وبين المعالي أهلُ الرِّقِّ طامِرُ
فَالَقْتُ مَصَاهَا وَأَسْتَقْرَبَهَا النَّوَى • كما قَرَعْنَا بِالْإِبَابِ الْمَسَافِرُ
وما زلتَ ملحوظاً لها ومؤخلاً • لِذَا الْأَمْرِ مَذْشُدَّتْ عَلَيْكَ الْمَآزِرُ

(٥٧)

وقال آخر :

كُلُّ رَمْتُ أَنْ أَهْنِكَ وَقْتًا • بِحَمَلٍ مِنَ الْعُلَا تَرْهِيهِ
شِئْتُ مَقْدَارِكَ الَّذِي أَعْجَزَ الْوَا • صَفَّ أَعْلَى مِنَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ

وكتب الحمدوني أخو صاحب التذكرة يثنى بالسلامة من حرق وقع في دار الخلافة :

الدنيا — أعزَّ الله أنصارَ الخُلُمة الشريفة — دارُ الامتحان والاختبار، وبجاز
الابتلاء والاعتبار؛ ولله فيما نزلَه فيها إلى عبادِه من نِعْمه، ونحوْلهم من مَوَاهِبِه وقِسْمِه،
عاداتٌ يقتضِيها بالغُ حِكْمَتِه، وماضٍ إرادتِه ومشيئَتِه؛ ليستيقظَ الذاهِل، ويعترفَ
الجَاهِل؛ ويزدادَ العالمُ اللبيبَ اعتباراً، ويستفيدَ العاقلُ الأريبَ تَصَكُّراً واستبصاراً؛
فلا يَفُكُلُ عن واجبِ الشكرِ إذا سِيقتَ النعمةُ إليه، ولا يلهو عن استدعاءِ المزيدِ منها
بالاعترافِ إذا أُسِيغتَ عليه؛ وهو أن الباري سبحانه إذا تابعَ آلاءه إلى جِدِّ والالها،
[وجردِها] له من الشوائبِ وأخلاها، وأماطَ عن مَشَارِبِها أَكْدارَ الدنيا المعابِوة على
الكَدْرِ، وتَعَمَّرَ مسارِبِها بالأمنِ من طوارقِ القَبَرِ؛ يخيفُ عليها الاقتضاضَ والزوالَ،
وتَوَقَّعَ لها الكَتْمَ والانتقالَ . ومن ذلك الخبرُ المروى : أنه لما أُنزلَ اللهُ تعالى
(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) أُنْبِجَ
الصباحُ رضى الله تعالى عنهم إلا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فإنه بكى . فقالوا :

(١) زيادة يقتضيا سياق الكلام . ولعل هذه الكلمة أورد في معانيها سقطت من النسخ .

ما يُبْجِكَ وقد أكل الله لنا ديننا برحمته ، وأتم لنا ما بين نعمته ؟ فقال : يسكنى أتم أمرٌ إلا بدا نقصه . فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قريب . وإذا كانت مشوبة برائع تخلل صفوها ، وطارق يجمع في بعض الأوقات عفوها ^(١) ؛ كان ذلك صارفاً عنها من الكمال ، مؤذناً بطول الآجال ؛ حاكماً لها بترانى عمر البقاء ، دالاً على الصعود بها إلى درج المنكث الطويل والارتقاء ؛ وحكمة حكم المرض الذى تصح به الأجساد ، وتمحص ذنوب من يسقط عليه من العباد :

فلا يهيج الأعداء سوء ظنونهم * قلله صنع في الذى ساء ظاهره
فكم طالب شيئاً به الشر كامن * وكم كاره أمراً به الخير وافر

فله الحمد الذى جعل ما جرت به الأقدار من الألم الواقع ظاهره ، والوجع لوقعه ناظره ؛ لعنائه جلت عظمته عنوانه ، وعلى دوام نعمته دليلاً واضحاً وبرهاناً . وإليه الرغبة فى أن يحصل الديار وساكنيها ، والناس فى أفاضى الدنيا وأدانيها ؛ لشريف الحوزة التى بها صلاح العالم فداء ، وعنها للكره وقاء . فكل حادث مع دوام هذه الأيام الزاهرة جلّ ^(٢) ، وكل عمر من نوائب الدهر مادافع لطف الله عنها وشل .

وقال أبو عبادة البحتري يهنئ الفتح بن خاقان بسلامته من الفرق :

بعتقك الحدج الجليل الواقع * ولمن يكأيذك الحسام الفاجع
قلنا : لما عتزت ولا تزل * ثوب الباي وهى عنك رواجع
ولربما عثر الجواد وشاؤه * متقدم وبنا الحسام القاطع
لن تظفر الأعداء منك بزلة * والله دونك حاجز ومُدافع ^(٣)
إحدى الحوادث شارفتك فردها * صنع الإله ولطفه المتتابع

٢٠ (١) الفو : الفضل والمعروف ونحوه . وأحوده .

(٢) النسر : الماء الكثير . وفى الأصل : « وكل عم » وهو محريب ، لأنه يريد المقابلة بينه وبين

« وشل » بهذه . (٣) كذا فى ديوان البحتري . وفى الأصل : « إن تطمر » .

حتى برزت لنا وبأشك ساكن * من نجدة وضياء وجهك ساطع
ما حال لون عند ذاك ولا هفأ * عزم ولا راع الجسوان رائع
وقال المتنبى يهني بعافية :

المجد عوفي إذ عوفيت والكرم * وزال عك إلى أعدائك الألم
وما أخضك في برء^(١) بهنشة * إذا سابت فكل الناس قد سايما

٥٨

ومما هنيء به من اتصل بزوجة ذات جمال وحسب، وأصالة وأدب .
وقلما تقع التهة بذلك إلا بين صديقين جمع بينهما الائتنام، وسقطت بينهما مشونة
الاحتشام، وتساويا في الرتبة، واتحدا في الصحبة .

فمن ذلك ما كتب به الوزير أبو الحسن العامري إلى بعض إخوانه وقد أبقى بأهل :
يا عيني طائر وأتم سعيد * يكون من الكريمين أجتاع


أما إنه المجد اليفاع، والحسن المطاع، تعارفت الطباع، فالتامت الأنفس
الشعاع؛ كما ألتقى الثريان، وأقترن الثيران؛ كما حاصر الرثم الضيف، وهاصر النسيم
الفصن المنعم؛ كما راق فوق المعطف الصارم المضرب، كما ألتقت الصبابة والبارد
العذب؛ بل كما فازت القيداح، ونظم الوشاح؛ واعتنق شن طبقة، واعتنق الروض
عقبه . فحبذا النسب شابتك الصبر، والحسب عاقده التقي والبر؛ على حين جرت
الأيامين، وأكتيف الحرم الآمن . وبالبنين والرقاء، والنعيم والصفاء، والثروة والثناء
والزمن الرغد والعزة القعساء الشماء؛ على الوفاق، واليوغام والانساق؛ ولحظوظ
والحدود، والفسطاط الممدود، وهضر العيش الأملود، والائتنام وتتابع البشري
بالفارس المولود . وما لي تأودت أعطافا، وتأقت أوصافا ! وتهللت جدلا، وبسطت
في الدعاء ميلا^(٢) ! هتاني الأرب، أم صفالي المشرَّب ! وقد غيت عن اليوم المشهود،

(١) كذا في ديوان المتنبى . وفي الأصل : « وما حمك في عون » . (٢) كذا في الأصل .

- وَعَطَلَتْ مُدَّةَ الْإِذْنِ لِلْوُفُودِ ، وَلَمْ أَقْمِ فِي السَّيَاطِ ، سَافِرًا عَنْ وَجْهِ الْإِغْتِبَاطِ ؛ أَتَلَقَّى
الْوَالِجَ بِمَبْرُورِ التَّحِيَّةِ ، وَأُفْتَدَى الْخَارِجَ بِحَكْمِ السَّرُورِ وَالْأَرِيحِيَّةِ ؛ وَأَتَحَنَّمُ رَفْعَ الْوُحَى
وَالْإِيْمَاءِ ، وَأَتَحَنَّمُ مِنَ الْمَصَافَاةِ وَالْمَوَالَاةِ فِي الْغَفِيرِ الْجَمَّاءِ ، كَلَا ! وَلَا شَهِدْتُ لَيْلَةَ
الزَّفَافِ ، وَمَا حَلَّتْ مِنْ مَحَاسِنِهَا الْأَفْوَافِ ؛ حَيْثُ دَارَتْ الْمُنَى سُلَافًا ؛ وَصَارَتْ
الْعُلَا دَوْحَةً أَلْفَاافًا ؛ وَأَبْدَى رَوْنَقَ السِّيفِ جِلَاءً ، وَأَبْرَزَ عَقِيلَةَ الْحَيِّ هِدَاءً ؛ هُنَاكَ
حَلَّتِ النِّمَاءُ ، وَنَهَلَتْ الْأَظْهَاءُ ؛ فَيَالَهُ مَنْظَرًا ، وَوَعْدًا مَظْنَرًا ؛ لَوْ تَاجَيْتُهُ مِنْ كَتَبٍ ،
وَكُرِعَتْ مِنْهُ فِي الْمَنْهَلِ الْأَعْذَبِ ! بَلِ ! لِمَنَّهُ وَقَعٌ ، فَشَفَى وَنَفَعَ ؛ وَالتَّرَكِبُ سَتَحٌ ، فَتَمَّ
مَامِنَحٌ ؛ أَهْدَاهَا حَمَلًا ، فَكَأَنَّمَا أَسْدَاهَا أَمَلًا ؛ أَتَلَجَّ الْفُؤَادُ ، وَأَوْرَى الزَّنَادُ ، وَقَى بِالنَّفْسِ
أَوْكَادُ ؛ وَفَلَّتْ عَنْ قِرَاهِ ، نَفْسٌ جَذِلَتْ بِسِرَاهِ ، وَأَرْجَتْ لَذِكْرَاهِ . وَفَهُ مَا أَحْظَاهِ
مَقْدَمًا وَأَعْلَاهِ فِي الْإِحْسَانِ قَدَمًا ، لَوْ وَهَبْتُ لِمُقْتَضَاهِ مِنَ الْكَرَامَةِ دِمَا . وَقَدْ كَانَ
فِي الْحَقِّ أَنْ أَهَاجِرَ ، وَأَعْصِي النَّاهِيَّ وَالزَّاجِرَ ؛ فَابْسُطْ لِي حُدْرًا ، وَأَعِدَّنِي لَكَ ذَنْعَرًا ،
وَيَطِبْ مَدَى الدَّهْرِ خَيْرًا وَخُبْرًا .

- وَمَا هُنَىٰ بِهِ مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ وَلَدًا وَزَادَهُ بِهِ قُوَّةً وَعَدَدًا . مِنْ
فَلَكَ مَا كَتَبَ بِهِ الْأَسَاطِذُ ابْنَ الْعَمِيدِ فِي فَصْلِ يَمِينِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُيُوتِهِ وَقَدْ وُلِدَ لَهُ
أَبْنَانُ تَوْعَمَانِ :

- وَصَلَ كِتَابُ الْأَمِيرِ بِالْبُشْرَى الَّتِي أَبَتْ النِّعْمَةُ بِهَا أَنْ تَقَعَ مُفْرَدَةً ، وَامْتَنَعَتْ
الدَّارِفَةُ فِيهَا أَنْ تَسْنَحَ مُوَحَّدَةً ، حَتَّى تَيْسُرَتْ مِئْتَحَانِ فِي وَطَنٍ ، وَاتَّعَظَمَتْ مَوْهِبَتَانِ
فِي قَرْنٍ ، وَطَلَعَ مِنَ النَّجِيبِينَ أَبِي الْقَاسِمِ وَأَبِي كَالِيَجَارِ — أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُمَا — طَالَمَا
مُلْكٌ ، وَبِحَا سَعْدٍ ، وَشَهَا بَا عِزٍّ ، وَكَوْكَبَا مَجْدٍ ؛ فَتَاهَلَّتْ بِهِمَا رِبَاعُ الْحَاسَنِ ، وَوُطِّئَتْ
لَهَا أَكْتَافُ الْمَكَارِمِ ، وَاسْتَشْرِفَتْ إِلَيْهِمَا صُدُورُ الْأَيْسَرَةِ وَالْمُنَابِرِ . وَفَهَمْتُهُ وَشَكَرْتُ
(١) فِي الْأَصْلِ : «أَنْ» وَهُوَ ضَرْفٌ رَاحٍ . (٢) وَرَدَّتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ هَكَذَا بِالْأَصْلِ ؟

الله تعالى شُكْرَ مَنْ نادى الآمالَ فأجابته مُكْتَبَةٌ، ودعا الأمانى بقاءه مُصِيبَةٌ، ^(١) وحدثته ^(٢) حمداً مكافئاً جسيم ما أتاح وعظيم ما أفاد؛ وأكتفى من السرور ما فسح مناج ^(٣)  التبطلة، وسهل موارد البهجة؛ وأشعث ما ورد إشاعة شرحت صدور الأولياء بمسارها، وأزعجت قلوب الأعداء عن مقارها؛ وسألت الله إتمام ما أذن به الأميران السيدان من معادة لا يهتدى إليها الاختيار علواً، ولا ترتقى إليها الأفكار سمواً؛ وسلطان تضيق البحار عن اتساعه، وتغفص الأفلاك عن ارتفاعه؛ ويسلخهما أفضل ما تقيمه السعود، وتعلو به الحدود، حتى يستغرقا مع السابقين إخوتهما مساعي الفضل، ويشيدنا قواعد الفخر، ويربهما صروف الدهر، ويضبطا أطراف الأرض، وهو تعالى قريب مجيب .

١٠ ومن كلام الوزير الفقيه أبي القاسم محمد بن الجذ الأندلسي :
إنَّ أحقَّ ما أنبسط فيه للتهنئة لسان، وتصرف في ميادين معانيه بيان وبنان؛
أملٌ رُبِّي فتأبى زمانا، وأستدعى فلوَى عِنا، وطاردته الأمانى فاتبعها حينا، وغالته
المهم فاشعرها حينا، ثم طلع غير مُرتقب، وورد من محبة المناج في عسكرٍ لحب؛ وكان
كالشعر إلى ما بعده من مواكب الآمال، والدليل على ما وراءه من كواكب الإقبال؛
١٥ أو كالصُبح أقرت عن أنوار الشمس مباسمه، والبرق نتابت إثر وميضه غمامته. وفي هذه
الجملة ما دل على المولود، المؤذن بترادف الحفظ وتضاعف السعود. فياله نعيم سعادة،
طلع في أفق سيادة، وغصن سناء، تفزع عن دوحة ملاء. لقد تهلت وجوه المحاسن
بامتلاكه، وأقبلت وفود الميامن لاستقباله؛ وظلمت له قلائد التمام، من جواهر
المكارم؛ وخص بالثدي الحوافل، بلبان الفضائل . وما كان منيت الشرف بإفراد

(٢) مصحبة : مقادة .

(١) في الأصل : « بجلته » .

(٣) في الأصل : « ما أدا » .

- تلك الأرومة الكريمة إلا مُقَشَّعَ الرِّبَا ، مُغَبَّرَ الثَّرَى ، متهافت أغصان الرضا . فأتا
وقد أهرق في أيكلة السَّيَادَةِ قَضِيبٌ ، ونشأ من نَيْتَةِ النِّجَابَةِ نَجِيبٌ ؛ فَأَخْلَقَ بِذَلِكَ الْمُنِيتِ
أن تماوده نصرته ، وترِفَ عليه حَبْرته ؛ وَيُرَاجِعُهُ رَوْقُهُ وَبِهَاوُهُ ، وتضاحكه أرضه
وسماؤه . فآلَهِدَ اللَّهُ عَلَى مَا أَتَاكَ مِنْ آثَاءِ الْأَمَلِ مِنْ جَمَاحِهِ ، وَأَخْيَالِ الْجَدَلِ فِي حَلْيَةِ
غُرَرِهِ وَأَوْضَاحِهِ . وهو المستول أن يهلك منه صَنَعًا يَحْسُنُ فِي مِثْلِهِ الْحَسَدُ ، وَيُتَمَنَّى
• لِفَضْلِهِ النَّسْلُ وَالْوَلَدُ ، بِمَزْنِهِ .

وقال أبو هلال العسكري :

- قد زاد في عدد الكرام كريمٌ • تحفُّصٌ صريحٌ في الكرام صميمٌ
عَالِيُ الْحَسَلَةِ لَا يَزَالُ كَانَهُ • لِلْمَرْقُودِينَ وَلِلسَّمَاءِ نَدِيمٌ
فَلَا مَرَدَ التَّعْصِيمِ كَيْفَ تَصَرَّفَتْ • دَ حَالَتِهِ ، وَلِشَانِهِ التَّضَخِيمُ
فَأَبْشِرْ فَقَدْ وَافَاكَ يَوْمَ رِزْقَتِهِ • حِفْظٌ بِتَحْظِيدِ السُّرُورِ زَعِيمٌ
فَرَجٌ تَكْفُلُ دَهْرُهُ بِتَمَامِهِ • حَتَّى يَكْرَ الدَّهْرُ وَهُوَ أَرُومٌ
إِنَّ الْهَلَالَ يَصِيرُ بَدْرًا كَامِلًا • وَيَهْدُ سَدَّ اللَّيْلِ وَهُوَ بِهِيمٌ
وهو الوجه إذا تبدى وجهه • وَغَدَا إِذَا نَزَلَ الْعَظِيمُ عَظِيمٌ
فَلَا هَلْ شَرَفٌ بِهِ مُتَوَلِّدٌ • وَلِمَسْمُومٍ بِهِ شَرَفٌ أَشْمُ عَمِيمٌ
فَأَقْرَرْ بِهِ عَيْنًا فَإِنَّ خِلَالَه • تَصْفُو وَتَسْلُسُ أَوْ يُقَالُ نَسِيمٌ
وَلِحَدِّهِ التَّصْمِيمُ حَيْثُ تَلَا حَقَّتْ • أَقْرَانُهُ وَلِشَاوِهِ التَّقْدِيمُ

ومن كلام صاحب بن عباد تهته بينت :



- أَهْلًا وَسَهْلًا بِقَبِيلَةِ النِّسَاءِ ، وَأُمَّ الْأَبْنَاءِ ؛ وَجَالِبَةِ الْأَصْهَارِ ، وَأَوْلَادِ الْأَطْهَارِ ؛
وَالْمُبَشِّرَةِ بِإِخْوَةِ يَتَنَافِسُونَ ، وَنَجَابِ يَتَلَا حَقُونَ .

فلو كان النِّسَاءُ كَمِثْلِ هَذِي • لَفُضِّتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ

وما التأنثُ لأكم الشمس عيبٌ * ولا التذكيرُ غفرٌ للهِلالِ
فأدرِغْ يا سيدي أغباطا ، واستأنف نشاطا ؛ فالدنيا مؤنثة والرجال يُخَدِّمونها ،
والذكور يعبدونها ؛ والأرض مؤنثة ومنها خُلقت البرية ؛ وفيها كَثُرَت الذَّرِّيَّةُ ؛ والسماء
مؤنثة وقد تَرَيْنَتِ بالكواكب ، وحَلَيْتِ بالنجم الثاقب ؛ والنفس مؤنثة وهي قِوام
الآبدان ، ومِلاك الحيوان ؛ والجنة مؤنثة وبها وُعد المتقون ، وفيها ينعم المرسلون .
فهنيئًا هنيئًا ما أُوليت ، وأوزعت الله شكرًا ما أُعْطيت ؛ وأطال بقاءك ما عُرِفَ النسلُ
والولد ، وما بَقِيَ الأبد ، وكما عُمِّرَ لَبَدٌ .

ومن كلام أبي المكارم بن عبد السلام من شعراء الخريدة :
هذا شُعَيْبُ النَّبِيِّ بَابَتْهُ صَفُورَاءُ أَتَا جِرَ موسى كَلِمَ الله . وهذا سَيِّدُ المرسلين ،
أَبْنَى الله بِغَاطِطَةِ أَبْنَتِهِ نَسْلَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ . وهذه أُمُّ الْكِتَابِ سُمِّيَتْ الْفَاتِحَةِ ، وهي
لأَبْوَابِ مُسَاجِدَةِ الرَّحْمَنِ فَاتِحَةٌ . وهذه مُحْكَمَاتُ الْقُرْآنِ ، بها ثَبَتَ شَرَائِعُ الْإِيمَانِ .
وهذه سُورَةُ النِّسَاءِ وَسُمِّيَتْ بِهِنَّ وهي مِنَ الطُّوَالِ ، ولا سُورَةٌ مِنَ الْقِصَارِ سُمِّيَتْ
بِالرِّجَالِ . عَلَى أَنَّ الدُّنْيَا بِأَسْمَرِهَا مُؤْنَثَةٌ وَالْمُلُوكُ مِنْ خُدَامِهَا ، وَالشَّمْسُ مُؤْنَثَةٌ وَالضُّيَاءُ
وَالْبَهَاءُ مِنْ تَمَامِهَا ؛ وَالنَّفْسُ تَوْنَتْ وَبِهَا فُضِّلَ النَّاسُ ، وَالْحَيَاةُ تَوْنَتْ وَهِيَ أَسَاسُ
الْحَوَاسِ ؛ وَالْعَيْنُ تَوْنَتْ وَبِهَا يُتَوَسَّلُ إِلَى عِلْمِ الدَّقَائِقِ ؛ وَالْبَدَنُ تَوْنَتْ وَهِيَ الْمُتَصَدِّقَةُ
لِتَجْبِيرِ الْأَشْيَاءِ ، وَالْمَعْضَدُ تَوْنَتْ وَبِهَا أَسْتَعَانَةَ سَائِرِ الْأَعْضَاءِ ؛ وَالسَّمَاءُ تَوْنَتْ وَهِيَ تُرْجَى
الْأَمْطَارُ ، وَالْأَرْضُ تَوْنَتْ وَهِيَ جَمْعُ أَطْيَابِ الثَّمَارِ ، وَالْجَنَّةُ تَوْنَتْ وَبِهَا وُعدُ الْأَبْرَارِ
الْأَخْيَارِ ؛ وَالْعَيْنُ (أخى الذهب) تَوْنَتْ وَبِهَا يُدْفَعُ الْهَلَكُ ، وَالْقَوْسُ تَوْنَتْ وَبِهَا عِزُّ الْمَلِكِ .
ومما هُنِيَّ بِهِ فِي الْمَوَاسِمِ وَالْقُدُومِ — قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ تَهْنِئَةً بِعِيدِ الْفَطْرِ :

قد مضى الصَّوْمُ صَاحِبًا مَحْمُودًا * وَأَتَى الْفِطْرُ صَاحِبًا مَوْدُودًا
ذهب الصَّوْمُ وَهُوَ يَحْيِيكَ نُسْكًا * وَأَتَى الْفِطْرُ وَهُوَ يَحْيِيكَ حُودًا

وقال آخر :

رأى العيدُ وجهك عيداً له * وإن كنتَ زِدْتَ طيه جمالاً
وكبر حينَ رآك الهلالُ : كِفَمَاكَ حينَ رأيتَ الهلالَ
رأى منك ما منه أبصرته * هلالاً أضاء ووجهاً تلالاً

وقال ابن الرومي يهني بعيد أخفى وهو يوم نوروز :

عيدان : أخفى ونوروز كأنهما * يوماً فمالك من يؤس وإنعام
كذلك يوماًك : يوم سيئه ديم * على العفاة ، ويوم سيئه داي

وقال أبو إسحاق الصابى :

يا سيِّداً أخفى الزما * نْ بأُتَيْهِ منه رَبيما
أيامٌ تَهْرِكُ لم تَرَلْ * للنَّاسِ أعياداً جميعا
حتى لأوشكَ يَدْنِهَا * عيدُ الحقيقة أن يضيما

وقال الشريف الرضى تهنئة بقُدوم :

قَدِمَ السُّرُورُ بَقَدَمِيهِ لَكَ بَشَرْتُ * غُرَّرَ الْعِلا وَعَوَّالِي التَّيْجَانِ
قَلَقْتُ طُلُبَا الْأَسَافِ بِكَ بَفَرَحِي * فَتَكَادُ تُنْهَضُهَا مِنَ الْأَجْفَانِ
قَدْ كَانَ هَذَا الدَّهْرُ يَلْمِظُ جَانِي * عَنْ طَرَفٍ لَيْثٍ سَاغِبٍ ظِمَانِ
فَالآنَ حِينَ قَدِمْتَ صُدْنَ صُرُوفُهُ * يَرْمُقَنِي بِنَوَاطِرِ الْفَزْلَانِ

ومما قيل من شواذِّ التهاني وهى الجمع بين التهئة والتعزية ، والبشارة والتسلية — فن ذلك ما قاله عبد الملك بن صالح للرشد ، وكان من يحسده قد قال للرشد عنه : إنه يُعَدُّ كلامه . فأنكر الرشد ذلك وقال : بل هو طبع . وجلس فى بعض الأيام ودخل عبد الملك ؛ فقال الرشد للفضل : قل له : ولِدَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

في هذه الليلة أبْنُ ومات له أبْن . فقال الفضل له ذلك . فدنا عبد الملك وقال :
يا أمير المؤمنين ، سَرَك الله فيما ساءك ، ولا ساءك فيما سَرَك ، وجعلها واحدةً بواحدة ،
ثوابُ الشاكر وأجر الصابر . فقال الرشيد : أهدأ الذي زعموا أنه يتصنع الكلام !
ما رأى الناس أطيع من عبد الملك في الفصاحة .

ومن ذلك ما حكاه ثُمَامَةُ بن أَشْرَس قال : لما دخل المأمون بغداد بعد قتل
الأمين دخلت عليه زُبَيْدَةُ بنت جعفر أم الأمين ، فجلست بين يديه وقالت : الحمد
لله ! إن أهلك بالخلافة فقد هتأت بها نفسى قبل أن أراك ، وإن كنتُ فقدتُ أبناً
خليفةً لقد اعتضتُ أباً خليفة . وما خسر من أعتاض مثلك ، ولا تكلتُ أمٌ ملأت
عينها منك . وأما أسأل الله أجراً على ما أخذ ، وإمتاعاً بما وهب . فقال المأمون :
ما تلد النساء مثل هذه ، ما تراها أبقت في الكلام بلغاء الرجال !

وقال عبد الله بن الحسن الجعفي السمرقندي يهني العزيز بخلافة مصر ويرى
أباه المعز :

قد أصبح الجوهر العلوي متيلاً * في خير من كان من خير الورى بدلاً
يا منعة كلت في محنة عظمت * لولاك في الدهر ما مال أمرؤ أملاً
صنع من الله في خطيب أتيح لنا * عم البلاد وعم السهل والجبال
كان الزمان بن أبى ومن أخذت * صروفه مذبذباً طوراً ومتميلاً
قام العزيز بما أفضى المير به * إليه مضطرباً بالمير محتملاً
فقام أحفظ مسترعى رعى فكفى * من بعد خير إمام قوة الميلاً
كالسيف منصلاً والبحر مندفعاً * والبذر مؤلقاً والغيث محتيلاً
ومنها :

في طلعة البدر من شمس الضحى عوض * وغائمة الليل يحلو جنتها أبْن جلا

٩٦

وما الأئمة إلا أنجم زهر * يدولنا كوكب إن كوكب أفلا
 إك الميز الذي لا خلق يشبهه * إلا العزيز ابنه إن قال أو فعلا
 ملك وجدنا الثقي والعذل مدته * إذا الملوك استعدوا الكيد والحيلة
 تمت إلى العالم الثوري هيمته * ففارق القم الأرضي وانتقلا
 وراجعت نفسه في القدس عنصرها * ولم يزل بحبال الله متصلا
 لم يرخص خلقا من الدنيا يحاوره * إلا الملائك في الفردوس والرسل
 لولا نزار وعين الله تحرسه * كما بفقد معد أمة هملا
 فإن معنى كافل الدنيا وما صممت * فذا أبنه كافل عنه بما كفلا
 وإن هوى الجبل الراسي فذا جبل * رأس لنا بعده ، أعظم به جبلا
 عمت خلافته الدنيا بروقها * كأنه الشمس فيها حلت الحملا
 ملك أغر وأيام حجلة * ودولة كل وقت تهر الدولا
 أضحت ملوك بني الدنيا له خولا * وما حوت كل دار منهم نقلا
 ياتها الملك المأمول نائله * ومن هو الغاية القصوى لنا أملا
 كان السرير سرير الملك منحصفا * حتى أرتقيت ذراه فأرتقي وعلا

ومن ذلك ما كتب به عامل إلى المصروف به :

قد قلدت العمل بناحيك ، فهناك الله بتجدد ولايتك ، فأنفذت خيلتي
 لخلائك ، فلا تحمله من هدايتك ، إلى أن يمش الله بزيارتك .
 فأجابه : ما أنتقلت عنى نعمة صارت إليك ، ولا خلوت من كرامة أشملت
 عليك . وإني لأجد صرفي بك ولاية ثانية وصلة وافية ؛ لما أرجو لمكانك من
 حسن الخاتمة ومحمود العاقبة . والسلام .

(١) في الأصل : « كامل الدنيا » . (٢) في الأصل : « تجدد » من ميراث البحر .



وكتب إبراهيم بن عيسى الكاتب يميني إبراهيم بن المدبر العزل عن عمل :
 لِيَتَّبِعْ أَبَا إِسْحَاقَ أَسْبَابُ نِعْمَةٍ * مُجْتَدِدٌ بِالْعَزْلِ ، وَالْعَزْلُ أَنْبَلُ
 شَهِدْتُ لَقَدْ مَنَوَا عَلَيْكَ وَأَحْسَنُوا * لِأَنَّكَ بَعْدَ الْعَزْلِ أَعْلَى وَأَفْضَلُ
 أَخْبَرُ :

إِنِّ الْأَمِيرَ هُوَ الَّذِي * يُضَيِّحِي أَمِيرًا عِنْدَ عَزْلِهِ
 إِنْ زَالَ سُلْطَانُ الْوِلَا * يَةِ فَهُوَ فِي سُلْطَانِ قَضِيَّةٍ

وكتب أبو إسحاق الصَّابِي إِلَى رَجُلٍ زَوَّجَ أُمَّهُ :

قد جعلك الله — وله الحمد — من أهل التحصيل ، والرأي الأصيل ، وصحة
 الدين ، وخلق ذى اليقين . فكما أنك لا تَبِيعُ الشهوةَ في محذور يُحِلُّهُ ، فكذلك
 لا تُطِيعُ الْإِنْفَةَ في مُباحٍ تحظره . وتأدَّى إِلَى من أُنْصَلَ الْوَالِدَةُ — يَسْرَ اللَّهُ لَهَا
 في مُدَّتِكَ ، وأحسن بالبقية منها إِمْنَانُكَ — بَابِي فُلَانُ ، أعزّه الله ، ما علمتُ فيه
 أنك بين طاعة للديانة تَوْخِيَّتُهَا ، وَمَشَقَّةٍ تَحْشَمُهَا ، وَأَمَّا جَدَعَتِ أَنْفُ الْغِيَرَةِ بِهَا ،
 وَأَضْرَعَتِ خَذَ الْحَيَةِ فِيهَا ، وَأَصْغَطَتِ نَفْسَكَ بِإِرْضَائِهَا ، وَعَصَبَتِ هَوَاكَ لِأُهَا .
 فَمَنْ نُهِنِكَ بِعِزِّهِ صَبْرِكَ ، وَنُزِّزَكَ عَنْ قَائِمِ مُرَادِكَ ، وَنَسَّأَلَ اللَّهُ الْخَيْرَ لَكَ
 فِيهِ ، وَإِنْ يَجْعَلُهَا أَبَدًا مَعَكَ فِيمَا شِئْتَ وَأَيَّتَ ، وَتَجَنَّبْتَ وَأَتَيْتَ .

وقال كاتب مُتَقَدِّمٍ فِي مِثْلِ ذَلِكَ :

الرضا بما يُبَيِّعُهُ حَكَمُ اللَّهِ أَوَّلَى مِنَ الْإِمْتِنَاعِ فِيما تحظره أَنْفَةُ الْحَيَةِ . وَلَا تُبِيعَ
 فِيما أحلَّ الله ، كَمَا لِجِبَالٍ فِيما حَرَّمَ الله . فَتَزَوَّدْكَ اللَّهُ الْخَيْرَ فِيمَا أَخَارَتْهُ مِنْ طَهَارَةِ
 الْعَقَافِ وَبُئْسَ الْحَصَانَةُ ، وَعَظْفَكَ مَنْ يَرَاهَا عَلَى مَا تُؤَدِّي بِهِ حَقُّهَا ، وَمَا لَزِمَكَ مِنَ
 الْمَعْرُوفِ فِي مُصَاحَبَتِهَا .

- وكتب الصاحب بن عباد تهنئة بزواج أم وتزوية بموت أب، فقال :
- الأيام - أطال الله بقاءك - تجرى على أنحاء مختلفة ، وشعب متفرقة ، وأحكامها متفاوت ينتابها يسوء ويسر ، وينفع ويضر . وبلغني من نفوذ قضاء الله في شيخك - رحمه الله - ما أزعجني ، وأبهم طروق السلوة دوني ، وإن كان من خلقك غير خارج عن مزية الأحياء ، ولا حاصل في زمرة الأموات . والله بأسو •
- كذلك ، ويسند تلك . وقد فعل ذلك بأن أتاح الله لك بعد أبيك أباً لا يقصر عنه شفقة عليك وحثوا ، وإثارة لك ورأ . وقد لعمري وفقت حين وصلت بحبك حبله ، وأسكنت الكبيرة - حرسها الله تعالى - ظله ؛ لئلا تفقد من الماضي - عفا الله عنه - إلا شخصه . فالحمد لله الذي أرشدك لما يعيد الشمل مجتمعا
- بعد فراقه ، والمدد موفوراً بعد استقصاه ؛ حمداً يقضي لك بالمسرة ، ويحم دونك مراد الوحشة ، ويُلقيك ثواب ما قضيت من الحق ، وتحملة فيه من الأوق ؛ إنه فعال لما يريد .

فهذه نبذة كافية في التهانى الخاصة ؛ فلنذكر العامة .

ذكر نبذة من التهانى العامة والبشائر النامة

- ولنبداً من ذلك بما قيل في البشارة بوفاء النيل ، لما فيه من عموم المنافع الشاملة ، وشمول النعم الكامنة ، والخصب الذى يتساوى في الانتفاع به الغنى والفقر ، والأموال والأخير .
- فمن ذلك ما كتب به لمولى الفاضل ، الصدر الكبير الكامل ، ذو المناقب والمآثر ، والفضائل والمفاخر ، شهاب الدين محمود الخلي :

وسرّه بنّا النيل الذى عمّ تيّلاً، وجرّ على وجه الأرض مُلأمة ملاءمه، فشمّر
 التحلّ للرحلة ذيّلاً، وجرّد على الجذب سيفٍ خصّيه فسال مُجرّ دمه على وجه
 الصّعيد سبيلاً، وجرّى وسرى فى ضياء إشراقه وظلّمة تراكمه إلى الأرض التى
 بارك به حولها، فجّل من أجراء نهاراً وسبحان من أسرى به ليلاً. صدّرت
 هذه المكتبة إليه - أعزّه الله تعالى - ونعم الله قد عمّت، والآؤه مع تحقّق
 المزيد قد عمّت، وموآذ فضله قد أمت الأقطار فقامت صلاة الصّلات إذ أمتت،
 وكلمة الحصب قد عمّت فى الآفاق، فوشّت بمكنون حديثها للأرض وعمّت،
 والحصب قد أقبل على الجذب فلم يكن له بمقاومته قبل، وطوفان الرّحمة قد طبّق
 الوهاد، فلم يبق التحلّ أن قال: ساوى منه إلى جبل. والسيل قد بلغ فى تنبّع بقايا
 القحط الزّبي، والنّيل قد عمّ بئيله الأرض حتى كلّل مفايق الآكام وعمّم رموس
 الرّيا، وحى الأرض من تطرّق المّحول إليها فأصبحت منه فى حرّم، وظهّرت به
 عجايب القدرة، ومنها أنّ ابن الستة صرّ بلغ إلى الهرم، وبثّ جوده فى الوجود فلو
 صور نفسه لم يزدّها على ما فيه من كرم، وتلقّت منه النفوس أبهج محبوب طرد ممقوتا،
 ووثقت من حرمته بالغنى والمّنى إذ لم تدّر أياقوتاً تُشاهد منه أم قوتاً. وجرى فى الوفاء
 على أكمل ما ألف من عادته، وظهّر بإشراقه وعموم تقّعه ظهور أشمس فالقى على
 الأرض إشعّة سعادته، وأقبلت به على الخلق بواند الإقبال، وركب الناس منه
 فى سفن النّجاح والنّجاة فهى تجري بهم فى موج كالجبال. وبلغ الله به المنافع فزعزع
 الشّم ولم يقاسر على الجصور، وأمن الناس به طروق التحلّ المنطرد به عنهم فضرب
 بينهم يسور، وأقطع الحصب الأرض كله وله. كلّ شّعة مثال مرّقى ومنشور
 منشور، وبست إلى كلّ عمل من سرّاً جوده. -
 وسبقه مشهور، وأودع بطن القرى موآذ. -
 بوجه ما تأمله أصرّو.

- صاى الجوانح إلا أرتوى من مائه، وأظهر الله به مثال ما سلف من كرامة أصفياه؛
 إذ جعل تحت كل نخلة من سراه سرياً، وجلاً به عن الأمة ظلم النعمة إذ أطلع منه
 فى أول مطالعه المرتبة نجياً بذرياً . وذلك أنه لما كان فى اليوم القلانى وقى النيل
 المبارك ستة عشر ذراعاً، ومد بحسن صنع الله إلى مصالح البلاد يداً صنّاعاً، وركبنا
 إلى المقياس الذى تعلّم به مواقع الرحة فى كل يوم، وتهدى منه واردات السرور إلى
 كل قوم؛ ووقفنا به لابسين من رحمة الله تعالى أحسن لباس، آنسين من أنوار رحمة
 الله التى أزال البأس وأذهبت البأس، ناظرين إلى أثر رحمة الله التى أحيت الأرض
 بعد موتها، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس . وجرى الأمر فى التحليق على أجل
 عادات البدور، وعُلفت ستارة المقياس لا للإخفاء على عادة الأستار، بل للإشاعة
 والظهور؛ واستقر حكم المصرة على السنّ المعهود، وعاد للناس حيد سرورهم إذ ذاك
 يومٌ مجموع له الناس وذلك يومٌ مشهود . وركب مولانا السلطان إلى سد الخليج
 والمساء قد استطل عليه، وصرت سرايا أمواجه إليه، وصدمه بقوة فاندفع منكسراً
 بين يديه؛ فأنجبرت القلوب بكسره، واستوفت الأنفس السرور بأسره، وأيقن كل
 ذى عُسر بحصول يسره؛ وصاق الله به المساء إلى الأرض الجرز فأحيّاها وحيّاها،
 ورقّ لوجهها المنسّبر فستر بردائه المحمّر صفحةً نجّياها . كل ذلك وهو — بحمد الله
 تعالى — أخذٌ فى الأزدباد، جارٍ على وفق المراد إلى حده المعتاد، سالكٌ ببلّغه
 سبيل أهل البلاغة إذ يسمّون فى كلّ واد . وها هو الآن يرتفع إلى كلّ ربوة على
 جناح النجّاح، ويخيف السبيل وما عليه حرج ويقطع الطرق وليس عليه جناح .
 فلأخذ مولانا حفله من هذه البشرى التى عمّ بشرها، ووجب على كل مؤمن شكرها؛
 ويتحقق أن هذه بوادر خير تسمى . به . ركائب السحاب، وطلّاع خضب هى
 لديه أقرب غائب وأسرع آتب . والله تعالى يميز أنصاره، ويؤالى مآزده، بحمده وآله .

وكتب أيضا في مثل ذلك :

- ضاعف الله نعمة المجلس العالى، وبشّره بما أجرى الأئمة عليه من عوائد
كرمه، وسره بما يشّره من خصوص برّه وعموم نعمه، وهتاه بما ستّاه من هرب
جيش المحل بعد قدّم وثبات قَدَمه، وأورد على ممعه من أنباء نُصرة الخُصْب
ما يتحقّق به أن لم يبقَ في الأرض حَلمٌ إلا تحت عَلمه، وأنه ذبّج الخُذْب بسيف
مَدده الذى أنبا بجمرة عَسَلَمِه عن دمه، وبّت سراياه فى الأفطار، على مُتُون
القِطار، مُرهِقًا على بقايا المحل سيوف بُروقهِ ونِبَالِ دِيَمِه، وضرب قِباب موجه
على المسالك، فلو هبّت يَظْنا حاصفةٌ جَدْبٍ تَعَثَّرَتْ بأطناب خِيَمِه، ولَعب على
ما تَمَحَّج من الرُبا، فَجَبَّ له من كَامل يَلَمب وقد بَلَغ إلى هَرَبِه ! صدرت هذه
المكاتبَةُ تُقَصُّ عليه من نِعم الله أَحسنَ القِصَص، وتُهِدِي إليه من مَوادِّ فَضله
ما يَحْصُ الشَّام وأهلُه منه بأوفى الأقسام وأوفر الحِصَص، وتَحْتَمِي على شُكْرِه تعالى
الذى به يَتَهَيَّز من مزِيد برّه أعظمَ الحِطَوط وأفضلَ الفُرَص، وتُعلِّمُ أَنَّ الله نَصَر
جَيش الرِخاء بِمَدِّ لُطْفِه على اليَاس الذى تولى الشَّيْطَانُ أَمْرَه فَلَمَّا تَرَامَتِ الْفِتَانِ
نَكَّصَ، وأنعم على خَلْقِه بما أَرخَصْتَه عِزائِم كَرَمِه بهم، فوجب أن تُقَابِلَ نِعمَه بِعِزائِم
الشُّكْرِ دون الرُّخَص؛ وذلك أَنَّ الله تعالى أجاب دعوة المضطر، وأفاض برّه المِعم
على الفنى والفقر والقانع والمعتز، وأحيا الأرض بعد موتها، وتدارك برحمته دنيا
الدَّهْماء بعد أن أشرفت على قوتها، وأجرى الخَلْق على عوائد كَرَمِه، وأجرى لهم بِقُدْرته
من حُجْب الغيب مَوادِّ نِعمه، وأعلى لِدِيهم مَوادِّ نِيْلهم حتى كاد ما يَشْرِب بِفُرُوقِ
ساقِه يتناول الماء بِفِمْه، وأمرَ البحرَ فأقبل بالفرج القريب من الأمد البعيد، وأذن له
فى الترفُّع من محلّه فسجد على التُّرْب شُكْرًا وَتِمْمَ الصَّعِيدَ وإن لم يبقَ به الآن على وجه

(١٥)

- الأرض صعيداً؛ وأسرى منه ركائب السرور إلى الأقطار ففى كلِّ نادٍ من هديره
 حاد وفى كلِّ برٍّ من بروره برّيد، وذُكِّر بإحياء الأرض بعد موتها إحياء أمواتها، (إِنَّ
 فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)، ونُشِرَ الوَيْتَةُ عَلَى الثَّرَى
 لأهل الأرض بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ، (وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَطَطُوا وَيَنْشُرُ
 رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ)؛ وأقبل بعد تقصص طامه الماضى بوجه عليه حُمْرَةُ الْجَبَلِ،
 وعَزِمَ سَبَقَ مَيْقُهُ إِلَى الْحُلِّ الْعَدَلِ بِلِ الْأَجَلِ، وَحَرَّمَ أَدْرَكَ الْجَدْبَ بوجه قبل
 أَنْ يَقُولَ: سَأَوَى إِلَى جَبَلٍ، وَأَسْتَظْهَرِ عَلَى كُلِّ مَا عَلَا مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى إِنَّ
 الْحَرَمَيْنِ بَأْتَا مِنْهُ عَلَى وَجَلٍ، وَمَتَّهَدِ الْأَرْضِ الَّتِي كَانَتْ تَرْقُبُهُ فَهُوَ لَهَا الْمُنْتَظَرُ عَلَى
 الْحَقِيقَةِ، وَوِطْئِ طَنْ الثَّرَى فَتُجِ الْحَصْبُ بَيْنَهُمَا وَذُبُجِ الْحُلِّ فِي الْعَقِيقَةِ؛ وَقَطَعَ
 الطُّرُقَ قَامِنٍ بِذَلِكَ كُلِّ حَاضِرٍ وَبَادٍ وَرَائِحٍ وَغَادٍ، وَأَتَّبَعَهُ الرَّيُّ لَا الرَّوْيَ حَتَّى
 ١٠ أَخْضَى كَالشَّعْرَاءِ يَمِمْ فِي حُكْلٍ وَادٍ، وَعَمَتْ بَرَكَاتُهُ عَلَى الْأَرْضِ "فَتَرَكْنِ كُلَّ قَرَارَةٍ
 كَالدَّرَمِ" مِنَ الْحَصْبِ مَرْتَمًا، وَأَرَبَى عَلَى رِيَّةٍ فِيهَا سَلَفٌ مِنَ السَّنِينِ، فَأَخْضَى
 كَهَوَى ابْنِ أَبِي رَيْعَةَ "يَقِيسُ ذُرَاعًا كَلِمًا قَسَنَ إِبْصَاعًا"؛ وَتَجَمَّعَ عَلَى الْآكَامِ نَفِيلٌ
 لِلْعِيُونِ أَنَّهَا تَسِيلُ، وَشَيْبٌ مَعَارِقَ الرُّبَا بِيَاضَ زَبَدِهِ، وَطَادَةُ بِيَاضِ الشَّيْبِ أَنْ
 يُفْضَبَ بَوْرَقِ النَّيْلِ. وَكَانَ مَا بَقِيَ مِنَ الْحُلِّ قَدْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ سَدًّا، وَتَسْتَرُّ مِنْهُ
 ١٥ وَرَأَاهُ وَهُوَ يُئِلُّ وَيَعْتَدِلُهُ عَدَا؛ فَصَدَّمَهُ بِقَلْبِهِ وَجَعَلَهُ دَكَا إِذَا جَاءَ أَمْرُ رَبِّهِ وَأَدْرَكَهُ
 وَمَلِكُهُ، وَسَفَكَ دَمَهُ بِغَرَى مُسْتَطِيلًا إِذَا سَفَكَهُ؛ وَوَقَّى بِمَا وَعَدَ مِنْ ظَلْفِهِ، وَأَتَى
 لِنُصْرَةِ الْحَصْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ فَاسْفَرَّ عَنِ الشُّجْعِ وَجْهَ سُفْرِهِ، وَأَسْبَلَ عَلَى مِقْيَاسِهِ
 مَسْرَ السَّرُورِ لِإِخْفَارِهِ ذُقَّةَ الْجَدْبِ لَا لِنَحْفَرِهِ، وَبَشَّرَ مَعْرَهُ بِنُصْرَةٍ سَرَّاءِ السَّحَابِ

(١) فى الأصل: «وَأَرَبَى عَلَى رِيَّةٍ» سلف من السنين» وظاهر أنه مر مستقيم . ويجوز أن يكون
 الأصل: «وَأَرَبَى رِيَّةً عَلَى مَا سَلَفَ» لحدث فيه تقديم وتأخير مر اللاحق.

في أقطار الممالك لأنها من أشياعه وققره . ولما كان اليوم الغلاني علقى الستر وخلق
المقياس ، وكثير الخليج فكان في كسره جبر الخليفة ومنافع للناس ؛ وذلك بمد أن
وقى النيل المبارك ستة عشر ذراعاً ، وصرف في مصالح البلاد يداً تفيض بالبذل خرقاً
وتكفى بحسن التدبير ضياعاً ، [وبت في أرجاء الأعمال بحاراً تحسب بتلاطم الأمواج
ركاماً وبمضاغة الفجاج سراحاً] . وهو بحمد الله أخذ في آزياده إلى حده ، جارٍ على
أخطاه في المشي على وجه الثرى وحده ؛ يتبع أدواء القمل تتبع طيب خير ، ويعكس
بيت أبي الطيب قمنى وبسطها تراب ، ويصّبحها وبسطها حرير . وقد وثقت
الأنفس بفضل الله العميم ، وأصبح الناس بمد قطوب اليأس تعرف في وجوههم
نصرة النعم ؛ تيمناً بركة أيامنا التي أعادت إليهم المجوع ، وأعادتهم مما أثبت به غيرهم
من الخوف والجوع . فليأخذ المجلس المال حفظه من هذه البشرية التي خصت
وعمت ، ووثقت النفوس بمزيد النعمة إذ قيل : تمت ؛ ويذيعها في الأقطار ، ويعرفهم
قدر ما منح الله جيوش الإسلام من فضله الذي يُعجب الزراع لينظف بهم الكفار ؛
ويستقبل نعم الله التي سبب الأرض وسميها ويؤلى النعم وليها ويأتي بالبركات أتيها
حتى تغص بالنعم تلك الرحاب ، ويُظن لموم رى البلاد الشامية أن نيل مصر وصل
إليها على السحاب ؛ ويقم منار العدل الذي هو خير بالأرض من أن تمطر ، ويُمنى
آثار الظلم حتى لا تكاد تظهر .

ومما قيل في التهاني بالفتوحات ، وهزيمة جيوش الأعداء .

فمن ذلك ما كتب به المهلب بن أبي صفرة إلى الحجاج بن يوسف الثقفي في حرب

الأزارقة :

(١) وردت هذه الجملة هكذا بالأصل !

أما بعد، فالحمد لله الذي لا تنقطع مآد نعمته من خلقه حتى تنقطع مآد
الشكر. وإنا وعدونا كما حل حالتين : يسرنا منهم أكثر مما يسوءنا، ويسوءهم منا
أكثر مما يسرهم؛ فلم يزل الله عز وجل يزيدنا ويتقصهم، ويعزنا ويذلهم، ويؤيدنا
ويخذلهم، ويحصننا ويحقهم؛ حتى بلغ الكتاب أجله، فنقطع دابر القوم الذين ظلموا
والحمد لله رب العالمين .

وكتب الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة حين ولى العراق من قبل عبد الله
ابن الزبير إليه يخبره بهزيمة الخوارج : أما بعد، فإنا مذكركم هذا العدو
في نعم من الله متصلة علينا، وقمة من الله متاحة عليهم؛ فقيم ويجمعون، وتجد
ويرحلون، إلى أن حللنا بسوق الأهواز . والحمد لله رب العالمين .

ثم كتب إليه بعد هذا الكتاب :^(١) أما بعد، فإنا لقينا الأزارقة يبدؤ وحد، وكانت
في الناس جولة ثم تاب أهل الحفاظ والصبر بنيات صادقة وأبدان شداد وسيوف .
حناد؛ فأعقب الله خير عاقبة، وجاوز بالنعمة مقدار الأمل، فصاروا ذرية رماحنا
وضريبة سيوفنا، وقتل الله أميرهم ابن المسحوز، وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة
كأولها . والسلام .

وكتب طاهر بن الحسين إلى المأمون لما فتح بغداد وقتل محمدا الأمين :
أما بعد، فإن المخلوع وإن كان قسيم أمير المؤمنين في النسب والهمة، لقد فرق الله
بينهما في الولاية والحُرمة، لفارقه عصمة الدين، ونحروجه عن الأمر الجامع للساكنين .
قال الله عز وجل : يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ . ولا صلة لأحد
في معصية الله، ولا قطيعة في ذات الله . وكتبت إلى أمير المؤمنين وقد قتل المخلوع

(١) في النكامل للبرد (ص ٦٤٠ طبع أوروبا) : أن هذا الكتاب من المهبلى إلى الحرث .

ورّده الله رداءً نكبةً، وأحدَ لأمير المؤمنين أسرَه، وأنجزَ له ما كان ينتظر من صادق وعده . والحمد لله المتولّي لأمير المؤمنين بنعمته، والراجع إليه بعلوم حقّه، والكائنه من ختر عهده ونكت عقده، حتى ردّه الألفة بعد تفريقها، وأحيا الأعلام بعد دروس أثرها، ومكّن له في الأرض بعد شتات أهلها .

ولما فتح المنعم عمورية أكثر الشعراء من ذكر هذا الفتح؛ فمن ذلك قول أبي تمام حبيب بن أوس الطائي من قصيدته التي يقول في أولها :

السيفُ أصدقُ إنباءٍ من الكُئُبِ * في حَذِّهِ الحدَّ بينَ الحِلْمِ واللَّعِبِ
يَبْضُ الصَّفائحُ لا سودَ المصائفِ في * ستونَ جَلَاءِ الشكِّ والرَّيْبِ
والعلمُ في شُهْبِ الأرماعِ لامعةٌ * بينَ الخَيْسَرِ لا في السبعةِ الشُّهْبِ

جاء منها :

فتحُ الفُتوحِ تعالى أن يُحِيطَ به * نَظُمُ من الشُّعْرِ أو تُرْثُ من الخُطْبِ
فَتَحَّ قَتَحَ أبوابُ السماءِ له * وتبرَّزُ الأرضُ في أثوابِها القُشْبِ

ومنها :

وبرزُ الوجهِ قد أعيتَ رياضُها * كسرى وصنت حدوداً عن أبي كرب
يُكْرُفُها أفترعتها كُفَّ حادثة * ولا تَرَقَّتْ إليها مِمةُ النُوبِ
من عهدِ إسكَنْدَرٍ أو قبلَ ذاكِ فقد * شابت نواصي الليالي وهي لم تَسِبْ
حتى إذا مَحَضَ اللهُ السنينَ لها * تحضُ الحليسة كانت زُبدةَ الحَقَبِ
أَتَهُمُ الكُربةُ السوداءُ سادرةً * منها وكانَ اسمُها قَرابةُ الكَرَبِ
لما رأت أختها بالأمس قد خربت * كان الخرابُ لها أعدى من الحربِ

أشار في هذا البيت إلى فتح أقرة .

١٠

١٥

٢٠

ومنہا :

لَيْتَ صَوْتًا زَيْطَرِيًّا هَرَقَتْ لَهُ • كَأَنَّ الْكَرَى وَرُضَابَ الْخُرْدِ الْعَرَبِ
 قيل : كانت الروم لما فتحت زَيْطُرة صاحت أمراءه من المسلمين : وامجداه !
 وامتعصماه ! فلما بلغه الخبر ركب لوفته يَوْمَ الشَّامِ ، وصاح : لَيْتَكَ ! لَيْتَكَ ! ولم يرجع
 إلى أن تم أُنْقَرَةُ وَعُمُورَةُ . ومنها :

خليفة الله جازى الله سعيك عن * بحرثمة الدين والإسلام والحسب
إن كان بين صُروف الدهر من ربح * موصولة أو ذِمَام غير مُنْقَضِب
فبين أيامك الآلى نُصِرَت بها * وبين أيام بذر أقربُ النسب
وكتب أبو عبيد [عبد] الله البكرى إلى المعتد على الله المؤيد بنصر الله يهنته
بالفتح الذى كان فى سنة سبع وسبعين وأربعمائة :

[illegible]

(۱) اگست : جسٹس لایوی ، وٹن ، مارکس ، کیمز ، ولیمز ، ٹھریف من "بی بی ۔

بها تُنْقَضُ الأحلاسُ في كُلِّ منزل * وتُعَقَّد اطرافُ الجبال وتُطَلَّقُ
شملت النعمة وجبرت الأمة ، وجلت النعمة ؛ وشفت الميلة ، وبردت النلة ،
وكشفت العلة .

- كان داء الإشرار مسيفك وأشت * لمت شكاة الهدى وكان طيبا
فعدا الدينُ جديدا ، والإسلام سميلا ، والزمانُ حميدا ؛ وعمود الدين قائما ،
وكتابُ الله حاكما ؛ ودعوة الإيمان منصورة ، وعين الملك قريرة . فهنا الله مولانا
وهنا هذه المنح البهية مطالعها ، الشبهة مواقعها ؛ المشهورة آثارها ، المأثورة أخبارها ؛
ونصر الله أعلامه في البرِّ تحل وتُعقَّد ، وعَضِد حُسامه بالقيسط يُسَلُّ ويُقَمَد ، وأيد
مذاهبه فبالتحزُّم تُسَدَّى وتُلَحم ، وأمرَ كتابه في الله تُسَرَّج وتُلَحم . فكم فادح
خُطْب كفاه ، وظلام كُربِ جلّاه ، وميت حق أحياه ، وحى باطل أرداه ! وكَم جاحم
ضلالة أطفأ ناره ، وناجم فتنة قلم أظفاره ، ومفلول سُنّة أرهف شِفاهه ، ومستباح
حرمة حمى ذِمّاره . فله هذه المساعي الكريمة والمنازع القويمة ، المتبلجة عن ميمون
التقية ومحمود العزيمة ؛ فقد تمثل بها العهد الأَوَّل والقرن الأفضَل الذي أُخْرِج
للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، والذي سطع هذا السراج ، وأتبع هذا
المنهاج ؛ فلا زالت الفتوح تتوالى عليه ، وصنائع الله تتصل لديه ، إدالة من مشاقبه
وإذالة لمُحاربيه ، وإبادة لمناوئيه . وإن أجل هذه النعم في الصدور ، وأحقها بالشكر
الموفور ؛ ما من الله به من سلامة مولاي التي هي جامعة لعز الدين وصلاح كائنه
المسلمين ، بعد أن صلب من الحرب ييرانها ، فكان أثبت أركانها وأصبر أقرانها :
وقفت وما في الموت شك لواقف * كأك في جفن الردى وهونائم
تمربك الأبطال كلمي هزيمة * وجهك وضاح وتسرُّك باسم
هنيئا لضرب الهام والتجيد والملا * ووجهك والإسلام أنك سالم

فَقَدْ الْحَمْدُ وَالْإِبْدَاعُ وَالْإِلْهَامُ ، وَلَهُ الْمِنَّةُ وَعَلَيْنَا مَتَابَعَةُ الشُّكْرِ وَالِدَوَامُ . وَقَدْ فَازَتْ
الْكَفَّ الْكَلِمُ ، بِأَعْلَى قَدَاحِ الْمَكْلُومِ لَدَى الْمَقَامِ الْكَرِيمِ ؛ وَإِنَّا لَمُ التَّالِيَةِ لِلْإِصْبَعِ
الدَّامِيَةِ فِي الْمَنْزِلَةِ الْعَالِيَةِ .

بَصُرَتْ بِالرَّاحَةِ الْعُلْيَا فَلَمْ تَرَهَا * تَسَالُ إِلَّا عَلَى يَجْمِرٍ مِنَ التَّعَبِ

- ومن كلام القاضي الفاضل عبد الرحيم البيهقي جواب كتاب ورد عليه يُخبر فيه
بانتصار المسلمين . ابتدأه بقوله عز وجل : (لَنَسْتَبْرِئَنَّ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلَ وَأَنَّ
اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ) . وصلت بُشْرَى المجلس السامى — أعلاه الله وشيْده ،
وأسعداه وأصعداه ، وشكر مشيْده وأنجح مقصِده ، وملا بالחסنات أمسه ويومه
وقده ، وأهلك وعادى أعداءه وحُسداه ، وأجتنب بسيفه زرع الكفار وذراه وحصداه —
بما من الله سبحانه من نُصرة المسلمين عند لقاء عدوهم ؛ وما وليهم الله من القوة
والإظهار ، وما قذف في قلوب الكفر من الخوف والحدار ؛ وشرح القضية شرحاً
شرح الصدور ، وأستوى فيها القباب مع الحضور ؛ فكانت الإشارة منه وكانت
المباشرة له ، وما كل من بشر بأمر ، ولا كل من غار غاور ؛ ولا كل من خبر عن
السيوف لقيها بوجهه ، ولا كل من حدث عن الرماح عاقها بصدره . منفعه الله
بالإسلام كما نفع الإسلام به ، وأتم النعمة عليه كما أتمها فيه ؛ وهبَل جهاده الذى
جلا فيه الكُرْبَات ، وأبتنى فيه القُرْبَات . ويُتوقع إن هان العدو فى العيون ، وظهر به
غير ما كان فى الظنون ، أن يكسر الله بكم مصافه ، ويفتح عليكم بلاده ، ويظهر بسيفكم
الشام ، ويسر بنصركم الإسلام ، ويشرف بيوم نصركم الأيام . والخير يُعْتَمَدُ إِذَا مَنَّتْ
قُرْصُهُ ، ويصاد إذا أمكن الصائد قنصه ، والجهاد فرض على المطبق تقتضيه عزائمه
ولا تقتضيه رخصه . وقد حضر المولى وحضر كل خير ، وحضر من رأيه ما يكفى

أمر المدق ولو لم يكن إلا رأيه لا غير؛ فكيف وفي يده من القضب، مثل ما في صدره من القلب؛ كلاهما حديد لا تكفل مضاربه، ولا تخونه ضرائبه، ولا تفنى إذا عُدَّت عجائبه . فكم له من يوم أغرَّ حجب الأطراف ، وليلة في سبيل الله دهما الأهوال بيضاء الأوصاف ؛ والنفس وانقصة بأن الطفر على يده يجري ، والمبشر من جهته يسر ويسرى . والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين .

وكتب أيضا في مثل ذلك : ورد كتاب المجلس - نصر الله عزَّ مته ، وشكر مته ، وأتم عليه نعمته ، وصرف به وعنه صرف كلِّ دهر ومُليته ومؤلته ، وأعان أوليائه على أن يُؤدوا خدمته ، ويستوهبوا له فضل الله ورحمته ، وأجزل قسمة من الخير الذي يُحسِّن بين محبيه قسمة - سافراً عن مثل الصباح السافر، متحدثاً عن روض أفضاله بلسان النسيم السحري الساهر، حاملاً حديث بيضه وثمره حديث السامر . وهنأ بالفتح وهو المهنأ به ، وكيف لا يُهنأ بالفتح من هو فاتحه ! وكيف لا يشرح خبره من هو فاتح كلِّ صدر وشارحه ! ولقد دعا له لسان كلِّ مسلم وساعدت لسانه جوارحه ، وعلم أنه باشر الحرب وتولى كبرها ، وأُنعِد جرها ، ولقي أقرانها ، وأقرس قُرسانها ، وجبَّ شجعانها ، وشجع جبانها ؛ وأفق الكريمين على النفس : النفس والمال ، وحفظ على الإسلام الطريقين : الفاتحة والمال . وإذا تأمل المجلس الدنيا علم أن الذي يبقى بها أحاديث ، وإذا نظر إلى المال علم أن الذي في الأيدي منه موارث ؛ فالخازم من وِث ماله ولم يُورثه لغيره ، والسعيد من لم يرض لنفسه من الحديث إلا بخيره . وما يخفى عن أحد ما فعله ، ولا ما بدَّله ، ولا ما هان عليه ، ولا ما أهان الله كرائم المال بيديه ؛ ولقد حلت نعمة الله في محلها لديه ، وكان كفأها الكريم الذي أصدقها ما في كفيته .

هذا ثنائي وهاتيك مآقبكم • يا أعيُن النَّاسِ ما أبعدت إسهادي

(وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا وَلَا هَضْمًا) ، بل هو سبحانه
يؤتي عباده مثاقيل الذر ، وللصابرين عنده الأجر بغير حساب بلحالة قدر الصبر .
والجلس صبر نفسه على المشقات فليشربوا بها ، وكثر أعمال البر فهو يدخل الجنة
بفضل الله من جميع أبوابها . وكما هيئة المجلس بالافتتاح فهيئة بالجراح ، ولا يغفل
نوب العمل إلا الدم المسفوح ، وكل جرح إنما هو باب إلى الجنة مفتوح . والحمد
له على أن امتنع الأمة بنفسه التي بذلها ، وقد باعها له وأبقاها لنا وقبلها . (وَلَا تَرْبِكْ
لَكُمْ فَضْلَ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ) .

وكتب المرحوم علاء الدين علي بن القاضي محي الدين بن الركني إلى أخيه
بهاء الدين ميثرا بفتح صفد ، وكان هذا الفتح في يوم الجمعة ثامن عشر شوال سنة
أربع وستين وسثمائة ، على ما تذكره إن شاء الله تعالى في أخبار دولة الترك في أيام
الملك الظاهر ركن الدين بيبرس :

يقبل اليد الكريمة ، ويئت ما يعالجه من لوائح الأشواق التي تركته بين الأصحاب
مدلها ، وسلبت ليه فلا أعلم عليه من دلها ، ويئني أن المملوك فارق كريم جنبه وتوجه
إلى صفد المحروسة فوصل إليها في تاريخ كذا ، ووافاها والحسن قد رزعرت
أركانها ، والكفر قد انهدم بانيه . وثمر عن ساق الهزيمة شيطانها ، وحماء الحرب
قد وقفت في مراكرها ، وكلمة الهيجاء قد استعذت لأخذ قرص النصر ومنازها ،
والرماح قد أهترت شوقا إلى لقاءهم ، والسيوف قد آلت بها لا توافق على مقامهم ،
والهجانيق تزور حامهم وتلك الزيادة لشقايتهم ، وتدمر بجمارتها عليهم تدميرا ، وتزيهم
من بأسها يوما عبوسا قصيرا ، وتصيرهم إلى الهلاك وتعدهم جنم ومنت مصيرا ،
والقيى ترسل إليهم انذارا في أجمة سهام . وقد أهدت ، كجاء انترك كأنها ظباء

بأعلى الرقتين قيام، فمن نازع بقومسه وهو لمهج الكافرين مُنازع، ومن متدرع بنحو نحو المنايا يسارع، ومن وارد منهل المنية وآخرى إثره كارع، ومن متدرع وحاسر عليا أن ليس لقضاء الله دافع؛ وما زادهم إلا إيماناً وتسلياً، وما سلك بهم إلا صراطاً مستقيماً، وما أشتري أنفسهم وأموالهم إلا بالجنة وأعد لهم أجراً كريماً. والسلطان — عز نصره — قد تمخّذ شبّوات عزمه، وفوّق سديد سهمه ليفوز بجزيل سهمه؛ وهو يرتب عساكره، ويهيئ ميامنه ومياسره، ويتفقد أوائله ويقدم أواخره، ويحت صناديده، ويثبت رماديده؛ ويُسرّهم مَساعره، ويُذكرى نَار الحرب في مجامره؛ ويقابل الأبراج يبروج يهيمونها، ويكُلُّ بالثُوب ثُباء يحفرونها، ويمد للومنين مغنم كثيرة يأخذونها؛ ويعد لكل مقام رجالا، ويرتب لكل مقاتل من المسلمين قتالا، ويسطّ لهم بقتل الكافرين آمالا؛ حتى قامت الحرب على ساق، وضاق بأهل الشقاق الخناق؛ وبلغت الأرواح منهم التراقي، ودارت عليهم كؤوس المنايا فأنشئ المسقي والساق؛ وأحدثت بهم الجياد تصيل، ونحّب القيسى تهيّل، وكواذب الآمال تعدهم وتمطّل؛ وعرصوا لأنفسهم الفرج فكذبته أسنة الخُرْصان، ونظروا إلى الحياة بعين الطمع فكملتهم بنات الحنية المِرْنان؛ فلما أُشرب العجز نفوسُهم، وأستوى في الشورى مروسهم ورؤسُهم؛ ومُنُوا بالمنايا من كل جانب، وسمح كلٌّ منهم بالمال والذهب مذ عِلِمَ أنه ذاهب؛ وتحققوا أن لا ملجأ من السيف إلا إليه، ولا مُمُول بعد المُمُول إلا عليه، وتيقنوا أن لا مُقام لهم ولا مَقَر، وقال الكافر يومئذ أين المَقَر. والمسلمون مثابرون على العمل الصالح يرفعونه، ومبادرون أجل مدوهم يمزقون منه كل ما يرفعونه؛ وإذا بصيحة كالصيحة التي تأخذهم وهم ينظرونها، أو الصيحة التي ينتظرونها، إذ أمرت السيوف على رقابهم وهم يُبصرونها؛

فَأَرْجَمَتْ أَرْجَاءَ الْحِصْنِ بِالْأَصْطِطَابِ ، وَوَقَعَ الْإِخْتِلَافُ بَيْنَهُمْ وَالْأَصْطِرَابِ ؛ وَقِيلَ :
إِنَّ الْكَافِرَ قَدْ طَلَبَ الْإِيمَانَ ، وَإِنَّهُ رَكِبَ ظَهْرَ الْمَذَلَّةِ مَذْنُولَهُ الْجَزْعُ الْعَيْنُ ، وَإِنْ
الْكُفْرَ قَدْ ذَلَّ لِلْإِيمَانِ ، وَإِنْ شَيْطَانُهُ قَدْ نَكَصَ عَلَى عَقِبِهِ لَمَّا تَرَاءَتْ الْفِتْنَانُ ،
فَامْسَكَتِ الْمَجَانِيقُ عَنْ ضَرْبِهَا ، وَكَفَّتِ الْحَتَايَا عَنْ إِسْرَالِ شُبهِهَا ، وَأَقْصَرَتْ لِيُوثُ
الْحَرْبِ الضَّارِيَةِ عَنْ وَثْبِهَا . فَمَا كَانَ إِلَّا هُنْتَهَا وَقَدْ خَرَجَ رَسُولُ مَنْهُمْ حَيْثُ لَا تَنْفَعُ
الرِّسَالُ ، وَأَخْتَرَقَ الْفَنَاءَ وَشَوَّكَ التَّنْصَالَ وَطَبَا الْمَنَاصِلَ ، وَرَأَى كَثْرَةَ هَالِكِهِ
فَكَادَتْ تَنْقُذُ تَحْتَ الذَّمْرِ مِنْهُ الْمَفَاصِلَ ، وَمَشَى إِلَى السُّلْطَانِ خَاضِعًا وَأَعْيَا عَلَى
السَّهَاطِينَ يَقُومُ كُلَّمَا عَوَّجَهُ الْأَفَاكِلُ .

❦

وَقَبِلَ كُلُّ قَبِيلٍ التُّرْبَ قَبْلَهُ * وَكُلُّ كَيْمٍ وَاقَفَ مُنْضَائِلُ

١٠ . وَأَدَّى الرِّسَالَةَ وَإِذَا هِيَ كَمَا قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ دُرُوعٌ ، وَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ وَفِي قَلْبِهِ مِنْ
جَيْشِ الْإِسْلَامِ - كَثْرَةُ اللَّهِ - صَدُوعٌ .

فَاقْبَلْ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُوَ مُرْسَلٌ * وَعَادَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَهُوَ عَائِدٌ

فَأَبَوْا لِنَصِيحَتِهِ قَبُولًا ، وَقَالُوا : قَاتِلْكَ اللَّهُ رَسُولًا ، لَقَدْ خَرَجْتَ مِنْ سُنَّةِ
إِبْرَاهِيمَ ، وَأَلْقَيْتَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فَاضِلَ عِثَانِكَ ، وَلَمْ تَرْقُبْ رِضَا أَقْسِيَّتِكَ وَرَهْبَانِكَ .
وَالرَّعْبُ قَدْ خَرَجَ بِهِ عَنْ قَوْمِهِ وَآلِهِ ، وَهُوَ يُنَاشِدُهُمْ اللَّهُ فِي أُمُومِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَيُنَشِّدُهُمْ
١٥ . بِلسَانِ حَالِهِ :

أَمْرُهُمْ أَمْرِي بِمُتَعَرِّجِ اللَّوَى * فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا مَحْجَى الْغَدِ

فَلَمَّا اسْتَحَكَمَتْ مِرَّةَ عَصِيَانِهِمْ ، وَأَبَوْا إِلَّا مِغَالَاةً فِي طُغْيَانِهِمْ ؛ وَلَمْ يَسْتَحُوا
بِتَسْلِيمِ ذَلِكَ الْحِصْنِ الْحَصِينَ ، وَقَالُوا : إِنَّهُ عَلَى حِفْظِ أَرْوَاحِنَا لَقَوَى أَمِينٌ ؛ أُرْسِلَتْ
٢٠ . عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَجَانِيقِ حِمَارَةٌ كَالْمَطَرِ ، إِلَّا أَنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّهِ كَالْفَصْرِ قَتْمِهِمْ قَبُورًا كَالشَّرِّ ؛

(١) فِي الْأُمُودِ : «أَفْسَانِكَ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

فرعزت منها برؤجا وبُدنا، وقالت : هذا جزاؤكم وإن عُدتم عدنا، ولنتيمن بعدها
آثاركم ونقلع منكم قِلاعا ومُدنا . فلما أ كذبهم الحصن في آمالهم، وأراهم الله قُرب
آجالهم ؛ وكان ذلك في اليوم الآخر يوم الجمعة والفتح ، سلكوا في التسليم عادة
لم يسلكوها، ورأوا من الجزع خُطة ملكتهم ولم يملكوها، فاجمعوا أمرهم وشركاءهم
إلا أنه كان عليهم عُمة، وطلبوا الدِّمام ومن قبلها كانوا لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ؛
فالتقوا إلى الإسلام يومئذ السلم، ورأوا نور الله الظاهر أشهر من نار على علم، فخرجوا
من الحصن زرافات وأوزاعا، مُهْطِعين إلى الداعي كيوم يخرجون من الأجداث
سراعا . فلوتراهم نحو المنايا يرْكضون، ﴿ كَانَهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفِضُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ
تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ .

جرت الرياح على مقرديارهم * فكانما كانوا على ميعاد

وصدق الله المؤمنين وعده ، وكان بصدق وعده حقيقا، ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ
مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَافِيهِمْ وَقَتَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ
فَرِيقًا ﴾ . فلما كان يوم السبت نادى فيهم السيف بالرحيل ، ولم يترددوا من متاع
الدنيا إلا القليل ؛ وقام النصر على منابر الهامات خطيبا ، وكثر القتل فصار المهند
الصقيل خِضيبا ؛ وأجرى أودية من دِمائهم ، ولم يمدار بقية من دِمائهم ؛ وأستوى
العبيد منهم والأرباب . وصار فرسانهم فرائس الذئاب، وأستمرعوا المرعى الوحيم
فروعهم الثِّباب ؛ ووجدوا غِبَّ البنى علينا، وقلنا : ﴿ هَذِهِ بِضَاعَتَا رُدَّتْ لَنَا ﴾ ؛
وآب المسامون بغير عَميم ، وفتح عظيم وأجر كريم ؛ وجعل الله الجنة جزاء للساكين
منهم والذاهبين ، ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ
الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ . فليأخذ حظَه من هذه البشري فإن لها من
النصر العزيز ما بعده، ومن المغنم الكثيرة ما يُحجز للأمة المحمدية وعدها؛ ويتق بأن

له إن شاء الله من ثواب هذه الغزوة أوفر نصيب، وأن سهم عزمه في محور الأعداء إن شاء الله مصيب؛ فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن بالمدينة قوما ما يترتم ميسرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم». والله لا يُخْلِيه من أجراها، ولا يحرمه وأفر يرها؛ ويُخَفِّه من مقرات التهاى بما تكون له هذه بمقالة العنوان في الكتاب، والآحاد في الحساب؛ وركعة النافلة بالنسبة إلى الخمس، والفتح الأول قبل طلوع طلعة الشمس؛ وأن يُدِيم على الإسلام والمسلمين حياة مولانا السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين، ويؤيده بالملائكة المقربين، ما دامت السموات والأرضون، إن شاء الله تعالى.

ومن إنشاء المولى المرحوم محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر كتاب كتبه عن السلطان الملك الأشرف خليل إلى الملك المظفر يوسف بن عمر صاحب اليمن قرين كتاب السلطان الملك المنصور المسير إليه بالهناء بفتح طرابلس الشام:

أعز الله نصرة المقام وأوفد عليه كل بشرى أحسن من أختها، وكل تهتة لا يُخْلِيها إلا هو لوقتها، وكل مبهجة يسجز اليان والبتان عن ثبتها ونعتها، وتبلغ فتود الدر والدرارى لو زقت هذه إلى تراقيا وسمت هذه إلى ستمها؛ وصبَّحه منها بكل هاتفة أجمع من هواتف الحمام، وبكل عارفة أسرع من عوارف الزهر عند عزائم النسيم، وبكل عاطفة أحنّة الإتحاف بالإيجاف الذى شكت الصفاً منه أعظم قادير والصعائف أكرم قادم، والغزو الذى لا يُخَصَّس تهامة ببشراء بل جميع النجود والتهايم، وذو الصوارم والصرام، وأولو القوى والقوائم، وكل ثغر عن آبتهاج أهل الإسلام باسم، وكل بربر بتوصيل ما ترتب عليه من ملاحم، وكل بحر صلب يؤن كل غاز لا يحبس عن جهاد الكفار في عُقر الدار الشكائم، وكل بحر ملج كم تفيظ من مجاورة أخيه لأهل الشرك ومشاركتهم فيه فراح وموجه المتلاطم. الملوك يحدد

خدمةً يقتضى فيها أثر والده ، ويجرى فى تبليغها على أجل عوائده ، ويستفتح فيها استفتاحاً تحف به من هنا ومن هنا تحف محامده ؛ ويصف وراءه قد جعله أجل عقوده وأكل عقائده ، ويشفعهما بإخلاص قد جعله ميله أحسن وسائله وقلبه أزين وسائله ؛ ويطلع العلم الكريم أن من يحيا المتعرضين إلى الإعلان بشكر الله فى كل ما يعرض للمسلمين من نصر ، ويقصر لهم من أجر غزويهم فقد عنه ملك فيما مضى من عصر ؛ أن يقدروا تلك النعمة حق قدرها من التحدث بنعمتها ، والتنبه لسماع نعمتها ؛ وإرسال أئمة الأعلام فى ميادين الطروس ، وإدارة حرباء وصف خير حرب إلى مواجهة خير الشمس . ولما كانت غزوات مولانا السلطان ملك البسيطة الوالد — خلد الله سلطانه — قد أصبحت ذكرى للبشر ، ومواقفه للنصر فكم جاءت هى والقدرة على قدر ؛ وقد صارت سيرها وسيرها هذه شدة الأسرار ، وهذه جادة يستطير منها حسن الحثو السفار ، فكم قاتلت من يلبها من الكفار ، وكم جعلت من يؤايلها وهو منصورها منصورا بالمهاجرين والأنصار . ولما أذل الله جلمسها طوائف التتار فى أقاصى بلاد المعجم ، وجعل حفظ قلوبهم الوجع من الخوف ونعيب وجوههم الوجع ، وأخل الله من نسورهم الأوكار ومن أسودهم الأجع ، وقصرت بهم همهم حتى صاروا يخافون الصبح إذا هجم والظن إذا رجم ، وصارت رؤية الدماء تغزعهم فلو احتاج أحدهم لتقيص دم لمرض لأحجم من خوفه وما احتجم . وأباد الله الأرمن غل بالنيل منهم الويل ، وما شمر أحد من الجنود الإسلامية عن ساعد إلا وشمر هو من الدل الذليل ، ولا أثار البلياد من الخيل عثراً منعقداً إلا وظنوه مساءً قد أقبل أو ليل . وأتته نوبة القتل بهم والإسار إلى «التكفور ليقون» ملك الأرمن الذى كان يحمى سرهم ويمزج صرحهم ، ويستنطق هتف التار ويسترجع صدحهم ؛ وتستمر طربس الشام بأنه خال إبرنسا الكافر ، ولسان مشورته السفير ووجه تديره

- السامر؛ وطالب غرّ وأغرى، وجرّ وأجرى، وضرّ وأضرى؛ فلما توكلّ مولانا
السلطان وعزم وعزم فتوكلّ، وتحقق أن البلاء به قد نزل، وما تشكك أن ذلك
في ذهن القدر قد تصوّر وتشكّل؛ وأنّ يومه في الفتك سيكون أعظم من أمسه
وأعظم منهما معاداة عِده، وأن نصر الله لن يُحقّقه صادق موعده، أكل يده ندامةً
على ما قرط في جنب الله؛ وساق الحُتف لنفسه بيده فعمّراته بروحه الحبيثة الدرك
الأسفل من النار، وسقاه الحُتف كأساً بعد كأس لم يكن لها غير الهلك من ثمار.
وكانت طرابلس هي ضالّة الإسلام الشريفة، وإحدى أبقائه من الأعوام العديدة؛
وكما مرّت شمخت بانفها، وثقت في تحسين منازة مازها وترين ربحانها
وعصمها، ومرت وهي لا تُمازل ملكاً بطرفها وكلما تقادم عهدا تكثر بالافواج
والأمواج من بين يديها ومن خلفها؛ إذ البحر لها جلاب والسحاب لها حمار، وليس
بها من البرّ إلا بمقدار ساحة الباب من الدار؛ كأنها في سيف ذلك البحر جبل قد
أنحط، أو ميل استواء قد خرج عن الخط، وما قصد أحد شطها بنكاية إلا شط
وأشتط؛ قدر الله أن صرف مولانا السلطان إليها العيان، وسبق جيشه إليها كلّ خير
وليس الخبر كالعيان، وجاءها بنفسه العيسة والسعادة قد أحرسته عيونها وتلك المخاوف
كلهن أمان، وقد أخذ من إقدامه عليها خير حائل ومن مفاجاته لها أمدّ عنان؛
وفي خدمته جنود لا تستبعد مفازة، وكلّ راحت وغدت وفي فوسها للأداء حرّاة؛
فأمتطوا بنحولهم من جبال لبنان تيماناً لها صاعتها التلوج، ومعارج لا تُرافق بها غير
الرياح الموهج؛ وأنحطت تلك الجيوش من تلك الجبال، أنحطاط الأجدل، وأندفوا
في تلك الأوطار أندفاع الأوطال، ولم يحفل أحد منهم بسرّ لاصق ولا يجبل شاحق
فقال: هذا منفض أو عال؛ وشرعوا في التحصيل لما يؤهى ذلك التحصين، وأبنا
كلّ سور أمام أسوارها من التدبير الحسن والرأى الرصين؛ فما لبثوا إلا مقدار ما قيل

لهم: دونكم والاحتطاب، وتقل المجانيق على الخيل وعلى الرقاب، حتى جرّوها بأسرع من جرّ القوس، وأجرّوها على الأرض سفتان وكما قالوا: السفينة لا تجرى على يابس. وفي الحال نقلت إليها فرأوا من متوقّلتها من يمشى بها على رجلين ومنهم من يمشى على أربع، ووجهت سبأها وجوهها إلى منافذها فما شوهدت منها عين إلا وكان قدأماها منها إصبع، وألقيت العداوة بين المجارة من المجانيق وبين المجارة من الأسوار، فكم تقبت وتقبت من فلة كيدها عن أسرار، وأوقدت نيران المكاييد ثم فكم حولها من صافن ومن صاور، وكمرتهم بشر كالقصر فوقع الحافر كما يقال على الحافر. وما برحت سوق أهل الإيمان في تقاق على أهل التفاق، وأكبرهم تساق أرواحهم الخبيثة إلى السباق. وكان أهل عكا قد أنجدوهم من البحر بكل بر، ووروا الإسلام بكل شرّ وكل شرّ، فكان السهم الذي يخرج منها لا يخرج إلا مقتربا بسهام. وشرفات ذلك الثغر كاللثايا ولكنها لكثرة من بها لا تفتقر عن أبتسام، وما زالت جنود الإسلام كذلك، ومولانا السلطان لا ترى جماعة مقدّمة ولا متقدّمة إلا وهو يرى بين أوتك. واستمر ذلك من مُستهل شهر ربيع الأول إلى يوم الثلاثاء رابع شهر ربيع الآخر، فزحف عليها في بكرة ذلك النهار زحفاً يقتحم كلّ هضبة ووعده، وكلّ صلبة وصلده، حتى أنجز الله وعده، وفتحها الماسمون مجازا وفي الحقيقة فتحها وحده، وطلعت ساجق الإسلام الصفر على أسوارها، ودخلت عليهم من أقطارها، وجاست الكتابة حلال ديارها، فأحتازها مولانا السلطان لنفسه ملكا، وما كان يكون له في فتحها شريك وقد نفى عنها شركا، وكلما قيل: هذه طرابلس فُتحت قال النصر بمن قتل فيها من الشُّجْد الواصلة وأكثر عكا وأهل عكا وأعد الله فوزه الكفر بها أنكاته.

(١) توفى في الجليل: صعد.

(٢) كذا وردت هذه الكلمات بالأسر، وهي كما يظهر تلميح غير واضحة.

وكان أخذها من مائة سنة وثمانين سنة في يوم الثلاثاء وأُسْتُرِدَّتْ في يوم الثلاثاء . ولما عثت هذه البشائر [و] وَكَلَّ بها مولانا السلطان إلى كَلِّ من يستجلى حسان هذه العرائس ، ويستجلي نفيس هذه التفائس ؛ سَيرَ مولانا السلطان إلى مولانا بُشْرَى فقمقع بها البريد ، لَتَلَّ بأمر مولانا على كل من ألقى السمع وهو شهيد ، وكأعم السرور بذلك كَلِّ قريب قصد أن يُعَمَّ الهاء كل بعيد . وأصدر المملوك هذه الخدمة يستجيب بين يدي نجواها ، ويتوق بعد هذه المفاتحة لكل سائحة يحسن لدى المولى مستقرها ومناوها . لا برج المقام يستبشر لكأمة الإسلام بكل فضل وبكل تُعَمَّى ، ويفرح لَمَرِّج الكفر إذا أَتَيْكَ ولسمع الملك إذا يُعَمَّى ، ولسمع الشُّرك إذا يُعَمَّ ولقلبه إذا يُعَمَّى .

١٠ . وكتب المولى محي الدين أيضا عن نفسه مطالعة إلى السلطان الملك المنصور
بِهَيْتَ بهذا الفتح :

هُنْتُ يَا مَلِكَ الْبَاسِيطِ * فَتَحًا بِهِ التَّمَعَى مُحِيطِ

وَيَقِيَتْ يَا خَيْرَ الْمَلُوكِ * كَ بِسِيفِكَ الدُّنْيَا مُحَوِّطِ

يَقْبَلُ الأرض ويتهل إلى دُعَاءِ صالح يَقْدَمُهُ بين يدي بُشْرَى وبُشْرَاهُ ، وكلَّ مقام محمود من الإجابة يحوله في سِرِّهِ ونجواه ؛ وَيُهِتَّى ، بهذا الفتح الذي كم مضى مَلِكُ ١٥
وفي قلبه منه حُسْرَه ، وما أذخر الله إلا لمولانا السلطان أجره ونفَرَه . فالحمد لله على هذا النصر العزيز وهذا الفتح المبين ، والظفر الذي أعطاه الله إِيَّاهُ في شهر وقد أقامت جموعُ الكفر حتى حازت بعضَه في مُدَّةِ سبع سنين . وله الشكر على أن جعل الكفر من بعد قوة أنكأنا ، وجعل أخذ مدينة طرابُلس من الكفار في يوم الثلاثاء وكان أخذها من المسلمين في يوم الثلاثاء ؛ وله المنة في ردِّ هذه الأخيذة ، وجعلها بين ٢٠
يدى مولانا السلطان مَبْذُوزَه . ثم المنة لله على أن سطر في سيرة مولانا السلطان هذه

السنة، وجعلها ما بين نومة عين وأنفائها في أقرب من سنة، ورد لإبائها على المسلمين بعد أن أقامت هاربة عند الكفار مائة سنة وستاً وعشرين سنة؛ والله يلحق بها في الفتح أخواتها من المدن، ولا يلبث إن شاء الله هادياً بها بعدها مثل عكلاء وصُور وصيِّداً حتى يراهنّ إلى قبضته قد عُدن، إن شاء الله تعالى .

• وكتب إلى الأمير حسام الدين طرنتاي عن الأمير بدر الدين بيدرا في ذلك :

المملوك يعني بهذا الفتح الذي كادت به هذه الفزوة ترهو على غيرها من الفزوات وتتيه، وأشرفت الأرض بنور ربها آبتهاجاً بما أمضاه الله منه وما سيُضيه، وبما سيعطيه حتى يُرضيه، وذلك أن فتح طرابُلس التي طالما شحخت بأنفها على المملوك، وكُم أبت على مستفتح فما قال لغيره إباؤها : لله أبوك، وأثر الله ملتها إلى خير الأزمان، وفتحها على يدي سلطاننا الذي حقق الله به آمالاً تنقذ إلا منه بسلطان. ١٠
فالحمد لله الذي عَصِدَ هذا الملك من مولانا بخير من دبره، وحماء منه بأقطع حُسام جزمه الله لقص ما أمره؛ وما من فتوح ولا أمر ممنوح إلا ومولانا مُتَّعِدٌ عقوده، ومجهَّزٌ بريد، ومطلع سعودي؛ ورافع علمه، ومُخَضِّي سيفه ومُرضي قلبه . فأمتع الله الأمة من مولانا السلطان بسلطان يستردّ لهم الحقوق ويتقاضى الديون، وأمتع الله سلطانها من مولانا بمن آراؤه أفعال الممالك وسيوفه مفاتيح الحصون . ١٥

ومن إنشاء المولى شهاب الدين محمود الحلبي ما كتب به عن الأمير سيف الدين سَلار نائب السلطنة الشريفة إلى النائب بقلمة الجبل عند كسرة التار بمرج الصُفَر في شهر رمضان سنة اثنتين وسبعائة :

وبشّر بالفتح الذي أعاد الله به الأمة حَلَقاً جديداً، والنصر الذي أنزل الله فيه من الملائكة أنصاراً للّه وجنوداً، والظفر الذي أطفأ الله به من نار الكفر ما لم يكن ٢

- يَرْهَبُ نُحُودًا ، وَالتَّزْوِيرَ الَّتِي زَلَزَلَ اللَّهُ بِهَا جِبَالَ أَهْلِ الشَّرْكِ وَقَدْ تَدَقَّقَتْ عَلَى الْأَرْضِ
أَمْثَالُ الْبَحَارِ عِدْدًا وَعَدِيدًا . الْمَمْلُوكُ يَقْبَلُ الْيَدَ الْعَالِيَةَ الَّتِي لَهَا مِنْ هَذِهِ النَّصْرَةِ وَإِنْ
لَمْ تَبْلُغْهَا أَجْرُ الرَّامِي الْمُسَدِّدِ سَهْمَهُ ، الْمَصْجِلِ مِنَ التَّهَانِي غَنَمَهُ ، الْمُؤَفِّرِ مِنَ مُحَمَّدِ الْجَزِيلَةِ
قِسْمَهُ ، وَيُنْقِئُ الْمَوْلَى بِهَذَا الْفَتْحِ الَّذِي مَدَّ اللَّهُ بِهِ عَلَى الْأُمَّةِ جَنَاحَ رَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ ،
وَمَنْ عَلَى آيَامِنَا الزَّاهِرَةِ فِيهِ بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ ، وَبَرَزَ فِيهِ الْإِسْلَامُ كُلَّهُ لِلشَّرْكِ كُلِّهِ . وَاللَّهُ
الْحَمْدُ الَّذِي أَعَزَّ دِينَهُ وَنَصَرَهُ ، وَحَصَدَ بِسَيْفِ الْإِسْلَامِ عَدُوَّ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ حَصَرَهُ ؛
وَأَبَادَ جِيوشَ الشَّرْكِ وَهُمْ مِائَةُ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ، وَأَفْنَى أَحْزَابَ أَهْلِ الْكُفْرِ وَكَانُوا
أَمْثَالُ الرَّمَالِ لَا يُعَدُّونَ ؛ وَيُنْهَى أَنْ عَلَيْهِ الْكَرِيمُ قَدْ أَحَاطَ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ هَذَا
الْعَدُوِّ الْخَفِيزِ وَدَخُولِهِ إِلَى الْبِلَادِ الْمَحْرُوسَةِ بِجِيُوشِهِ وَكَتَائِبِهِ وَجُوعِهِ وَجُنُودِهِ مِنْ
أَشْيَاعِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَأَحْزَابِ الشَّرْكِ . وَلَمَّا تَوَاصَلَتِ الْأَخْبَارُ بِقُرْبِهِ ، وَاسْتَعْدَادِهِ
بِحَزْبِهِ ، وَمَهَاجَتِهِ الْبِلَادَ ، وَإِيقَاجِ الرُّعْبِ فِي قُلُوبِ أَهْلِهَا بِالتَّنَوُّعِ فِي الْقِسَادِ ؛ سَاقَ
الرَّكَّابُ الشَّرِيفُ فِي طَلَبِهِ يَطْوِي الْمَرَاحِلَ ، وَيَقْطَعُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِثْرَتَيْنِ بِلِ مَنَازِلَ .
وَلَمَّا حَلَّ الرَّاكِبُ الشَّرِيفُ بِمَرْجِ الصُّفْرِ عَلَى مَرَّحَلَةٍ مِنْ دِمَشْقِ الْمَحْرُوسَةِ فِي يَوْمٍ
السَّبْتِ مَسْتَهْلٍ شَهْرَ رَمَضَانَ الْعَظِيمِ زُيِّنَتِ الْعَسَاكِرُ الْمَنْصُورَةُ لِلِقَاءِ حَالٍ وَصُولًا ،
وَاسْتَعَدَّتْ لِلْحَرْبِ دُونَ تَشَاغُلٍ بِأَسْبَابِ زُرُوعِهَا ؛ فَوَاقَى الْعَدُوَّ الْخَفِيزُ فِي مِائَةِ أَلْفٍ
مِنْ جِيُوشِ تَسِيلِ كَالرَّمَالِ ، وَتَعَلَّوْا الْجِبَالَ بِأَشَدِّ مِنَ الْجِبَالِ ؛ وَحِينَ وَصَلُوا حَمَلُوا عَلَى
الْمِيمَنَةِ بِجَمَلَتِهِمْ ، وَقَصَدُوا إِزَاحَتَهَا عَنْ مَوْقِعِهَا بِجَمَلَتِهِمْ ؛ فَتَلَقَّتْهُمْ الْجِيُوشُ الْمَنْصُورَةُ
بِنَفُوسٍ قَدْ بَايَعَتْ اللَّهَ عَلَى لِقَاءِ عَدُوِّهِ وَعَدُوِّهَا ، وَوَقِفَتْ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهَا مِنَ الْجَزَاءِ
فِي رَوَاحِهَا فِي سَيْلِهِ وَغُدُوِّهَا ؛ وَصَدَمَتْهُمْ صَدْمَةٌ كَسَرَتْ حُدُومَهُمْ ، وَأَوْهَنْتِ شِدَّتَهُمْ
وَشَدَّهُمْ ؛ وَأَزَالَتْ طَمَعَهُمْ ، وَأَبَانَتْ ظُلْمَهُمْ ؛ وَمَاتَ طَيْبُ الْجِيُوشِ الْمَنْصُورَةِ مِنْ

كُلِّ جانب، وَحِمَتْ الحرب بين الكَتَّابِ الإسلاميَّةِ وبين تلك الكَتَّابِ؛ ودخل الليل ونار الحرب تشتعل، والجياد من المهاجرتنقى وبالجماجم تتعيل؛ فأوَّأ إلى جبال اعتصموا بهضابها، وأَحْتَمَوْا بتوغر مسالكها وضيق عقابها؛ وأحاطت بهم الجيوش المنصورة لحوسهم^(١) لا لحفظهم، وتَضَمَّ أطرافهم لا لحبهم بل لبُغْضهم؛ فكانوا — بعد كثرة من قُتل منهم في المعركة الأولى أو قر من أول الليل — بممَّا يناهز الأربعين ألف فارس، فأصبحوا يباودون القتال، ويتزلون إلى أطراف الجبال للترال؛ والجيوش المنصورة تَلَزَمهم من كل جانب، وتُحَكِّم في أبطالهم القنا والقواضب. وجرت في أثناء ذلك حَمَلَاتٌ ظَهَر في كُلِّ منها خَسَارُهم، وشَهِدَ عندهم بما يكابدون قتلهم وإسارهم؛ وبعد ذلك نزلوا من جانب واحد يطلبون الفِراق، ويتوقَّعون القتل إن تمذَّر الإِسار؛ فاسقت خلفهم الجيوش المنصورة تتحطَّفهم رماحها، وتتلقَّفهم صِفاحها؛ وتقاذفت بمن نجا منهم القلوات، وغرقتهم أمواج السراب قبل أمواج القُرات؛ فأخذوا قنصا باليد من بطون الأودية ورهوس الشَّعاب، ولم يحصل أحد منهم على الغنيمة بالإياب؛ وقُتل أكثر مقدِّمى التَّهات وفر كبيرهم وأوَّ، له الفِراق، وبين يديه مفاوز إن سلك منها تناولته بأرماع من المعطش القِفار. فليأخذ المولى حَفْظَه من هذه البُشرى التي تُبْئى، عن الفتح العظيم والفضل الممِّم، والنصرة التي حَفِظَ الله بها على الإسلام البلاد والثغور والأموال والحريم؛ ويكتب إلى البلاد بضمونها، ويسرُّ قلوب أهل الثغور بمكنونها؛ ويستنهض المولى الأئمة لشكر الله عليها، ومن ذا الذي يقوم بشكر ذلك! ويعرفهم مواقع هذه النُصرة التي أنجد الله فيها الإسلام بالملايك؛ ويتقدَّم أمره بضرب البشائر بكلِّ مكان، ويشهر في جميع الثغور أن عدوَّ

(١) في الأصل: «لحوسهم» براء. والخورس: القتل.

(٢) في أحد الأصول: «التَهاتات».

الله وعدوا الإسلام دخل في خبر كان؛ وأن الله تعالى كسر جيوش التاركين لا يُجبر صدّعه، ولا يتأتى إن شاء الله تعالى جمعه. والله تعالى يُسمعه من التهاين كلّ ما يسرّ الإسلام وأهله، ويشكر قوله في مصالح الإسلام وفعله؛ إن شاء الله تعالى.

الباب الثاني

من القسم الرابع من الفن الثاني

في المراثي والنوادر

- والمراثي إنما جعلت تسليّة لمن عصّته النواصب بأنبيائها، وفترت الحوادث بين نفسه وأحبائها؛ وناسية لمن سبق إلى هذا المصّر، ونهل من هذا المشرّع؛ ووثوقاً بالحق بالماضي، وعلماً أن حادثة الموت من الديون التي لا بد لها من التقاضي؛ وأنه لا سبيل إلى الخلود والبقاء، ولا بد لكل نفس من الذهاب ولكل جسد من الفناء.
- ١٠ قال الله تعالى في عهده تزييه مخاطبة لرسوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.
- فليرض من جُفّ بخيله وشقيقه، وصاحبه وصديقه؛ وأهله وولده، وجمعه وعدده، وماله ومدده؛ نفسه الجساعة في ميادين أسفها وبكائها، الجالحة إلى طلب دوائها من مظانّ أدوائها؛ بزمام الصبر الجميل، لينال الأجر الكريم والثواب الجزيل؛ فقد
- ١٥ أثنى الله تعالى على قويم بقوله: (وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ)؛ وقال تعالى إخباراً عن لقمان في وصيته لابنه: (وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ). وليس يرجع من أصابته مصيبة أو نزلت به بلية، وطرقته حادثة أو ألمت به رزية؛ لما جعل الله تعالى للمسترجع بفضلِهِ ومته، من صلّاته عليه ورحمته؛ قال الله عز وجل:

(الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) . وليناأس الفاقد برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد جعل الله فيه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وليقتد بأصحابه رضى الله عنهم ليفوز بشواب الصابر ويمحز أجر الشاكر .

٧٥

وباب الرثاء فهو باب فسيح الرحاب والنوادي ، فصيح اللسان في إجابة المنادى
 ذى القلب العصادى ؛ متباين الأسلوب ، مختلف الأطراف متباعد الشعوب ؛ منه
 ما يُصْغِي القلوب بنباله ، ومنه ما يُسَلِّمها بلطف مقالها ؛ ومنه ما يبعثها على الأسف ،
 ومنه ما يصرفها عن موارد التلّف . وقد أكثر الشعراء القول في هذا الباب ، وأردقوا
 النثرة العلياء من هذه المضارب ؛ ووجدوا مكان القول ذا سمة فقالوا ، وأصابهم
 هجير اللوعة فقالوا إلى ظلّه وقالوا . قال الأصمى : قلت لأعرابى : ما بال المرائى
 أشرف أشعاركم ؟ قال : لأنا نقولها وقلوبنا محترقة . وعلى الجملة فالموت هو المصيبة
 التى لا تُدْفَع ، والرزية التى لا تُرَدُّ بكثرة الجموع ولا تُنْجَع ؛ والحادثة التى لا تنصرف
 بالفداء وإن جُلّ مقداره ، والنازلة التى لا تتأخر عن وقتها بالدعاء وإن عظمت
 فى غيرها آثاره ؛ وهو أحد الأربعة التى فُرِعَ منها ، وصُرفت وجوه المطامع عنها .
 وقد قالت الحكماء : أعظم المصائب كلها أقطاع الرءاء . وقالوا : كل شيء يسدو
 صغيرا ثم يعظم إلا المصيبة فإنها تبدو عظيمة ثم تصغر . وقالوا : لا يكون البكاء
 إلا من فضل ، فإذا اشتدّ الحزن ذهب البكاء . قال شاعر :

فلئن بكّيناه لحقّ لنا • ولئن تركنا ذاك للصبر

فلمشله جرّ العيون نَمّا • ولمشله جمحت فلم تجر

وقيل : مرّ الأحف بأمرأة تبكى ميتا ورجلُ بينها ؛ فقال : دعها فإنها تنُتب
 عهدا وسفرا بعيدا . قيل لأعرابية مات أبنا : ما أحسن عزاءك ؟ قالت :

٩

١٠

١٥

٢٠

إِنَّ فَقْدَى إِيَّاهُ آمَنَى كُلُّ فَقْدٍ سِوَاهُ ، وَإِنَّ مُصِيبَتِي بِهِ هَوْنَتْ عَلَى الْمَصَائِبِ بَعْدَهُ ؛
ثُمَّ أُنْشَأَتْ تَقُولُ :

كُنْتَ السَّوَادَ لِمُقَلَّتِي * فَعَمِي عَلَيْكَ النَّاطِرُ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْمَتْ * فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَاذِرُ
لَيْتَ الْمَنَازِلَ وَاللَّيَا * رَحَاؤُكُمْ وَمَقَارُ
إِنِّي وَغَيْرِي لَأَحْمَا * لَعَلَّ حَيْثُ صِرْتُ لَصَاوِرُ

وقد قل أو الفرج الأصغرهاني : أن بعض هذا الشعر لإبراهيم بن العباس بن
محمد بن صُولٍ يرى آبنا له فقال :

أَنْتَ السَّوَادُ لِمُقَلَّتِي * تَبَيَّنَ عَلَيْكَ وَنَاظِرُ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْمَتْ * فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَاذِرُ

ولم يزد على هذين البيتين شيئاً . أخذ الحسن بن هانئ معنى البيت الأول فقال
في الأمين :

طَوَى الْمَوْتُ مَا بَنَى وَيَنْ مُحَمَّدٍ * وَلَيْسَ لِمَا تَطَوَّى الْمَنِيَّةُ نَاشِرُ
وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحَدُ الْمَوْتِ وَحْدَهُ * فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحَاذِرُ
لَنْ عَمَرْتُ دَوْرُومَنْ لَا يُجِبُهُ * لَقَدْ عَمَرْتُ مِمَّنْ يُحِبُّ الْمَقَابِرُ

وقيل : من أحسن ما قيل في التعازي أَنَّ أَعْرَابِيًّا مَاتَ لَهُ ثَلَاثَةُ بَنِينَ فِي يَوْمٍ
وَاحِدٍ فَدَفَنَهُمْ وَادَّ إِلَى مَجْلِسِهِ ، فَجَلَسَ يَتَحَدَّثُ كَأَن لَمْ يَفْقِدْ أَحَدًا ؛ فَلَمَّ عَلَى ذَلِكَ ،
فَقَالَ : لَيْسُوا فِي الْمَوْتِ بِبَدِيعٍ ، وَلَا أَنَا فِي الْمَصِيبَةِ بِأَوْحَدٍ ، وَلَا جَدَّوِي لِلْجَزَعِ ، فَعَلَّامٌ
تَلُومُونِي ، وَهَذِهِ ثَلَاثَةُ الْأَقْسَامِ لَا رَابِعَ لَهَا ! . وَعَزَى أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ : لَا أُرَاكَ
اللَّهِ بَعْدَ مَصِيبَتِكَ مَا يُنْسِيكَهَا . وَقِيلَ : لَمَّا دَفِنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَمَثَّلَ عَلَى قَبْرِهَا بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

لكل اجتماع من خيلين فُرقة * وكل الذى دون المات قليل
وإن أفتقداى واحداً بعد واحد * دليلٌ على ألا يدوم خليلٌ



وعزى على بن أبى طالب رضى الله عنه الأشعث بن قيس عن أبه فقال :
إن نَحَزَنَ فقد استَحَقَّتْ ذلك منك الرَّحْمُ ، وإن تَصَبَّرَ ففى الله خَلْفٌ من كلِّ هالك ،
مع أنك إن صَبَرْتَ جرى عليك القدرُ وأنت مأجور ، وإن جَزَعْتَ جرى عليك
القدر وأنت موزور ؛ سرك الله وهو بلاءٌ وفِتنة ، وحركت وهو ثواب ورحمة .

وعزى أكرم بن صبيح حكيم العرب عمرو بن هند الملك عن أخيه فقال : أيها
الملك ، إن أهل هذه الدار سَفَرٌ لا يَحِلُّونَ عُقْدَ الرِّحالِ إلا فى غيرها ، وقد أتاك ما ليس
بمردود عنك ، وأرتحل عنك ما ليس براجع إليك ، وأقام معك مَنْ سَيَظُنُّ ويدعُكَ ؛
ها أحسن الشكر لنعم والتسليم للقادِر ! وقد مضت لنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء
الفرع بعد أصله ! وأعلم أن أعظم من المصيبة سوء الخلق منها ، وخيرٌ من الخير
مُعطيهِ ، وشرٌّ من الشر فاعله .

وقال ابن السماك : المصيبة واحدة ، فإن كان فيها جَزَعٌ فهى آفتان . وقال
أبو على الرزى : صحبتُ الفضيل بن عياض ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكاً ولا متبسِّمًا
إلا يوم مات أبه على ؛ ففقت له فى ذلك ؛ فقال : إن الله أحبَّ أمراً فأحببتُ
ما أحبَّ الله . وقال صالح المري : إن تكن مصيبتك فى أخيك أحدثت لك خشيَةً
فعم المصيبة مصيبتك ، وإن تكن مصيبتك بخيك أحدثت لك جَزَعاً فبئست
المصيبة مصيبتك . وقال على بن موسى للفضل بن سهل يعزى : التهشة بحل
الثواب أولى من التعزية على عجل المصيبة . وعزى رشيد رحل فقال : كان لك
الأجر يا أمير المؤمنين لا بث ، وكان العراءُ لك لا عت . أحذه لا حرقن :

كفى المعزى لا المعزى به * إن كان لا بد من واحد

وقال عمر بن عبد العزيز لأبنة عبد الملك وقد أشتد به الألم : كيف تحبُّك يا بُنَيَّ ؟ قال : أجدني في الموت ، فأحسنيني ، فإن ثواب الله خير لك مني . قال : والله يا بُنَيَّ لأن تكون في ميزاني أحبُّ إليَّ من أن أكون في ميزانك . قال : وأنا والله لأن يكون ما يُحِبُّ أحبُّ إليَّ من أن يكون ما أُحِبُّ .

- وعزى شبيب بن شبة أبا جعفر المنصور بأخيه أبى العباس السفاح فقال : جعل الله ثواب ما رُزئت لك أجرا ، وأعقبك عليه صبرا ، وختم لك بعافية تامة ، ونعمة صامة ، فثواب الله خير لك منه ، وأحقُّ ما صُبر عليه ما ليس إلى تغييره سبيل .
- ودخل البلاذريُّ على علي بن موسى الرضا يعزيه بأبنة فقال : أنت تَجِلُّ عن وصفنا ، ونحن نقصُر عن عِفَّتِكَ ، وفي علمك ما كفاك ، وفي ثواب الله ما عزاك .
- فهذه بُذرة في التعازي كافية ، وجُنة لمن تحصن بها من ذوى الفجائع واقية .
- فلنذكر المراثي .

ذكر شيء من المراثي والنوادر

- ولنبدأ من ذلك بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبشيء مما قيل عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فمن ذلك ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم وفاة ولده إبراهيم عليه السلام : **«يا إبراهيم لولا أنه أمر حقٌّ ووعدٌ صدقٌ وأن آخرنا سيحقق أولنا لحزننا عليك حزنا هو أشد من هذا وإننا بك يا إبراهيم لمحزونون تنبكي العين ويحزن القلب ولا نقول ما يُسيخط الرب»** . ذكره الجوهريُّ النسابة في شجرة الأنساب ، وذكره غيره مختصرا .
- ومنه ما روى أن فاطمة رضی الله عنها وقفت على قبره صلى الله عليه وسلم وقالت :

إِنَّا فَتَدْنَاكَ فَقَدَ الْأَرْضِ وَابِلَهَا * وَغَابَ مَذِغَتَ عَنَّا الْوَحْيِ وَالْكَتُبُ
فَلَيْتَ قَبْلَكَ كَانَ الْمَوْتُ صَادِقَنَا * لَمَّا تُنِيتَ وَحَالَاتِ دُونَكَ الْكَتُبُ

ووقف على رضى الله عنه على قبره صلى الله عليه وسلم ساعة دُفن وقال : إِنَّ
الصبر لجليلٌ إِلَّا عَنْكَ ، وَإِنَّ الْجَمْرَ لَقَبِيحٌ إِلَّا عَلَيْكَ ؛ وَإِنَّ الْمَصَابِ بِكَ لَجَلِيلٌ ، وَإِنَّهُ
قَبْلَكَ وَبَعْدَكَ لَبَلَلٌ . وقد أَلَمَ الشعراء بهذا المعنى ، فقال إبراهيم بن إسماعيل فى علة
ابن موسى الرضا :

إِنَّ الرِّزْيَةَ يَا بْنَ مُوسَى لَمْ تَدْعُ * فِى الْعَيْنِ بِعَدِكَ لِلْمَصَابِ مَدْمَعَا
وَالصَّبْرُ يُجْحَدُ فِى الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا * وَالصَّبْرُ أَنْ نَبْكِيَ عَلَيْكَ وَنَجْزِمَا

ووقف أعرابي على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قُلْتَ قَبْلَنَا ،
وَأَمَرْتَ لِحَفِظْنَا ؛ وَقُلْتَ عَنْ رَبِّكَ فَسَمِعْنَا : ﴿ وَتَوَلَّوْا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ
فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْ جَدُّوا اللَّهَ تَوَابًا رَحِيمًا ۖ ﴾ ، وقد ظلمنا أنفسنا وجنناك
فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ؛ فَبَقِيَتْ عَيْنٌ إِلَّا سَالَتْ .

ودخل عمر بن الخطاب على أبى بكر الصديق رضى الله عنهما فى مرض موته ،
فقال : يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) ، لَقَدْ كَلَّفْتَ الْقَوْمَ بِعَدِكَ تَعْبًا ،
وَوَلَّيْتَهُمْ نَصَبًا ، فَهَيِّاتِ مَن شَقَّ عُيَارَكَ ! وَكَيْفَ بِالْحَقِّ بِكَ !

وَقَالَتْ حَائِشَةُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَبُوهَا يُقْتَضُ :

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى النَّهَامُ بِوَجْهِهِ * يَمُكُّ الْيَنَامَى عِصْمَةً لِلْأَرَامِلِ

فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَقَالَ : ذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثُمَّ أَتَمَّعِي عَلَيْهِ ، فَقَالَتْ :
لَعَمْرُكَ مَا يُنْفِى الثَّرَاءُ عَنِ الْفَقْرِ * إِذَا حَشَرَ جَنَّتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ
فَنَظَرَ إِلَيْهَا كَالْفَضْبَانِ وَقَالَ : قَوْنِ : رُؤُوسُ سَكْرَةِ الْمَوْتِ وَالْحَقُّ ذَلِكُ مَا كُنْتُ

مِنْهُ يُحْيِدُ) . ثم قال : أَنْظَرُوا مُلَاءَتِي فَأَغْسَلُوهُمَا وَكَفَّنُونِي فِيهِمَا ، فَإِنَّ الْحَيَّ أَحْوَجُ إِلَى الْجَسَدِ مِنْ الْمَيِّتِ . ووقفت رضى الله عنها على قبره رضى الله عنه فقالت : نَقَرُ اللهُ وَجْهَكَ ، وشكر لك صالح سَعِيكَ ؛ فقد كنتَ لِلدُّنْيَا مَذْلًا بِإِدْبَارِكَ عَنْهَا ، وكنتَ لِلْآخِرَةِ مُعْزَاً بِإِقْبَالِكَ عَلَيْهَا ؛ وَلَئِنْ كَانَ أَجَلُ الْحَوَادِثِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُزْمَكَ ، وَأَعْظَمُ الْمَصَائِبِ بَعْدَهُ فَقَدَكَ ؛ إِنْ كَتَبَ اللَّهُ لِيَعِدُّ بِحَسَنِ الصَّبْرِ فَيْكَ وَحَسَنِ الْعِوَضِ مِنْكَ ؛ فَإِنَّا لَنَتَجَزَّزُ مَوْعِدَ اللَّهِ بِحَسَنِ الْعَزَاءِ عَلَيْكَ ، وَأَسْتَعِضُّهُ مِنْكَ بِالْأَسْتِغْفَارِ لَكَ . أَمَا لَئِنْ كَانُوا أَقَامُوا بِأُمُورِ الدُّنْيَا لَقَدْ قَتَلَتْ بِأَمْرِ الدِّينِ حَيْنَ وَهَى شَعْبُهُ ، وَتَفَاقَمَ صَدْعُهُ ، وَرَجَفَتْ جَوَانِبُهُ . فَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَوَدِيعَ غَيْرِ قَالِيَةِ لَكَ ، وَلَا زَارِيَةِ عَلَى الْقَضَاءِ فَيْكَ . ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ .

﴿١٧﴾

- ١٠ وَلَمَّا قُبِضَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نُحِّيَ عَلَيْهِ بِالنُّوبِ ، فَأَرْتَجَّتِ الْمَدِينَةُ بِالْبُكَاءِ وَدِهَشِ الْقَوْمِ كَيَوْمِ قُبُضِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَجَاءَ عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَيِّكَ مَسْرَعًا مُسْتَرْجِعًا حَتَّى وَقَفَ بِالْبَابِ وَهُوَ يَقُولُ : رَحِمَكَ اللَّهُ أَمَا بَكَرَ كُنْتُ وَاللَّهِ أَوَّلَ الْقَوْمِ إِسْلَامًا ، وَأَخْلَصَهُمْ يُمَانًا ، وَأَشَدَّهُمْ يُقِينًا ، وَأَعْظَمَهُمْ غَنَاءً ، وَأَحْفَظَهُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَحْلَبَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَحْنَاهُمْ عَلَى أَهْلِهِ ، وَأَشَبَّهُهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُلُقًا وَفَضْلًا وَهَدْيًا وَسَمَاتًا ؛ بِغَزَاكَ اللَّهُ عَنْ ١٥ الْإِسْلَامِ وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرًا ، صَدَقْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ كَذَبَهُ النَّاسُ ، وَوَأَسَيْتَهُ حِينَ يَخْلُوا . وَقَتَّ مَعَهُ حِينَ قَعَدُوا ، وَأَسَمَّاكَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ صِدْقًا فَقَالَ : ﴿ وَالَّذِي حَاءَ بِالصَّدِيقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ ، يَرِيدُ مَحْمَدًا وَيُرِيدُكَ . كُنْتَ وَاقِعًا لِلْإِسْلَامِ حَصْبًا وَعَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابًا . لَمْ تُغْلَلْ جُحُوتُكَ ، وَلَمْ تَضْعُفْ بِصَيْرُوتِكَ ؛ وَلَمْ تَجِبْنِ نَفْسُكَ . كُنْتَ كَالْجَبَلِ الَّذِي لَا تَحُزُّكَ الْعَوَاصِفُ ٢٠ وَلَا تُرْمَلُهُ الْفَوَاصِفُ . كُنْتَ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَعِيفًا فِي بَدَنِكَ ،

قويًا في أمر الله، متواضعًا في نفسك، عظيمًا عند الله، جليلًا في الأرض، كبيرًا عند المؤمنين . لم يكن لأحد عندك مَطْمَعٌ ولا لأحد عندك هَوَادَةٌ ، فالقوى عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه ، والضعيف عندك قوى حتى تأخذ الحق له . فلا حرمتنا الله أجرك، ولا أضلنا بعدك .

٥ . فانظر إلى هذا الأسلوب العجيب ، وتأمل هذا القمط الغريب ، الذي جمع بين سلاسة الألفاظ وإيجازها ، وإصابة المعاني وإعجازها . ولا يُستكثر على من أُزيل القرآن بلغتهم، أن يكون هذا القول من يديهم .



ولند كرُمُعةً من رسائل البلغاء والفضلاء، ولتحةً من أشعار الأدباء والشعراء .
١٠ . فن ذلك رسالة كتبها الوزير الفقيه الكاتب أبو القاسم محمد بن عبد الله بن الجندب، إلى الوزير الفقيه أبي القاسم المهوريني يعزّيه عن أخيه ، ابتدأها بَنَ قال :

لا بُدَّ من قسِدٍ ومن فاقِدٍ . هيهات ما في الناس من خالِدٍ
كُنَّ الْمُعْزَى لا الْمُعْزَى به * إن كان لا بُدَّ من الواحد

إذا لم يكن بُدٌّ من تجرُّع الحمام ، وتَسْتِ النَّظَمِ . وأنصُدْ عِشْقَ الكرامِ ؛ فمن الاتفاق السعيد والقدر الحميد أن يرث أعمارَ البَيَّةِ الكريمة مُشِيدَ عُلَاهَا . وتسلّم من القِلادة وَسْطَها، فمدار الكائنة على مُعْلَاهَا، ونخارُ الحُبَّةِ بِحُرْزِ مَدَاهَا . وفي هذه النُبْذة إشارة إلى من فرط من الإخوة البلاء، ودرج من السادة التَّجَبُّه ؛ فأنه وإن كانوا في رتبة الفضل صُدُورا ، وعَدُوا في سماء النُّبُلِ دُورا ؛ فونَ شمس عَلائِكُ شُهُرُ أضواءٍ وأزهرُ أنوارٍ، وظلَّ جنبك على بليبه ومُحِبِّهم كُدى صَلا وأبدٌ مُسْحَرٌ .
٢٠ . نعي إلى - أوشك الله سلوانك ، ولا تُخل من شخصك الكريم مكانك ! - نوزيرُ

- أبو فلان، برد الله ثراه، وكرم مثواه؛ فكأنما طعن ناعيه في كبدى، وطعن باكيه
 بذخيرة جلدى. لا جرم أتى دُفِعْتُ إلى غمرة من التلدد لو صُدم بها النجم لحر،
 أو دُهم بها الحزم لثار؛ ثم ثابت إلى نفسى وقد قذها الجزع، وعصها الوجع؛ فأطلت
 الاسترجاع، وجمعت الجلدة الشعاع؛ وما أنا عند الله أحسنه جماع فضائل، وجمال
 محافل؛ وحديقة مكارم صوحت، وصحيفة محاسن درست وأتمحت. وما أقنصرت
 من رسم التعزية المألوف، على القليل المحذوف؛ إلا لعلى بأن المعزى لا يورد عليك
 غربيا، ولا يُسمعك من مواعظه عجيبا؛ فيك يقتدى الأليب، وعلى مثالك يحتذى
 الأديب، وإلى غرضك فى كل موطن ^(١) يوفى المصيب؛ وفى تجافى الأقدار عن
 حوائك، وسقوطها دون فئائك؛ ما يدعو إلى حسن التعزية. لا صدع الله جمعك،
 ولا فزع نبأه المكروه سيمك.

١٠

ومن إنشاء القاضى العاضل عبد الرحيم اليسافى :



- ورد الخبر بمصرع فلان الذى عز على المعالى، وعُزيت به اليبالى؛ وسقط به نهم
 الشرف وهوى، وجف به روض الكرم وذوى؛ وقصت الأرض من أطرافها،
 ورجفت الجبال من أعرافها؛ وبكت عليه السماء فإن يده كانت من شهبها، وتناثرت
 له النجوم فإن عزمه كان من شهبها؛ واظلمت فى عيني الدنيا الظالمة، ونجوعت
 منها كاسا لا تسينها النفس كاظمة؛ وتقسمت الأيام فريقين فى مودتى وعداوتى،
 فأها على السالفة ولا مرحبا بالقادمة؛ وأصبحت أخوض الماء وأحشائى تتقطع
 غليلا، وأرى الناس كثيرا بعينى وبقلبي قليلا.

١٠

وما الناس فى عيني إلا حجارة . لينك والأعراس إلا مايم

٢٠

(١) كذا بالأصول - ولله محرف عن : «يرى» .

فقد أستوحشت الدنيا لفقدته، وأرتابت بنفسها من بعده، وعلمت حلاوة قربه
بمراة بعده، وأنصرف ذوو الأبواب عن بابه، وأجتنبت الآمال متقى جنبابه،
وبكت الرياض على آثار صحابه.

فإِنْ يُمِيسَ وَحْشًا بِأَيْهِ قَلْبِي * تَنَاطَحَ أَفْوَاجًا عَلَيْهِ الْمَوَاكِبُ

ومن إنشائه أيضا رحمه الله تعالى : ما شككت — أطال الله بقاءك — حين
ورد النوى بالمصائب التي قصمت الظهور بمكروها، وحسرت فيها الحشرات عن
وجوها، أن السماء على الأرض قد أنطبقت، وأن الأيام ما أبقت والسعادة قد
أبقت، والحياة لم يبق في طولها طائل، والصبر بهجير اللوعة ظل منسوخ زائل؛
وشمس الفضائل قد غربت وكيف بطلوها، ونفس المكارم قد تزعجت من بين
ضلوعها، وغاب الإسلام قد غاب منه أي شيء، ورياض الآمال قد ألق عن سقياها
أي شيء. فإنا لله وإنا إليه راجعون، رضا بحكمه، وتجلدا على ماري به الحادث من
سهمه، وطبا للقلوب على مفض البلاء وكله، وفرارا من الجمع بين مصيبة الفاق
وإنه. وسقى الله ذاك الضريح ما شاء أن يسقيه من صحاب كصوب يديه، ورحمه
رحمة تحف بجانبيه. وآها لاء العذب كيف آرتشفته التوازل وأبقت الملح، ثم آها
للمصباح الطلق كيف آغاثته الأصائل وأطلقت الخنث، ووا أسفا لتلك النخيرة التي
فذلكت بها الأيام ذخائري، والسريرة التي طالما صلتها أن تمر بسراري، شققا عليها
من سهام دهر بالذخائر مومة، وسترا لها من عين زمان على السرائر موقعة. ولئن صحب
قلبي بعده أضلعي، وتمثلت بعد فقدته على ظلتي؛ فإنا غدا على أثره، وإن تكا اليوم على
خبره. وقصر الحياة إلى قصور، كما أن محصول غروها غرور. والتأقب بأدب الله
أولى ما خفف به المسلوب عن منكبه، وطريق السلوان لا بد أن يراجعه عزم منكبه.
فأنشدها الله إلا جعلت مصيبتها مصيبة على الشامت بما تلبسه من صبر ليس عليه

المصيبة فيسببها ينعمة ، وبما تستشعره من تجلّد في النازلة يُتَرَل عليها صلوات من ربّها ورحمة . ولئن ترى أعجب من مُصاب لا ترى به إلا مُصابا ، وساكني تُرب لم يبق بعده إلا من سبق بدمعه تُرابا ؛ اشترك فيه الأمتان العربُ والعجمُ ، وعزّى به العزيزان المجد والكرم ، واستباح الدهرُ به الصيد في الحرم .

وتشابه الباكون فيه فلم يَبِّ . * دمعُ الحقّ لنا من المُتعمِّل

وكتب أيضا في مثل ذلك : أنثرت مكتبة الحضرة — مدّ الله في عمرها وفي صبرها وفي أجرها ، وألمعها التسليم لحكم من هو غالب على أمرها — إلى أن تنقضي نبوة الخطب ، وتضع الأنفاس أوزارها للحرب ، ويخرج ماءُ الخفن نارَ القلب ؛ وتراجع الخواطر إلى عاداتها ، وتنظر في الدنيا التي ما مُحيبت إلا لعل عاداتها ومعاداتها ؛ فتكون الحضرة حُرّفت من غير تعريف ، ووقفت على الحزم من غير توقيف ؛ وتوفر عليها الثواب بغير مُشارِك ، ورجعت إلى فهم مُدرك وصوابٍ مدارِك . وتأخير التعزية عن البادرة خلاف ما شُرِع فيها ، ولكن إنما يحتاج أن يُثبت من صبره هاف ، ويرم من تجلّده عاف . وقد علم الله أهتامي وأعتامي بفقد شيخها رحمه الله وعدمها منه من لا يحوس عنه إلا ثواب الله الذي يهون الوقائع ، ويوطن على الروائع . وأسباب التعزية غير واحدة ، منها أنه إنما دُرح في السنّ التي هي مُعترَك المنايا ، ومنها أنه ما نخرج عن الدنيا إلى أن رأى منها خَلَق يهون الزايا ؛ ومنها أنه لقي الله بعملٍ صالح هو بمشيئة الله نجاته ، ومنها أنه فارقها على رضا عنها وبكفها مرضاته ، وعلى الدعاء المقبول لها ونعمت الخنّ دعواته .

ولكن للألأف لا بد حسرة . إذ جلت أقرانها تنقطع

ومنها أن الحزن لو أُصِيع والحزء لو أُصِيع لما أفضى إلى مُراد ، ولا أعاد ميتا قبل المعاد . وأحقّ متروك . بنتم حبه . ويؤجر مجننه .

عن الدهر فأصقح إنه غير مُعْتَب * وفي غير مَنْ قد وارت التُّربُ فأطمع
والخضرة تُعاني من لاحقة رجوعها إلى الله بعد الاسترجاع ، ومن تسليم خاطر
الحزن إلى حكم الله ما يسر خاطر الاستطلاع ؛ وحسبه — أبقاء الله تعالى — من كل
هالك ، ولا يجزع المحاسب من قَدَّالك ، ومثله من أخذ بعزائم الله فيما هو آخذ وتارك .
جبر الله مُصائبه ، وعظم ثوابه ، وسقى الماضي ورقى ترابه ، ولا تنهب النفس
حسرة لما شهدت العين دُعابه .

وتخطفنه يدُ الردى في غيبي * هنيى حضرتُ فكنْتُ ماذا أصنعُ
ومن إنشاء الشيخ ضياء الدين أحمد بن محمد القرطبي ما كتب به إلى الصاحب
شرف الدين الفارسي يعزيه في مملوك توفى له ، وكان الصاحب قد جرع لفقده . ابتداء
كتابه بأن قال :

فدى لك من يقصر عن مداكا * فلا أحد إذا إلا فداكا
إنا لله وإنا إليه راجعون . لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، وسنة في الأمي
مُسْتَحْسنة ؛ وإنما الأنفس ودائع مُستودعة ، وعوارٍ مُسترجعة ، ومواهب بيد الفناء
مُستترعة .

فالعمر نومٌ والمنية بقطة * والمرء بينهما خيالٌ سارى
وما يريح ذرور العزمات يتلقون واردات المصائب بصبرهم ، وما كان المؤمن
ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم . وإن يد الله
لملية بفيض المواهب ، وفي الله عوضٌ من كل بائن وخلف من كل ذاهب . وإذا
سلم مولانا في نفسه وولده ، فلا بأس إذا تطرقت يد الردى إلى ملك يده .

فانت جوهره الأعناق ، ما ملكت * كفالك من طارف أو ناله عرَّض

والحمد لله الذى جعل المصيبة عندك لا بك، والرزية لك لا فيك .

* إذا سلبت فكل الناس قد سلبوا *

وإذا تحطمتك المنيّة ظها في سواك الحيار، ولنا القدح الممل إذا أورى زند هذا

الاختيار . ولا بد في مشرع المنيّة من مفقود وفاقد .

• كن المعزى لا المعزى به • إن كان لا بد من الواحد

وهذا فقد وهبه الله لمولانا من حيث إنه أخذه منه، وأبقاه له من حيث رآه

ذاهباً عنه؛ فهو بالأس عارية مردودة، واليوم ذخيرة موجودة؛ وكان عطيةً مسلوقة

وهو الآن نعمةً موهوبة؛ كنت له وهو الآن لك، وفزت به والسعيد من فاز بما

ملك . وهذه دار دواؤها دائها، وبهاؤها فتاؤها؛ طالها مطلوب، وسالها مسلوب؛

وإن لنا فيمن سلف لعزاء، ولنا برسول الله صلى الله عليه وسلم آقتداء؛ ولا بد من
ورود هذا المشرع، وملاقة هذا المصرع .

(٨١)

ومن إنشاء المولى شهاب الدين محمود الحلبي ما كتب به عن بعض التواب إلى

الأمير عز الدين الحموي النائب — كان يدمشق — تعزيةً بولده :

أعز الله أنصار المقر الكريم العالى، ولا هدمت له الخطوب ركنا، ولا بغات

له الحوادث جمى ولا طلبت عليه إذناً، ولا هصرت أيدى الأقدار من عروشه
الناصرة غصبا، ولا أذاقته الأيام بعد ما مر أسفاً على من يحب ولا حزناً، ولا سلبه
الجزع رداء الصبر الذى يحصه بحريل الأجر وإن شركه فى الأسى والأسف كل ما .

المملوك يقبل اليد الكريمة، وينهى أنه اتصل به النبأ الذى صدع قلبه، وشغل باليكاه

طرفه بالأسف لسانه، ولحزن لبّه؛ وهو ما قدره الله تعالى من وفاة المولى الأمير

وكن الدين عمر — تقمده الله برضوانه — الذى آختر الله له ما لديه . وأرتهى له البقاء

٢٠

الدائم على الفانى فقله إليه ؛ على أن الدين فقد منه رُكناً شديداً ، ورأياً سديداً ،
وعزماً وحرماً مُعيناً مفيداً ، وأميراً أردنا أن يعيش سعيداً ، فأبى الله إلا أن يموت
شبيداً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . لقد كان للرجاء فى اعتضاد الدولة القاهرة به
أى مجال ، وللآمال فى الانتظار بياسه ظنونٌ مُحققٌ أن الغلبة للدين دائماً مع أن الحروب
يُجال ؛ وللواكب بطُلوع طلعت أى إشراق ، وللعيون عن مشاهدة كماله وأبهة جلاله
أى أغضاء وأى إطراق . والله أى بدرهوى من أفق بوجهه عن فلّك ، وأى شمن
ما رآته الجوارى الكُتُس إلا قلن : حاش لله ما هذا بشرأ إن هذا إلا ملك ؛ وأى
حصن كانت منه عمار الشجاعة تُجتنى ، وأى أسد برائته الصوارم وأبحاته القنا . لقد
قَتَّ فى عَضُد الدين مُصابه ، وأذهب حصّة الأتس به وسلاوة وجوده أوصاب
فقدته وصابه ؛ وكادت الصوارم أن تُشَقَّ عليه غمودها ، والرايات أن تقطع عليه
ذوائبها وتغير بنودها ، والرماح أن تعرض على النار لتُصِف لا تُتَقَف قدودها ؛
والجِياد أن تتغر للهنز بذبونها ، وتتناض بالنوح عن صهيلها . ولو أنصف لأكتته
القلوب فى ضمايرها ، ولو قيل الفداء لستحت فيه النفوس بالنفاس ولو كانت
الحياة من ذخائرها ؛ أو لو كان الحنف بما يدافع بالحنود تحطمت دونه القنا فى دروع
عساكرها ، ولكنه السبيل الذى لا تحيد عن طريقه ، والمعرس الذى لا بد لكل حى
من التزول على قريحه ؛ وهو الناية التى تستن إليها النفوس آستان الجياد ، والحلبة
التي كما نحن وهذا الدارج زكُض إليها ولكن السابق كان الجواد ؛ على أن المتأخر لا بد
له من الحاق ، وماذا عسى يسر البدر بكمله وهو يعلم أن وراءه المحاق ! وفى رسول
الله أسوة حسنة لمن كان يعلم أن كل رزق بعده جَلَل ، وإذا انتقل العبد إلى الله تعالى
غير مفتون فى دينه ولا مُثقل الظهر من الأوزار حيد فى قيد ما فعل ؛ وغُبط بقدمه

(١) فى الأصل : « من أذى سويحه » .

- على أكرم الأكرمين مسرورا، ولقى الله وقد جعل في قلبه نورا وفي سمعه نورا وفي بصره نورا . والمولى أعزه الله تعالى أولى مَنْ تَلَقَّى أمر الله بالتسليم والرضا ، وقابل أقداره بأن الحيرة فيما قدر وقضى ؛ وحمد الله على ما وهب من بقاء إخوته الذين فيهم أعظم خلف ، وأجمل عوض يقال به للدهر الذي اعتذر بدوام المسرة فيهم : عفا الله عما سلف ؛ وعلم أن الخطب الذي هذ ركن الدين بأحترابه وأجتراحه ، قد صرفه إلى الأمد عن الإسلام بساحة شهابه والتمرض إلى حي نغره والنظر إلى حتى صلاحه ؛ ففى بقائهم ما يُرغم العدا ، ويُعزّز حزب الهدى ؛ ويُقيم كلاً منهم فى خدمة الدولة القاهرة بين يدى المولى مقام الشبل المشمى للأسد ، ويُنهضهم من مصالح الإسلام مع ما يعلمه منهم من حسن الثبات من الوالد وسرعة الوثبات من الولد . والله تعالى يُجزل له من الأجر أوفاه ، ويحفظ عليه - وقد فعل - آخره ؛ ويعمله للإسلام ذخرا ، ولا يُسمعه مع طول البقاء بعدها تمزية أخرى .

ومن أحسن الرثاء وأشجاء ما نطقت به الخنساء فى رثائها لأخيها محمّر، فمن ذلك قولها :

- ألا يا محمّر إن أبكى عيني * لقد أصحكتنى دهرًا طويلا
دفعت بك الجليل وأنت حي * فن ذا يندفع الخطب الجليلا
إذا قبّح البكاء على قتيل * رأيت بكائك الحسن الجيلا
هـالت أيضا فيه :

- هـذت أم الذين غدوا به * إلى القبر، ما ذا يحيلون إلى القبر !
ذا يوارى القبر تحت تُرابه * من الجود ! يا بؤس الحوادث والدير !
رَبِّ المنايا إذ أصابك ريها * لتفد على الفتيان بعدك أو تدبره .

وقالت :

يَذْكُرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَحْرًا * وَأَيُّكِهِ لُكُلٌ غَرِيبٍ شَمْسِ
وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي * عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وَمَا يَكُونُ مِثْلَ أُنْحَى وَلَكِنْ * أَسْلَى النَفْسَ عَنْهُ بِالنَّاسِ

٥ وقالوا : أَرَأَيْتِ بَيْتَ قَائِلِهِ الْعَرَبِ قَوْلَ مُتَمِّمِ بْنِ نُؤَيْرَةَ فِي أَخِيهِ مَالِكٍ ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَهُ
خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي الرَّدَّةِ . وَكَانَ مُتَمِّمٌ قَدِيمَ الْعَرَاءِ ، فَأَقْبَلَ لَا يَرَى قَبْرًا إِلَّا بَكَى ، فَقِيلَ
لَهُ : يَمُوتُ أَخُوكَ بِالْمَلَأِ وَتَبْكِي عَلَى قَبْرِ الْعَرَاءِ ! فَقَالَ :

لَقَدْ لَامَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكَاءِ * رَفِيقِي لَتَذَرِافِ الدَّمْعِ السَّوَاهِكِ
أَمِنْ أَجْلِ قَبْرِ الْمَلَأِ أَنْتِ نَائِحٌ * عَلَى كُلِّ قَبْرٍ أَوْ عَلَى كُلِّ هَالِكِ
وَقَالَ : أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ * لَقَبْرِ تَوَى بَيْنَ اللَّوَى فَالْدُكَادِكِ
فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ الشَّجَا يَبِيعُ الشَّجَا * فَدَفِنِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ

١٠ معناه قد ملأ الأرض مصائبه عظاماً ، فكانه مدفونٌ بكلِّ مكان . وهو أبلغ ما قيل
فِي تَعْظِيمِ مَيِّتٍ . وَقِيلَ أَرَأَيْتِ بَيْتَ قَائِلِهِ الْعَرَبِ قَوْلَ الْمُحَدَّثِ :

عَلَى قَبْرِهِ يَنْ الْقُبُورِ مَهَابَةٌ * كَمَا قَبْلُهَا كَانَتْ عَلَى صَاحِبِ الْقَبْرِ

وَقِيلَ : بَلْ قَوْلَ الْآخَرِ :

١٥ أَرَادُوا لِيُحْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ * فَيَطْبُؤُ تَرَابَ الْقَبْرِ دَلًّا عَلَى الْقَبْرِ

وَقَالُوا : بَلْ بَيْتَ غَيْرِهِ :

فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلُكُهُ هُلُكٌ وَاحِدٌ * وَلَكِنَّهُ بَيَّانٌ فَوْيْهِ تَهْدَمَا

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : أَرَأَيْتِ بَيْتَ قَائِلِهِ الْعَرَبِ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

وَمَنْ نَحِبِ أَنْ يَتَّ مُسْتَشْعِرَ التَّرَى * وَيَتَّ بِمَا زَوَّدَتْنِي مُتَمَتِّعٌ

٢٠ وَلَوْ أُنْحَى أَنْصَفْتُكَ الْوَدَّ لَمْ أَتِ * خَلَاقَتِكَ حَتَّى نَتَّوِي فِي الثَّرَى مَعَا

ومن أحسن الرثاء قول حسين بن مطير الأسدي :

أَيُّهَا بَعِيْنٌ ثُمَّ قُولاَ لِقَبْرِه : * سَقَتَكَ الْفَوَادِي مَرْبَعاً ثُمَّ مَرْبَعاً
قَتَى عَيْشٌ فِي مَعْرُوفِهِ عَدَّ مَوْتَهُ * كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّبِيلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعاً
أَيُّهَا قَبْرٌ مَعْنَى كُنْتَ أَقْوَلُ حُفْرَةٍ * مِنْ الْأَرْضِ خُطَّتْ لِلْمَسَاحَةِ مَضْجَعاً
وَيَا قَبْرَ مَنْ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ * وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرْ وَالْبَحْرُ مَرْتَعاً !
بَلْ قَدْ وَسَّعْتَ الْجُودَ وَالْجُودُ مَيِّتٌ * وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضَيَّقَتْ حَتَّى تَصَدَّعَا
وَلَمَّا مَضَى مَعْنَى الْجُودِ وَاللَّدَى * وَأَصْبَحَ عِرْنَيْنُ الْمَكَارِمِ أَجْدَعَا
قَالَ أَبُو هَلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ : هَذِهِ الْآيَاتُ أَرْنُو مَا قِيلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ .
وَقَالَ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ يَرْتِي مَعْقِلَ بْنَ عِيسَى :

وَحَدَّثَنِي عَنْ بَعْضِ مَا قَالَ أَنَّهُ * رَأَتْ جُنُثُهُ فَمَا تَرَى حَيْثُ نَامَ
كَانَ النَّدَى يَبْكِي عَلَى قَبْرِ مَعْقِلٍ * وَلَمْ تَرَهُ يَبْكِي عَلَى قَبْرِ حَاتِمٍ
وَلَا قَبْرِ كَتَبَ إِذْ يَجُودُ بِنَفْسِهِ * وَلَا قَبْرِ حَلَفَ الْجُودَ قَبِيْسُ بْنُ حَاصِمٍ
فَأَيَّقَنْتُ أَنَّ اللَّهَ فَضَّلَ مَعْقِلًا * عَلَى كُلِّ مَذْكُورٍ بِفَضْلِ الْمَكَارِمِ
وَقَالَ آخَرُ :

لَعَمْرُكَ مَا وَارَى التُّرَابُ فَعَالَهُ * وَلَكِنَّمَا وَارَى ثِيَابًا وَأَعْظَمًا
وَمِثْلُهُ لِمَنْصُورِ الْهَمَّزِيِّ :

فَإِنْ تَكُ أَفْنَتْهُ اللَّيَالِي وَأَوْشَكَتْ * فَإِنْ لَهُ دَكْرًا مَسِيْقَ الْبَيَاضِ
وَقَالَ الْجَمِيْعِيُّ فِي مَنْصُورِ بْنِ زُهْدٍ :

أَمَّا الْقَبُورُ فَاِنْ هُنَّ أَوَّاسٌ * بِضَاءِ قَبْرِكَ وَالْدِّيَارُ قَبُورُ
عَمَتْ صَامِعُهُ فَمَنْ مُصَابُهُ * فَالِدُ مَنْ فِيهِ كُلُّهُمْ مَا جُورُ
يُبْكِي عَلَيْكَ لِسَانٌ مَنْ لَمْ تُؤَلِّهِ * خَيْرًا لَأَنَّكَ بِالنَّشَاءِ جَدِيرُ

رَدْتُ صَنَائِعَهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ * فَكَانَهُ مِنْ نَشْرِهَا مَشْهُورٌ

فَالنَّاسُ مَا تَمَّهِمْ طَيْبُهُ وَاحِدٌ * فِي كُلِّ دَارٍ رَنَّهُ وَزَفِيرٌ

وقال ابن القزاز المغربي :

سَابِكُكَ لَا أَنْ الْبَكَ عِدْلُ لَوْحِي * وَلَا أَتَّ وَجْدِي فِيكَ كُفٌّ تَنْدِي

وَقَلْ لِمِثْنِي أَنْ تَقِيضَ دَمْعُهَا * طَلِكْ وَلَوْ أَنَّ الَّذِي فَاضَ مِنْ دَمِي

وقال الخريزي :

وَأَعَدَدْتُ ذَنْبًا لِكُلِّ مُلِمَّةٍ * وَسَمُّ الرِّزَايَا بِالْخَائِثِ مُوَلَّعٌ

وَأَنِّي وَإِنْ أَظْهَرْتُ مَتَى جَلَادَةً * وَصَانَعْتُ أَعْدَائِي عَلَيْهِ لُجُوعٌ

وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ * عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ

وقال أبو هلال العسكري :

عَلَى الرِّغْمِ مِنْ أَنْفِ الْمَكَارِمِ وَالْعَلَا * غَدَتْ دَارُهُ قَفَرًا وَمَغْنَاهُ بَلَقْعَا

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْبَاسَ أَصْبَحَ بَعْدَهُ * أَشْلُ وَأَنْ الْجُودَ أَصْبَحَ أَجْدَتَا

فُجْرًا عَلَى قَبْرِ الْمُسَوِّدِ وَأَنْظُرَا * إِلَى الْمَجْدِ وَالْعِلْيَاءِ كَيْفَ تَخْشَعَا

فَإِنْ يَكْ وَارَاهُ التُّرَابُ فَكَبِّرَا * عَلَى الْجُودِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْفَضْلِ أَرِيهَا

وَلَا تَسْأَلَا نَوْحًا عَلَيْهِ مُكْرَرًا * وَنَوْحًا لِفَقْدِ الْعَارِفَاتِ مُرْجَعَا

فَمَا كَانَ قَبْسٌ هُلْكُهُ هُلْكُ وَاحِدٍ * وَلَكِنَّهُ بَيَانٌ قَوْمَ تَضَمُّضَعَا

وَلَا تَحْسَبَا أَنِّي أُؤَارِيهِ وَحْدَهُ * وَلَكِنِّي وَارِيئُهُ وَالنَّدَى مَعَا

وقال أيضا :

أَلَسْتُ نَرَى مَوْتَ الْعُلَا وَالْفَضَائِلِ * وَكَيْفَ غُرُوبَ النُّجُومِ بَيْنَ الْجُنَادِلِ !

وَمَا لَنَا يَا أَضْلَعْتَ كُلَّ نَاقِصٍ * وَقَبْنِ فِي الْآفَاقِ عَنْ كُلِّ فَاضِلِ !

عَلَى الرِّغْمِ مِنْ أَنْفِ الْعُلَا يَسْبِقُ لِلزُّدَى * بِكُلِّ كَرِيمٍ الْفَعْلُ حَرَّ الشَّمَالِ

على أت من أبقته ليس بخالد * وليس أمرؤ يرجو الخلود بما قبل
 رأيت المنايا بين غاد ورأى * فما للبايا بين ساء وغافل !
 ولم أر كالدنيا حياءً مضرة * ولم أر مثل الموت حقاً بجاطل
 وقال الرقاشي في البرامكة :

• الآن أسترحنا وأستراحت ركائبنا * وقل الذي يُعجى ومن كان يُعجى
 قتل للطايا : قد أمنت من السرى * وطى المياق قدقنا بعد قدغ
 وقل للنايا : قد ظفرت بجمعير * ولن تظفري من بعده بمسود
 وقل للعطايا بعد فضل : تعطى * وقل للزايا كل يوم : تجعدي
 ودوتك سيفاً بريكاً مهتداً * أصيب بسيف هاشمي مهتد

وقال آخر :

• سابك للدنيا وللدن، إني * رأيت يد المعروف بعدك شلت
 ربيعاً إذا ضن الغام بماته * وليت إذا ما المشربة سلت
 وقال عبد الله بن المعتز :

• ألت ترى موت العلاء والمحاميد * وكيف دفنا الخلق في قبر واحد
 وللنهر أيام يُسفن عوامداً * ويحسن إن أحسن غير عوامد
 وقال أبو الطيب المتنبي :

إني لأعلم - والليبيب خير - * أن الحياة وإن حرست غرور
 ما كنت أعلم قبل دفنك في الثرى * أن الكواكب في التراب تغور
 خرجوا به ولكل بك حوله * صعات موسى يوم ذلك الطور

(١) كذا في ديوان المتنبي طبع نسخة هدية سنة ١٨٩٨ . وفي الأصل : « قل تزل في نرى »

على حذف أن المصدرية .

حتى أتوا جدّاً كأت ضريحه * في قلب كلّ موحّد محفور
نبكى عليه وما استقرّ قراره * في اللحد حتى صاغته الحور
ومها :

صبراً على المكروه فيه تكبراً * إنّ العظيم على العظيم صبور
ولكلّ مفجوع سواكم مشيه * ولكلّ مفقود سواه نظير
وقال آخر :

كفى حرّاً أتى تخلفْتُ بعده * أدور مع الباكين في عرصانه
وصارت يميني ما حلفت بقدره * وكانت يميني قبلها بجايه
وقال آخر :

وكنْتُ أخاف الدهر ما كان باقياً * فلما توتّى مات خوفي على الدهر
وقال آخر :

ولما دعوت الصبرَ بعدك والبكا * أجاب البكا طوعاً ولم يُجب الصبرُ
وإنّ يَنْقُطِعْ منك الرجاءُ فإنه * سيَبَقْ عليك الحزنُ ما بَقِيَ الدهرُ
وقال آخر :

فوالله لو أسطيعُ قاسمتُهُ الردى * مُتَّنا جميعاً أو يُقاسِمني عمري
ولكننا أرواحنا يملكُ غيرنا * فما لي في نفسي ولا فيه من أمر
أَحْمَلُهُ ثِقْلَ السَّرابِ وإنّي * لأخشى عليه الثقل من مَوْطئِ النَّزْرِ
وما أا بالوافي وقد عشتُ بعده * وربُّ اعتراف كان أبلغ من عنذر
ونذر آخر :

يا راحلاً لم يُبْقِ لي * من بعده في العيش نقما

(١) في ليدوان : « صبرا بنى بمحاف به تكرر » .

ضافت على الأرض فيه * لك وضفت بالإخوان ذرعاً
ورحبتُ فبك الحُجَمَ يا * من كان يحفظني ويرعى
أبيك بالشعر الذي * قدرق حتى صار دمعاً
وقال تاج الملوك بن أيوب يرى أحاه :

• لو كان يشفي الدمعُ غلةً واجيد * لشفى غليل فيض دمي الهامر
هيأت لا برد الغليل وقد نوى * من كان من صددي وخير ذخايري
بالرجال لصكبة قد أذهبت * جلد الجليد وحسن صبر الصابري
طرقت في الملك المعظم فأتني * من بعد بهجته كرجع دائري
ومنها :

١٠ جبل هوى فأرتجت الدنيا له * فكأما ركبت جنات طائر
ومنها :

• من للنواب يوم تفتس الوري * قسراً بأنياب لها وأظافر
أضفى وحيداً في التراب كأنه * ما سارين مواكب وعساكر
قد كان لا تعصى البرية أمره * فاهاد ممتيلاً لأمر الأمر
١٥ مولاي دعوةً واله غادرته * وفقاً على ثوب الزمان الفادر
هل من سبيل للزيارة عندها * هيأت حال الموت دون الزائر
لو كان خصمك غير حادثة الردى * لردته بنوايل وبواتر
أو كان يترك ثار من أودى به * ريب المنون لكنت أول ثائر
لكنه الموت الذي قهر الوري * من حيث لا تشيه قدرة قادر
وقال كمال الدين بن التيه يرثي الأمير على ابن الخليفة الناصر لدين الله :
٢٠ الناس لولت تكيل الطراد * فانسأب السأب منها الجواد

(٤٦)

والله لا يدعو إلى داره * إلا من استصلح من ذى العباد
والموت تقاد، على كفه * جواهر يختار منها الجياد
والمرء كالظلل ولا بد أن * يزول ذاك الظل بعد امتداد
لا تصلح الأرواح إلا إذا * سرى إلى الأجسام هذا الفساد
أرعمت ياموت أنوف القنا * ودنت أعناق السيوف الحداد
كيف تحزمت أميراً وما * أنجده كل طويل التجاد
مُصيبة أذكت قلوب الورى * كأنما في كل قلب زناد
نازلة عمت من أجلها * من بنو العباس لئس السواد
ماتمة في الأرض لكن لما * عرس على السبع الطباق الشداد
طرقت ياموت كريماً فلم * يفتح بغير النفس للضيف زاد
قصمته من سيرة المنتهى * فصننا فنلت يد أهل العناد
يا ثالث السبطين خلقتني * أهم من همى في كل واد
يا نائماً في عمرات الردى * تكلت اجفاني يميل الشهاد
وياضبيح التراب أسقمتني * كأنما قرشي شوك القتاد
دُفنت في التراب ولو أنصفوا * ما كنت إلا في صميم المؤاد
خليفة الله أصطبر وأحتسب * فما وعى البيت وأنت اليعاذ
في العلم والحلم بكم يُقتدى * إذا دجا الخطب وضل الرشاد
وأنت لج البحري * ضره * أن سال من بعض نواحيه واد

ولما مات الإحشيد محمد بن طغج رثاه جماعة من الشعراء منهم محمد بن الحسن

أبن زكريا فقال :

(١) كذا في ديوان ابن أبيه طبع مصر . وفي الأصلين : « عالم والحلم » .

في الرزايا روائع الأوجال * والبرايا دَرِيْثَةُ الأجل
وكذا الليل والنهارُ اعتبارٌ * للورى في تفكير الأحوال
كلُّ شيء وإن تمدى مداه * قصْرُهُ للفناء أو الزوال
وأرى كلَّ عيشةٍ لأناسٍ * كونها مؤذِنٌ بوشك انتقال
كل ذى حِذَّةٍ - إذا ما الجديدا * ن الحما عليه - مؤيد بال
ما خلقي من المنون مفرٌ * لا ولا دون بطيشها من مال
كان غيث الأيام إن أخلف الغيب * ت أطلت صحابه بأنهمال
بفعتنا واهب لا نراه * يخلق الوجه عنده بآبئذال
بفعتنا بيهجة الأرض في الأر * ض وشمس الضحى وبدرا اللبالي
بفعتنا بمن حى حرمة الإسم * للام من حادث ومن ختال
بفعتنا بالبازل البطل السا * مى غداة الوغى إلى الأبطال
بفعتنا بالواهب المجهز المر * تاح حين السؤال للسؤال
عجبٌ إذ دنت إليه المنايا * ويحى عزه المنيع العالى
أين من يشتري المدائح والشك * ر بأشنى وفير وأوفى نوال
قطع الموت وصلنا منه كرها * والردى قاطع لكل اتصال
رحمة الله والسلام عليه * فى الضحى والعشاء والاصال
وسقى الله حُفْرَةَ حُصْنَتِهِ * شكرَواه من الحيا هطال

ثم نخرج من الرثاء إلى مدح أبنة قحان :

إن خبا بدره فقد لاح الأثر - لما خبا طلوع الهلال
نوره مُشْرِقٌ مضى مدى الدهر - بر منيرٌ وليس ذا أصمحلل

وقال أبو الطيب المتنبي يرثيه :

هو الزمانُ مُشْتٌ بالذي جمعا * في كل يوم نرى من صَرفه بدما
لو كلن مُتَتَبِعٌ تَغْنِيهِ مَنَّتُهُ * لم يصنع الدهرُ بالإخشيد ما صنعنا
ذاق الحِجَامَ فلم تَدْفَعْ كَتَابُهُ * عنه القضاء ولا أغناه ما جمعا
لقد نَعَى من نِماءِ كُلِّ مُفْتَخِرٍ * وكلُّ جُودٍ لأهل الأرض حين نعى
لله ما حلَّ بالإسلام حين تَوَى ! * لقد وهى شَعْبُ هذا الدِّينِ فَأَنصَدَا
فمن تراه يقود الخيلَ سَاهِمَةً * سدَّ القضاءَ ومِلءَ الأرضَ ما وسعا
ترى المُتَنَوِّفَ فُلُوقًا في أَسِنَّتِهِ * لدى الوغى وشهابَ الموت قد لَمَعَا
أو كلن يستطيعُ قَبْرُضَتَهُ لَسَى * إليه شوقًا ليلقاه وإن شَسَعَا
فليُعْجِبِ النَّاسُ من لَحْدِ تَضَمَّنَ مِنْ * تَضَمَّنَ الرِّزْقَ بعد الله فَأَضْطَلَعَا
لو يعلمُ اللَّهَدُ ما قد ضَمَّ من كَرِيمٍ * ومن خَفَارٍ ومن تَعَاهٍ لَأَتَسَعَا
يا لَحْدَهُ إِنْ تَضَيَّقَ عَنْهُ فَلَا عَجَبٌ * فيه الجِجَاءُ والنَّهْيُ والبَاسُ قد جُمِعَا
يا لَحْدَ طُلٍّ إِنْ فِيكَ الْبَحْرُ مُحْتَبِسًا * والْبَيْتُ مِنْهَرًا والجُودُ مُجْتَمِعَا
يا يَوْمَهُ لم تُخْصِ الْفَجْعَ أَسْرَتُهُ * كُلُّ الْوَرَى رَدَى الْإِخْشِيدَ قَدْ خَفَعَا
يا يَوْمَهُ لم تَدَغْ صَبْرًا لِمَصْطَبِيرٍ * ولم تَدَغْ مَدَمْعًا إِلَّا وَقَدْ دَمَعَا
ارْدَى الرِّفَاقَ رَدَى الْإِخْشِيدَ أَقْرَضُوا * فما تَرَى مِنْهُمْ في الأرضِ مُتَجَعَا
يَأْيَا الْمَلِكِ الْمُخْلِ بِجَالَسِهِ * أَحْمِيَّتْ أَعْيُنَا الْإِغْمَاضَ فَاسْتَمَعَا
ومنها :

لئن مضيت حميدَ الأمرِ مُقَتَّدًا * لقد تركتَ حميدَ الأمرِ مُتَبَعَا
ثم خرج من الزناء إلى مدح ولد الإخشيد :
ثَبَّتُ الْجَنَانَ فَلَا نَكْسَ وَلَا وَرَعٌ * تَلَقَّاهُ مَوْزَرًّا بِالْحَزَمِ مُدْرَعَا



أعطت أبا القاسم الأملكُ بعتها * ولو أبت أخذت أسباؤه إليّ
وأفاد أعداؤه ذلًّا لهيبته * وظلّ متبوعهم من خوفه تبعًا
أضحت به همّ الغلمان عالية * كأنّ مولاهم الإخشيد قد رجعا
وقال مهلهل بن يعمر يرثيه أيضا :

- أرى عزّ مضى من الإسلام ! * أرى ركن أخفى حديث أنهدام !
ذاق موتًا محمد بن طغسج * هو لبث الشرى وغيثُ الغمام
قدّ الناس مؤلّي الإنعام * فهم سامعون كالأنعام
مات ربُّ العلّاء وراعى الرعايا * والسرايا وكافل الأيتام
أين ما كنت فيه من عزّك الباء * ذخ والمُرتقى عزيز المرام !
• أين ذاك المحجّابُ والمُلك والهيبة * أرى الزحام وقت الزحام !
من أمير وقائدٍ وخطير * ورئيس وماجدٍ ومُهمام
كلّهم مطرّقٌ لديك من الهبة * بة خوف الإجلال والإعظام
أين تلك الخيام حوّك إن عرست والأسد حول تلك الخيام
من عديد وثمة لك ما به * من قعود فيها وبين قيام
• لم يطقّ جمعهم دفاع الردى عنك * لم يمنعوك منع اعتصام
أسلحتك الخيول قنمًا وقد كنّ * ست عليها سورا على الإسلام
خافك السيف وهو يصدر عن أم * ترك مُستعديا بشير احتجام
خذل الرمح وهو عونك لو حاك * ن لقناء وثار قنق قنّام
لم ترّد القبيّ عنك سهام الـ * حنّ والحفّ عندها فى السهام
• ما وقتك الحراب حرب المنايا * حين وافاك جيشها من أمام

لم يَحْصَنَّكَ مَا أَقْنَيْتَ مِنَ الْآ * لَاتِ مِنْ جَوْشَنَ وَلَا مِنْ لَامِ^(١)
 حَكَمَ الْمَوْتُ فِيكَ مِنْ بَعْدِ مَا كُنْتَ * تَرَى حَاكِمًا عَلَى الْحُكَّامِ
 فَقَدَتْكَ الْقُسَاطُ وَجَدًا مَدَى الدَّ * هَرٍ وَمِنْ بَعْدِهَا بِلَادُ الشَّامِ
 لُحْمَتْ يَثْرِبُ وَمَكَّةُ وَالْيَدِ * تَلَى لِي زَمْرِي أَجَلُ وَالْمَقَامِ
 عَمَّ فِيكَ الْمَصَابُ فَأَشْتَرَكِ الْعَا * لَمْ فِي الرُّزْءِ مِنْهُ وَالْآلَامِ
 حَسْبُنَا اللَّهُ هَزَمَ مِنْ حَكَمِي * بَرَى عَلَى الْحَاكِمِينَ بِالْأَحْكَامِ
 كُلُّ شَيْءٍ إِلَى زَوَالٍ ، وَمِنْ ذَا * نَالَ مَلِكُ الدُّنْيَا بِغَيْرِ أَحْتِرَامِ
 أَيْنَ أَيْنَ الْمُلُوكِ فِي سَالَفِ الدَّ * هَرٍ دَعَتْهُمْ حَوَادِثُ الْآيَامِ
 أَيْنَ مِنْ قَدْ كَانُوا يُخَافُونَ فِي الْبَا * سِ وَيُرْجَوْنَ لِلْعَطَايَا الْجَسَامِ
 لَيْسَ يَتَّقِي إِلَّا الْإِلَهَ تَعَالَى * مِنْ لَهُ الْمُلْكُ ثَابِتًا بِالْقَوَامِ
 أَيُّهَا الْأَمِيرُ يَا أَبَا الْقَا * سِمْ يَا بَنَ السَّمِيعِ الْقَمَامِ
 أَرْضِ حَكَمَ الْإِلَهَ فِي الْمَلِكِ الْمَا * ضَى وَسَلَّمْ لِنَاظِرِ الْأَحْكَامِ
 وَهَنَّاكَ الَّذِي بَلَّغْتَ مِنَ الْأَمْرِ * رَوَمَا حَرَمَهُ بِحَسَنِ اتِّعْظَامِ
 مَا كُنْتَ الَّذِي رُزِيتَ وَلَا مَثَ * لَ الَّذِي قَدْ مَلَكَتْ فِي ذَا الْعَامِ
 أَنْتَ مِثْلُ الْإِخْشِيدِ فَأَنْهَضَ بِمَا مَلَّ * كَتَ بِالْجَدِّ مِنْكَ وَالْإِعْتِرَامِ
 وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَرَى الْوَزِيرَ يَعْقُوبَ بْنَ كَلَّسَ وَزِيرَ الْعَزِيزِ بْنِ الْمَعِزِّ
 خَلِيفَةَ مِصْرَ :

إِنْ التَّصَبَّرَ فِي الْأُمُورِ جَمِيلٌ * إِلَّا عَلَيْكَ فَا إِلَيْهِ سَبِيلٌ
 يَا حَامِلًا ثِقَلِ الْمَلَا وَكَأَنَّهُ * لَمْ تُؤْهِمْتِهِ بِهَا مَحْمُولٌ
 يَا وَاهِبًا فَوْقَ الْمُنَى وَكَأَنَّهُ * لَسَخَاهُ مِمَّا يَحْمُودُ بِغَيْلٍ

(١) لَام : تخفف "لَام" جمع "لَامَة" وهي الدرع .

جاء منها :

يَا تُرْبُ لَا تَأْكُلْ لَنَا طَالَمَا * وَالْيَ بِهِ التَّحْمِيدُ وَالتَّهْلِيلُ
يَا تُرْبُ لَا تَعْتَفْ بِكَفِّ طَالَمَا * فَكَانَ يُؤْلِمُ ظَهَرَهَا التَّقْيِيلُ

ومنها :

يَا دَهْرُ تَعْلَمُ مَا جَنَيْتَ عَلَى الْوَرَى ؟ ! * خَطْبُ لِعَمْرُكَ إِنْ عَلِمْتَ جَلِيلُ
مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَهَلْتَ بِمَثَلِهِ * يَا دَهْرُ إِنَّكَ بَعْدَهَا لَعَجُولُ

ومن المراثي المشهورة التي عُنى بها ، وأتصلت أسباب الشارحين بسببها ، المراثية
العبدونية التي نظمها الوزير الكاتب أبو محمد عبد المحيد بن عبدون يرثي بها
بني مسلمة المعروفين ببني الأفطس ، وهي من أمهات القصائد ووسائط القلائد ؛ فإنه
ذكر فيها عدة من مشاهير الملوك والخلفاء والأكابر من أبا دهم الدهر بحوادثه ونجاته ،
ووثب عليهم الزمن فما وجدوا جنة تقبهم من وثباته ؛ ودبت [عليهم]^(١١) الأيام بصروفها ،
وسقتهم المنيّة بكأس حُتوفها . وها نحن نذكرها ونزيدها تبيانا بشرح من استبهمت
أخباره ، وخفيت على المطالع آثاره .

وأول القصيدة :

الذَّهْرُ يَفْجَعُ بِعَسَدِ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ * فَا الْبُكَاءُ عَلَى الْأَشْبَاحِ وَالصُّوَرِ
أَنَّهُكَ أَنَّهُكَ لَا أَلُوكَ مَعْدِرَةً * عَنْ وَقْعَةِ بَيْنِ نَابِ اللَّيْثِ وَالظُّفْرِ
فَالدَّهْرُ حَرْبٌ وَإِنْ أَبْدَى مُسَالَمَةً * فَالْيَبْسُ وَالسُّمْرُ مِثْلُ الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ
وَلَا هَوَادَةَ بَيْنِ الرَّاسِ تَأْخُذُهُ * يَدُ الضَّرَابِ وَبَيْنَ الْعَصَا مِثْلُ الذِّكْرِ
فَلَا تَفْرَنْكَ مِنْ دُنْيَاكَ نَوْمُهَا * فَمَا صِنَاعَةُ عَيْنِهَا سِوَى السَّهْرِ

ما لليلالي - أقال الله عثرنا * من الليالي وخاتنها يد الخير -
في كل حين لها في كل جارية * منّا جراح وإن زاغت عن البصر
نسر بالشيء لكن كي تفسره * كالأيام^(١) تار إلى الجاني من التمرير
كم دولة وليت بالنصر خدمتها * لم تبق منها! وسل ذكراك من خبر
هوت «بدارن» وقلت غرب قاتله * وكان غضبا على الأملاك ذا أثر

«دارا» الذي ذكره هو دارا بن دارا آخر ملوك الفرس؛ وقاتله الإسكندر .
وسنذكر إن شاء الله أخبارهما في فن التاريخ .

وأسترجعت من بني ماسان ماوهبت * ولم تدع لبني يونان من أثر

«بنو ماسان» هم الفرس الأترو ولم دولة مشهورة آقرضت في الإسلام .
و«بنو يونان» أيضا من الملوك أرباب الدول المشهورة ، ومن مشاهير ملوكهم
الإسكندر بن فيليس . وسنذكر إن شاء الله أخبارهم .

وأثبتت أختها طمما ، وطاد على * عاد وجرم منها ناقض المسرر

أخت «طمم» جديس ، وهما أبناء عم كثير نسلاهما وهم العرب العاربة .
وسنذكر أخبارهما إن شاء الله في وقائع العرب . و«عاد» هم قوم هود . و«جرم»
هو ابن عوف بن زهير بن أنس بن المصمك بن حمير بن سبا الأكبر بن يشجب
ابن يعرب بن قحطان ، وقيل : إن العاقلة من ولد جرم . أراد بذكرهم أنهم كلهم
أبادهم الموت .

وما أقال ذوى الهيئات من يمن ولا أجار ذوى الغايات من مضر

«العين» كلهم بأعناق العلماء بالأنساب من ولد قحطان، ومنهم ملوك نذ كرم إن شاء الله في التاريخ . و «مضر» بن زرار بن معد بن عدنان . وقد تقدم ذكرهم في الأنساب .

وَمَزَقَتْ سَبَأٌ فِي كُلِّ قَاصِيَةٍ فَاالتَقَى رَائِحٌ مِنْهُمْ بِمَيْتِكِ

- «سبأ» الذي أشار إليه هو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وأسمه عبد شمس، وإنما قيل فيه سبأ لأنه أول من أدخل بلاد اليمن التي . وكان له عشرة أولاد سكن الشام منهم أربعة وهم : نلَمَ وَغَسَّانَ وَجُدَّامَ وعاملة، وسكن اليمن منهم ستة : كِنْدَةَ وَمَذْجَجَ وَالْأَزْدَ وَالْأَمَارَ [والأشعر وعمرؤ] ^(١) ؛ وقد ذكر الله عز وجل تمزيقهم بقوله : (وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزِقٍ) . وسند ذكر أخبار سيل العرم وسد مأرب .
- ١٠ وانغذت في كليب حكما ورمت * مهلهلا بين سمع الأرض والبصر
- «كليب» الذي ذكر هو كليب بن ربيعة بن الحارث الذي ضرب به المثل فقيل : «أعز من كليب وأثل» . وأشار ابن جلدون في هذا البيت إلى ما كان من قتل جساس بن مرة كليباً وما وقع بين بكر وقليب من الحروب التي نشرحها إن شاء الله في وقائع العرب . وقوله : «ورمت مهلهلا بين سمع الأرض والبصر» كأنه أراد ما حكى أنه قتل في موضع لم يطلع عليه أحد، وهو مثل، يقال : فعل كذا وكذا بين سمع الأرض وبصرها إذا فعله خالياً .
- ١٥

ولم تزد على الضليل محته * ولا تلت أسداً عن ربها حجبر

«الضليل» الذي أشار إليه هو أمرؤ القيس بن حجر بن عمرو، والحارث هو آكل المزار؛ ومضى أمرؤ القيس بالضليل لأنه ترك ملكه وتوجه إلى قيصر يطلب منه

(١) الحكمة من فلاح الجنان في التصريف بقبائل حرب الزمان للسلامة التفهني مؤلف كتاب صبح الأعشى . وفي الأصل بيان .

٢٠

جيشا يأخذ به غار أبيه من بنى أسد . وإشارته إلى الصبغة لقول أمريئ القيس
في قصيدته السيلية :

وَمَذَلْتُ قُرْمًا دَامِيًا بِسَدْحَةٍ * لَمَلَّ مَنَائِمًا تَحُولَ أَبْوَسَا

لقد طمّح الطليح من جُد أرضه * لِيَلْسِنِي مِنْ دَائِهِ مَا تَلَسَا

و « الطليح » رجل من بنى أسد أرسله قيصر إلى أمريئ القيس بحلة مسجومة ،
فلما لبسها تقطّعت وماتت بأهرة . وإشارته إلى أسد لأن بنى أسد كانوا قتلوا عجمو
ابن الحارث يوم مايط .

وَنَوَّخْتُ آلَ ذُئْيَانَ وَإِخْوَتَهُمْ * عَسًا وَعَضْتُ بَنِي بَدْرٍ عَلَى النَّهْرِ

أشار إلى ما كان بين عيس وذبيان من الحروب بسبب داحس والنبراء .

وسيد ذلك في وقائع العرب إن شاء الله تعالى . ١٠

وَأَلْحَقْتُ بَسْدِي بِالْمَسْرُوقِ عَلَى * يَدِ ابْنَةِ أَحْمَرَ الْعَيْنِينَ وَالشَّعِيرِ

أراد عدى بن أيوب بن زيد مائة بن نهم الشاعر . وأحمر العينين والشعر
هو النعمان بن المنذر . وكان عدى هذا ترجمانا لأبرويز وكاتبه بالعربية ، فلما مات
قابوس بن المنذر تطفّ عدى ونحىل على أبرويز حتى وثى النعمان امرأة العرب وقتله
على إخوته وكان أدمهم ، ثم اتهمه النعمان أنه وثى به فأحتال عليه حتى ظفّره
وحبسه ثم قتله بالعراق ، فتطفّ ابنه زيد بن عدى وتوصل حتى ختم أبرويز
على عادة أبيه ، وأوقع بين أبرويز والنعمان حتى قتله أبرويز ، على ما يرد إن شاء الله
تعالى في التاريخ . والله أعلم .



وَأَشْرَفْتُ بِحَيْتَبٍ فَوْقَ فَارِغَةٍ * وَأَلْصَقْتُ مَلْعَمَةَ الْفَيَاضِ بِالْمَغَرِّ

أشار إلى خبيب بن عدى الأنصاري وهو بدرى وأسير في المعركة التي خرج
فيها مرثد بن أبي مرثد فأنطلق به المشركون إلى مكة واشتره جبر بن إهاب التميمي

٢٠

حليف بن نوفل لعقبة بن الحارث بن نوفل ليقتله بأبيه، وكان خبيب قتل الحارث
أبا عقبة يوم بدر، فصلبه عقبة على خشبة بالتَّعْنِيم وقتله . وطلحة الفياض هو طلحة
ابن عبد الله التيمي أحد العشرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قتل يوم
الجلل، على ما سنده إن شاء الله تعالى .

- ومزقت جعفرًا بالبيض بما اختلست * من غيلة حمزة الظلام للجُزُر
«جعفر» الذي ذكره هو جعفر بن أبي طالب أخو علي رضي الله عنهما قتل
في غزوة مؤتة . «حمزة» هو ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل
يوم أحد قتله وحشيّ علام جُبَيْر بن مُطْعِم؛ وجعله ظلامًا للجُزُر وصَفَه بالكرم .
وبلغت يَزْد جرد الصَّينَ وأحترلت * عنه سوى القُرْس جمع التُّرك والخَزِر
ولم تَرْد مواضي رُسَمٍ وَقَفَا * ذى حاجبٍ عنه سَعْدًا في أبنية الغَيْرِ
• ١٠ «يزد جرد» الذي ذكره هو ابن شهر يار آخر الملوك الساسانية . ورُسَم هو الأرمينية
وهو الذي قاتل سعد بن أبي وقاص وقتل يوم القادسية ، على ما يأتي شرح ذلك
في مواضعه إن شاء الله تعالى .

- وخطبت شيبَ عثمانَ دَمًا، وخطت * إلى الزبير ، ولم تستحي من عُسرِ
أشار في هذا البيت إلى مقتل عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان والزبير بن
• ١٥ العوام رضي الله عنهم . وسرد إن شاء الله أخبارهم .

- وما رعت لأبي اليقظان محبته * ولم تُروده إلا الضَّيْح في الفَمرِ
«أبو اليقظان» هو عمار بن ياسر العنسي قتل بصقين وكان مع علي؛ وعنه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تقتل عمارًا الفئة الباغية» . ولما قتل كانت الراية
يومئذ بيده فبطش فدعا بشربة من الماء فأثني بضربة ^{١١} فشر بها ثم قال : أخبرني
• ٢٠

(١) الضيحة : الشربة من لُصِيَّاح أو الصبح بالفتح مِمَّا وهو اللبن الرقيق المخرج باماء .

رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اللبث آخر شرية أشربها في الدنيا؛ فقتل يومئذ
رضي الله عنه .

وأنجزت سيف أشقاها أبا حسن * وأمكنك من حسين راحتي شمس

أشقاها هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي قاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه
لقوله صلى الله عليه وسلم : "يا علي"، أشقاها الذي يتخضب هذه من هذه وأشار
إلى لحية علي ورأسه . والحسين الذي ذكره هو الحسين بن علي . وشمر هو شمر
أبن ذى الجوشن وهو الذي أرسله عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد يعرضه على
قتل الحسين؛ وقيل : إن شمر لم يباشر قتل الحسين ، والذي قتله سنان بن أنس^(١)
التخمي، وشمر فهو المجهز والمعرض على قتله ، فذلك ذكره .

وليتها إذ فدت عمرا بخارجة * فدت عليا بمن شاءت من البشر

عمرو الذي أشار إليه هو عمرو بن العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم
أبن عمرو بن هصيص بن كعب، أمير مصر لمعاوية بن أبي سفيان . وخرجة رجل من
سهم بن عمرو . وكان من خبره أن الخوارج كانت قد اجتمعت على قتل علي ومعاوية
وعمره ، فكان الذي آتدب لقتل عمرو زادويه مولى بني العنبر ، ورصده إلى ليلة
المعاد التي آتفقوا على الفتك بهم فيها ؛ فاشتكى عمرو تلك الليلة من بطنه ولم يخرج
للصلاة واستخلف خارجة ليصلي بالباس ؛ فلما قام في المحراب وثب عليه زادويه
وهو يظن أنه عمرو بن العاص فقتله ؛ وأخذ زادويه وأدخل على عمرو ، فسمع الناس

(١) كما في غزيرة صبح ثور (ق ٢ ص ٣٦٢ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧) وابن الأثير طبع أوربا

(ج ٤ ص ٦٦ - ٦٨) . وفي الأصل : « ابن أبي أنس » .

يخاطبونه بالإمرة، فقال: أو ما قتلْتُ عمرا؟ قيل له: [لا] إنما قتلْتَ خارجة؛ فقال: "أردتُ عمرا وأراد الله خارجة". فلذلك قال:

• وليتها إذ فدت عمرا بخارجة •

وفي ابن هند وفي ابن المصطفى حسن • أنت بمعضلة الأبواب والفكر
فبعثنا قائل ما أغتاله أحد • وبعثنا ساكت لم يؤت من حصر •

ابن هند الذي أشار إليه هو معاوية بن أبي سفيان، أراد ما كان بينه وبين الحسن بن علي في أمر الخلافة. وأراد بالبيت الثاني ما وقع الاختلاف فيه من أن الحسن مات مسموماً وأن معاوية وعد زوجة الحسن جعدة بنت فيس الكندي بمائة ألف درهم ويزوجها لابنه يزيد إن قتل الحسن، فضلت وسمته. ولما مات الحسن وقع لها المال وقال: حبُّ حياة يزيد مني تزويجه منك؛ وقيل: مات الحسن حتف أخيه. والله أعلم.

وعصمت بالردي قودي أبي أنس • ولم تزد الردي عنه فنا زفير

أبو أنس هو الضحاك بن قيس الفهري. يُشير إلى ما وقع بينه وبين مروان ابن الحكم بمرج راهط، وكان الضحاك يدعو لابن الزبير فقتل الضحاك، على ما ذكره ابن شاه الله في أخبار مروان. وكان زفير بن الحارث الكلبي مع الضحاك ففر عنه. وأزديت ابن زياد بالحسين فلم • يئؤ بشع له قد طاح أو ظفير

أشار إلى عبيد الله بن زياد ابن أبيه عامل يزيد بن معاوية على العراق، وهو الذي جهز عمر بن سعد لحرب الحسين بن علي رضي الله عنهما. وقوله "يئؤ بشع له" أخذه من قول مهلهل حين قتل بُجَيْر بن الحارث وقال: يئؤ بشع نعل كليب.

وأُزيلت مُصعبًا من رأس شاحقة * كانت به مهجة المختار في وَزِر^(١)
أشار إلى مصعب بن الزبير بن العوام وقتله . والشاحقة هي الكوفة . جعلها شاحقة
لمُنعتها وكثرة رجالها . وأراد ما كان بين مصعب وعبد الملك بن مروان من الحرب
التي قُتِل فيها مصعب . والمختار الذي ذكره هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود
أبن عمرو الثقفي . أشار إلى ما كان بينه وبين مصعب من الحرب وقتل المختار .
وسُورِد كل هذه الوقائع إن شاء الله في التاريخ .

ولم تُراقب مكان ابن الزبير ولا * راعت عيادته بالبيت والحجر
أراد عبد الله بن الزبير ، وكان يُسَمَّى العائد لأنه كان يقول : أنا العائد بالبيت ،
وقتلته الجحاح بن يوسف الثقفي لما وجهه عبد الملك لحربه .

ولم تدع لأبي الذّبان قاضيّه * ليس اللّٰطيم لها عمرو بمُتصير
أبو الذّبان هو عبد الملك بن مروان بن الحكم ، سُمِّي بذلك لبخّره . وقوله
"قاضيّه" لأنه كان مُظفّرًا على أعدائه فإنه ظَلَب من كلّ يناوئه في سلطانه مثل
عبد الله ومصعب أبى الزبير ، وعمرو بن سعيد ، وعبد الرحمن بن الأشعث ،
ما منهم إلا من قُتِل وحكّم فيه قاضيّه وهو سيفه ، ولم يُغْنِ ذلك عنه لما أتته منبته .
وأما اللّٰطيم فهو عمرو بن سعيد الأشدق ، سُمِّي بذلك لميل كان في فمه فقبل له من
أجله لَطِمْ الشيطان ، وقتله عبد الملك بن مروان .

وأظفرت بالوليد بن يزيد ولم * تُتْبِى الخِلافة بين الكأس والوتر
الوليد هذا هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وهو الذي يقال له الجبار
العنيد . أشار إلى ظفر يزيد بن الوليد بن عبد الملك به وقتله . و [قوله]^(٢) :

(١) الوزر : الملعن والمعتصم .

(٢) من عادته أن يذكر هذه الكلمة . طُفِلها سقطت من ادخ .

... .. ولم * تَبْقِ الخِلافة بين الكأس والوتر

أراد بذلك ما كان عليه الوليد من الاشتهار باللهو واللعب .

وهكذا فذهب السَّقْح نَابِئَةً * عن رأس مروان أو أشياعه الفُجْجِرِ

السَّقْح هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ،

وهو أول حفيد لدولة العباسية . يُشير إلى ظفره بمروان بن محمد وقله ، وأقراض

دولة بني أمية وقتلهم على يديه .

وَأَسْلَتِ عَمْرَاتٍ لِلْعِيُونِ عَلَى * دَمٍ بَفَغَ لَّالِ الْمِصْطَفَى هَدَرِ

أُسر في هذا البيت إلى ذكر من قُتل بَفَغَ وهم الحسين بن علي بن حسن بن

حسن بن علي . الحسن بن محمد بن الحسن بن الحسن بن علي ، وعبد الله بن إسحاق

١٠ . - الحسن بن الحسن ، على ما نذكره في التاريخ إن شاء الله تعالى .

وَأَشْرَفُ * - - - وَالْفَضْلُ يَظْفَرُ * وَالشَّيْخُ يَحْيَى بِرَيْقِ الصَّارِمِ الذِّكْرِ

الجملة

أشرف * - - - است إلى قتل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك ونكبة البرامكة

في أمة بني عباس .

وَأَخْفَى * - - - لَأَمْسُ مَهْمَا * - - - أَخْفَى * - - - خَفِرَ بِأَبْنِهِ وَالْأَعْبَدُ الْعُدُ

١٥ . - - - - - يُشير إلى ما كان بينه وبين أخيه المأمون

وإلى المأمون . الذي كان رشيد كُتِبَ بينهما . وجعفر الذي أشار إليه هاهنا هو المتوكل

أبو المعتمد . كان من قتل باعتر التركي له بمواطاة من أبنه المتنصر ، على

ما نُورده في أخباره .

وَرَوَّعَتْ كُلَّ مَأْمُونٍ وَمُؤْمِنٍ * وَأَسَامَتْ كُلَّ مَنْصُورٍ وَمُنْتَصِرٍ

(١) مع : وادعك .

٢٠

(٢) كما في شرح القصيدة البديعية لأبي بدر بن . وفي الأصل : « وَأَتَقَبَّتْ » .

المأمون هو عبد الله بن الرشيد وهو أول من لقب بالمأمون، ولقب به بعد ذلك ولدت من أولاد المعتد بن عبد ويحيى بن ذى النون صاحب طليطلة . والمؤمن فأول من لقب به مروان بن الحكم على قول من يقول إنه كان لبني أمية ألقاب ، ثم لقب به القاسم بن الرشيد . وكان الرشيد لما كتب المهديين الأمين والمأمون جعل ابنه المؤمن بعد المأمون، وجعل أمر المؤمن إلى أخيه المأمون إذا أفضت الخلافة إليه إن شاء أمضاه وإن شاء خلمه ؛ فلما أفضت الخلافة إلى المأمون أزال المؤمن فارتاع لذلك . وتلقب بالمؤمن محمد بن ياقوت مولى المعتضد صاحب فارس . وتلقب به سلامة الطولوني ، وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر ثم تسمى بالمنصور . وأما المنصور فأول من لقب به هشام بن عبد الملك بن مروان على تلك الرواية، ثم المنصور أبو جعفر عبد الله بن علي العباسي، ثم أبو طاهر إسماعيل ابن القائم بن المهدي صاحب إفريقية ، ثم محمد بن أبي عامر بالأندلس . وتلقب به ابن زيري الصنهاجي ، وتلقب به سابور صاحب بطليوس ، وعبد الله بن محمد ابن مسامة التيجي ، وحفيده يحيى بن محمد بن عبد الله، وعبد العزيز بن أبي عامر؛ ثم تلقب به جماعة من الملوك بعد نظم هذه المراثية . وأما المتصر فهو محمد ابن المتوكل ، وتمن تلقب بالمتصر يندر بن اليسع صاحب بيجلماسة . وكل هؤلاء أبادهم الموت .

وأعثر آل عباس - لعلهم - * بذيل زبأه من بيض ومن شمر

أشار في هذا البيت إلى ما كان من تغلب الأتراك والديلم على خلفاء الدولة العباسية حتى لم يبق لهم إلا اسم الخلافة، على ما سيرد في أخبارهم . وقوله :

* بذيل زباء من بيض ومن صمر *

تنبها على كثرة عدد المتخفين على الأمر وقدرتهم على السلاح .

ولا وقت بهود المستعين ولا * بما تأكد للعتر من مَرَر

المستعين هو أحمد بن المعتصم القباسي . أشار إلى ما كان من قيام المعتز على

- المستعين وهرب المستعين من سأمراً إلى بفسداد . والمعتز هو أبو عبد الله محمد بن المتوكل ، وسرد أخبارهم إن شاء الله تعالى :

وأوقعت في عراها كل معتمد * وأشرق بقذاتها كل مقتدر

المعتمد هو أبو العباس بن المتوكل ، وهو أول من لقب بهذا اللقب ، وللقب به

محمد بن عباد بإثنية . والمقتدر هو أبو الفضل جعفر بن المتعصب ، وهو أول من

- لقب بالمقتدر ، ثم لقب به أحمد بن سليمان بن هود الجذامي بسرقطة . ثم أخذ
١٠ ابن عبدون في رواية بن الأقطس فقال :

بني المظفر والأيام ما برحت * مراحلاً واللوى منها على سفير

مُخَفَّاً ليومكم يوماً ولا حلت * بمنله ليلة في مقبل العمر

من لا سيرة أو من للأعنة أو * من للأيسة يهدى إلى التفسير

- من للبراعة أو من للبراعة أو * من للسماحة أو للنفع والضّرر
١٥

أو رفيع كلومة أو دفع آتية * أو قيع حادثة تعيا على القدر

من للظهي وعوالى الخط قد عقدت * أطراف الشها بالي والحصر

وطوّقت بالثنايا السود بيضهم * أعجب بذلك وما منها سوى ذكر

(١) كما في شرح ابن بدون . وفي الأصل : " من لمدى ... " . (٢) كما في شرح ابن

بدون طبع ليد سنة ١٨٤٦ . وفي الأصلين : " طوّقت بالثنايا ... " . ولعل المراد بالثنايا ما يملأ
٢٠ السيف من الصدا لإيهامها بموت أصحابها . وفي هامش شرح ابن بدون إشارة إلى أنه في نسخة أخرى
" وطوّقت بالثنايا السود ... " الخ .

ويج السباح وويج الجود لوسليما • وحسرة الدين والدنيا على عمر
سقت ترى الفضل والعباس هامية • تُمزى إليهم سَمًا لا إلى المطر
ثلاثه ما أرتقى النسران حيث رَقُوا • وكل ما طار من تنير ولم يطير
ثلاثه ما رأى العصران مثلهم • فضلًا ولو عُرزا بالشمس والقمر
ومر من كل شيء فيه أطيئه • حتى التمتع بالأصال والبُكر
من للجلال الذي عمت مهابته • قلوبنا وحيوت الانجم الزهر
أين الإباء الذي أرسوا قواعد • على دعام من عز ومن فلفر
أين الوفاء الذي أصفوا مشارب • فلم يرد أحد منها على كد
كانوا رواسى أرض الله منذ ناوا • عنها استطارت بمن فيها ولم تغير
كانوا مصابيحها فذ خبوا ضربت • هذى الخليفة بالله في صدر
كانوا شجا الدهر فاستوتهم خدع • منه باحلام عاد في خطا الخفير
من لى ولا من بهم إن أطبقت يمن • ولم يكن وردتها يفضى إلى صدر
من لى ولا من بهم إن أظلمت نوب • ولم يكن ليها يفضى إلى بحر
من لى ولا من بهم إن عطلت سنن • وأخفت السن الأيام والسير
على الفضائل إلا الصبر بعدهم • سلام مرتقب للأجر متظير
يرجوعسى ، وله فى أختها طمع • والدهر ذو عجب شق وذو غير
قرطت آذان من فيها بفاضة • على الحسان حصى الياقوت والدُر

(١) كما فى شرح ابن بدرون . وفى الأصل : " رقا " .

(٢) فى شرح ابن بدرون : " عمت مهابته " .

(٣) كما فى شرح ابن بدرون . وفى الأصل : " مرتقب للأجر " .

(٤) كما فى شرح ابن بدرون . وفى الأصل : " من الحسان ... " .

ومن أجود الرثاء وأصنعه وأخفنه وأبدعه مرثي أبي تمام حبيب بن أوس الطائي؛ فمن ذلك ما قاله يرثي به غالب بن السَّعدى :

- هو التهر لا يُشوى وهنّ المصائب * وأكثر آمال الرجال كواذب
 فيا غالباً لا غالب لِرزية * بل الموت لا شك الذى هو غالب
 وقلت : أئى، قالوا : أخ من قرابة؟ * فقلت لهم إن الشكول أقارب
 نسلي في رأي وعزم ويتصيب * وإن باعدتنا فى الأصول المناسب^(١)
 كأن لم يقل يوما : كأن، فتثنى * إلى قوله الأسماع وهى رواغب^(٢)
 ولم يصدع النادى بلفظة فيصل * منانية فى صفحتها التجارب^(٣)
 ومنها :

- مضى صاحبي واستخلف البث والأي * على، فى من ذا وهذاك صاحب
 عجبت لصبرى بعده وهو ميت * وكنت أمراً أبكى دماً وهو غائب
 على أنها الأيام قد صرنت كلها * عجائب حتى ليس فيها عجائب
 وقال يرثي محمد بن الفضل الحميري :

- ريبٌ دهر أصم دون التراب * مُرصدٌ بالأوجال والأوصاب
 جف دَر الدنيا فقد أصبحت تك * تال أرواحنا بغير حساب
 لو بدت سافراً أُهيتَ ولكن * شغف الخلق أنها فى الثقاب
 إن ريب الزمان يُحسن أن يه * لدى الرزايا إلى ذوى الأحساب
 فلهذا يحف بعد أخضرار * قبل روض الوهاد روض الرواب
 (١) فى ديوان أبي تمام : "وذهب".
 (٢) كما فى الديوان : "والأصل : "وهو رواغب". (٣) فى الديوان :

- ٢٠ : "يصدع نادى بخلة فيعر * ستانية قد درتها التجارب
 رة فى الأصل : ويروى، ثم وضع تحت بعض الكلمات - هو المذكور فى رواية الديوان .

جاء منها :

ذهبت يا محمد الغر من أيد * لأمك الواضحات أي ذهاب
عيس الخلد والثرى منك وجهاً * غير ما عايس ولا قطايب
أطفا الخلد والثرى لبك المسد * روج في وقت ظلمة الألباب
وتبدلت منزلاً ظاهر الخلد * ب يسمى مقطوع الأسباب
منزلاً موحشاً وإن كان معمو * رأ بجمل الصديق والأحباب
يا شهاباً خبا لآل عييد الله أعزز بفقد هذا الشهاب

ومنها :

أنزلته الأيام عن ظهرها من * بعد إثبات رجله في الزكاب
حين تم الشباب وأعتدت الدن * يا إليه مفتوحة الأسوب
وحكى الصارم الخلى سوى أن * حله جواهر الآداب
قصدت نحوه النية حتى * وهبت حسن وجهه للتراب

وقال يرثي إسحاق بن أبي ربيعي :

أي ندى بين الثرى والجيوب ^(٢) * وسؤدد لذن ورثي صليب
يا بن أبي ربيعي استنبلت * من يومك الدنيا بيوم عصب
شق جوباً من أناس لو آت * طاعوا شقوا ما ورو جوب
كنت على البعد قريباً فقد * صرت على قرب غير أقرب
راحت وفود الأرض عن قبره * ورفة رأيتي من الغيوب
قد علمت ما ربرئت * بمنا * فرفقه هذا سمس بعد بعيد

(١) في الديوان : « سم شمس »

(٢) كذا في الأصل . وفي مخرجاته : « جوب »
والجوب : الأرض عبيدة .

إذا البعيدُ الوطنَ أتاه * حَلَّ لى نَهْيٍ ووَادٍ خَصِيبِ
أدنته أَيْدَى العِيسِ من سَاحَةِ * كَأَنها مَسْقِطُ رَأْسِ القَرِيبِ
أَظْلَمَتِ الآمَالُ من بَعْدِهِ * وَعُرِّيتُ من كُلِّ حَسَنِ وَطِيبِ
كَأَن خُلُودًا صُقِلَتْ بِرَهَةٍ ^(١) * وَالْيَوْمَ صَارَتْ مَالِقًا لِلشُّحُوبِ
كَمْ حَاجَةٍ صَارَتْ رُغُوبًا بِهِ * وَلَمْ تَكُنْ من قَبْلِهِ بِالرُّكُوبِ
حَلَّ عِقَالِهَا كَمَا أَطْلَقْتُ * من عَقْدِ المَزْنَةِ رِيحُ الجُنُوبِ
إِذَا تَبَمَّسَ في مَطْلَبِ * كَأَن قَلِيلًا وَرِشَاءَ القَلِيبِ
وَنِعْمَةً مِمَّنْ تَسْرَتُهَا * كَأَنها طَرَزَتْ سُرْدَ قَشِيبِ
من القَوَاتِي إِنْ وَفَى شَاكِرٌ * قَامَتْ لِمُسَيِّبِهَا مَقَامُ الخَطِيبِ
مَنْ تَشَخَّرَ حُلَّ بِتَفَضُّلِهِ * أَوْ غَابَ يَوْمًا حَضَرْتُ بِالْمَتِيبِ
فَمَا لَنَا الْيَوْمَ وَلَا لِلْعَلَا * من بَعْدِهِ غَيْرُ الأُمَى وَالنَّجِيبِ

وقال يربى أحمد بن هارون القرشي :

دَأْبُ عَيْنِي البُكَاءُ، والحَزَنُ دَأْبِي * فَاتَرَكْنِي - وَفَيْتَ مَابِي - لِمَا بِي
سَأَجْرِي بِقَاءِ أَيَّامِ عَمْرِي * مِنْ بَقَى وَبَعَثَى وَأَكْتَابِي
يَا أَحْمَدُ بنَ هَارُونَ خَصَّتْ * ثُمَّ عَمَتْ رِزْقِي وَمُصَابِي
بِغِنَى الأَيَّامِ فِي الصَادِقِ النُّطْ * قِي فَتَى المَكْرُمَاتِ وَالْآدَابِ
بِجَلِيلِ دُونَ الأَخْلَاءِ [لَا] بَلْ * صَاحِبِي المَصْطَفَى عَلَى أَصْحَابِي
أَمَلْنَا تَسْرِيلَ المَجْدِ وَأَجْنَا * بَ مِنْ المَدَائِمِ مُجْتَابِ
وَتَرَاهُ أَعْيُنُ النَّاطِرِيهِ * قَرَأَ بَاهِرًا وَرِثَالَ غَابِ

(١) كذا في الديوان . وفي الأصل . "مقلت مرة" .

(٢) الكلمة من الديوان .

وعلا عارضيه ماء الندى الجيا • رى وماء الحبا وماء الشباب
أرسلت نحوه المنية عينا • قطعت منه أوتق الأسباب

وقال يرثى أبا الصقر :

لو مضع الدمع لى أوناصح الكد • لقلنا صحباني الروح والجسد
حان الصفاء أخ خان الزمان له • أحافلم يتخون جسمه الكد
تساقط الدمع أدنى ما يليت به • للوجد إذ لم تساقط مهجة ويد
فوالذى رنكت تطوى الفجاج له • سعانن البر فى خذ الثرى تحيد
لأنشدت أسى لى لم امت أسفا • وبعد العمر لى أو ينفد الأمد
عنى إليك فإنى عنك فى شغل • لى منه يوم سبيل مهجى وغد
وان بحيرة ثابت جارت لها • إلى ذرى جدى فاستهل الجلد
هى النواذب فافتحى أوفى عظة • فلها شجر أثمارها رشد
مهي ترى قلعا من تحه أدق • يحدهما كد يمو له الجسد
سماء سم العدا فى جنبها ضرب • وشرب كأس الردى فى ظلها شهيد
هالك أتم النهى لم تود من حزن • ولم تجسد لى الدنيا بما تجسد
لو يعلم الناس على بالزمان وما • عانت يئسا لما رتوا ولا وقفوا
لا يبعد الله ملحوظا أقام به • شخص الجبا وسفاه الواحد الصمد
يا صاحب القبر دعوى غير متليب • إن قال أودى الندى والبدر والأمد

⑤

(١) رنكت (من باب ضرب) : عدا فى مقابلة سطر .

(٢) فى الديوان : "رون بحيرة" ، لصغير ، والبحيرة : الهادية .

(٣) فى الديوان : "فأما عرس" : جمع فرسة وهى موضع الاستقاء .

(٤) كما فى الديوان : ويسر : يذل ويصح . رى الأمل : "يحوه الحسد" .

(٥) منش : مستع أو مسجل .

بات الثرى بأخى جذلان متهبجا * ويث يحكم في أجفاني السهد
 لهنى عليك وما لهنى بخدي * ما لم يزدك بنفسى حراما أجد
 أمسى أبو الصقر يصفو الترب أحسنه * دونى ودلّو الردى في مائه يرد
 ونيل لأتلك أقصراته حدث * لم يعتد مثله قلب ولا خلد^(٢)
 عال الزمان شقيق الجود لم يقه * أهل ولم يقده مال ولا ولد
 حين أدتوى الماء وأقرت شيبته * عن مضحك لعالى نغره برد
 وقيل : أحدها، بل قيل : أعجدها * بل قيل : أعجدها إن فزت العبد
 وؤد الشاب كنصل السيف لأجده * في راحته ولا في عوده أود
 سقى الحيس وعبوسا ببرزه * من السقى كعيت الودق بطرد
 بحيث حل أبو صقر فودعه * صفو الحياة ومن لذاتها الرغد
 بحيث حل فقيده العبد مفتربا * ومورثا حشرات ليس تقتد
 وقال يرثي محمد بن الوليد :

أعيدى النوح موعلة أعيدى * وزيدى في بكائك ثم زيدى
 وقسوى حاسرا وحسرت * خوامش للتحور وللحدود
 هو الخطب الذى أبعد زيدا * وقل لأعين الثقلين جودى
 ألا رزيت ثمرات * * * عداة قوى عمير بن الوليد
 ألا رزيت بمسئول ميسر * ألا رزيت بمتلاف مفيد
 ألا رزيت الندى وجهه * * * بحيث حلت من حفر الصعيد
 بقضى أنت من * * * * * * * * * * * * * * * *
 * * * * * * * * * * * * * * * *

(١) كذا في المصنف . . .

(٢) و . . . : " . . .

تَجَلَّتْ غَمْرَةُ الْمِجَاءِ عَنْهُ * خَضِيبَ الْوَجْهِ مِنْ دَمِهِ بِالْحَسِيدِ
فِي بَحْرِ الْمُنُونِ ذَهَبَتْ مِنْهُ * بِبَحْرِ الْجُودِ فِي السَّنَةِ الصَّلُودِ
وَيَا أَسَدَ الْمُنُونِ فَرَسَتْ مِنْهُ * غَدَاةَ فَرَسَتِهِ أَسَدَ الْأَسُودِ
أَبَالِ بَطْلِ النَّجِيدِ تَكَتْ مِنْهُ ^(١) * نَعَمْ وَبِقَاتِلِ الْبَطْلِ النَّجِيدِ
تَرَأَى لِلطَّعْمَانِ وَقَدْ تَرَأَتْ * وَجْوهَ الْمَوْتِ مِنْ خُمُرٍ وَسُودِ
فِي أَلَاكَ وَقَعَةً جَلًّا أَعَادَتْ * أُمِّي وَصَبَابَةً جَلَدَ الْجَلِيدِ
وَيَا لَكَ سَاعَةً أَهَدَتْ غَلِيلًا * إِلَى أَكْبَادِنَا أَبَدَ الْأَيْدِ
أَلَا أُلْبِغْ مَقَاتِلِي الْإِمَامِ آلَ * خَلِيفَةِ وَالْأَمِينِ بْنِ الرَّشِيدِ
بَأَنِّ أَمِيرِنَا لَمْ يَأَلْ عَدْلًا * وَنُصْحًا فِي الرِّعَايَا وَالْجُنُودِ
أَفَاضَ نَوَالِ رَاحَتِهِ عَلَيْهِمْ * وَسَاحَ بِالطَّرِيفِ وَبِالتَّلِيدِ
وَأَخْضَى دُونَهُمْ لِلْوَتِّ حَتَّى * سَقَاهُ الْمَوْتُ مِنْ مَقْرِ هَيْدِ ^(٢)
وَمَا ظَلَفِرُوا بِهِ حَتَّى قَرَأَهُمْ * قَتَائِمَ أَنْثَرُ وَضِبَاعَ بَيْدِ
بَطْنِي فِي نَحْوِهِمْ رَشِيقِي * وَضَرَبَ فِي رِوَسِهِمْ عَتِيدِ
فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ أَصْطَبَحْنَا * عِدَاةَ مَنْكَ هَائِلَةَ الْوُرُودِ
وَيَا يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ اعْتَمَدْنَا * بِفَقْدِ فَيْكَ لِلْسَّدِّ الْعِمِيدِ
وَكَمْ أَحْصَيْتَ فِينَا مِنْ عَيُونٍ * وَكَمْ أَعَثَرَتْ فِينَا مِنْ جُدُودِ
فَمَا زُجِرَتْ طَيُورُكَ عَنْ سَبِيحِ * وَلَا طَلَمَتْ نَجْمُوكَ بِالسُّعُودِ
أَلَا يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُرْدَى * رَدَاءَ الْمَوْتِ فِي جَدَّتِ حَدِيدِ
حَضَرْتُ فِتَاءَ بَابِكَ وَأَعْتَرَانِي * شَحَى بَيْنِ الْمُخَنَّقِ وَالْوَرِيدِ

(١) فِي الْدِيْوَانِ : "تَكَتْ مَا".

(٢) الْمَقْرُ : الْبُحْبُوحَةُ أَوْ لُحْبُوحَةُ . وَهَيْدٌ : مَحْمَلٌ .

رَأَيْتُ بِهِ مَطَايَا مُهَمَّلَاتٍ * وَأَفْرَاسًا صَوَارِقَ بِالْوَصِيدِ
فَكُنْتُ عَتَادَ إِمَا قَكَ عَانٍ * وَإِمَا قَلْبِي طَافِيَةً عَنْوَدِ
رَأَيْتُ مِثْلَ بَيْتِكَ عِنْدَ عَلَيْهِم * عَوَادٍ صَعْنَتُهُمْ فِي مَكْزُودِ
وَأَمَحَّتْ عِنْدَ غَيْرِكَ فِي هَبْوَطٍ * حَظْوُظٌ كَرَنَ عِنْدَكَ فِي صُعُودِ
وَأَصْبَحْتَ الْوَفُودُ إِلَيْكَ وَقَفًا * عَلَى أَنْ لَا مَقَادَ لِمُسْتَفِيدِ
فَكُلُّهُمْ أَعْدَ الْيَأْسِ وَقَفًا * عَلَيْكَ وَنَصَّ رَاحِلَةَ الْقُصُودِ
لَقَدْ تَحَنَّنْتَ عَيُونُ الْجُودِ لَنَا * ثَوِيَتْ وَأَقْبَصْتَ ضُرَّ الْقَصِيدِ

وقال يرقى محمد بن حميد الطوسي :

- كَذَا قَلِيلٌ الْخَطْبُ وَلَيَفْدَحِ الْأَمْرُ * فَلَيْسَ لِمَنْ لَمْ يَغْضُ مَاؤُهَا عَذْرُ
تَوَقَّيْتُ الْأَمَالَ بِمَدِّ عَمِيدٍ * وَأَصْبَحَ فِي شُغْلٍ عَنِ السَّفَرِ السَّفَرُ
وَمَا كَانَ إِلَّا مَالٌ مِنْ قَلِّ مَالِهِ * وَذُنْخَرًا لِمَنْ أَمْسَى وَلَيْسَ لَهُ ذَنْخَرُ
وَمَا كَانَ يَدْرِي الْمُجْتَدِي جُودَ كَفِّهِ * إِذَا مَا أَسْتَهَلَّتْ أَنَّهُ خُلِقَ الْمُسْرُ
إِلَّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ عَطَّلَتْ لَهُ * فَيَجَاجُ سَبِيلَ اللَّهِ وَأَثْمَرُ التَّنْصَرُ^(١)
فَقِي كَلِمًا فَاضَتْ عِيُونُ قَبِيلَةٍ * دَمًا صَحَّكَتْ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَاللَّهُ كَرُ
[فَقِي دَعْرُهُ شَطْرَانِ فَيَا يَتُوبُهُ * فَقِي بِأَسْهٍ شَطْرُوفِي جُودُهُ شَطْرُ]^(٢)
فَقِي مَاتَ بَيْنَ الضَّرْبِ وَالطَعْنِ بَيْتَةً * تَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ إِذَا فَاتَهُ النَّصْرُ
وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مَغْيَرُ سَيْمِهِ * مِنْ الشَّلِّ وَأَعْلَتْ عَلَيْهِ الْفَنَاءُ الشُّرُ
وَقَدْ كَانَ فُوتَ الْمَوْتُ سَهْلًا فَرَدَّهُ * عَلَيْهِ الْحِفَاظُ الْمَرُّ وَالْخُلُقُ الْوَفْرُ
وَنَفْسٌ تَمَافُ الْعَارَ حَتَّى كُنْهُ * هُوَ الْكُفْرُ يَوْمَ الرُّوعِ أَوْ دُونِهِ الْكُفْرُ

(١) الإنذار : " يلقى نصره " . . . (٢) د : من دال

(٣) شل الأعداء بسيمه : صرعه ي : . . . " من نصير "

فَأَثَبَتْ فِي مُسْتَقْعِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ * وَقَالَ لَهَا مِنْ تَحْتِ أَنْعَمَكَ الْحَضَرُ
 خُذَا غُدُوَّةَ وَالْحَمْدُ نَسْجُ رَدَائِهِ * فَلَمْ يَنْصَرَفْ إِلَّا وَاعْكَفَاهُ الْأَجْرُ
 تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمْرًا أَيْ * لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُنْدِسٍ خُضِرُ
 كَأَنَّ بَنَى تَبَاهُ يَوْمَ وَفَاتِهِ * نَجْشُومُ سَمَاءِ نَرْمَنَ يَنْبِهَا الْبَدْرُ
 يُعْزَوْنَ عَنْ ثَاوٍ تُعْزَى بِهِ الْعَلَا * وَيَتَكِي عَلَيْهِ الْجُودُ وَالْبَاسُ وَالشَّعْرُ
 وَأَنْى لَمْ صَبْرٌ عَلَيْهِ وَقَدْ مَشَى * إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى اسْتَشْهِدَاهُ وَالصَّبْرُ !
 فَقَى كَانَ عَذَبَ الرُّوحِ لَاعِنَ غَضَاضَةٍ * وَلَكِنْ كَبْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُ كِبَرُ^(١)
 فَقَى سَلَبَتْهُ الْحَبْلُ وَهُوَ حَيٌّ لَهَا * وَبَزَتْهُ نَارُ الْحَرْبِ وَهُوَ لَهَا بَحْرُ
 وَقَدْ كَانَتْ الْبَيْضُ الْمَائِرُ فِي الْوَعْيِ * بَوَاتَرَفَهِيَ الْآنَ مِنْ بَعْدِهِ بَدْرُ
 أَمِنْ بَعْدِ طَى الْحَادِثَاتِ مَحْدًا * يَكُونُ لَأَحْوَابِ الْعَلَا أَبَدًا نَشْرًا
 [إِذَا تَجَرَّجَاتِ الْعَرَفُ جُلَّتْ أَمْوَالُهَا * قَى أَى فَرْعٍ يُوحِدُ الْوَرَقُ النَّضْرُ !]^(٢)
 لَتَنْ أَيْضُ الدَّهْرِ الْخَلُوفُ لَفَقَدَهُ * لَتَهْدَى بِهِ تَمَنٍ يُحِبُّهُ الدَّهْرُ
 لَتَنْ غَدَرَتْ فِي الرُّوعِ أَيْامُهُ بِهِ * لَمَّا زَالَتْ الْأَيَّامُ شَجِيتَهَا الْغَدْرُ
 لَتَنْ أَلَيْسَتْ فِيهِ الْمَصِيبَةُ طَيُّ * لَمَّا عُرِّثَتْ مِنْهَا تَمِيمٌ وَلَا بَعْثُ
 كَذَلِكَ مَا نَفَقَتْ فَفَقِدَ هَالِكًا * يُسَارِكَا فِي فَقْدِهِ الْبَدْرُ وَالْحَضَرُ
 سَقَى النِّيْثُ غِيَا وَارْتِ الْأَرْضُ شَخْصَهُ * وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَحَابٍ وَلَا قَطْرُ
 وَكَيْفَ أَحْتَمَى لِلْسَّحَابِ صَنِيعَةً * بِإِسْقَاتِهَا قُبْرًا وَفَى لِحْدِهِ الْبَحْرُ
 نَوَى فِي الثَّرَى مَنْ كَانَ يَحْيَا بِهِ الثَّرَى * وَيَنْفُرُ صَرْفَ الدَّهْرِ نَائِلُهُ النَّمْرُ

(١) رواية ديوان :

فَقَى كَانَ عَذَبَ الرُّوحِ لَاعِنَ غَضَاضَةٍ * وَلَكِنْ كَبْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُ كِبَرُ

(٢) زيادة من الديوان .

مضى طاهر الأتواب لم تبق روضة * غداة نوى إلا أشتت أنها قبر
عليك سلام الله وقفا فإني * رأيت الكريم الحر ليس له عمر

وقال يرثي إدريس بن بدر السامي :

دموع أجابت داعي الحزن هُمع * توصل منا عن قلوب تقطع
عفاء على الدنيا طويل فإنها * تفرق من حيث أبتدت تتجمع
تبدلت الأشياء حتى نلتها * ستثني غروب الشمس من حيث تطلع
لما صيعة في كل روح ومهجة * وليست لشيء ما خلا القلب تُسمع
إدريس ضاع المجد بعدك كله * ودأى الذي يرجوه بعدك أضيع
وغير وجه العرف أسود بعد ما * يرى وهو كالبرك الكهاب تصنع
وأصبحت الأحزان لا لمبة * تسلم شزراً والمعالى تُودع
وضل بك المراتد من حيث يتهدى * وضرت بك الأيام من حيث تنفع
وامخت قريحات القلوب من الجوى * تقيظ ولكن المدامع تربع^(٢)
عيون حفيظن الليل فيك محرماً * وأعطيك الدمع الذي كان يُمنع
وقد كان يدعى لأبس الصبر حازماً * فأصبح يُدعى حازماً حين يجزع
وقالوا عزاء : ليس لوت مدفع * فقلت : ولا لحزن للرء مدفع
لإدريس يوم ما تزال لذكرك * دموعي وإن سكنتها تنزع
ولما نضا ثوب الحياة وأوقعت * به نائبات الدهر ما يُتوقع
غدا ليس يترى كيف يصنع معلّم * درى دمه من وجله كيف يصنع
ومات نفوس الغاليين كلهم * وإلا فصبر الغاليين أجمع

(١) قتيظ : يشتد بها . وفي الأصل والديوان : "قطا" .

(٢) ربع : تحصب .

عَدَّوْا فِي زَوَايَا نَعَشِهِ وَكَأَنَّمَا * قَرِيضٌ قَرِيضٌ حِينَ مَاتَ رُجْعُ^(١)
وَلَمْ أَتَسَّ سَعَى الْجُودِ خَلْفَ سَرِيرِهِ * بَاكِسِفٍ بِالِ يَسْتَقِيمُ وَيَقْلَعُ
وَتَكْبِيرِهِ نَحْسًا عَلَيْهِ مُمَالِنَا * وَإِنْ كَانَ تَكْبِيرُ الْمُصْلِينَ أَرْبَعُ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي يَسْلَمُ اللَّهُ قَبْلَهَا * بَانَ النَّدَى فِي أَهْلِهِ يَنْشِيعُ
وَقَمْنَا فَقَلْنَا بَعْدَ أَنْ أَفْرَدَ الثَّرَى * بِهِ مَا يُقَالُ فِي السَّحَابَةِ تُقْلِعُ
— هَذَا مَا خُذَ مِنْ قَوْلِ مُسْلِمٍ :

فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ * أُنْفَى عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ—
أَلَمْ تَكْ تَرْمَانَا مِنَ الدَّهْرِ إِنْ سَطَا * وَتَحَفَّظَ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا تُنْصِيعُ
وَتَبْسُطُ كَفًّا فِي الْحَقُوقِ كَأَنَّمَا * أَنَامَلُهَا فِي الْبَاسِ وَالْجُودِ أَذْرُعُ
وَتَلْبَسُ أَحْلَاقًا كِرَامًا كَأَنَّمَا * عَلَى الْعِرْضِ مِنْ فِرَاطِ الْحَصَانَةِ أَذْرُعُ
وَتَرْبِطُ جَانِنَا وَالْجَاةُ قُلُوبِهِمْ * تَرَّغَزَعُ خَوْفًا مِنْ قَنَّا تَرَّغَزَعُ
وَأُمْنِيَّةُ الْمُرْتَادِ يَحْصُرُكَ النَّدَى * فَيَنْشِيعُ فِي مَثَلِ الْمَلَا فَيَنْشِيعُ^(٢)
فَأَيْطِقُ فِيهِ حَامِدٌ وَهُوَ مُفْجِعٌ * وَأَلْغَمُ فِيهِ حَاسِدٌ وَهُوَ مُصْغِقُ
أَلَا إِنَّ فِي ظُلْفِ الْمُنِيَّةِ مُهْجَةً * تَقْطُلُ لَهَا عَيْنُ الْعِلَا وَهِيَ تَدْمَعُ
هِيَ النَّفْسُ إِنْ تَبَكَ الْمَكَارِمُ فَقَدْهَا * فَمِنْ أَحْشَاءِ الْمَكَارِمِ تُزْرَعُ
أَلَا إِنَّ أَنْفَا لَمْ يَسُدَّ وَهُوَ أَجْدَعُ * لَعَلَّكَ عِنْدَ الْمَكْرَمَاتِ لِأَجْدَعُ
وَإِنْ أَمْرًا لَمْ يُنِيسْ فِيكَ مُفْجِعًا * بِلَحُودِهِ، فِي عَقْلِهِ لِمُفْجِعُ
وَقَالَ يَرَى الْقَاسِمُ بْنُ طَلُوقٍ بْنُ مَالِكٍ :

حَوَى سَاوِرَ الْأَحْشَاءِ وَالْقَلْبَ وَغُلَّهُ * وَدَمْعُ يَضِيمُ الْعَيْنَ وَالْحَصَى هَمْلُهُ

(١) مجمع : لقب قصي بن كلاب مرة وهو الحد الخامس رموز منه ص ١٠٥ و ١٠٦
ذلك حقه فريشا مرحلي : راحة نصف روحه شدة . (٢) في - جو - ف - د - D
في من الملا يمشيع » (٣) كذا بالخط ، ولعله يحذف من دهم نحو ١٠٠

وفاجعُ موتٍ لا عدوَّ يخافه * فيبقى ، ولا يبقى صديقاً يحامله
 وأى أنى عزٍّ وذى جَبَرِيَّة * يبابنه أو أى رامٍ يناضله^(١)
 إذا ما جرى مجرى دم المرء حُكَّه * ومُتَّ على طُرق النفوس حَبَالُه !
 فلو شاء هذا الدهرُ أقصرَّ شره * كما أقصرتُ عنَّا مَهَاهُ وناثله
 سلتكوه إعلاتاً وسراً ونِيَّة * شَكِيَّة من لا يستطيع يُقاتله
 فمن مبلغُ عني ربيعةً أنه * تهنَّعَ طُلَّ الجُود عنها ووابله
 وإنَّ الحِجَاء منها استطارت صُدُوعه * وأنَّ الندى منها أصيبت مَقَاتله
 معنى للزَّيَالِ القاسمُ الواهبُ اللهُي * ولو لم يُزَايِنَا لَكُنَّا نُزَايِلُه
 ولم يعلموا أنَّ الزمانَ يريدُه * فنجع ولا أتَّ المتأبى تُرَايِلُه
 ومنها :

طواه الردى طلى الزباء وغِيَّت * فضالَّه عن قومه وقواضله
 طوى شيماً كانت تروح وتغِيْدى * وسائل من أعبت طيه وساعله
 فيا عارضاً للعُرف ألقحَ مَزْنُه * وبأ وادياً للجُود جَفَّت مَسَائِلُه^(٢)
 وقال يرثى محمد بن حميد وأحاه خطبة :

بأبى وغير أبى - وذاك قليل - * تأو عليه ترى البَاج مَهِيلُ

(١) في الديوان : « وأى أنى عزاء أوحرية » .

(٢) كذا في الديوان . وفي الأصل : « وبأ وادياً لعرف » .

(٣) كذا في الجزء الثالث من شرح ديوان أبي بكر محمد بن يحيى الصولي المحفوظ بدار الكتب المصرية

تحت رقم (٧٣ هـ أرب) وكان محمد هو الأكر والأحققة . وفي الأصل : « وقال يرثى محمد بن حميد ويسمى خطبة » ، وقيل : خطبة أسره » والصحيح ما أنشأه وهو أن خطبة أسره ويريد هذا قول أبي تمام من مرثية أخرى يرثى بها سي حميد الطوسي :

ذكرت أنا صرعت محمد * وخطبة ذكرى طويل البلال

ومها .

لمسرك ما كانوا ثلاثة إحوه * ولكهم كانوا ثلاث قبائل

(١٥)

حَذَفْهُ أَسْرَمَهُ كَانَ سَرَاتِهِمْ * جَهِلُوا بِأَنَّ الْخَالِدَ الْخُذُولُ
أَكْأَلُ أَشْلَاءِ الْمَوَارِسِ بِالْقَتَا * أَخْضَى بَيْنَ وَشَلَوْهُ مَا كَوَلُ
كُفَى، قَتَلَ مُحَمَّدٍ لِي شَاهِدٌ * أَنِ الْعَزِيزَ مَعَ الْقَضَاءِ ذَلِيلُ
ومنها :

هِيَا تَ لَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ * إِنِّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبَحِيلُ
مَا أَنْتَ بِالْمُقْتُولِ صَبْرًا أَوْ أَمَّا * أَتَمَلِي غَدَاةَ تَمِيعِكَ الْمُقْتُولُ
ومنها :

مَنْ ذَا يَحْتَسِبُ بِالْبَقَاءِ ضَمِيرَهُ ! * هِيَا تَ ! أَنْتَ عَلَى الْفَنَاءِ ذَلِيلُ
يَا لَيْتَ شَعْرَى بِالْمَكَارِمِ كُلِّهَا * مَاذَا، وَقَدْ فَدَدْتَ نَدَاكَ، قَهْوَلُ ؟

ومنها :

يَا يَوْمَ خَطِيئَةٍ لَقَدْ أَقْبَيْتَ لِي * حُرْقًا أَرَى أَيَّامَهَا سَتَطُولُ
لَيْتَ لَوْ أَنَّ اللَّيْتَ قَامَ مَقَامَهُ * لَأَنْصَاعُ^(١) وَهُوَ بِرَأْعَةٍ لَأَجْفِيلُ
لَمَّا رَأَى جَمْعًا قَلِيلًا فِي الْوَعَى * وَأَوَّلُو الْخِفَافِ مِنَ الْقَلِيلِ قَلِيلُ
لَاقَى الْكَرِيمَةَ وَهُوَ مُغْمِدُ زَوْعِهِ * فِيهَا وَلَكِنْ بِأُسِّهِ^(٢) مَسْلُولُ
وَمَشَى إِلَى الْمَوْتِ الرُّؤَامَ كَأَنَّمَا * هُوَ مِنْ عَجْبَتِهِ إِلَيْهِ خَلِيلُ

ومنها :

أَمْنَحْتُ عِرَاضُ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٍ * وَأَخِيهِمَا وَكَأَنَّهُنَّ طُلُولُ
أَبَى حُمَيْدٍ لَيْسَ أَقْوَلُ مَا عَفَا * مَدَّ الْأَسْوَدَ مِنَ الْأَسْوَدِ الْعِيلُ
مَازَالَ ذَاكَ الصَّبْرُ وَهُوَ طَيْكُمُ * بِالْمَوْتِ فِي طَلِّ السِّيُوفِ كَفَيْكُمُ
مُسْتَسْلُونَ كَأَنَّمَا مُهْجَاتُهُمْ * لَيْسَتْ لَهُمْ إِلَّا غَدَاةٌ تَسِيلُ

(١) انصاع : اهتل راحا مرطاً . (٢) كذا في الديوان . وفي الأصل : "ولكن سيده".

أَلْفُوا النِّايَا فَالْقَتِيلُ لِسِهِمْ * من لم يُخَلِّ العَيْشَ وَهُوَ قَتِيلٌ
 إِنْ كَانَ رَبُّ الدَّمْرِ أَتَكْلِيكُمْ * فَاَلَمُوتُ أَيْضاً مَيْتٌ مَشْكُوتٌ

وقال يعزى مالك بن طوق :

- أَمَّا لِكُ إِنْ الْحَزْنَ أَحْلَامَ حَالِمٍ * وَمَهْمَا تَدُمُ فَالْحَزْنَ لَيْسَ بِلَاثِمٍ
 أَمَّا لِكُ إِفْرَاطُ الصَّبَابَةِ تَارِكُ * حَيًّا وَاعْوَجَاجًا فِي قَنَاةِ الْمَكَامِلِ
 تَأْمَلُ رُؤْيَا هَلْ تَعُدُّ سَالِمًا * إِلَى آدَمِ أَمْ هَلْ تَعُدُّ أَبْنَ سَالِمٍ !
 مَتَى تُزِجْ هَذَا الْمَوْتَ عَيْنًا بِصِيرَةٍ * تَحْتَ عَادِلًا مِنْهُ شَبِيهَا بِظَالِمٍ
 فَإِنَّ تَكُ مَفْجُوعًا بِأَبْيَضٍ لَمْ تَكُنْ * تَشُدُّ عَلَى جَدَوَاهِ عَقْدَ الْقَتَامِ
 بَعَارِسُ دُعْمِيٍّ وَهَضْبَةٌ وَائِلٍ * وَكَوْكَبٌ عَنَابٍ وَحَمْرَةٌ هَاشِمٍ
 تَحْبَا الرِّيحَ فَازْدَادَتْ حَنِينًا لِفَقْدِهِ * وَأَحْدَثَتْ شَجْوًا فِي بُكَاءِ الْحَمَامِ
 فَمَنْ قَبْلَهُ مَا قَدْ أَصِيبَ نَيْئًا * أَبُو الْقَاسِمِ النُّورُ الْمَيِّتُ بِقَاسِمٍ
 وَخُبْرُ قَيْسٍ بِالْجَلِيلَةِ فِي أَبْسِهِ * فَلَمْ يَتَغَيَّرْ وَجْهُ قَيْسٍ بِنِ عَاصِمٍ
 وَقَالَ عَلِيٌّ فِي التَّعَازِي لِأَشْعَثٍ * وَخَافَ عَلَيْهِ بَعْضُ تِلْكَ الْمَآثِمِ :
 أَتَصْبِرُ لِلْبُلُوِّ عِزَاءً وَحِسْبَةً * فَتُؤَبَّرُ، أَمْ تَسْلُوسَلُو الْبَهَائِمَ ؟
 خَلَقْنَا رَحَالًا لِلتَّجَلُّدِ وَالْأَمْسَى * وَتِلْكَ الْفَوَائِي لِلْبُكَاءِ وَالْمَآثِمِ
 وَأَيُّ قَتْلٍ فِي النَّاسِ أَرْحَضُ مِنْ قَتْلِ * غَدَا فِي خَفَارَاتِ الدَّمِوعِ السَّوَاجِمِ
 وَهَلْ مِنْ حَكِيمٍ ضَمِيمٍ الصَّبْرِ بَعْدَمَا * رَأَى الْحِكْمَاءُ الصَّبْرَ ضَرِيحَةً لَا زِمَ
 فَلَا يَرِحَتْ تَسْطُورُ رِبْعَةٍ مِنْكُمْ * بِأَرْقَمِ عَطَافٍ وَرَاءَ الْأَرَاقِمِ

(١) في نسخة من الديوان : "من لا يخلى الحرب وهو قتيل" وفي نسخة أخرى منه : "من لم يخلى

الحرب ...".

(٢) من حرص ككرم : طال همه وسقمه ومسه .

١٢١

فانت وصنوك الشقيان إخوة * خُلقتم سَعُوًّا للأنوف الرواغ
ثلاثة أركان ، وما أنهذ سؤدد * إذا ثبت فيه ثلاث دعائم
وقال يرثي محمد بن الوليد :

كف الندى أمست بغير بنان * وقتاته أضحت بغير مسان
جبل الجبال غدت عليه مله * تركته وهو مهدم الأركان
أتى محمد بن الوليد لغارة * بكر من الغارات أو لعموان
أنى قى الفتيان غير مكذب * قولى ، وأنى فارس الفرسان
عثر الزمان ونائب صروفه * بمقلنا عثرات كل زمان
لم يترك الحدائث يوم سطا به * أحدا نصول به على الحدائث
قد كنت حشوا للدرع ثم أراك قد * أصبحت حشوا للحدو والأكفان
شغل قلوب الناس ثم عيونهم * مذمت بالخفقان والهملان
واستعذبوا الأحران حتى ماتهم * يتحاسدون مضاضة الأحران
ما يرعوى أحد إلى أحد ولا * يستاق إنسان إلى إنسان
أصاب منك الموت فرصة ساعة * فدا عليك وأتما أخوان !
فمن الذى أتى ليوم تكرم * ومن الذى أتى ليوم طعان !^(١١)

وقال يرثي أبنا له :

كان الذى خفت أن يكونا * إنا إلى الله راجعون
أمسى المرجى أبو على * مؤسدا في الثرى يمينا
حين استوى وأتى شابا * وحقق الرأى والظنوننا

(١١) كما بالأصل . واللهى بالديوان :

من الذى أتى ليوم كريمة * ومن الذى أتى ليوم طعن

- أَصْبَتْ فِيهِ وَكَانَ عِنْدِي * عَلَى الْمَصِيبَاتِ لِي مُبِينَا
 كُنْتُ كَكثيراً به عَزِيزاً * وَكُنْتُ صَباً بِهِ ضَمِينَا
 دَأَبْتُ إِلَّا الْمُتَوَنُّ عَنْهُ * وَالْمَرْءُ لَا يَدْفَعُ النَّوْنَا
 أَتَرِ عَهْدِي بِهِ صَرِيحاً * لَوْتُ بِالْإِدَاءِ مُسْتَكِينَا
 إِذَا شَكَا غُصَّةً وَكَرْباً * لَأَحْظَ أَوْ رَاجَعَ الْإِنِينَا
 يُدِيرُ فِي رَجْعِهِ لِسَاناً * يَمْنَعُهُ الْمَوْتُ أَنْ يُهِنَا
 يَشْخُصُ طَوْرًا بِنَظَرِيهِ * وَثَارَةً يُطْلِقُ الْجُفُونَا
 ثُمَّ قَضَى نَجَبَهُ وَأَسَى * فِي جَلَّتِ الثَّرَى دَفِينَا
 بَاقِرَ بَرْدِ الثَّرَى بُوْجِيهِ * قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِهِ مَصُونَا
 يَبِيدُ دَارٍ قَرِيبٍ جَارٍ * قَدْ فَارَقَ الْإِلْفَ وَالْمَقَرِينَا
 بَحَى يَا وَاحِدَ الْبَيْتِنَا * فَادْرَنِي مُفْرَدًا حَزِينَا
 هَوْنُ رُزْئِي بِكَ الزَّيَا * عَلَى فِي النَّاسِ أَجْمِينَا
 أَلَيْتُ أُنْسَاكَ مَا تَجَمَّلُ * صَبْحُ نَهَارٍ لَمْ تُصْجِبْنَا^(١)
 وَمَا دُمَا طَلْتُ هَدِيلاً * وَرَجَعْتُ وَاللَّهِ حَبِينَا
 تَصَرَّفَ الدَّمْعُ بِي صُرُوفًا * وَعَادَ لِي شَأْنُهُ سُؤُونَا
 وَحَزَنِي أَلَمَ بِلِ بَرَاهِ * وَأَجَنْتُ مِنْ طَلْحَى قُتُونَا
 أَصَابَ مَنَى صَمِيمَ قَلْبِي * وَخِفْتُ أَنْ يَقْطَعَ الْوَيْتِنَا
 وَالْمَرْءُ رَهْنٌ بِحَالِيهِ * فَسِنَّةٌ مَرَّةً وَلِينَا

(١) كَذَا فِي الْبَيَّوَانِ . وَفِي الْأَصْلِ : "نَسَمَ هَارَ" .

ومما قيل في شواذ المراتي :

من ذلك ما قالته جلييلة بنت مرة أخت جساس زوج كليب لما قتل أخوها جساس زوجها كلييا ، وكان نساء الحى لما اجتمعن لآلهم قلن لأخت كليب : رحل جلييلة عنك فإن قيامها فيه شناعة وطار علينا عند العرب ، فقالت لها : أخرجى عن مآمتنا ، فانت أخت واترنا وشقيقة قاتلنا ، فخرجت وهى تجز أعطافها ، ففجعا أبوها مرة فقال لها : ما ورايك يا جلييلة ؟ فقالت : تكمل المدة ، وحنن الأبد ، وفقد حليل ، وقتل أخ من قليل ، وبين ذلك غرس الأحقاد ، ونفت الأجداد . فقال لها : أويكف ذلك كرم الصنع وإعلاء الديات ؟ فقالت جلييلة : أمانة خدوع ورب الكعبة ، اباليذن تدع لك وأمل دم ربها ! قال : ولما رحلت جلييلة قالت أخت كليب : رحلة المعنى وفراق الشامت ! ويل [عدا] لآل مرة ، من الكرة بعد الكرة ! وطلع قولها جلييلة فقالت : وكيف تشمت الحزاة بهتك سترها وترقب وتروها ! [أسعد الله أختي ، ألا قالت : نفرة الحياء وخوف الأعداء] ثم أنشأت تقول :

يأبنة الأقوام إن لميت فلا * تتجلى باللوم حتى تسالى
وإذا أنت تبيت الذى * يوجب اللوم فلوهم وأطلى
إن تكى أخت امرئ يمت على * جرع منها طيه فانصل
جل عندى فعل جساس فيا * حمرنا عما أبجلت أو تبجل
فعل جساس على حنى به * فاطع ظهري ومدين أبجل

(١) كذا فى الكامل لابن الأثير (ج ١ ص ٢١٦ طبعه بلاق) ٠ وفى الأصل : « وبين دنانير :

مرس الأحقاد ... » (٢) فى الكامل لابن الأثير : « تدع لك تغلب ... » ٢٠

(٣) زيادة من الكامل لابن الأثير .

لو بين قفت عين سوى * أختها وأنفقات لم أحفل
 تحمل العين قذى العين كما * تحمل الأم أدى ما نفتلى^(٢١)
 إننى قاتلة مقتولة * فعمل الله أن يراح لى
 يا قتيلاً قوض الدهر به * سقف يلقى جميعاً من علي^(٢٢)
 ورماني فقدم من كتب * رمية المصمى به المستاصل^(٢٣)
 هدم البيت الذى استحدثته * وبدأ فى هدم بيتي الأول^(٢٤)
 يا نساءي دونكن اليوم قد * خصى الدهر برزى مفضل
 مسنى فقد كليب بقللى * من ورائى ولظى مستقلى
 ليس من يىكى ليومين كن * إنما يىكى ليوم يجلى
 ذرك النائر شافيه وفى * دوكى نارى تكل المثل^(٢٥)
 ليه كان دمي فاحتلبوا * درراً منه دما من التحلى

ولما مات معاوية بن أبي سفيان أجمع الناس بباب يزيد فلم يقدروا على الجمع
 بين التهنئة والتعزية، حتى أتى عبد الله بن همام فقال : يا أمير المؤمنين، أجزل الله
 أجرك على الرزية . وبارك لك فى العطية، وأعانك على الرعية؛ فقد رزئت عطياً،
 وأعطيت جسيماً؛ فأشكر الله على ما أعطيت، وأصبر على ما رزيت، فقد فقدت
 خليفة الله، وأعطيت خلافة الله؛ ففارقت جليلاً، وأعطيت جريلاً؛ إذ قضى
 معاوية نجه؛ ووليت الرئاسة، وأعطيت السياسة؛ فأورده الله موارد السرور،
 ووقفك فى جميع الأمور :

(٢١)

(١) فى رواية أخرى أشار إليها هاشم الأصل : « عيت عين سوى » .

(٢) اقل الصبي : رماه . (٣) فى رواية أشير إليها فى هاشم الأصل : « ورماني قتله » .

(٤) فى مكامل لار الأثير (ج ١ ص ٣٨٩ طبع أوروبا) : « ورائى فى هدم ... » .

(٥) فى الكامل لابر الأثير : « يشى المدرك بالثأروى ... » .

فاشكر يزيد فقد فارقت ذا مِيقَةٍ • واشكر حِباءَ الذي بالملك حَبَابِكَا^(١)

[أصبحت تملك هذا الخلق كُلَّهُمْ • فانت ترعاهمُ والله يراك]^(٢)

لأَرْزُهُ أعظمُ في الأقوامِ قد علموا • مما رُزِيتَ، ولا عُقْبِي كعُقْبَاكَ

وفي معاوية الباقي لنا خَلَفَ • إذا نُعِيتَ ولا نَسْمَعُ بِنَعْمَاكَ

• ففتح للناس باب الرثاء وجرأوا على منواله .

وقال أبو نُوَاسٍ الحسن بن هانئ يمزى الفضل بن الربيع عن الرشيد

ويهنئه بالأمين :

تَفَرَّأَ مَا الْعَبَاسُ عَنْ خَيْرِ هَالِكٍ • بِأَكْرَمِ مَنْ كَانَ أَوْ هُوَ كَانُ

حَوَادِثُ أَيَّامٍ تَدُورُ صُرُوفُهَا • لَهْنُ مَسَاوِي مَرَّةٍ وَمَحَاسِنُ

وَقَوْلِي بِالْمَيْتِ الَّذِي غَيَّبَ الثَّرَى • فَلَا أَنْتَ مَقْبُورٌ وَلَا الْمَوْتُ عَايُنُ

وقال أبو تمام يرثي المعتصم ويهنيء الواقف :

مَا لِلدُّمُوعِ تَرُومَ كُلِّ مَرَامٍ • وَالْخَفِيِّ ثَاكِلَ تَهْمَةٍ وَمَنَامٍ

يَا حُمْرَةَ الْمَعْصُومِ تَرِيكِ مُودَعٍ • مَا الْحَيَاةِ وَقَاتِلَ الْإِعْدَامِ

إِذَا الصَّفَاحُ مِمَّاكَ قَدْ نُضِضَتْ عَلَى • مَلَقَ عِطَامٍ لَوْ عَلِمَتْ عِطَامِ

فَتَقِ انْدِمَاعَ أَنْ لِحْدِكَ حَلَّةٍ • سَكُنُ الرِّمَانِ وَتُمَسَّتِ الْأَيَّامُ

وَمَصْرُوفٌ لِمَلِكِ الْجَمُوحِ كَأَنَّهُ • قَدْ رُمَ مُضْعَبُهُ لَهُ زِيَامُ

هَدَمْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ أَرْبَعَ حَالِيطٍ • ضَرِبْتَ دَعَانَتَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ

دَخَلْتَ عَلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ رُوقَهُ • وَنَسَرْتَ لِمُقْسُومِ الْقُؤُومِ

(١) رواية الكامل لهرود : (ص ٧٨٥ طبع ليبرج سنة ١٨٦٤) :

أصبر يزيد فقد فارقت ذا مِيقَةٍ • وأشكر حِباءَ الذي بالملك حَبَابِكَا

(٢) : بإدانة من الكامل .

مفتاح كل مدينة قد أنبئت * فلما ومضى ككل دار مقام
ومررت الخلفاء أن حظوظها * في حيز الإمبراج والإجماع
أخذ الخلافة عن أيسرته التي * منعت حى الآباء والأعمام
فسورة الأنفال في ميراثه * آثارها ولسورة الأعمام
ما دام هارون الخليفة فالمدى * في غبطة موصولة بدوام
لأننا وحلنا واهين بوائقي * بالله شمس صمى وبدر تمام
له أئ حياة أنبئت لنا * يوم الخميس وبعد أى حمام
أودى بخير إمام اضطربت به * شعب الرجال وقام خير إمام
تلك الزبنة لا رزية مثلها * والقسم ليس كسائر الأقسام

جاء منها :

نقض كرجع الطرف قد أبرته * يابن الخلاف أيا إبرام
ما إن رأى الأقوام شمساً قبلها * أقلت فلم تبعهم بسلام
أكرم يسومهم الذى ملكهم * فى صدره وبماهم من عام
ثم أخذ فى مدح الواثق .

وفى هذه الواقعة يقول ابن الزيات :

قد قلت إذ غيورك واصطفقت * عليك أيد بالترب والطين
إذهب فتم المعين كنت على الدنيا ونعم الظهير للدين
لن يجبر الله أمة قصدت * مثلك إلا بمثل هارون

ومن أشد الرثاء صعوبة على الشاعر وأضيقه مجالاً أن يرى امرأة أو طفلاً .

وقد أخذ على المتنبي فى قوله يرى أم سيف الدولة بن حمدان :

سلام الله خالقنا حنوط * على الوجه المكفن بالجمال

وقالوا : ماله ولهذا العجز يصف جمالها ! ويخبره صاحب بن عبد في قوله فيها :

رواق المز فوقك مُسَبَّرٌ * ومُلكٌ على أبنيك في كَلال

قال أبو الحسن علي بن رَشِيق الأزدى في كتابه المترجم بالعمدة والأمان^(١) أيضا : أشد ما جئ هذه النقلة وجعلها مقام قصيدة من المجاء أنه قرنها "فوقك" بقاء عملا تاما لم يبق فيه إلا الإنشاء . وإن يكن المتنبي أخطأ في هذا فقد أجلد في غيره؛ والفاضل من عنت سقطاته ، وحفظت حقواته وقائمه ؛ وأنظر إلى قوله في أخت سيف الدولة :

يا أخت خير أريج يا بنت خير أب * كناية بهما عن أشرف النسب
أجل قدورك أن تدعى مؤنثة * ومن يصفك قد سمالك للعراب

وقوله أيضا :

ولو كان النساء كن فقدنا * لفضلت النساء على الرجال
مضى الأمراء حولها حقة * كأن المرو من زف الرجال^(٢)

ومن جيد ما روي النساء به وأشد تأثيراً في القلب وإثارة للهمز قول ابن عبد الملك ابن الزيات في أم ولده :

ألا من رأى الطفل المفارق أمه * بعيد الكرى عيابه بتدراين
رأى كل أم وأبتها غير أمه * بيتان تحت الليل يتجيان
وبات وحيداً في الفراش تحته * بلا بل قلب دائم الحفان

(١٩٩)

(١) لم يذكر أبو العرج والسجق التي تحت أيديا من كتابه الأمان شيئا عن الحب مع أنه كان من

معاشره . (٢) الأوف : ديش العام . والزال : جمع زال ، ومعرويه العام .

ومنها بعد أبيات .

ألا إنَّ سَجَلًا واحدًا قد أرقته * من الدمع أو سَجَلين قد شَفَيَانِي
فلا تَلَحِيانِي إنَّ بَكَيْتُ فَوَيْعًا * أَدَاوِي بِهِذَا الدَّمْعَ مَا تَرَيَانِ
وإنَّ مَكَانًا فِي التَّرَى خُطَّ لِحْدُهُ * لِمَن كَانَ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ
أَحَقُّ مَكَانٍ بِالزَّيَارَةِ وَالْمَسْوَى ، * فَهَلْ أَنْتُمَا إِنْ عَجَّتْ مَشْطَرَانِ؟
فَهَبْنِي عَزَمْتُ الصَّبْرَ عَنْهَا لِأَخِي * جَلِيدٌ فَمَنْ بِالصَّبْرِ لَابْنُ ثَمَانٍ
ضَعِيفُ الْقُوَى لَا يَعْرِفُ الْأَجْرَ حِسْبَةً * وَلَا يَأْتِيهِ بِالنَّاسِ فِي الْحَدَثَانِ
أَلَا مَنْ أَمْنِيهِ الْمَتَى وَأَعِدُّهُ * لَعَنَةُ أَيَّامٍ وَصَرَفَ زَمَانٍ
أَلَا مَنْ إِذَا مَا جِئْتُ أَكْرَمَ مَجْلِسِي * وَإِنْ عَبْتُ عَنْهُ حَاطَتْنِي وَرَعَانِي
فَلَمْ أَرَ كَالْأَقْدَارِ كَيْفَ تُصَيِّفُنِي * وَلَا مِثْلَ هَذَا الدَّهْرِ كَيْفَ رَمَانِي
وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ يَرَى جَارِيَةَ لَهُ :

أَلَمْ تَرَنِي خَلَيْتُ عَيْنِي وَشَانَهَا * وَلَمْ أَحْفِلِ الدُّنْيَا وَلَا حَدَثَانَهَا
لَقَدْ خَوَّفَتْنِي النَّائِبَاتُ صَرَوَقَهَا * وَلَوْ أَمْتَنَنْتَنِي مَا قِيلَتْ أَمَانَهَا
وَكَيْفَ عَلَى نَارِ اللَّيَالِي مُعْرِمِي * إِذَا كَانَ شَيْبُ الْعَارِضِينَ دُحَانَهَا
أُصِيبْتُ بِخَوْدٍ سَوْفٍ أَغْبُرُ بَعْدَهَا * حَلِيفَ أَسَى أَبِيكَ زَمَانِي زَمَانَهَا
عِنَانٌ مِنَ اللَّذَاتِ قَدْ كَانَ فِي يَدِي * فَلَمَّا مَضَى الْإِلْفُ اسْتَرَدَّتْ عَيْنَانَهَا
مَنْحَتُ الدَّمْعِ هَجْرِي فَلَا مُحْسِنَانَهَا * أَوْدُ وَلَا يَهْوَى فَوَادِي حِسَانَهَا
يَقُولُونَ: هَلْ يَبْكِي الْفَقِي لِحَرِيدَةٍ * مَتَى مَا أَرَادَ اعْتَاضَ عَشْرًا مَكَانَهَا!
وَهَلْ يَسْتَعِضُّ الْمَرْءُ مِنْ تَحَسُّسِ كَفِّهِ * وَلَوْ صَاغَ مِنْ حُرِّ الْجَلْبَيْنِ بَنَانَهَا!
وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ كُشَّاجِمُ يَعْزَى بِأَبْنَةِ :

نَاسٍ يَا أَبَا بَكْرٍ * لَمَوْتُ الْحُرَّةِ الْبَكْرِ

فقد زوّجتها القبر • وما كالتبر من صبر
وعوضت بها الأجر • وما كالأجر من مهر
زفأف أهديت فيه • من الحذر إلى القبر
فأف أسبح الله • عليها أفضل السّير
ورزء أشبه النعم • في الموضع والقدير
وقد يُختار في المكرو • وللره وما يدرى
فقابل نعمة الله • وما أولاك من شكر
وعزّ النفس عما فا • ت بالتسليم والصبر

وقال أبو مروان بن أبي الحصل الأندلسي في مثل ذلك :

(١٧)

ألا ياموت كنت بنا رموفا • بفلدت الحياة لنا بزورة
جيدت لفعلك المأثور لما • كفيت مؤونة وستر عوره
فانكحنا الضريح بغير مهر • وجهزنا الفتاة بغير شوره

١٠

وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي في ابنين لعبده بن طاهر ماتا صغيرين

في يوم واحد من قصيدة :

بحمان شاء الله ألا يطلما • إلا أرتداد الطّرف حتى يافلا
إن العجيمة بالرياض نواضرا • لأجل منها بالرياض ذوايلا
لو يفسان لكان هذا غاربا • للكرّمات وكان هذا كاهلا
فكفى على تلك الشواهد فيهما • لو أمهلت حتى تكون شمائل
لقدما سكونهما حجا وصباها • حلتا وتلك الأريحية نائل
إنّ الهلال إذا رأيت نموه • أيقنت أن سيكون بدرّا كاملا

١٥

٢٠

وقال أبو الحسن الأنباري في محمد بن بقية وزير عزة الدولة بختيار بن معز الدولة
أبن بويه لما صلبه عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه عند خلع بختيار، وهي
من نوادر المرائي :

- طُلُو في الحياة وفي الممات * لحق أنت إحدى المعجزات
كان الناس حواك حين قاموا * وفودُ تلك أيام الصَّلَاتِ
كانت قائم فيهم خليفا * وكلُّهم قيام للصَّلَاة
مددت يديك نحوهم جميعا * كدَّهما إليهم بالهبات
ولما ضاق بطن الأرض عن أن * يضمَّ علَّاك من بعد الممات
أصاروا الجوق برك وأسناوا * عن الأكفان ثوب السافيات
لُعظمتك في الغوس بقيت تُرعى * بحُواس وحُفاظ تحيات
وتشعل عندك الثيران ليلًا * كذلك كنت أيام الحياة
ولم أَر قبل جُذعت قط جذعا * تمكَّن من عناق المكرمات
ركبت مطية من قبل زيد * علاها في السنين الذاهبات

أشار في هذا البيت إلى زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب لما قُتل وصُلب

- في أيام هشام بن عبد الملك .

- ومما يدخل في هذا الباب ويتحقق به ما بطرا من الحوادث التي تم بها
البلية، وتشمل بسببها الرزية، كاستيلاء أهل الكفر على بلد من بلاد الإسلام،
وهزيمتهم لجيشه الأمام؛ فمن ذلك ما كتب به القاضي العاضل عبد الرحيم الياساني
إلى الأمير عز الدين سامة لما استعاد الفرينج - خنظم الله تعالى - مدينة بيروت :
ابتدا كتابه بأن قال بعد البسملة : قال الله سبحانه في كتابه العزيز سُلياً نبيه الكريم

(١) كما بالأمل . وفي إحدى النسخ : "انصا" وهو محرف عن "احضاه" .

صلى الله عليه وسلم : (وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ) ، فإذا كان من الناس من خان الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فكيف لا يخون الناس الناس ! وأين الموفون بهمهم إذا عاهدوا والصابرون في البأساء والضراء وحين الباس :

وقد كانوا إذا عُلُوا قليلاً • فقد صاروا أَقْلَ من القليل

والمولى — أعرّاه الله بنصره ، وعوّضه أحسن العوّض من أجره ، وكتب له

ثواب تسليمه إليه وصبره — ليس بأقل من وثق بمن خان ، وقضية يروى بأقل

مقدور قال الله له : كن فكان ؛ والقدر السابق لا يدغمه الهم اللاحق ، ومن

التجّلات المستعارة تجلّة الوائق ، والموثوق به لا يثق به الخجل الصادق ، ومعاذ الله

أن يتكس المجلس رأسه حياء ، أو أن يسخطه قضاء ؛ أو أن يأسف على مال

قله من مودعه الذى لا يؤمن من الآفات عليه ، إلى مودّع الله الذى يحفظه إلى

أن يأتيه به أحوج ما كان إليه ؛ والحمد لله الذى جعل مصائبنا فى الدنيا فوائدا

فى الآخرة ، ثم الحمد لله الذى جعل البادرة للعدوان والعاقبة للتقوى . وقد علم

الله أنى مقاصبه ومساخيه ، ومضير من الهم بما أتقى من هذا المقدور ما مقتدره

طاله ؛ غير أنه لا حيلة لمن لا حيلة له إلا الصبر ، وإن صبر جرى عليه القدر

وجرى له الأجر ، وإن لم يصبر جرى عليه القدر وكُتب عليه الوزر ؛ وكل ما ذهب

من صاحبه قبل أن يذهب صاحبه فقد أنعم الله عليه ، حيث أخرج ما فى يديه

وأبقى يديه ؛ والمال غاد ورائح ، والمال بالحقيقة هو العمل الصالح ، وإن أجمع

موصلا بمحضته فهو يُنبئ ما عندى ، ويُؤدّى حقيقة وذى ، ورأيه الموثّق .

وقال أبو المظفر الأبيوردى^(١) لما استولى الفيرنج على البيت المقدس فى سنة اثنتين

وتسعين وأربعمائة قصيدة منها :

(١) وتب هذه الأبيات أيضا فى النجم الزاهرة (ج ٥ ص ١٥١ طبع دار الكتب المصرية)

لقاضى زين الدين أبى سعد الهروى .

مَرْجَا دَمَاءَ الْمَسُوحِ السَّوَابِجِ • فَلَمْ يَبْقَ مِنَّا عُرْضَةٌ لِقَوَائِمِ
وَشَرِّ سِلَاحِ الْمَرْءِ دَمْعُ يَخِضُّهُ • لَمَّا الْحَرْبُ شَبَتْ نَارُهَا بِالصَّوَارِمِ
فَلَيْهَا بَنَى الْإِسْلَامُ ! إِنْ وَرَاءَكُمْ • وَقَاتِلْ يُلْحِقَنَّ الدَّرَى بِالْمُنَاسِمِ
أَتَهْوِيَةٌ فِي ظِلِّ أَمْنٍ وَغِبْطَةٍ • وَصَيْتُ كُتُوَارَ الْخَيْلِ نَاعِمِ !
وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ مِلَّةً جُفُونَهَا • عَلَى هَبَّاتٍ أَبْقَضَتْ كُلَّ نَائِمِ
وَإِخْوَانَكُمْ بِالنَّامِ يُضْحِي يَقِيلُهُمْ • ظُهُورَ الْمَذَاكِ أَوْ بَطُونَ الْقَشَائِمِ
يَسُومُهُمُ الرُّومُ الْهَوَانِ وَأَتَمُّ • تَجْرُونَ ذَيْلَ الْخَفِيزِ فَعَلَّ الْمَسَالِمِ
وَكَمْ مِنْ دَمَاءٍ قَدْ أُيْحِتْ ، وَمِنْ دُمَى • تَوَارَى حَيَاءً حُسْنَهَا بِالْعَاصِمِ
بَحِثَ السُّيُوفِ الْيَخْضُ عُمُرَةُ الظُّلَى • وَتُسَمَّرُ الْعَوَالِي دَامِيَاتُ اللَّهَائِمِ
وَبَيْنَ اخْتِلَاسِ الْعَطِينِ وَالْمَرْبُوقَةِ • تَنْظُلُ لَهَا الْوِلْدَانُ شَبَابُ الْقَوَادِمِ
وَتِلْكَ حُرُوبٌ مِّنْ يَغِيبُ عَنْ غَمَارِهَا • لَيْسَلَمْ يَقَرَّعَ بَعْدَهَا سِنَّ نَادِمِ
سَلَّانَ بَأْيَدِي الْمُسْلِمِينَ قَوَاضِيًا • سَتَعْمَدُ مِنْهُمْ فِي الْعُلَى وَالْجَاهِجِ
يَكْلُؤُ بَهَنَ الْمُسْتَجِنِّ بَطْنِيَّةً • يَنَادِي بِأَعْلَى الصَّوْتِ : يَا آلَ هَاشِمِ
أَرَى أَمْتِي لَا يَشْرَعُونَ إِلَى الْعِدَا • رَمَاحَهُمْ وَالْدِّينُ وَاهِي الدَّمَامِ
وَيَحْتَنِبُونَ النَّارَ خَوْفًا مِنَ الْعِدَا • وَلَا يَحْسِبُونَ الْعَارَ ضَرَّةً لَارِمِ
أَتَرْضَى صُنَادِيدُ الْأَعْدَائِبِ بِالْأَذَى • وَتَقْضِي عَلَى ذُلِّ نُجَاةِ الْأَهَاجِمِ !
فَلَيْتَهُمْ إِذْ لَمْ يَلُودُوا حِمِيَّةً • عَنِ الدِّينِ ضُنُوءًا غَيْرَةً بِالْمَحَارِمِ
وَلَا زَهْدًا فِي الْأَجْرِ إِذْ حَيَّيَ الْوَعَى • فَهَلَا أَتَوْهُ رَغْبَةً فِي الْمَغَانِمِ !

(١٥)

(١) في الأصل : "بحس" ولعلها محرفة عن "حس" بالخاء المعجمة المهملة وهو (التخفيف والتشديد) بحس اشتداد الأمر وكس طرام النار، وهي رواية ابن الأثير. وما أتينا به رواية النعم الزاهرة لابن قنبر يرى .

لئن أذعنت تلك الخياشيم للثرى * فلا عطسوا إلا بأجدع راغم
دعوناكم والحرب تروى ملحمة * إلينا بالحافظ النور الشعاع
تراب فينا غارة صريّة * تطيل عليها الروم عصف الأباهم
وان أتم لم تنضبوا عند هذه * ومننا إلى أعدائنا بالجرائم
وقال علاء الدين على الأوتارى الممشق في مثل ذلك لما استولى التار على
دمشق في سنة تسع وتسعين وسبعمائة :

لك علم بما جرى يا شهدي * من جفوني على اعتقاد رقادى
لم أجد عند شدتي مؤنساً لى * غير شهدي ملازماً لسوادى
وحبيب العين الرقاد جفاها * مذراها خليفة الأنكاد
أحسن الله يا ممشق عزلك * في معانيك يا عماد البلاد
وبرئتاق نيريك مع الميزة * مع روثي بذاك الوادى
وبأس بلباسيون ونايس * أصبحوا مقبلاً لأهل الفساد
طرقهم حوادث الدهر بالقت * يل ونهب الأسوال والأولاد
وبنات محجبات عن الشم * يس تنامت بين أيدي الأعداى
وقصور مشيدات تحققت * فى ذراها الأيام كالأعياد
وبيوت فيها القلاوة والذكر * روعالى الحديث بالإسار
حرقوها وعزبوها وبادت * بغضاء الإله رب المباد
وكذا شارع الفينة والقص * روشاغورها وفك النادى
أصبحوا اليوم مثل أسن قصى * وبكتهم سماؤهم والفوايدى
ولكم سورها حوى من متى * مقريح القلب والحشى والفؤاد
إن بكى لا يفيد له أو تسكى * وجد المشتكى حليف شهاد

١٠

١٥

٢٠

يشتكي فوق ما أشتكاه بأضما • في فيكدوههم في أزدباد
 فالغلا والجللا مع الجروع والعر • ي ونهب الأفوات والأزواد
 والحصار الشديد والحس وانلحو • ف مع السادة العروة المكادى^(١)
 وبوزن الأموال من غير وئيد • بأعصاف النعم^(٢) الغلاظ الشداد^(٣)
 كثر ألقا كثر خوار أنت ياغيه • لمحدود غزان قاتن البلاد^(٤)
 يا ترى هل لكربا من مجير • أم للشديد أسرنا من مقادى
 لمف نفسي على جيوش تولت • ثم ولت جريمة الأكباد
 كل نذب غضب يمي كي • أجمد أصيد شجاع جواد
 إن سطا في هبانه كان بحرا • أو سطا خلته من الأساد
 أو بدنا حاملا تحمل عتريا • أو فدا سابق الجواد فسادى
 إن أناني مهتر للقاسم • حاز روى ومهجن وقبداى
 وليت التراب شكرا وعطر • ت خلوى على بلوغ مرادى
 لست أرجو غير البشر شفيعا • عند ربى في المن بالإنجداى
 فهو الصادق الذى وعد الديد • بن بنصر جار على الالباد
 غير أن الفساد يكسب دلا • ويعنى الفساد طروق السدادى
 وأرتكاب الفساد يورث قرا • ونحرب البيوت عني الفساد
 يا حبيب الإله لا تقهلى • عن عصاة غمرتهم بالإيادى

(١١٥)

(١) المكادى : جمع "مكى" اسم مفعول من كداه بمعنى حسه . (٢) النعم : جمع أعم

وهو لا يفتح . (٣) عرضا هذا البيت على العالم الجليل موسى امدى حار الله ريل العاهرة

الآن نشره بما أتى : كثر : هات . ألقا : القود . كير حوار : كافر حقير غير ثنائى . ياغيه :

السفالباحى . قاتن : كير الموك . ومى البيت : هات أيها الكافر الحقير المراح أنت عدو لنا الآن

(حافان) البلاد محمود عازان . وهذا البيت لا تنقأ أرواحه مع الصاعيل الشريرة .

يا حبيبَ الإلهِ قد مسنا الضرُّ * فخذُ بالإسعافِ والإسعادِ
يا حبيبَ الإلهِ تَبْنَا إِلَى اللَّهِ * وَأَنْتَ الْعِمَادُ حَقَّ الْمَعَادِ
مَنْ لَأَسْرَى كَسْرَى حَيَارَى دَهْتَهُمْ * دَهْتَهُمْ جِيَادُ أَهْلِ الْعِنَادِ
وَاضِعُ اللَّقَطِ فِي الْحَسَابِ عَنَاهُ * - لَوْ يَعِشُ - حَصْرُ كَثْرَةِ الْأَعْدَادِ
مَنْهُمْ الطُّفْلُ وَالصَّبِيَّةُ وَالشَّابُّ يُنَادِي، فَمَنْ يَجِيبُ الْمُنَادِي !
وَيُنَادِي عَلَيْهِمْ بِرَغِيفٍ * وَبِزُرٍّ بِخَسِّ بِسُوقِ الْكِنَادِ
عُوضُوا عَنْ سُرُورِهِمْ بِغُرُورٍ * وَقَصُورِ الْبِلَادِ مُكْنَى الْبَوَادِي
وَأَهْلُ الْوُدَادِ شَرُّ أَنْاسٍ * وَبِلَيْنِ الْمِهَادِ شَوْكُ الْقَنَادِ
أَيُّ عَيْنٍ عَلَيْهِمْ لَيْسَ تَبْكِي * أَيُّ قَلْبٍ عَلَيْهِمْ غَيْرُ صَادِي !
وَلَأَنْتَ الرَّحِيمُ قَلْبًا وَلُبًّا * وَلَأَنْتَ الْهَادِي لِسَبُلِ الرَّشَادِ
وَلَأَنْتَ الْبَدِيعُ خَلْقًا وَخُلُقًا * وَلَأَنْتَ السَّمِيعُ لِلْإِنْسَادِ
وَلَأَنْتَ الطَّرَارُ فِي كُلِّ مَعْنَى * وَلَسِيفُ الْمَقَالِ شَبَهُ التَّجَادِ
وَلَأَنْتَ الْخَلَاوِي فُتُونٌ صِفَاتٍ * دُونَ حَصِيرِهَا قَنَاءُ الْمِدَادِ
وَلَأَنْتَ الْمَدْحُودُ مِنْ فَوْقِ عَرِشٍ * بَعْدُ مَاذَا يَقُولُ قُسُ الْإِيَادِي
جُلُّ قَصِيدِ الْقَصِيحِ بِالنِّظْمِ مَعْنَى * نَسْرُ فَضْلِ الْمَدْحِ بَيْنَ الْعِبَادِ
فَإِذَا كَانَ مُنْثَى الْمَدِيحِ رَبِّي * عَادَ مَدْحُ الْقَصِيحِ جَمَعَ سَوَادِ
فَعَلَيْكَ الصَّلَاةُ يَرْجُوهَا الْأُمَمُ * مَنْ عَلَى مَنْ سَازِلُ الْأَنْكَادِ

وحيث آتيتها من المرائي والتواذب إلى هذه الغاية، فلندكر نبذة من الزهد

والتوكل .

الباب الثالث

من القمم الرابع من الفن الثاني في الزهد والتوكل

- وهذا الباب - وثقتنا الله وإياك لقصدنا، وألممنا سلوك سبيل رشدنا؛
 وأستمعنا من مراضيه، وجتنبنا عن الالتفات بالقول والفعل إلى معاصيه - من
 هذا الفن هو واسطة عقده، وعضد زنده، وقائم مرهقه وحد قيرنده؛ ومثبا سئانه،
 ومثقي عتاله، وإنسان حذقته، وحذقة إنسانه؛ وكيف لا وهو للنفس ذبة تاجها،
 وطبيب علاجها، وواضح منهاجها؛ ودليها المرشد إذا ضل الدليل، ومُنْجِها من
 المحول الأعظم إذا فر المرء من الأخ والأثم والأب والأبن والصاحبة والخليل . فأمله
 أيها المطالع بين قلبك قبل ناظرِكَ، وأتخذ من أحسن جُنتِكَ وأعدَّ مُدَدِكَ وأنفس
 ذخائرِكَ؛ ورُضَّ به نفسِكَ إذا بَحِثَ، وسَكُنَّ به آمالك إذا مالت إلى المطامع
 وجَنَحَتْ . وأعلم أن الدنيا ظلُّ زائل، وعدوُّ قد نَصَبَ لك الشَّباكَ ومدَّ الحبالَ،
 وأنت لا بدَّ مسئول عما آكسبته منها، فليت شعري ما أعددتَ لجواب المسائل؟
 فهي العدو الذي أشبه بالصادق، والفاذر الماكر الذي ما أخوفني أن مكَّره في
 وبك سَيَحِقُّ . فاقصر على القليل منها، وأعلم أنك سترحل في ضد عنها؛ وأن الموت
 نازلٌ بك فلا ينفعك ما جمعتَ من مال وخول، ولا يصحبك من الدنيا إلا ما قدمتَ
 لآخرتك من صالح العمل؛ وأنت مالك سيقسمه من لعلَّه لا يشكرَكَ عليه، وماذا
 ينفعك شكره أن لو فعل! وغاية ما ينالك من دنياك، وإن بلغتَ منها مُتَاكَ،
 وطال بها مَتَاكَ؛ أن نَتَمِّتَ بزهرتها، وتال من لنتها؛ وقد علمتَ بالمشاهدة من
 حالِك وحال غيرِك ما يؤول أمر مَلَذَّها إليه في العاجل، وما يُتَوَقَّعُ لمن أقصر من
 دنياه عليها في الآجل؛ فالما كل والمُشرب صائران إلى ما عطته وإنما تحصل اللذة

بهما قبل الازدراء ، والمتنكح والمركب فانت وهما في الموت والفناء على سبيل
والملايس فستخلقها الايام بعد الحقة ، والمساكن فستعفى الليالي آثارها ولو بعد مدة .
فاذا علمت أن مال الدنيا إلى الزوال ، وقصاراتها إلى الاستقال ، وملاذها إلى هذه
الغاية ، والعمر فيها وإن طال طالع سريع النهاية ؛ فتقلل منها حسب طاقتك ، وأقتصر
على ما تستد به بعض خلتك وفاقتك ، وأعمل لآخرتك التي لا ينقض أمدها ، ولا يفتق
من النعم الدائم مددها . وقد أمرتك الخير وليتني به لو انثرت ، وأوصحت لك
سبيل الرشاد وليتني به لو مررت .

أمرتك الخير لكن ما انثرت به * وما استقمت فما قولي لك : استقم !
وسأورد إن شاء الله على سمك من هذا الباب ما إن تمسكت به كان سببا
لإرشادك ، وذخيرة تمجدها في يوم معادك .

ذكر بيان حقيقة الزهد

قال الإمام الأوحده العالم زين الدين حجة المتكلمين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد
الغزالي الطوسي رحمه الله تعالى في كتابه المترجم بإحياء علوم الدين : أعلم أن الزهد
في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين . وينظم هذا المقام من علم وحال
وعمل كسائر المقامات ؛ لأن أبواب الإيمان كلها كما قال السلف ترجع إلى عقد وقول
وعمل . وكأن القول لظهوره أقيم مقام الحال ، إذ به يظهر الحال الباطن ، وإلا
فليس القول مرادًا بعينه ؛ وإذا لم يكن صادرا عن حال شئت إسلاما ولم يسم إيمانا .
والعلم هو السبب في الحال يحرى تجرى المثمر ، والعمل يحرى مجرى الثرة .

فأما الحال فنحن بها ما يُسمى زهدا ، وهو عبارة عن أنصراف الرغبة عن الشيء
إلى ما هو خير منه ؛ فكل من عدل عن شيء إلى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فأتما عدل

- عنه لرضيته عنه، وإنما عدل إلى غيره لرضيته فيه . فخاله بالإضافة إلى المعدول عنه يُسمى [زهدا، وبالإضافة إلى المعدول إليه يسمى ^(١)] رغبةً وحبا . فإذا استدعى حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه هو خير من المرغوب عنه . وشرط المرغوب عنه أن يكون هو أيضا مرغوبا فيه بوجه من الوجوه؛ فمن رغب عما ليس مطلوبا في نفسه لا يسمى زاهدا، فترك التراب والحجارة والحشرات لا يسمى زاهدا، لأن ذلك ليس في مظنة الرغبة، وإنما يسمى زاهدا تارك الدرامم والدنانير . وشرط المرغوب فيه أن يكون منه خيرا من المرغوب عنه حتى تطلب هذه الرغبة؛ فالبايع لا يُقِيم على البيع إلا والمُشْتَرَى عنده خيرا من المبيع، فيكون حاله بالإضافة إلى المبيع زهدا فيه، وبالإضافة إلى العوض رغبةً وحبا؛ ولذلك قال الله تعالى : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخِيسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ وشروءه بمعنى باعوه، ووصف إخوة يوسف بالزهد فيه إذ طمعوا أن يخلو لهم وجه أبيهم، وكان ذلك عندهم أحب إليهم من يوسف فباعوه طمعا في العوض . فإذا كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا، وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضا زاهد ولكن في الآخرة؛ ولكن العادة جارئة بتخصيص اسم الزهد بمن زهد في الدنيا؛ كما خصص اسم الإلحاد بمن يميل إلى الباطل خاصة، وإن كان هو الميل في وضع اللسان . قال : ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجملة لم يتصور إلا بالمعدل إلى شيء هو أحب منه، وإلا فترك المحبوب بغير الأحب محال . والذي يرغب عن كل ما سوى الله تعالى حتى الفِرْدَوْس ولا يحب إلا الله تعالى فهو الزاهد المطلق . والذي يرغب عن كل حظ يُنال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك المحظوظ في الآخرة بل طمع في الحُور العين

(١) زيادة عن الإحياء .

(٢) كذا في الإحياء . وفي الأصل : « إليه » .

والتقصير والتفواكه والأنهار فهو أيضا زاهد ولكنه دون الأقل . والذي يترك من
حفظ الدنيا البعض دون البعض ، كالذي يترك المال دون الجاه ، أو يترك
التوسع في الأكل ولا يترك التجميل في الزينة ، فلا يستحق اسم الزهد مطلقا ؛ ودرجته
في الزهاد درجة من يتوب عن بعض المعاصي في الثانيين ، وهو زهد صحيح كما أن
التوبة عن بعض المعاصي صحيحة ؛ فإن التوبة عبارة عن ترك المحظورات ، والزهد
عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ النفس . والمقتصر على ترك المحظورات
لا يسمى زاهدا ، وإن كان زهدا في المحظور وأنصرف عنه ، ولكنه العادة تخصص
هذا الاسم بتارك المباحات . فلذا الزهد عبارة عن رغبة عن الدنيا عدولاً إلى الآخرة
أو عن غير الله عدولاً إلى الله ، وهي الدرجة العليا . وكما يشترط في المرغوب فيه^(١)
أن يكون خيراً عنده ؛ فيشترط في المرغوب عنه أن يكون مقدوراً عليه ، فإن ترك
ما لا يقدر عليه محال ، وباترك يتبين زوال الرغبة ؛ ولذلك قيل لأبى المبارك :
يا زاهد ؛ فقال : الزاهد عمر بن عبد العزيز ، إذ جاءته الدنيا راغمة فتركها ، وأما
أنا فسيم زهدت !



وأما العلم الذي هو المشير لهذا الحال فهو العلم بكون المتروك حقيراً بالإضافة
إلى المأخوذ ، كعلم التاجر بأن اليوض خير من المبيع فيرغب فيه ؛ وما لم يتحقق هذا
العلم لا يتصور أن تزول الرغبة عن المبيع ، فكذلك من عرف أن ما عند الله باق
وأن الآخرة خير وأبقى ، أي لنتها خير في نفسها وأبقى . فبقدر قوة اليقين والمعرفة
بالتفاوت بين الدنيا والآخرة تقوى الرغبة في البيع والمعاملة ؛ حتى إن من قوى يقينه
بيع نفسه وماله ، كما قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ

(١) كما في الإحياء . . في الأصل : « المرغوب إليه » .

- وَأَمَّا أَنْتُمْ يَا نَفْسُ الْبَحِيَّةُ... الآية، ثم يبين أن صفقتهم رابحة فقال تعالى: (فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ) . فليس يحتاج من العلم في الزهد إلا إلى هذا القدر وهو أن الآخرة خير وأبقى ، وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا إنما لضعيف علمه وبقية، وإما لاستيلاء الدنيا والشهوة في الحال عليه ولكونه مقهوراً في يد الشيطان، وإما لاعتباره بمواعيد الشيطان في التسويف يوماً فيوماً إلى أن يختطفه الموت ،
- ولا يبقى معه إلا الحسرة بعد القوت . قال : وإلى تعريف حساسة الدنيا الإشارة بقوله تعالى: (قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا)، وإلى تعريف تقاسة الآخرة الإشارة بقوله عز وجل : (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنِ آمَنَ)، فبني على أن العلم بنفسه هو المرغَّب عن عَوْضه . قال :
- ولم يتصور الزهد إلا بمعاوضة ورغبة عن محبوب في أحب منه قال رجل :
 اللَّهُمَّ ارِنِي الدُّنْيَا كَمَا تَرَاهَا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لَا تَقُلْ هَذَا وَلَكِنْ قُلْ اللَّهُمَّ ارِنِي الدُّنْيَا كَمَا أَرَيْتَهَا الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكَ " . وهذا لأن الله يراها حقيقة كما هي ، وكل مخلوق فهو بالإضافة إلى جلاله حقير، والعبد يراها حقيقة في حق نفسه بالإضافة إلى ما هو خير له ، ولا يتصور أن يرى بائع الفرس وإن رغب عن فرسه كما يرى حشرات الأرض [مثلاً] ، لأنه مستغن عن الحشرات أصلاً وليس مستغنياً عن الفرس ، والله تعالى غني بذاته عن كل ما سواه ، فيرى الكل في درجة واحدة بالإضافة إلى جلاله ، ويراه متفاوتة بالإضافة إلى غيره، والزاهد هو الذي يرى تفاوتها بالإضافة إلى نفسه لا إلى غيره .

(١) كذا في الإحياء . وفي الأصل : "إلى ما هو جرمه" .

(٢) زيادة عن الإحياء .



وأما العمل الصادر عن حال الزهد فهو تركه وأخذ، لأنه بيع ومعاملة واستبدال الذي هو خير بالذي هو أدنى. فكما أن العمل الصادر من عقد البيع هو ترك المبيع وإخراجه عن اليد وأخذ العوض، فكذلك الزهد يوجب ترك المزهود فيه بالكلفة وهي الدنيا بأسرها مع أسبابها ومقدماتها وعلاقاتها، فيُخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات ويُخرج من اليد والعين ما أنجره من القلب، ويُؤتلف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف من الطاعات، وإلا كان كمن سلم المبيع ولم يأخذ الثمن. فإذا وثق شرط الحالين في الأخذ والترك فليست بشر ببيعته الذي باع به، فإن الذي باعه بهذا البيع وثق بالمهد؛ فمن سلم حاضرا في طاب وسلم الحاضر وأخذ يسمى في طلب النائب سلم إليه النائب حين فراقه من سعيه إن كان العاقد من يوثق بصدقه وقدرته ووفائه بالمهد. وما دام تمسكا للدنيا فلا يصح زهده أصلا، ولذلك لم يصف الله تعالى إخوة يوسف بالزهد في بنيامين وإن كانوا قد قالوا: ﴿يُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْمَدُ﴾، وعزموا على إيماده كما عزموا على إبعاد يوسف حتى شفع فيه أحدهم فترك، ولا وصفهم أيضا بالزهد في يوسف عند العزم على إخراجه إلا عند التسليم والبيع. فعلامه الرغبة الإسماك، وعلامة الزهد الإخراج. فإن أخرجت عن اليد بعض الدنيا دون البعض فانت زاهد فيها أخرجت فقط، ولست زاهدا مطلقا؛ وإن لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد، لأن ما لا تقدر عليه لا تقدر على تركه. وربما يستهويك الشيطان بفروره ويحيل إليك أن الدنيا وإن لم تأملك فانت زاهد فيها، فلا ينبغي أن تستلنى بحبل

(١) كذا بالإحياء. وفي الأصل: «هو هذا البيع».

(٢) زيادة من الإحياء.

غروره دون أن تستوثق و^(١) تستظهر بموتى خليط من الله تعالى؛ فألك إذا لم تجرب
حال القدرة فلا تتق بالقدرة على الترك عندها؛ فكم من ظان بنفسه كرامة المعاصي
عند تعديها فلما تسرت له أسبابها من غير مكد ولا خوف من انطلق وقع فيها .
وإذا كان هذا غرور النفس في المحظورات فلا يك أن تتق بوصفها في المباحات .

والموتى الغليظ الذى تأخذه عليها أن تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة، فإذا
وقت بما وصلت على الدوام مع انتفاء الصوارف والأضرار ظاهراً وباطناً فلا بأس
أن تتق بها وثوقاً ما، ولكن تكون من تغييرها على حذر، فإنها سرية التقص للمهد،
قريبة الرجوع إلى مقتضى الطبع . وبالجملة فلا أمان منها إلا عند الترك بالإضافة
إلى ما تركت فقط وذلك عند القدرة . قال: وليس من الزهد بذل المال على سبيل



السعيا والفتوة وعلى سبيل استمالة القلوب ولا على سبيل الطمع، فذلك كله من
محاسن العادات ولا مدخل له في العبادات، إنما الزهد أن ترك الدنيا لعالمك
بحقارتها بالإضافة إلى نفاسة الآخرة. [فأنما كل نوع من الترك فإنه يتصور من
لا يؤمن بالآخرة^(١)] فذلك قد يكون مروة وفتوة ومخاء وحسن خلق، وحسن الذكر
وميل القلوب من حفظ العاجلة، وهى الذ وأهنا من المال؛ بل الزاهد من أنه

الدنيا راغمة عفواً وصقواً وهو قادر على التمتع بها من غير نقصان جاء وقبح أعم
وفوات حظ النفس، فتركها خوفاً من أن يأنس بها فيكون آنسا بغير الله ومحباً لما
سوى الله، ويكون مشركاً في حب الله غير الله؛ أو تركها طمعاً في ثواب آخر فترك
التمتع بأشربة الدنيا طمعاً في أشربة الجنة، وترك التمتع بالسرارى والنسوان طمعاً
في الحور العين، وترك التفرج في البساتين منعماً في بساتين الجنة وأشجارها، وترك
التزيين والتشبه بزينة الدنيا طمعاً في زينة الجنة، وترك المطامع اللذيذة طمعاً

(١) « الإحيا . . . (٢) كذا في الإحيا . . . وفي الأصل : « بموتى عليك » .

في فواكه الجنة وخوفاً من أن يقال له : (أَنْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا) فامر في جميع ذلك ما يُعِدُّ به في الجنة على ما يُعَمَّرُ له في الدنيا حقواً صغواً ، لعلمه بأن ما في الآخرة خير وأبقى ، وما سوى هذه معاملات دُنْيَوِيَّة لا جَلْوَى لها في الآخرة أصلاً . وحيث قلنا هذه المقدمة من أحوال الزهد في الحال والعلم فلنذكر بيان فضيلة الزهد وشم الدنيا .

ذكر فضيلة الزهد وبغض الدنيا

قال الله تعالى : (نَخْرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ . وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَحَمِلَ صَالِحًا) ، فنسب الزهد الى العلماء ووصف أهله بالعلم ، وذلك غاية الثناء . وقال تعالى : (أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا) جاء في التفسير : على الزهد في الدنيا . وقال تعالى : (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّمَن يَنْبُؤُهُمْ إِلَهُهُم أَحْسَنُ عَمَلًا) . قيل : معناه أنهم أزهَد في الدنيا ، فوصف الزهد بأنه من أحسن الأعمال . وقال تعالى : (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ لَا يُزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ) . وقال تعالى : (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعَتْ بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ) ...

الى قوله : (وَرَزَقْنَاكَ مِنْ رَبِّكَ خَيْرًا وَأَبْقَى) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ أَصْبَحَ وَهُوَ الدُّنْيَا شَتَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَفَزَقَ عَلَيْهِ صَبِيغَتَهُ وَجَعَلَ قَرْنَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ وَمَنْ أَصْبَحَ وَهُوَ الْآخِرَةُ جَمْعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرُهُ وَحَفِظَ عَلَيْهِ صَبِيغَتَهُ وَجَعَلَ غَنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَأَنْتَهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ " . وقال صلى الله عليه وسلم : " إِذَا رَأَيْتَ الْعَبْدَ قَدْ أُوتِيَ مُطَقًّا وَزَهْدًا فِي الدُّنْيَا فَأَقْرَبُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يَلْقَى الْحِكْمَةَ " . وقال تعالى : (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) ، ولذلك

(١) الذي في الإحياء : « إذا رأى العبد وقد أحصى ممنا وزهدا في الدنيا فاعرفه بما به يلقى الحكمة » .

- قيل : من زهد في الدنيا أربعين يوماً أجرى الله يتابع الحكمة في قلبه وأطلق بها لسانه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن أردت أن يحبك الله فأزهد في الدنيا " بفعل الزهد سبباً للحبة ؛ فمن أحبه الله فهو في أعلى الدرجات ، فينبغي أن يكون الزهد في أفضل المقامات . ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى : (لَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) وقيل له : ما هذا الشرح ؟ قال : " إن النور إذا دخل القلب أنشرح له الصدر وأتسع " . قيل : يا رسول الله ، هل لذلك من علامة ؟ قال : " تمّ الخلق عن دار الغرور والإمالة إلى دار الخلود والاستعداد لآلوت قبل نزوله " . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " استحيوا من الله حق الحياء " قالوا : إنا نستحي من الله ، فقال : " [ليس كذلك] ^(١) تبون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون " . فبين أن ذلك يناقض الحياء من الله . وقدم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إنا مؤمنون . قال : " وما علامة إيمانكم ؟ " فذكروا الصبر على البلاء ، والشكر على الرخاء ، والرضا بمواقع النقص ، وترك الشهادة بالمصيبة إذا نزلت بالأصلاء . قال : " إن كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تأكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون " ؛ بفعل الزهد تمكلا لإيمانهم . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في أصحابه بإبل عشار حقل وهي الحوامل ، وكانت من أحب أموالهم إليهم وأحبها عندهم ، لأنها تجمع بين اللحم واللبن والوبر والظهور ، فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره . فقيل له : يا رسول الله ، هذه أنفس أموالنا ، لم لا تنظر إليها ؟ فقال : قد نهى الله عن ذلك ، ثم تلا قوله تعالى : (وَلَا تَمْسُدْ عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَّعَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا لِنَفْسِهِمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ

(١٢)

خَيْرَ وَآخِرٍ) . وروى مسروق عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قلت : يا رسول الله ، ألا تستعلم الله فيطعمك ؟ قالت : وبكى لما رأيت به من الجوع . فقال : " يا عائشة والذي نفسي بيده لو سألت ربِّي أن يُجِرِّي معي جبال الدنيا ذهبًا لأجراها حيث شئتُ من الأرض ولكن احترتُ جُوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحرز الدنيا على فرحها يا عائشة إن الدنيا لا تنبئ لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة إن الله لم يرص لأولى العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرص إلا أن يكففى ما كلفهم فقال (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَأُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) والله مالى بد من طاعته وإنى والله لأصبرن كما صبروا جهدى ولا حول ولا قوة إلا بالله " .

- ١٠ وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه حين تُفتح عليه الفتوحات قالت له أخته حفصة : أليس لئن الثياب إذا وقّدت عليك الوفود من الآفاق ، ومُر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضر . فقال : يا حفصة ، أليس تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته ؟ قالت بلى . قال : ناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشع هو ولا أهل بيته غُدوة إلا جاعوا عشية ، ولا شبعوا عشية إلا جاعوا غُدوة ؟ وناشدتك الله ، هل تعلمين أن النبي صلى الله عليه وسلم ليث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشع من القر هو وأهله حتى فتح الله عليه خير ؟ وناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قربتم إليه [يومًا] طعامًا على مائدة فيها أرضاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ثم أمر بالمائدة فرُفعت ووضِع الطعام على دون ذلك أو وُضِع على الأرض ؟ وناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينام على عباءة مثنية فثُبت له ليلة أربع
- ٢٠

- طائفت فام عليها، فلما استعظم ظلم: «مستمون قيام الليلة بهذه العبادة اثنتي عشرة ساعة» ؟ واشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع ثيابه لتفصل فيأتيه ليل فيؤذنه بالصلاة فما يجد ثوباً يخرج به إلى الصلاة حتى يقيف ثيابه فيخرج بها إلى الصلاة ؟ واشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صنعت له امرأة من بني ظفر كلبين إزاراً ورجاءً وبشت إلى به بأحدهما قبل أن يبلغ الآخر، فخرج إلى الصلاة وهو مشتعل به ليس عليه غيره قد فقد طريقه إلى عتقه فصل كذاك ؟ لما زال [يقول] حتى أبكاهما ، وبكى عمر رضي الله عنه وأتعب حتى ظننا أن نفسه ستخرج . وفي بعض الروايات زيادة من قول عمر وهو أنه قال : كان لي صاحبان سلكا طريقاً ، فإن سلكت غير طريقهما سلك بي طريق غير طريقهما ، وإني والله سأصير على عيشهما الشديد لئلا أدرك معهما عيشهما الرغد . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «لقد كان الأنبياء قبل يُنتلى أحدهم بالفقر فلا يلبس إلا العبادة وإن كان أحسنهم ليبتلى بالفضل حتى يقتله القمل وكان ذلك أحب إليهم من العطاء إليكم» . وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين كانت خضرة البقل تربي في بطنه من الخزال» . وفي حديث عمر رضي الله عنه أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «تباً للدنيا ! تباً للدنيا ! تباً للدينار والدرهم !» قلنا : نهانا الله عن كثرة الذهب والفضة فأى شيء ندخر ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : «لِيَتَّخِذَ أَحَدُكُمْ لِسَانًا ذَاكراً وَقَلْبًا شَاكراً وَزَوْجَةً صَالِحَةً تَعِينُهُ عَلَى أَمْرِ آخِرِهِ» . وفي حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : «من أتم

(١١٣)

الدنيا على الآخرة ابتلاه الله تعالى بثلاث : **هـ** : لا يفارق قلبه أبداً وفقره لا يستغنى أبداً
 وحرماً لا يشبع أبداً . وقال صلى الله عليه وسلم : **«** لا يستكمل العبد الإيمان حتى
 يكون ألا يعرف أحب إليه من أن يعرف وحتى تكون قلة الشيء أحب إليه من
 كثرتة **»** . وقال المسيح عليه السلام : الدنيا قطرة فاعبروها ولا تمروها . وقيل
 له : يا نبي الله ، لو أمرتنا أن نبني بيتاً لعبد الله فيه ! قال : انهبوا فأبنوا بيتاً على الماء .
 فقالوا : كيف يستقيم بيتان على الماء ! قال : وكيف تستقيم عبادة مع حب الدنيا !
 وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«** إن ربِّي عَرَضَ عليّ أن يعيّلني بطعام مكة
 ذهباً فقلت لا يا رب ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً فأتانا اليوم الذي أجوع
 فيه فاتضرعُ إليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فاحمدك وأثنى عليك **»** .
 وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : **«** خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات
 يوم يمشي وجبريلُ معه فصعد على الصفا ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : والذي
 بينك والحق ما أمسى لآل محمد كُفٌ سوى ولا سَفَةٌ دقيق . فلم يكن كلامه
 بأسرع من أن يسمع هدة من السماء أفظطته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 أمر الله القيامة أن تقوم ؟ قال : لا ، ولكن هذا لإسرائيل قد نزل إليك حين سمع
 كلامك . فأتاه إسرائيل فقال : إن الله عز وجل سمع ما ذكرت ، فبمضى بمفاتيح
 الأرض وأمرني أن أعرض عليك إن أحببت أن أسير معك جبال تهامة زمرداً
 وياقوتاً وذهباً وفضة فقلت ، وإن شئت نبياً ملكاً وإن شئت نبياً عبداً . فأتاه إليه
 جبريلُ أن تواضع لله . فقال : **«** نبياً عبداً **»** ثلاثاً . وقال صلى الله عليه وسلم : **«** إذا أراد
 الله عبداً خيراً زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعبود نفسه **»** . وقال صلى الله
 عليه وسلم : **«** من أراد أن يؤتيه الله علماً بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا **»** .

(١) كذا في الإحياء ، وفي الأصل : **«** أن تسمع ... **»** .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ومن خاف من النار لمّا عن الشهوات ومن ترّقّب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب » . والأحاديث في ذلك كثيرة وفيما ذكرناه منها كفاية . فلنذكر ما جاء من ذلك في الأثر .

- قيل : جاء في الأثر : لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن العباد ضغط الله ما لم يسألوا ما قص من دنياهم . وفي لفظ آخر : ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم فإذا فعلوا ذلك وقالوا : لا إله إلا الله قال الله تعالى : كذبتم لستم بها صادقين . وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم أنه قال : تابعتنا الأعمال كلها فلم نر في أمر الآخرة أبلغ من زهد الدنيا . وقال بعض الصحابة لصبر التابعين : أتم أكثر أعمالاً وأجتهاداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا خيراً منكم . قيل : ولم ذلك؟ قال : ١٠ كانوا أزهد في الدنيا منكم . وقال عمر رضى الله عنه : الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد . والآثار أيضاً في ذلك كثيرة فلا تطول بسردها .

ذكر بيان ذم الدنيا ومثىء من المواعظ

والرفائق الداخلة في هذا الباب

- ١٥ وقد ورد في كتاب الله عز وجل كثير في ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة؛ وهو أيضاً مقصود الأنبياء ولذلك بُعثوا، فلا حاجة إلى الاستشهاد بالآيات لظهورها . فلنذكر نبذة من الأخبار والآثار الواردة في ذلك، وذلك من جملة ما اختاره الغزالي رحمه الله في كتابه المترجم بإحياء علوم الدين . فمن ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مرّ على شاة ميتة فقال : « أَتَرَوْنَ أَنَّ الشاةَ مَيِّتَةً عَلَى أَهْلِهَا » ؟ قالوا : مِن هَوَاتِهَا عَلَيْهِمُ الْقَوَاهُ . قال : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى ٢٠

الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تبدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء^(١) . وقال صلى الله عليه وسلم : "الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله منها" . وقال صلى الله عليه وسلم : "حُبُّ الدنيا أَسُّ كُلِّ خَاطِئَةٍ" . وقال صلى الله عليه وسلم : "يا عَجَباً كُلُّ السَّجَبِ لِلصَّدَقِ بدار الخلود وهو يسعى لدار القرور" .

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مَرْبَلَةٍ فقال : "هَامُوا إلى الدنيا وأخذ خِرْقاً قد بَلَيْتَ على تلك المَرْبَلَةِ وعظماً قد تَحَرَّتْ فقال هذه الدنيا وهذه إشارة إلى أن زيتها متعلق مثل تلك الحرق، وأن الأجسام التي ترى بها ستصير عظاماً بالية . وقال عيسى بن مريم عليه السلام : لا تَغْتَدُوا الدنيا رِباً فَتَحْذَكم عبيداً، إَكْثَرُوا كَثْرَكم عند من لا يُضِيْعُهُ، فإن صاحب كثر الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كثر الله لا يخاف عليه الآفة . وقال أيضاً : يا معشر الخواريين، إني قد كَبَيْتُ لكم الدنيا على وجهها فلا تُنْجِسُوها بصدى، فإن من خبت الدنيا أن الله حصى فيها، وإن من خبت الدنيا أن الآخرة لا تُدْرِكُ إلا بتركها. أَلَا فَاعْبُرُوا الدنيا ولا تَعْمُرُوها، وأعلموا أن أصلَ كُلِّ خَاطِئَةٍ حُبُّ الدنيا. ورب شهوة أورثت مُرّاً طويلاً . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إن الله جل ثناؤه لم يَخْلُقْ خلقاً أبغضَ إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها" . وقال صلى الله عليه وسلم : "أَلَمْ أَكُنْ أَقُولُ ابْنَ آدَمَ مَالِي مَالِي وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَقْنَيْتَ أَوْ لَيْسَتْ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَبْقَيْتَ!" . وقال صلى الله عليه وسلم : "الدنيا دارٌ من لا دارَ له ومالٌ من لا مالَ له ولها يجمع من لا عقلَ له وعليها يُعَادَى من لا علمَ له وعليها يَحْسُدُ من لا فقهَ له ولها يسعى من لا يقينَ له" . وقال صلى الله عليه

- عليه وسلم : "من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وألزم الله قلبه أربع خصال مما لا ينقطع عنه أبداً وشغلا لا يتفرغ منه أبداً وقرراً لا يبلغ غناه أبداً وملاً لا يبلغ منتهاه أبداً" . وقال أبو هريرة رضي الله عنه : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعاً بما فيها؟" قلت : بلى يا رسول الله . فأخذ بيدي وأنى بي وادياً من أودية المدينة ، فإذا حربة فيها رموس فاس وعذرات ونحر وعظام ، ثم قال : "يا أبا هريرة هذه الرموس كانت تحرس تحرسكم وتأمل آمالك هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رماذا وهذه العذرات هي ألوان أعطمتهم آكسبوها من حيث آكسبوها ثم قذفوها في بطونهم فأصبحت والناس يتحاطونها وهذه الخرق البالية كانت يلبسهم ولباسهم فأصبحت الرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا يتجمعون عليها أطراف البلاد فن كان با كما على الدنيا فليكن" .
- قال : فما برحنا حتى أشتد بكأؤنا . وقال صلى الله عليه وسلم : "الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لا ينظر إليها ويقول يوم القيامة : يا رب اجعلني لأدنى أوليائك نصيباً اليوم فيقول اسكني يا لا شيء إني لم أرضك لهم في الدنيا أأرضاك لهم اليوم؟" وقال صلى الله عليه وسلم : "ليجئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم بحال تامة فيؤمرهم إلى النار" . قالوا : يا رسول الله ، مصلين؟ قال : "نعم [كانوا] يصلون ويصومون يأخذون هنة من الليل فإذا عرض لهم من الدنيا شيء وبوا عليه" . وقال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه : "المؤمن بين محاذين بين أجر من لا يدري ما الله صانعه فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاضيه" .
- ١٠

لهوثة فإك الدنيا خُلِقَتْ لَكُمْ وَأَنْتُمْ خُلِقْتُمْ لِلْآخِرَةِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَسْده ما بعد الموت مُسْتَعْتَب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار .

قال صلى الله عليه وسلم : "احذروا الدنيا فإنها أحمرُّ من هَارُوتَ وَمَارُوتَ" .

وقال عليه السلام لأصحابه : "هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويعمله بصيرا ألا إنه من رغب في الدنيا وطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر أمله فيها أعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية ألا إنه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك إلا بالقتل والتجبر ولا الغنى إلا بالفقر والبخل ولا المحبة إلا باتباع الهوى ألا فن أدرك ذلك الزمان منكم فصبّر للفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر للذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك إلا لوجه الله تعالى أعطاه الله ثواب خمسين صديقا" .



وقال عيسى بن مريم عليه السلام : ويل لصاحب الدنيا ! كيف يموت ويتركها ، ويأمنها وتشره ، ويتق بها وتمنله ، ويل للعترين ! كيف أرثهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون ، وجاههم ما يؤعدون ! ويل لمن الدنيا همه ، والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه ! . وقيل له : علمنا علما واحدا يحبنا الله عليه ، قال : أنقبضوا الدنيا يحبكم الله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثير ولما ات عليكم الدنيا ولا تترحم الآخرة" .

ر ر ر في ذلك ما حكاه داود بن هلال قال : مكتوب في صحف إبراهيم عليه السلام : يا ديا ، ما أهونك على الأبرار الذين تصنعيت وترينيت لهم ! إني قدفت في ، ، بك والصدود عنك ، وما خلقت خلقا أهون على منك ، كل شأنك صغير ، و : "سبرين ، قضيت عليك يوم خلقتك ألا تدعى لأحد ولا يدوم أحد لك

وإن ينزل بك صاحبك وشمعك عليك . طوبى للأبرار الذين أطلقوني من قلوبهم على
الرضا، ومن خفيهم على الصدق والاستقامة ! طوبى لهم ! ما لهم عندى من الخير إذا
وفدوا لى من قبورهم [إلا] التوريسى أمامهم والملائكة حلقون بهم حتى أبلغهم
ما يرغبون من رحمتى .

- وقال عمار بن سعيد : مر عيسى بن مريم عليه السلام بقرية فلذا أهلها موق
في الألفية والطرق ، قال : يا مشتر الحواريين ، إن هؤلاء ماتوا عن نقطة ،
ولو ماتوا عن خير ذلك لتعافوا . قالوا : يا روح الله ، ودينا أنا ملنا خبرهم ، فقال
الله تعالى فإوحى إليه : إنما كان القليل فتأديم يبيوك . فلما كان الليل أشرف على
تشر ، ثم نادى يا أهل القرية ، فاجابه مجيب : ليك يا روح الله . فقال : ما حالكم وما
قصتكم ؟ قال : بنتا في طافية وأصبحتا في الهاوية . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لحبنا
الدنيا وطامعنا أهل المعاصي . قال : وكيف كان حبكم للدنيا ؟ قال : حب الصبي
لأمه ، إذا أقبلت فرح بها ، وإذا أدبرت حزن وبكى عليها . قل : فما بال أصحابك
لا ينجوني ؟ قال : لأنهم ملجعون بجم من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد . قال :
فكيف أجبني من بينهم ؟ قال : لأنى كنت فيهم ولم أكن منهم ، فلما نزل بهم
العذاب أصابني معهم ، فانا معلق على شفير جهنم لا أدري أنجو منها أم أكتب فيها .
• فقال المسيح للحواريين : لا تكل الخبز الشعير بالملح الجريش وليس المسوح والنوم
على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة .

قيل : وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن يا موسى لا تركن إلى
حب الدنيا فلن تأتيك بكيرة هي أشد منها .

(١) زيادة من الإحيا . (ج ٢ ص ١٨٨)

(٢) في الأصل وفي الإحيا : « قالوا » والسياق يقتضى الإفراد .

وقال لُقمان لابنه : يا بُنَيَّ، إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير،
فلكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل، وحشوها بالإيمان بالله تعالى، وشرأعها
التوكل على الله عز وجل، لعلك تنجو وما أراك ناجيا .

وقال بعض الحكماء : إنك لن تُصبح في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهلٌ
قبلك ويكون له أهلٌ بعدك ، وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلةٍ وقَداءُ يوم ، فلا
تهلك في أكلة، وصُم [عن^(١)] الدنيا وأفطر على الآخرة ، وإن رأس مال الدنيا الهوى
ويربِّحها النار .

وقيل لبعضهم : كيف ترى الدهر ؟ قال : يُخلق الأبدان، ويُحدِّد الآمال،
ويُقرِّب المنية، ويبعد الأمنية . قيل : فما حال أهله ؟ قال : من ظفربه تعب،
ومن فاته نصب . وفي ذلك قيل :

وَمَنْ يَحْمِدِ الدُّنْيَا لَعِيشَ يَسْرُهُ . فسوف لعمري عن قريب يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حَمْرَةً * وإن أقبلت كانت كثيراً همومها

وقال بعض الحكماء : كانت الدنيا ولم أكن فيها ، وتذهب الدنيا ولا أكون
فيها، فلا أسكن إليها، فإن عيشها نكد ، وصفوها كدر، وأهلها منها على وجل ،
إنما بنعمة زائلة، أو بلية نازلة، أو منية قاضية .

وقال أبو حازم : إياكم والدنيا، فإنه بلغني أنه يُوقف العبد يوم القيامة إذا
كان مُعظَّمًا للدنيا فيقال : هنا عظم ما حقره الله .

وقال ابن مسعود : ما أصبح أحدٌ من الناس إلا وهو ضيفٌ وماله عارية ،
فالضيف يرتحل والمارية مردودة . وفي ذلك قيل :

وما المسأل والأهلون إلا وديعةٌ * ولا بُدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ

(١١٥)

فبئس القوم أنتم ! ما حققتم إيمانكم بما يُعرف به الإيمان البالغ فيكم . فإن كنتم في شك مما جاء به عهد صلى الله عليه وسلم فاتونا لنبين لكم ولنريك من النور ما تطلعون إليه فلو بكم . والله ما أنتم بالمشقوصة عقولكم فتعذركم ؛ إنكم لتبينون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في أموركم . ما لكم تفرحون بالسير من الدنيا تُصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم ، يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على ألسنتكم ، وتسمونها المصائب وتُقيمون فيها المآثم ، وعاقبتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حال بكم^(١) . إني لأرى الله قد تبرأ منكم . يلقي بعضهم بعضا بالسروء ، وكلهم يكره أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمشله ، فاصطحبهم على النسل^(٢) ، ونبتت مراحيك على الدنن ، وتصافيت على رفض الأجل . ولَوَدِدْتُ أن الله أراخني منكم وألحقني بمن أحب رؤيته ، ولو كان حيا لم يصابركم . فإن كان فيكم خير فقد أسمتكم ؛ وإن تطلبوا ما عند الله تمجدوه يسيرا . والله أسعين على نفسي وعليكم .

وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى :

أما بعد ، فإن الدنيا دار ظن ليست بدار إقامة ، وإنما أنزل آدم عليه السلام من الجنة إليها عقوبة ؛ فأحذرْها يا أمير المؤمنين ؛ فإن الزاد منها تركها ، والغنى منها فقرها ؛ لها في كل حين قتل ؛ تُنزل من أمرها ، وتُفقر من جمعها ؛ هي كالمم يأكله من لا يعرفه وهو حشفه . فكن فيها كاللداوى جراحته ، يحتمى قليلا مخافة ما يكره طويلا ، ويصبر على شدة الدواء مخافة طول الداء . فأحذر هذه الدار الغدارة الخائلة الخلداعة التي قد تزينت بمُحَدَّعها وفُتنت بفرورها ، وحلت بآمالها ، وسوّقت بخطاياها ؛

٢٠ (١) كذا في الإحياء . وفي الأصلين : « ثم لا يتبين ذلك في وجوههم » .

(٢) كذا في الإحياء . وفي الأصل : « فاصبهم على النل ... » .

فأصبحت كالعروس المجلوة^(١)، فالعيون إليها ناظرة، والقلوب عليها ذالمة، والنفوس لها عاشقة، وهي لأزواجها كلهم قالية؛ فلا الباقى بالماضى معتبر، ولا الآخر بالأول مزدرى، والعارف بالله عز وجل حين أخبره عنها مذكر؛ فهاشق لها قد ظفر منها بحاجته فأعتر وطنى ونسبى المعاد، فشغل لبه حتى زلت^(٢) [به] قدمه، فعظمت ندامته، وكثرت حصرته، واجتمعت عليه سكرات الموت وتألمه، وحسرات القوت بقصته؛ وراغب فيها لم يترك فيها ما طلب، ولم يروح نفسه من التعب؛ فخرج بغير زاد، وقدم على غير مهاد. فأحذر^(٣)ها يا أمير المؤمنين، وكفى أسر ما تكون فيها أخطر ما تكون لها؛ فإن صاحب الدنيا كلما أطمأن فيها إلى سرور أخفصته إلى مكروه؛ السار فيها أهلها فاز، والنافع فيها غدار ضار^(٤)؛ وقد وصل الرخاء فيها بالبلاء، وجعل البقاء فيها إلى فناء، فسرورها مشوب بالاحزان. لا يرجع منها ما وثى وأدبر، ولا يندى ما هو آت فينتظر؛ أمانيا كاذبة، وآمالها باطلة، وصفوها كدر، وحيثها نكد، وآبن آدم فيها على خطر، ومن البلاء على حذر. فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا، ولم يضرب لها مثلا، لكانت الدنيا أيقظت النائم ونهت الغافل، فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ ! فإلى الله عند الله جل شأوه قدر، وما نظر إليها منذ خلقها. ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها ونزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فابى أن يقبلها إذ ذكره أن يخالف على الله أمره، أو يثبت ما أبغض خالفه، أو يرفع ما وضع ملكه. فزوأها عن الصالحين اختبارا. وبسطها

(١) فى الأصل : « المجلبة » والعمل دأبى كافى القاموس . (٢) زيادة عن الإحياء .

(٣) كذا فى الإحياء . وفى الأصلين : « ومن راغب بزيادة «س» » والسياق يأمرها .

(٤) كذا فى الإحياء . وفى الأصلين : « والنازع فيها عدا حاز » .

(٥) زواها زيا وزريا : نكحها .

- لأعدائه اقتداراً، فيظنّ المغرور والمقتدر عليها أنه أكرم بها، ونبي ماصنع الله عز وجل بحمد صلي الله عليه وسلم حين شدّ الحجر على بطنه . ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه عز وجل أنه قال لموسى عليه السلام: إذا رأيت النّبيّ مُقبلاً قتل: ذَنْبٌ عَظِيمٌ عقوبته ، وإذا رأيت الفقر مقبلاً قتل : مرحباً بشمار الصالحين . فإن شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى بن مريم عليه السلام فإنه كان يقول : إدامي الجوع ، وشعاري الخوف ، ولباسي الصوف ، وصلاحى فى الشتاء مشارق الشمس ، وسراجى القمر ، ودأبى رجلاى ، وطعامى وفاكهتى ما تُثبت الأرض ، أبيت ليس لى شىء وأصبح وليس لى شىء ، وليس على الأرض أغنى منى .

﴿١٢١﴾

- وقال بعضهم لبعض الملوك : إن أحقّ الناس بذي الدنيا وقلاها من يُسِط له فيها وأعلى حاجته منها ، لأنه يتوقّع أفقاً تصدو على ماله فتجتاحه ، أو على جمعه تضرّقه ، أو تأتى سلطانه قهده من القواعد ، أو تدبّ إلى جسمه قُسمه ، أو تقبّحه بشىء هو ضيق به من أحبابه . فالدنيا أحقّ بالذمّ ، هى الآخذة لما تُعطى ، الراجعة فيما تهب . بينا هى تُضيقك صاحبها إذ أضحكك منه غيره ، وبينما هى تبكى له إذ بكت عليه ، وبينما هى تبسط كفه بالإعطاء إذ بسطتها بالاسترداد . تعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتُقرّقه فى التراب فداً ، سواء عليها قهاب ما ذهب وبقاء ما بقى ، تجمد فى الباقي من الذاهب خلفاً ، وترضى بكلّ من كلّ بدلاً .

وعن وهب بن منبه أنه قال :

- لما بعث الله عز وجل موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون قال : لا يروعنكما لباسه الذى ليس من الدنيا ، فإنّ ناصيته بيدى ليس ينطق ولا يطير ولا ينتفس إلا بإذنى ، ولا يُعجبكما ما مُنّع به منها فإنما هى زهرة الدنيا وزينة المترفين . فلو شئت أن أزيّنكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أنّ قدرته

تَجِيزُ عَمَّا أُوتِيَتْهَا لَفَعَلْتُ ، وَلَكِنِّي أَرْغَبُ بِكَ عَنْ ذَلِكَ فَأُزَيِّرُ ذَلِكَ عَنْكَ ، وَكَذَلِكَ أَفْعَلُ بِأُولِيائِي ، إِنِّي لِأَتُودِعُهُمْ مِنْ نَعِيمِهَا كَمَا يَذُودُ الرَّاعِي الشَّفِيقُ غَنَمَهُ عَنْ مَرَاتِعِ الْمَلَكَةِ ؛ وَمَا ذَاكَ لِمَوَانِهِمْ عَلَى وَلَكِنْ لِيَسْتَكْمِلُوا نَصِيْبَهُمْ مِنْ كِرَامَتِي سَالِمًا مُؤَقَرًا .

إِنَّمَا يَتَرَيَّنَ لِي أُولِيَائِي بِاللُّذْلِ وَالْخَضُوعِ وَالْخَوْفِ وَالتَّقْوَى تَهْتَبُ فِي قُلُوبِهِمْ فَتُظْهِرُ عَلَى أَجْسَادِهِمْ ، هَيْئَتِهِمْ الَّتِي يَلْبَسُونَ ، وَدِيَارِهِمُ الَّتِي يُظْهِرُونَ ، وَضَمِيرُهُمُ الَّتِي يَسْتَشْعِرُونَ ، وَنَجَاتُهُمُ الَّتِي بِهَا يَفُوزُونَ ، وَرِجَالُهُمُ الَّتِي إِيَّاهُ يَأْمَلُونَ ، وَجَدِّهِمُ الَّتِي بِهِ يَفْخَرُونَ ، وَسِيَامِهِمُ الَّتِي بِهَا يُعْرَفُونَ . فَإِذَا لَقِيْتَهُمْ فَأَخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ وَذَلِّلْ لَهُمْ قَلْبَكَ وَلِسَانَكَ . وَأَعْلَمْ أَنَّ مِنْ أَخَافَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْحَارَبَةِ ، ثُمَّ أَنَا التَّائِثَرُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وخطب علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوما [خطبة] فقال فيها :

إِطْلِعُوا أَنْتُمْ مَيِّتُونَ ، وَمَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ وَمَوْقُوفُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ وَتَجَزَّيُونَ بِهَا ، فَلَا تَفَرِّقَنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّهَا بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ ، وَبِالْقَتْلِ مَعْرُوفَةٌ ، وَبِالْفَقْرِ مَوْصُوفَةٌ ؛ وَكُلُّ مَا فِيهَا إِلَى زَوَالٍ ، وَهِيَ بَيْنَ أَهْلِهَا دُولٌ وَبِحَالٍ ؛ لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْ شَرِّهَا نَزَالُهَا ؛ يَبْتَئِزُّ أَهْلُهَا فِي رِخَاءٍ وَسُرُورٍ ، إِذَا هُمْ مِنْهَا فِي بَلَاءٍ وَغُرُورٍ ؛ أَحْوَالُهَا مُخْتَلِفَةٌ ، وَتَارَاتٍ مُتَصَرِّفَةٌ ؛ الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ ، وَالرِّخَاءُ فِيهَا لَا يَدُومُ . وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاسٌ مُسْتَهْدَقَةٌ تَرْمِيهِمْ بِسَهَامِهَا ، وَتُخَصِّصُهُمْ بِجِمَامِهَا ؛ وَكُلُّ حَقٍّ فِيهَا مَقْدُورٌ ، وَحُظٌّ فِيهَا مُوَفُورٌ . وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنْكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَى مِنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا ، وَأَشَدَّ مِنْكُمْ بَلَاءً وَأَعْمَرِدِيَارًا ، وَأَبْعَدَ أَتَارًا ؛ فَأَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةٌ وَخَامِدَةٌ مِنْ بَعْدِ طُولِ تَهْلُبِهَا ، وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةٌ ، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةٌ ، وَأَتَارُهُمْ عَافِيَةٌ ؛ اسْتَبْدَلُوا بِالْقُصُورِ الْمَشِيدَةِ ، وَالسُّرُورِ وَالْفَائِيقِ الْمُهْدَةِ ، الصَّخُورَ

- والأهجار المستندة، في القبور اللاطئة الملتحدة؛ فحطها مقترِب، وما كُنْها مقترِب، بين أهل عِمارة موحشين، وأهل عَمَلَة مُشاغلين؛ لا يَستأنسون بالعُمران، ولا يتواصلون تواصلَ الحيران والإخوان؛ على ما بينهم من قرب المكان والحوار، ودنو الدار.
- وكيف يكون بينهم تواصلٌ وقد طحنهم بكلِّكهِ اللَّيْل، وأكلتهم الجنادل والثرى؛ وأصبحوا بمد الحياة أمواتاً، وبعد غَضارة العيش رُفقاء؛ يُبْعِجُ بهم الأحباب، وسكنوا التراب، وظننوا فليس لهم إِيَاب . هَيَّاتْ هَيَّاتْ ! كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ؛ فَكَأَنَّ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ الْبَلَى وَالْوَحْدَةِ فِي دَارِ الْمَثْوَى، وَارْتَبَتْ فِي ذَلِكَ الْمُضْجَعِ، وَضَمَّكَ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ؛ فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ قَدْ عَالَيْتُمُ الْأُمُورَ، وَبُعِثْتِ الْقُبُورَ، وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ؛ وَوُقِفْتُمْ لِلتَّحْصِيلِ، بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ، فَطَارَتِ الْقُلُوبُ، لِإِشْفَاقِهَا مِنْ سَالِفِ الذُّنُوبِ؛ وَهَتَكَتْ عَنْكُمْ الْحُجُبَ ١٠ وَالْأَسْتَارَ، وَظَهَرَتْ مِنْكُمْ الْبُيُوتُ وَالْأَسْرَارُ؛ هُنَاكَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ .
- إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ ؛ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ قَرْنَ الْخَيْرَيْنِ شَافِقِينَ لِمَا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَجَدُّوْا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ . جَلْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ عَامِلِينَ بَكَاةٍ، مُتَبِعِينَ لِأَوْلِيَائِهِ، ١٥ حَتَّى يُنْزِلَنَا وَإِيَّاكُمْ دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ، إِنَّهُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ .

ومما يلتحق بهذا الفصل ويدخل فيه، خطبة قطري بن العجاجه وسترد في كلام البلغاء في باب الكتابة .

- وقال بعضهم : يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اْعْمَلُوا عَلَى مَهَلٍّ، وَكُونُوا مِنْ اللَّهِ عَلَى وَجَلٍّ، وَلَا تَفْتَرُوا بِالْأَمَلِ وَنَسِيَانِ الْأَجَلِ ؛ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الدُّنْيَا فَنَاهَا غُلَّةً خَدَاعَةً، ٢٠

قد تزخرت لكم بفرورها ، وقتلتكم بآمانها ، وتزينت لحظاتها ، فأصبحت كالعروس
المجنونة ، الميؤنة إليها ناظرة ، والقلوب عليها عاكفة ، والنفوس لها عاشقة . فكم من
حاشي لما قتلت ، ومطمئن إليها خذلت . فأنظروا إليها بعين الحقيقة فإنها دار كثرت
بوائقها ، وذمتها خالقها ؛ جديدها يسلى ، وملكها يفتى ؛ وعززها يندل ، وكثيرها
يحل ؛ وحما يموت ، وخيرها يضوت . فاستيقظوا من ضللكم ، وأنقذوا من رقبتكم ؛
قبل أن يقال : فلان طيل ، أو مدتف قويل ، فهل حل الدواء من دليل ، أو حل
الطيب من سبيل ؛ فيدعى لك الأطباء ، ولا يرضى لك الشفاء ؛ ثم يقال : فلان أوصى ،
ولله أحصى ؛ ثم يقال : قد هزل لسانه فما يكلم إخوانه ، ولا يعرف جيرانه ؛
وعرق عند ذلك جبينك ، وتناج أئنيك ، وثبت يقينك ، وطمحت جفونك ،
وصدقت ظنونك ، وطلج لسانك ، وبكى إخوانك ، وقيل لك : هذا أبوك فلان ،
وهذا أخوك فلان ، ومينت الكلام فلا تنطق ؛ ثم حل بك القضاء ، وأثرت
نفسك من الأعضاء ، ثم صرح بها إلى السماء ، فأجمع عند ذلك إخوانك ، وأحضرت
أكفانك ، ففسلوك وكفنوك ، فأقطع عوادك ، وأستراح حسادك ، وأنصرف أهلك
إلى مالك ، وبقيت ممرتها بأعمالك .

وقال بعض الحكماء : الأيام سهام ، والناس أغراض ، والدمر يريك كل يوم
بسهامه ، ويغزبك بلباليه وأيامه ، حتى يستغرق جميع أجزائك ؛ فكم بقاء سلامتك مع
وقوع الأيام بك ، وسرعة الليالي في بدتك ! لو كشف لك عما أحدثت الأيام فيك من
النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك ، واستنقلت ممر الساعات بك ، ولكن
تدير الله فوق تدبير الاختيار ؛ وبالسلو عن غوائل الدنيا ويجد طعم لذاتها ، وإنتها

(١٢٢)

(١) كما في الإحياء . وفي الأصلين : « وثبت هلك ... » .

(٢) كما في الإحياء . وفي الأصل : « لو كشفت عما ... » .

لأمر من العَلَمَ إذا عَجَمَهَا الحكيم، وقد أُعيت الواصف لميوبا بظاهر أفعالها،
وما تآتى به من العجائب أكثر مما يحيط به الواظف . اللهم أرشدنا للصواب .

- وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال : أيها الناس ، إنكم خُلِقْتُمْ لأميرٍ ^(١) إن كنتم
تصدقون [به] فإنكم حقٌّ ، وإن كنتم تكذبون به إنكم ^(٢) لهلكي ، إنما خُلِقْتُمْ للأبد ، ولكنكم
من ديارٍ إلى ديارٍ تتقلون . عباد الله ، إنكم في ديارٍ لكم فيها من طعامكم غصصٌ ، ومن
شرايبكم شَرٌّ ، لا تصنعو عمةً تُسرون بها إلا بهراقٍ أخرى تَكْهون فراقها ، فاعملوا
لما أتم صائرُونَ إليه خالدون فيه . ثم عليه البكاء ونزل .

ذكر بيان الزهد وأقسامه وأحكامه

فإنما درجاته فقد قال الغزالي رحمه الله : إنها متفاوت بحسب تماوت قوته على
درجات ثلاث :

١٠

الأولى وهي السفلى منها : أن يزهد في الدنيا وهو لها مُشْتَبِهٌ ، وقبلة إليها مائل ،
وهسه إليها ملفتةٌ ولكته يجاهدُها ويكفها ، وهذا يسمى التزهد ، وهو مبدأ الزهد
وحق من يصل إلى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد . والمتزهد يُذِيب أولاً نفسه
ثم كسبه ، والزاهد يُذِيب أولاً كسبه ثم يُذِيب نفسه في الطاعة لا في الصبر على
ما فارقه . والمتزهد على خطرٍ ، فإنه ربما تغلبه نفسه وتجدبه شهوته فيعود إلى الدنيا
وإلى الاستراحة بها في قليل أو كثير .

١٥

الثانية : الذي يترك الدنيا طوعاً ^(٣) لاستحقاقه إياها بالإضافة إلى ما طمِع فيه
كالذي يترك درهمًا لأجل درهمين فإنه لا يَشُقُّ عليه ذلك وإن كان يحتاج

(١) زيادة من الإحياء . (٢) الذي في الإحياء : « وإن كنتم تكذبون به إنكم لهلكي » .

(٣) كما في الإحياء . وفي الأصل : « طاعة » .

إلى أمتظار قليل . ولكن هذا الزاهد يرى لا عالة زهده ويخلص إليه ، كما يرى
البايع المبيع ويخلص إليه ، فيكاد يكون مُعجِباً بنفسه وزهده ، ويظن بنفسه أنه
ترك شيئاً له قدر لما هو أعظم قدراً منه ، وهذا أيضاً قصبان .

الثانية وهي العليا : أن يزهد طوعاً ويزهد في زهده فلا يرى زهده ، إذ لا يرى
الزهد شيئاً له قدر لما هو أعظم قدراً منه ، فيكون كمن ترك نخرة وأخذ جوهرة
لا يرى ذلك معاوضةً ولا يرى نفسه تاركاً شيئاً . [والدنيا بالإضافة إلى الله ونعم
الآخرة أخس من نخرة بالإضافة إلى جوهرة^(١)] فهذا هو الكمال في الزهد ، وسببه
كمال المعرفة . وأما أقسامه فلها ما هو مضاف إلى المرغوب فيه والمرغوب عنه ،
فاما المرغوب فيه فهو على ثلاث درجات :

الأولى وهي السفلى : أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام
كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الأهوال
كما وردت به الأخبار . وفي الخبر : "إن الرجل ليؤقف في الحساب حتى لو وردت
مائة بعير عطاشاً على عرقه لصدرت رياء" ، فهذا زهد النلاهيين وكأنتهم رَضُوا
بالعدم لو أُعْطُوا فإنَّ الخلاص من الألم يحصل بخود عدم .

الدرجة الثانية : أن يزهد رغبةً في ثواب الله ونعيمه ولذات الموعودة في جنة
من الخور والتصور وغيره ، وهذا زهد الراجين ، فإن هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعةً
بالعدم والخلاص من الألم بل طمعوا في وجود دائم ومعهم سرمد لا آخر له .

الدرجة الثالثة وهي العليا : ألا يكون له رغبة إلا في الله وفي لقائه ، فلا يخلص
قلبه إلى الآلام ليقصد الخلاص منها ، ولا إلى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها ،

بل هو مستغرق المحم بالله تعالى، وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى، لأن من طلب غير الله فقد عبده؛ وكل مطلوب معبود، وكل طالب عبد بالإضافة إلى مطلبه، وطلب غير الله من الشرك الخفي؛ وهذا زهد المحبين وهم العارفون، لأنه لا يحب الله تعالى خاصة إلا من عرفه؛ وكذا أن من عرف الدينار والدرهم وعلم أنه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب إلا الدينار، فكذلك من عرف الله تعالى وعرف لذة النظر إلى وجهه الكريم، وعرف أن الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التمتع بالحوار العين والنظر إلى نقش القصور وخضرة الأشجار غير ممكن، فلا يحب إلا لذة النظر ولا يؤثر غيره. قال: ولا تظن أن أهل الجنة عند النظر إلى وجه الله تعالى يبقى لذة الحوار والقصور مُتَّع في قلوبهم، بل تلك اللذة بالإضافة إلى لذة نعيم الجنة كثرة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الأرض ورقاب الخلق بالإضافة إلى الاستيلاء على عصفور واللعب به؛ والطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك، وذلك لقصوره عن إدراك لذة الملك لا لأن اللعب بالعصفور في نفسه أهل وألذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق.

وأما المرغوب عنه، فقد كثرت فيه الأقاويل.

١٥

قال الغزالي رحمه الله: لعلها تريد على مائة قول، وأشار إلى كلام محيط بالتفاصيل فقال: المرغوب عنه بالزهد له إجمال وتفصيل، وتفصيله مراتب بعضها أشرح لآحاد الأقسام وبعضها أجمع للجمل.

أنا الإجمال في الدرجة الأولى: فهو كل ما سوى الله فينبغي أن يزهد فيه حتى

يزهد في نفسه أيضا.

٢٠

والإجمال في الدرجة الثانية : أن يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة ، وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغير ذلك .

وفي الدرجة الثالثة : أن يزهد في المال والجاه وأسبابهما ، إذ إليهما ترجع جميع حظوظ النفس .

وفي الدرجة الرابعة : أن يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم [والجاه] ، إذ الأموال وإن كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم ، والجاه وإن كثرت أسبابه فيرجع إلى العلم والقدرة . قال : وأعنى به كل علم وقدرة مقصودهما ملك القلوب ، إذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها ، كما أن معنى المال ملك الأعيان والقدرة عليها . قال : فإن جاوزت هذا التفصيل إلى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فتكاد تخرج ما فيه زهد عن الحصر . وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَنَحِيلِ الْمَسْوَمةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَوَاصِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ ثُمَّ رَدَّهُ فِي آيَةٍ أُخْرَى ۚ سبعة فقال : اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ۚ ۚ ثم رده في موضع آخر إلى اثنين فقال : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ ۚ ۚ ثم رده الكل في موضع آخر إلى واحد فقال : ﴿ وَنَسَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنَّ الْآجِلَةَ هِيَ الْهَوَىٰ ۖ ۚ ۚ فلهوى لعط يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا ، فينبغي أن يكون الزهد فيه .

قال : فالحاصل أن الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها .

وقال أبو سليمان الداراني : سمعنا في الزهد كلاما كثيرا ، والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله عز وجل ، وقرأ قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ ، قال : هو القلب الذي ليس فيه غير الله . فهذا بيان أقسامه بالإضافة إلى المرغوب فيه وعنه .

- وأما أحكامه فنقسم إلى فرض ونفل وسلامة . فالفرض هو الزهد في الحرام ، والنفل هو الزهد في الحلال ، والسلامة هو الزهد في الشبهات . فهذه درجاته وأقسامه وأحكامه على سبيل الاختصار .

ذكر بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة

- قال الغزالي رحمه الله : علم أن ما الناس منهمكون فيه ينقسم إلى فضول وإلى مهم . فالفضول كالخليل المسومة — إذ طالب الناس إنما يقتنيا للترفيه بركوبها وهو قادر على المشي — وغير ذلك مما لا ينحصر . ثم حصر المهم الصروي تميز ما عداه أنه فضول . قال : والمهم أيضا يتطرق إليه فضول في مقداره وجنسه وأوقاته على ما يشرحه من قونه . قال : والمهمات ستة أمور ، وهي : المطعم ، والملبس ، والمسكن وأثاثه ، والمتكح ، والمال ، والجاه يطلب لأغراض .

- ١٥ فالهم الأول المطعم . ولا بد للإنسان من قوت حلال يُقيم صلبه ، ولكن له طول وعرض ووقت . فإما طوله فبالإضافة إلى جملة العمر فإن من يملك طعام يومه قد لا يقنع به . وهو لا يقصر إلا بقصر الأمل ، وأقل درجات الزهد فيه الاقتصاد على قدر دفع الجوع عند شدته وخوف المرض . ومن هذا حاله فإذا استقل بما تناوله لم يتذكر من غذائه لعشائه ، وهذه الدرجة العليا .

(١) كذا في الأصل : « وسه ... » .
 (٢) كذا في الإحياء . وفي الأصل : « ولم ينثر » بالواو .

والثانية : أن يتنحشهر أو أربعين يوما .

والثالثة : أن يتنحلسنة فقط، وهذه رتبة ضعفاء الزهاد . ومن آذخر لا كثر من ذلك قسميته زاهداً محال؛ لأن من أمل بقاء أكثر من سنة فهو طويل الأمل جداً فلا يتم منه الزهد إلا إذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الأخذ من أيدي الناس، كماود الطائي فإنه ورث شرين دينارا فأسكها وأنفقها عشرين سنة، فهذا لا يضاد الزهد إلا عند من جعل التوكل شرط الزهد .

وأما عرضه فبالإضافة الى المقصدار، وأقل درجاته في اليوم والليله نصف رطل، وأوسطه رطل، وأعلاه مُدٌ — وهو ما قدره الله تعالى في إطعام المساكين في الكفاة — وما وراء ذلك فهو آساع واشتغال البطن . ومن لم يقدر على الاقتصاد على مُدٍ لم يكن له من الزهد في البطن نصيب .

وأما بالإضافة الى الجنس فأقله ما يقوت وهو الخبز من النخالة، وأوسطه خبز الشعير والذرة، وأعلاه خبز البر غير منخول؛ فإذا ميّزت النخالة منه وصار حواري فقد دخل في التمتع ونخرج عن آثر أبواب الزهد فضلا عن أوائله .

وأما الأدم، فأقله الملح أو البقل والخل، وأوسطه الزيت أو يسير من الأدهان، وأعلاه اللحم وذلك في الأسبوع مرة أو مرتين؛ فإن صار دائما أو أكثر من مرتين في الأسبوع خرج من آثر أبواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهداً في البطن أصلا .

وأما بالإضافة الى الوقت فأقله في اليوم والليله مرة وهو أن يكون صائما ثم يُفطر في وقت الإفطار؛ وأوسطه أن يصوم ويشرب ليلة ولا يأكل، ويأكل ليلة ولا يشرب؛ وأعلاه أن ينتهى إلى أن يطوي ثلاثة أيام وأسبوعا وما زاد عليه .

وأظفر الى أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في كيفية زهدهم في المطاعم وتركهم الأدم واقتصادهم على ما يمسك الرمي . قالت عائشة أم المؤمنين رضى الله

عنها : كانت تأتي علينا أربعون ليلة وما يُوقَد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباحٌ ولا نار . قيل لها : فيم كنتم تعيشون ؟ قالت : بالأسودين التمر والماء . وجاء أهل قُبَاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بشرية من لبن مشوية بعسل ، فوضع القدح من يده وقال : "أَمَا إِنِّي لَسْتُ أُحَرِّمُهُ وَلَكِنِّي أَتْرَكُهُ تَوَاضَعًا لِقَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى" .

- وأُتِيَ عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه بشرية من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال : اعيزوا عني حسابها . وقال يحيى بن مُعَاذٍ الرَّازِيّ . الزاهد الصادق قوته ما وجد ، ولياسه ما ستر ، ومسكنه حيث أدرك ، الدنيا محبته ، والقبر مضجعه ، والخلوة مجلسه . والأعْيَارُ فكره ، والقرآن حديثه ، والرب أنيسه ، والذكر رفيقه ، والزهد قرينه ، والحزن شنه ، والحياه شعاره ، والجوع إدامه ، والحكمة كلامه ، والتراب فراشه . والتقوى زده . والصمت غنيته ، والصبرُ مَعْتَمِدُهُ ، والتوكل حسبه ، والعقل دليله ، والعبادة حِرْفَتُهُ ، والجنة مَبْلَغُهُ إن شاء الله تعالى .

المهم الثاني الملبس . وأقل درجاته ما يدفع الحرَّ والبرد ويستر العورة ، وهو كساء يتخفى به . وأوسطه قميصٌ وقلنسوة ونعلان ؛ وأعلاه أن يكون معه منديل وسرويل . وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حدَّ الزهد . وشرط الزهد ألا يكون له ثوبٌ يبهسه إذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت ؛ فإذا صار صاحب قميصين وسرويين ومنديلين فقد خرج من جميع أبواب الزهد . هذا من حيث مقدار . واما الجنس ، فقله المسوح الخشن ، وأوسطه الصوف الخشن ، وأعلاه القطن الغليظ .

وأما من حيث الوقت ، فأقصاه ما يستر سنة . وأقله ما يبقى يوما ، وقد رقع بعضهم ثوبه بورق الشجر [وإن كان يتسارع الخفاف إليه] ، وأوسطه ما يتماسك

عليه شهرا وما يقاربه . فطلب ما يبقى أكثر من سنة خروج إلى طول الأمل ، وهو مضاد للزهد إلا إذا كان المطلوب خشوته وقد يتبع ذلك قوته ودوامه . فمن وجد زيادة من ذلك فيلجئ أن يتصلى به ، فإن أمسكه لم يكن زاهدا بل كان محبا للدنيا . ولينظر إلى أحوال الأنبياء صلى الله عليهم والصحابة رضى الله عنهم كيف تركوا الملابس . قال أبو بردة : أخرجت لنا عاتكة رضى الله عنها كساء ملبداً وإزاراً غليظا فقالت : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين . وقال صلى الله عليه وسلم : " إن الله تعالى يحب المتبذل الذي لا يبالي باليس " . وفي الخبر : " ما من عبد ليس ثوب شهرة إلا عرض الله عنه حتى ينزعه وإن كان عنده حياء " . واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا بأربعة دراهم وكان إزاره أربعة أذرع ونصفا ، واشترى سراويل بثلاثة دراهم ، وكان يلبس ثمتين يتضاوين من صوف وكانت تسمى حلة لأنهما ثوبان من جنس واحد . وربما كان يلبس بردين يمايين أو شحولتين . ولبس صلى الله عليه وسلم يوما واحدا ثوبا سيرا^(١) من سندس قيمته مائتا درهم ، فكان أصحابه يلمسونه ويقولون : يا رسول الله ، أنزل هذا عليك من الجنة ! تعجبا ، وكان قد أهداه إليه المقوقس ملك الإسكندرية ، فأرد أن يكرمه بلبسه ثم نزع وأرسل به إلى رجل من المشركين وصله به ، ثم حرم أبس^(٢) الخويز والديباج . وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في تحيصة لها علم فلما سلم قل : " شغلني النظر إلى هذه إذهبوا بها إلى أبي جهنم وأتوني بأبجائيت^(٣) " (مى كساء) فاختر ليس الكساء على الثوب الناعم . وكان شراك نعله قد أخلق فأبدل بسير جديد فصلى

(١) السيرا . (بكر السين وضع تحتية ممدودا) : ضرب من البرود فيه خطوط صمر .

(٢) الخيصة : ثوب نزع أو صوف ممل .

(٣) الأبجائيت : نسبة إلى منبج (كجلس) موضع بالثام ، يقال في النسبة إليه منبجاني ومنبجاني ففتح

بأتهما على غير قياس .

- فيه؛ فلما سلم قال: «أَعِيدُوا الشَّرَّكَ انْتَلِقُوا وَاتَّزِعُوا هَذَا الْجَدِيدَ فَأَتَى نَظَرَتْ إِلَيْهِ فِي الصَّلَاةِ». وعن جابر رضى الله عنه قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة رضى الله عنها وهي تطحن بالرحا وطبها كساء من وبر الإبل، فلما نظر إليها بكى وقال: «يَا فاطمة تجرعى مرارة الدنيا لنعم الأبد». فأنزل الله عليه (وَلَمَّسَ يَعْطِيكَ رَبُّكَ قَرْنَى) . [وقد أوصى أمته طاعة باتباعه إذ قال: «من أحبني فليستني بستى». وقال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ». وقال الله تعالى: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) .
- وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضى الله عنها خاصة وقال لها: «إِنْ أُرِدْتَ الْحَقَّ بِي فَإِيَّاكَ وَمَجَالِسَةَ الْأَغْنِيَاءِ وَلَا تَتَزَيَّعِي ثَوْبًا حَتَّى تَرْقِيَهُ». وعُدَّ على قيص عمر رضى الله عنه اثنتان وعشرون رقعة بعضها من آدم . وفي الخبر: «من ترك ثوب ١٠ جمال وهو يقدر عليه تواضعا لله تعالى وأبتغاء لوجهه كان حقا على الله أن يدخله من عبقرى الجنة في أثفات الياقوت» . وقال عمر رضى الله عنه: اخلو لِقُوا وَأَخْشَوْشُوا ، وَإِيَّاكُمْ وَزَيِّ الْعَجَمِ كَسْرَى وَقِصْر . وقال الثوري وغيره: الْهَيْسُ مِنَ الثِّيَابِ مَا لَا يُشْهَرُكَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ وَلَا يُحَقِّرُكَ عِنْدَ الْجُهَالِ . وقال بعضهم: قَوِّمَتْ ثَوْبِي سُبْحَانَ وَنَعْلِيهِ بِدَرْهَمٍ وَأَرْبَعَةَ دَوَانِيقَ . والأخبار في التقلل من اللباس كثيرة ١٥ فلا تطول بسردها .

المهم الثالث المسكن . وللهذه فيه أيضا ثلاث درجات، أعلاها ألا يطلب موضعا خاصا لنفسه فيقنع بزوايا المساجد كأصحاب الصفة، وأوسطها أن يطلب

(١) كذا في الإحياء . وفي الأصلين : « من أجرة الإبل ... » .

(٢) زيادة عن الإحياء .

(٣) كذا بالأصل . وفي الإحياء (ج ٤ ص ٢٢٣ طبع بلاق) : « اثنتا عشرة رقعة » .

موضعا خاصا لنفسه مثل كوخ مبنى من سَعَف أو خُص أو ما يشبهه، وأدناها أن يطلب شجرة مبنية إما بشره أو بإجارة . فإن كان قدرُ سعة المسكن على قدر حاجته من غير زيادة ولم تكن فيه زينة لم يُخرجه هذا القدر عن آخر درجات الزهد . فإن طلب التشديد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف أكثر من ستة أذرع فقد جاوز بالكيفية حد الزهد في المسكن . قال : والفرض من المسكن دفع المطر والبرد ودفع الأعين والأذى . وأقل الدرجات فيه معلوم ، وما زاد عليه فهو من الفضول ، والفضول كله من الدنيا ، وطالب الفضول والساعي له بعيد من الزهد . وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إذا أراد الله بعبده شرا أهلك ماله في الماء والطين " . وقال الحسن : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع كية على لبنة ولا قصبه على قصبه . وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : مررت علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خُصا فقال : " ما هذا " قلنا : خص لنا قد وهى ؛ قال : " أرى الأمر أعجل من ذلك " . وأخذ نوح عليه السلام بيتا من قصب ؛ قيل له : لو بئيت ! فقال : هذا كثير لمن يموت . وقال الحسن : دخلنا على صفوان بن محرز^(١) وهو في بيت من قصب قد مال عليه ؛ قيل له : لو أصلحته ! فقال : كم من رجل قد مات وهذا قائم على حاله . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من بنى فوق ما يكفيه كُلف أن يحمله يوم القيامة " . وفي الخبر : " كل فتية للعبد يُؤخر عليها إلا ما أحقه في الماء والطين " . وجاء في تفسير قوله تعالى : (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا قَسَادًا) أنه الرياسة والتطاؤل في البُيان . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كل بناء وبأل على صاحبه يوم القيامة إلا ما أكنن من حر وبرد " . ونظر عمر رضى الله عنه

(١) كذا في كتاب الخلاصة والتهذيب في أسماء الرجال . وفي الأصلين : « محرز » .

في طريق الشام الى صرح قد بُني يَحْصُ وَأَجْرٌ، فَكَبَّرَ وَقَالَ : مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ
يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ بَنِي بَنِيانِ هَامَانَ لَهْرَعُونَ . وَكَانَ آرْتِفَاعُ بِنَاءِ السَّلَفِ قَامَةً
وَبَسْطَةً . قَالَ الْحَسَنُ : كُنْتُ إِذَا دَخَلْتُ بَيْوتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ضُرِبَتْ بِيَدِي إِلَى السَّقْفِ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ : إِذَا عَلِيَ الْعَبْدُ الْبِنَاءَ فَوْقَ سِتَّةِ
أَذْرَعٍ نَادَاهُ مَلَكٌ : اإِىَ أَيْنَ يَا أَفْسَقَ الْعَاسِقِينَ . وَقَالَ الْفَضِيلُ : إِنِّي لَا أُعْجِبُ مِنْ
بَنِي وَتَرَكْتُ وَلَكِنِّي أُعْجِبُ مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ وَلَمْ يَتَبَرَّ . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : يَأْتِي قَوْمٌ
يَرْفَعُونَ الطِّينَ، وَيَضَعُونَ الدِّينَ، وَيَسْتَعْمَلُونَ الْبِرَازِينَ، يَصْلُونَ إِلَى قِلْتِكُمْ، وَيَمُوتُونَ
عَلَى غَيْرِ دِينِكُمْ .

- المهم الرابع أاثاث البيت . وللزهدي فيه أيضا درجات، أعلاها حال عيسى
عليه السلام إذ كان لا يصحبه إلا مشطٌ وكوز؛ فرأى أنسانا يمشطُ لحيته بأصابعه؛
فرمى بالمشط . ورأى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى بالكوز . وهذا حكم كلِّ
أاثاث فإنه إنما يراد لمقصود فإذا استعمل عنه فهو وبالٌ في الدنيا والآخرة . وما لا
يُستعمل عنه فيُقتصر فيه على أقلِّ الدرجات وهو الخَرْفُ في كلِّ ما يكفى فيه الخَرْفُ،
وَمَا يُبَيِّنُ أَنْ يَكُونَ مَكْسُورَ الطَّرْفِ إِذَا كَانَ الْمَقْصُودُ يَحْصُلُ بِهِ . وَأَوْسَطُهَا أَنْ
يَكُونَ لَهُ أاثاثٌ بِقَدَرِ الْحَاجَةِ صَحِيحٌ فِي نَفْسِهِ . وَلَكِنْ يَسْتَعْمَلُ الْآلَةُ الْوَاحِدَةَ فِي مَقَاصِدِ
عَدَّةٍ مَعَهُ قِصَّةٌ بِأَكْلِ فِيهَا وَشُرْبٍ فِيهَا وَيَحْفَظُ الْمَنَاعَ فِيهَا . وَكَانَ السَّلَفُ
يَسْتَحْبُّونَ سَمْعَ آلَةٍ وَاحِدَةٍ فِي أَشْيَاءَ لِلتَّخْفِيفِ . وَأَعْلَاهَا أَنْ يَكُونَ لَهُ بَعْدُ كُلِّ
مَقْصِدٍ مِنْ جَسَسِ النَّازِلِ الْخَمِيسِ . وَمِنْ زُرِّ فِي الْعَدَدِ أَوْ فِي قَفَاسَةِ الْجَنْسِ خَرَجَ
مِنْ جَمِيعِ أَيْدِيهِ زَهْدٌ وَرُكْنٌ فِي حَبِّهِ . وَلِيَنْظُرَ إِلَى سِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسِيرَةِ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : كَانَ

(١١) خضع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينال عليه وسادة من آدم حشوها ليف . وقال الفضيل : ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عباءة مثنية ووسادة حشوها ليف . وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمر^(٢) بشرط ، بخلس فرأى أثر السرير في جنبه عليه السلام فدمعت عيناه عمر . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : "ما الذى أبكاك يا ابن الخطاب" ؟ قال : ذكرت كسرى وقيصروما هما فيه من الملك وذكرك وأنت حبيب الله وصفيته ورسوله نائم على سرير مرمر بالشرط ! فقال صلى الله عليه وسلم : "أما ترضى يا عمر أن تكون لما الدنيا ولنا الآخرة" ! قال : بلى يا رسول الله . قال : "فذلك كذلك" . ودخل رجل على أبى ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال : يا أبا ذر ، ما أرى في بيتك متاعاً ولا غير ذلك من الأثاث ! فقال : إن لنا بيتاً نوجه إليه صالح متاعنا . فقال : إنه لا بد لك من متاع ما دمت هاهنا . فقال : إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه . ولما قدم محمد بن سعد أمير حمص على عمر قال له : ما معك من الدنيا ؟ فقال : معى عصا أتوكأ عليها وأقتل بها حية إن لقيتها ، ومعى جرابي أحمل فيه طعامي ، ومعى قصعة أكل فيها وأغسل فيها رأسي وثوبى ، ومعى مظهرتى أحمل فيها شرابى ووضوئى للصلاة ، فما كان بعد هذا من

(١) كذا في الأصلين والإحياء ، ولا نجد في كتب اللغة التى بين أيدينا . وفي لسان العرب ونهاية ابن الأثير «حجبه» وقالوا في تضيئه : «الصبغة» لكسر من الاختصاص وهو انواء كابلية من الجلود وجنتها المرة الواحدة ، والمراد ما كان يضطجع عليه فيكون في الكلام صاف محذوف تقديره كانت ذات ضجته أرذات أصطحاها فراش آدم ... » . (٢) الزيل : المسح ، والسرير المرمر هو الذى يسج له شربط ويجعل طهرا له (عن تقاموس) . وقد ورد الحديث في نهاية ابن الأثير وفي لسان العرب : «وأذا هو جالس على رمال سرير» وفي رواية أخرى «على رمل حصر» . ورنال كظام وركام ما رمل أى نسج . والمراد أن هذا السرير قد نسج وجهه بالدمع ولا يكن عليه ماء سوى الحصى .

الدنيا فهو تبعٌ لما معي . فقال عمر : صدقت ، رحلك الله . وقدم رسول الله صلى الله وسلم من سفر ، فدخل على فاطمة رضى الله عنها فرأى على باب منزلها ستراً وفى يديها قُلَيْبَيْنِ من فضة فرجع . فدخل عليها أبو رافع وهى تبكى ، فأخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فسأله أبو رافع فقال : "من أجل السر والسوداين" :

- فأرسلت بهما وإلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت : قد تصدقت بهما فضمهما حيث ترى . فقال : "أذهب فبعه وأدفعه إلى أهل الصفة" . فباع القليلين بدرهمين ونصف وتصدق بهما عليهم . فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " بأبى أنتِ قد أحسنت " . وقال الحسن : أدركت سبعين من الأخيار ما لأحدهم إلا ثوبه ، وما وضع أحدهم يده بين الأرض وثوباً قط ، كان إذا أراد النوم باشر الأرض بجسمه وجعل ثوبه فوقه .

١٠

المهم الخامس المنكح . قال الغزالي : وقد قال قائلون : لا معنى للزهد فى أصل النكاح ولا فى كثرتة ؛ وإليه ذهب سهل بن عبد الله وقال : قد حُبب إلى سيد الزاهدين النساء فكيف زهد فيهن ! ووافقه ابن عُيَيْنَةَ ، وقال : كانت أزهد الصحابة على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان له أربع نسوة وبضع عشرة سُرَّة .

- قال الغزالي : والصحيح ما قاله أبو سليمان الداراني إذ قال : كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشغوم . والمرأة قد تكون شاغلا عن الله . قال : وَكُشِفَ الحَقُّ فيه أنه قد تكون العزوبة أفضل فى بعض الأحوال فيكون ترك النكاح من الزهد . وحيث يكون النكاح أفضل لدفع الشهوة الغالبة فهو واجب فكيف يكون تركه من الزهد ! وإن لم يكن عليه آفة فى تركه ولا فعله ولكن ترك النكاح احترازاً عن مِيل القلب إلىهن ولأنهن بحيث يشتغل عن ذكر الله قترُك ذلك من الزهد . وإن علم أن المرأة لا تشغله عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازاً من لذة النظر والمضاجعة

٢٠

والمواقفة فليس هذا من الزهد أصلاً؛ فإن الولد مقصود لبقاء نسله ، وتكثير أئمة
 محمد صلى الله عليه وسلم من القربيات . واللذة التي تلحق الإنسان فيها هو من ضرورة
 الوجود لا تضره إذا لم تكن هي المقصد والمطلب؛ وهذا كمن ترك أكل الخبز وشرب
 الماء أحتراراً من لذة الأكل والشرب، وليس ذلك من الزهد في شيء؛ لأن في ترك
 ذلك فوات بدنه، فكذلك في ترك النكاح أقطاع نسله؛ فلا يجوز أن يترك النكاح
 زهداً في لذته من غير آية أخرى . قال: وأكثر الناس تشبههم كثرة النساء، فينبغي
 أن يترك الأصل إن كان يشغله، وإن لم يشغله وكان يخاف من أن تشغله الكثرة
 منهن أو جمال المرأة فليترك واحدة غير جميلة وليراج قلبه في ذلك . قال أبو سليمان :
 الزهد في النساء أن تختار المرأة الثون أو اليتيمة على المرأة الجميلة والشريفة . وقال
 الجنيدي: أحب للريد المبتدى ألا يشغل قلبه ثلاث وإلا تغير حاله : التكبس، وطلب
 الحديث ، والترقيع . فقد ظهر أن لذة النكاح كدّة لأكل والشرب، فاشغل عن
 الله تعالى فهو محذور فيهما جميعاً .

①٢٩

المهم السادس : ما يكون وسيلة إلى هذه الخمسة وهو المال والجاه . [أما الجاه]
 فعناه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل به إلى الاستعانة في الأغراض والأعمال .
 وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته وأقفر إلى من يخدمه أقفر إلى
 جاه لا محالة في قلب خادمه؛ لأنه إن لم يكن له عنده محل وقدر يقيم بخدمته . وقيام
 القدر والمحل في القلوب هو الجاه . قال: وإنما يحتاج إلى المحل في القلوب إما لجلب
 نفع أو لدفع ضرر أو لخلاص من ظلم . فأما النفع فيُغنى عنه المال؛ فإن من يخدم
 بأجرة خدم وإن لم يكن عنده للاستأجر قدر، وإنما يحتاج إلى الجاه في قلب من يخدم

- غير أجرة . وأما دفع الضرر فيحتاج لأجله إلى الجاه في بلد لا يكمل فيه العدل أو يكون بين جيران يظلمونه فلا يقدر على دفع شرهم إلا بحل له في قلوبهم أو عمل له عند السلطان . وقدر الجاه فيه لا ينضبط . والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك . بل حق الزاهد ألا يسعى لطلب المحل في القلوب أصلاً ؛ فإن اشتغاله بالدين والعبادة يمهّد له من المحل في القلوب ما يدفع به عنه الأذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين .

- وأما التوهمات والتفديرات التي تُخَوِّج^(١) إلى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي أوهام كاذبة ؛ إذ من طلب الجاه لم يخلُ عن أذى في بعض الأحوال ؛ فعلاج ذلك بالأحتمال والصبر أولى من علاجه بطلب الجاه . فإذا طُلِبَ المحل في القلوب لا رخصة فيه أصلاً ، واليسر منه دافع إلى الكثير ، وضراوته أشد من ضراوة النحر ، فليحترز من قليله وكثيره .



- وأما المال ، فهو ضروري في المعيشة أعني القليل منه . فإن كان كسواً ، فإذا اكتسب حاجة يومه فينبغي أن يترك الكسب ، هذا شرط الزهد ؛ وإن جاوز ذلك إلى ما يكفيهِ أكثر من سنة فقد خرج عن حدّ ضعفاء الزهاد وأقويائهم جميعاً . وإن كانت له ضيعة ولم تكن له قوة يقين في التوكّل فأمسك منها مقدار ما يكفي ريعه لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر عن الزهد بشرط أن يتصدق بكلّ ما يفضل عن كفاية سنة ؛ ولكن يكون من ضعفاء الزهاد .

- قال : وأمر المتفرد في جميع ذلك أخف من أمر المتعلّل . وقد قال أبو سليمان : لا ينبغي أن يرهق الرجل أهله إلى الزهد بل يدعوهم إليه ؛ فإن أجابوا ولا تركهم

(١) كذا في الإحياء . وفي الأصل : « تخوِّج ... » .

وفعل بنفسه ما شاء . قال : والذي يضطر الإنسان إليه من الجاه والمال ليس بمحدود؛ فالزائد منه على الحاجة سم قاتل، والاقتصار على قدر الصرورة دواء نافع، وما بينهما درجات متشابهة، فما يقرب من الزيادة وإن لم يكن سمًا قاتلاً فهو مضر، وما يقرب من الضرورة فهو وإن لم يكن دواءً نافعا لكنه قليل الضرر . والسم محظور شربه، والدواء قرض تناوله، وما بينهما مشتبه أمره . في احتياط فإنما يحتاط لنفسه، ومن تساهل فإنما يتساهل على نفسه، ومن استبرأ لدينه وترك ما يريه إلى ما لا يريه ورد نفسه إلى مضيق الضرورة فهو الآخذ بالحزم وهو من الفسقة الناجية لا محالة . والمقتصر على [قدر] ^(١) الضرورة والمهم لا يجوز أن ينسب إلى الدنيا، بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لأنه شرط الدين، والشرط من جملة المشروط.

وقد روى أن إبراهيم الخليل عليه السلام أصابته حاجة فذهب إلى صديقي له يستقرضه شيئا فلم يقرضه فرجع مهموما . فأوحى الله تعالى إليه : لو سألت خليلك لأعطاك . فقال : يا رب، عرفت مقتك للدنيا نغفت أن أسألك منها شيئا . فأوحى الله إليه : ليس الحاجة من الدنيا . فعلى هذا يكون قدر الحاجة من الدين وما وراء ذلك وبأل في الآخرة؛ وهو أيضا في الدنيا كذلك، يعرفه من يخبر أحوال الأغنياء وما عليهم من المحنة في كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال الثل في غاية سعادته به أن يسلم لورثته فياكلوه، وربما يكونون أعداء له، وقد يستعينون به على المعاصي فيكون هو مغميا لم عليها . ولذلك شُبّه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز إذ لا يزال ينسج على نفسه حيا ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصاً فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه؛ فكذلك كل من أتبع شهوات الدنيا . قال الشاعر :

(١) الزيادة عن الإحياء . (٢) كذا في الإحياء . وفي الأصل : « يسح على فسه حتى

(١٢٠)

كُدُودُ كُدُودِ الْقَزِّ يَنْسُجُ دَائِمًا * وَتَيْلُكَ عَمَّا وَتَسَطُّ مَا هُوَ نَائِجُهُ

- قال : ولما أنكشف لأولياء الله تعالى أن البعد مُهْلِكٌ نفسه بأعماله واتباعه
هو نفسه إهلاك دود القز نفسه رفضوا الدنيا بالكُفَّةِ حتى قال الحسن : رأيت
سبعين بَدْرِيًّا كانوا فيما أحل الله لهم أزهذ منكم فيما حرّم الله عليكم . وفي لفظ آخر :
كانوا بالبلاء أشد فرحاً منكم بالخُصْبِ والرخاء ، لو رأيتهم قلم : مجانين ، ولو رأوا
خياركم قالوا : ما هؤلاء من حَلَّاقٍ ، ولو رأوا شراركم قالوا : ما يؤمن هؤلاء بيوم
الحساب . وكان أحدهم يمرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول : أخاف أن
يُفسد على قلبي . فمن كان له قلب فهو لا محالة يخاف من فسادهِ ، والذين أمات
حُبّ الدنيا قلوبهم فقد أخبر الله عنهم فقال : ﴿ وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا
وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴾ ؛ وقال تعالى : ﴿ وَلَا يُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا
وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ ؛ وقال تعالى : ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ تَوَلَّيَ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ
يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ ؛ فأحال ذلك كله على الغفلة وعدم الفكر .
وقال بعضهم : ما من يوم ذرّ شارقه إلا وأربعة أملاك يُنادون في الآفاق بأربعة
أصوات : ملكان بالشرق وملكان بالمغرب يقول أحدهم بالشرق : يا باغي الخير
هلم ، ويا باغي الشر أَقْصِرْ . ويقول الآخر : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُتَّقَا خَلْقًا ، وَأَعْطِ مُمَسْكَ
تلفاً . ويقول اللذان بالمغرب أحدهما : لِدُوا لِلْوَتِّ وَأَبْنُوا لِلْغُرَابِ ؛ ويقول الآخر :
كُلُّوا وَتَمَتُّعُوا طُولَ الْحَسَابِ .

ذِكْرُ بَيِّنَاتِ أَعْلَامَاتِ الزَّهْدِ

- قال الغزالي رحمه الله تعالى : \approx أنه قد يَصْرُ أن تارك المال زاهد ، وليس
كذلك ؛ فإن ترك المسكن والمظهر حشمة سبى على من أحب المدح بالزهد . فكم

- من الرّاهين من ردّوا أنفسهم كل يوم الى تَرْز يسير من الطعام ولازموا ديرًا لا باب له ، وإنما مسرة أحدهم معرفة الناس حاله ونظرهم إليه ومدحهم له ؛ فذلك لا يدلّ على الزهد دلالة قاطعة ؛ بل لا بدّ من الزهد في المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد^(٢) في جميع حظوظ النفس من الدنيا ؛ بل قد يدعى جماعة الزهد مع بُس الأصواف الفاخرة والثياب الرقيقة كما قال الخواص في وصف المدّعين إذ قال : وقوم ادّعوا الزهد وليسوا الفاعر من الثياب يُمَوِّهون بذلك على الناس ليهتدى إليهم مثل لباسهم لئلا يُنظر إليهم بالعين التي يُنظر بها الى الفقراء فيحقرُوا فيعطُوا كما يعطى المساكين ويحتجّون لأنفسهم باتباع السلم وأنهم على السنة وأت الأشياء داخلة إليهم وهم خارجون منها ، وإنما يأخذون [ما يأخذون] بعلّة غيرهم ؛ هذا إذا طُلبوا بالحقائق وأُلحوا الى المضايق . وكلّ هؤلاء أكّلة الدنيا بالدين لم يُعتوا بتصفية أسرارهم ولا بهذيب أخلاق نفوسهم ، فظهرت عليهم صفاتهم فظلبتهم فأدّسوها حالاً لهم ، فهم مائلون الى الدنيا مُتبعون للهوى . هذا كلام الخواص .
- قال الفزالي رحمه الله : فإذا معرفة الزهد أمرٌ مُشكّل ، [بل حال الزهد على الزاهد مُشكّل] ؛ فينبى أن يقول في باطنه على ثلاث علامات :
- العلامة الأولى : ألا يفرح بوجود ، ولا يحزن على مفقود ، كما قال الله تعالى : (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ) ، بل يبنى أن يكون بالفضّة من ذلك وهو أن يحزن لوجود المال ويفرح لفقده .
- العلامة الثانية : أن يستوى عنده ذاته ومادحه ؛ فالأولى علامة الزهد في المال ، والثانية علامة الزهد في الجاه .

- ٢٠ (١) الرّاهين : جمع رهاين وهو الكثير الخوف . (٢) كفا في الإحياء . وفي الأصل : « حتى يكمل الزهد بل في جميع ... الخ » . (٣) زيادة من الإحياء .

العلامة الثالثة : أن يكون أنسه بالله عز وجل ، والغالب على قلبه حلاوة الطاعة ،
إذ لا يخلو القلب من حلاوة المحبة ، إما محبة الدنيا وإما محبة الله ، وهما في القلب
كالماء والهواء في القدح ، فالماء إذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان ؛ وكل من
أيس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره . وقد قال أهل المعرفة : إذا تعلق الإيمان
بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة جميعاً وعمل لها ، وإذا بطن الإيمان في سويداء
القلب وباشره أبغض الدنيا ولم ينظر إليها ولم يعمل لها . وقد ورد في دعاء آدم
عنه السلام : اللهم إني أسألك إيماناً يشرق قلبي . وقال أبو سليمان : من شغل
بنفسه شغل عن الناس ، وهذا مقام العاملين . ومن شغل بربه شغل عن نفسه ، وهذا
مقام العارفين . والزاهد لا بد أن يكون في أحد هذين المقامين .

- ١٠ . بجملة فلامنة الزهد آستواء الفقر والغنى والعز والذل والمدح والذم ، وذلك لغلبة
ذاته بالله . ويتفرع عن هذه العلامات علامات آخر مثل أن يترك الدنيا ولا يبالى
بمنها . وقيل : علامته أن يترك الدنيا كما هي فلا يقول : أبغى رباحاً أو أعمر
معداً ، وهذا من كلام الأستاذ أبي علي الدقاق . وقال أبو خفيف : علامته
رحمة في الخروج من الملك . وقال الجنيدي : علامته خلوة القلب عما خلت
.. وعن أحمد بن حنبل وسفيان : علامة الزهد قصر الأمل . وقال رجل
١٥ . ب معد : متى أدخل حانوت التوكل وألبس برد الزهد وأقعد مع الزاهدين ؟
٢٠ . صرت من رياصتك لنفسك في المرة إلى حد لو قطع الله عنك الرزق
بمهم تصعف في نفسك ، فأما ما لم تبلغ هذه الدرجة بفيلسوفك على بساط
ببجهز لا أمر عيبك ، تفتضح . قالوا : ولا يتم الزهد إلا بالتوكل ؛
٢٠ . ترقى .

ذكر ما ورد في التوكل من فضيلته وحقيقته

أما فضيلته فقد قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ، وقال الله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ ؛ وناهيك بذلك مقاما . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ^٥ « أُرِيتُ الأُممُ في الموسم فرأيت أمتي قد ملثوا السهل والجبل فاعجبني كثرتهم وهيتهم فقيل لي أَرْضَيْتَ قلت نعم قال ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول الله قال هم الذين لا يكتوبون ولا يتطهرون ولا يَسْتَرْقُونَ وعلى رَهِمِ يَتَوَكَّلُونَ » . وقال صلى الله عليه وسلم : ^(١) « مَنْ اقْطَعَ إِلَى اللَّهِ عِزًّا وَجَلَ كَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِثْلَةَ رِزْقِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ انْقَطَعَ إِلَى الدُّنْيَا وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا » . ^{١٠}



وأما حقيقة التوكل فقد قال الغزالي رحمه الله : التوكل مشتق من الوكالة ^(٢) يقال : وَكَّلَ أَمْرَهُ إِلَى فُلَانٍ أَيْ فَوَّضَهُ إِلَيْهِ وَأَعْتَمَدَ عَلَيْهِ [فِيهِ] . وَيُسَمَّى الْمُوَكَّلُ إِلَيْهِ وَكِيْلًا ، وَيُسَمَّى الْمَفَوَّضُ إِلَيْهِ مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ وَمُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ مَهْمَا أَطْعَمَتْهُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَوَقَّعَتْهُ وَلَمْ يَتَّهِمْ فِيهِ [بِتَقْصِيرِهِ وَلَمْ يَتَّقِدْ فِيهِ عِجْزًا وَلَا قُصُورًا] . ثُمَّ قَالَ بَعْدَ أَنْ ضَرَبَ لِذَلِكَ أَمْثَلًا يَطُولُ شَرْحُهَا : وَأَعْلَمُ أَنَّ حَالَةَ التَّوَكُّلِ فِي الْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ : ^{١٥}
الأولى : أَنْ يَكُونَ حَالُهُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى وَالثِّقَةِ بِكَفَائَتِهِ وَهَيَاتِهِ كَحَالِهِ فِي الثِّقَةِ بِالْوَكِيلِ .

(١) في الإحياء (ح ٤ ص ٢٤٢) : « كده الله كل مودة ودره ... » .

(٢) الرائدة عن إحياء . (٣) كذا في الإحياء . وفي الأسر : « انوكلي به ... » .

(٤) كذا في الأسر والإحياء . ولعلها : « ما طمأنت ... » . (٥) زيادة عن الإحياء .

الثانية وهي أقوى : أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل في حق أمه فإنه لا يعرف غيرها ولا يفزع إلى سواها ولا يعتمد إلا إياها ؛ فإن رآها تعلق في كل حال بها ، وإن أباه أصر في غيبتها كان أول سابق إلى لسانه : يا أمه ، وأول حاطر يخطر على قلبه أمه لوئوه بكفالتها وكفائتها وشفقتها .

- الثالثة وهي أعلاها : أن يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الناسل بقلبه كيف أراد لا يكون له حركة ولا تدبير . قال : وهذا المقام في التوكل يُمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته ، وأنه يُعطى ابتداء أفضل مما يُسأل . وقد تكلم المشايخ في التوكل وبيان حده واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد عن مقام نفسه وأخبر عن حده .

- ١٠ قال أبو موسى الدبلي : قلت لأبي يزيد : ما التوكل ؟ فقال : ما تقول أنت ؟ قلت : إن أصحاب يقولون : لو أن السباع والأفاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك . فقال أبو يزيد : نعم هذا قريب ، ولكن لو أن أهل الجنة في الجنة يتمتعون ، وأهل النار في النار يُعذبون ، ثم وقع بك تمييزٌ عليهما خرجت من جملة التوكل . وسئل أبو عبد الله القرشي عن التوكل فقال : التعلق بالله تعالى في كل حال . فقال السائل : زدني ؟ فقال : ترك كل سبب يُوصِّل إلى سبب حتى يكون [الحق] هو المتوكل لذلك . وهذا مثل توكل إبراهيم الخليل عليه السلام إذ قال له جبريل : ألك حاجة ؟ فقال : أما إليك فلا ، إذ كان سؤاله يُقصي إلى سبب فترك ذلك ثقة بأن الله يتولى ذلك .



(١) كذا في الإحياء . وفي الأصل : « يمت » .

(٢) زيادة في الإحياء .

قال أبو سعيد الخزاز : التوكل اضطراب بلا سكون، وسكون بلا اضطراب .
أشار بالأول إلى فزعه إلى الله تعالى وأتبعه اضطرابه بين يديه كأضطراب الطفل
بيديه إلى أمه ؛ وبالثاني إلى سكون القلب إلى الوكيل وقتته به ^(١) . وقال أبو علي
الدقاق : التوكل على ثلاث درجات : التوكل ثم التسليم ثم التفويض ، فالتوكل
يسكن إلى وعده ، وصاحب التسليم يكتفى بعلمه ، وصاحب التفويض يرضى بحكمه .
وقال : التوكل بداية ، والتسليم وسائط ، والتفويض نهاية . وقال : التوكل صفة
المؤمنين ، والتسليم صفة الأولياء ، والتفويض صفة الموحدين .

وسئل ابن عطاء عن حقيقة التوكل فقال : ألا يظهر فيك أزواج إلى الأسباب
مع شدة فافتك إليها ، ولا تروى عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها .
وقال أبو نصر السراج : شرط التوكل ما قاله أبو تراب النخشي وهو طرح البدن
في العبودية وتعلق القلب بالربوبية والطمأنينة إلى الكفاية ، فإن أُعطي شكر ، وإن
مُنِع صبر . وكما قال ذو النون : التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول
والقوة . وقال أبو بكر الدقاق : التوكل ردّ العيش إلى يوم واحد وإسقاط هم غد .

وسئل ذو النون : ما التوكل ؟ فقال : خلع الأرباب ، وقطع الأسباب . فقال
السائل : زدني ؛ فقال : إلقاء النفس في العبودية وإنراجها من الربوبية . وقال
مسروق : التوكل الاستسلام لحرمان القضاء والأحكام . وقال أبو عثمان : التوكل
الاكتفاء بالله مع الاعتماد عليه . وقيل : التوكل الثقة بما في يد الله واليأس مما
في يد الناس . وقيل : التوكل فراع السرّ عن التفكر في التقاضى في طلب الرزق .

(١) كذا في الإحياء . وفي الأصل : « وما نأى سكون لقلب إلى توكل وثقة » .

(٢) في الأصلين : « سكن » والسياق يقتضى ما أثبتناه . (٣) في الأصل : « بحر يا » .

ذكر بيان أعمال المتوكلين

- قال الفزائى رحمه الله : قد يُظَنُّ أن معنى التوكُّل تركُ الكسب [بالبدن] وترك التدبير بالقلب ، والسقوطُ على الأرض كالخُرقة الملقاة وكالحلم على الوضوء ، وهذا ظنُّ الجهال ، فإنَّ ذلك حرامٌ فى الشرع ، والشرع قد اتفق على المتوكلين فكيف يُنال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين ! بل إنما يظهر تأثير التوكُّل فى حركة العبد وسعيه بعمله إلى مقاصده . وسعى العبد باختياره إما أن يكون لأجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب ، أو لحفظ نافع هو موجود عنده كالآذخار ، أو لدفع ضار لم يتزل به كدفع الصائل والسارق والسباع ، أو لإزالة ضار قد نزل به كالتداوى من المرض . فقصور حركات العبد لا يعدو هذه الحالات الأربع التى هى جلبُ النافع أو حفظه أو دفعُ الضار أو قطعه . ثم ذكر شرط التوكُّل ودرجاته فى كل واحد منها ، وقرن ذلك بشواهد الشرع ، فقال ما مختصره ومعناه :



- أما جلبُ النافع ، فالأسباب التى بها يجلب النافع على ثلاث درجات : مقطوع به ، ومظنون ظناً يوثق به ، وموهم وهماً لا تتق النفس به ثقة تامة ولا تعلّمن إلى .
- فالدرجة الأولى : المقطوع به كالطعام إذا وضع بين يدي الرجل وهو جائع محتاج إلى تناوله فامتنع من مده إليه وقال : أنا متوكِّل ، وشرط التوكُّل ترك السعى ، ومُدُّ اليد إليه سعىً وحركة ، وكذلك مضغه بالأسنان وأبتلاعه بإطباق أعالي الحنك على أسفله ، فهذا جنون وليس من التوكُّل فى شيء ، فإنه إن أنتظر أن الله تعالى يخلق فيه شيئاً دون الخبز أو يستخر ملكاً يمضغه ويوصله إلى معدته فهذا رجلٌ جهل سنة الله
- (١) الزيادة عن الزحيا . (ج . ص ٢٥٣ حبة بلاذ) . (٢) كما رأى إبراهيم . وفى الأصل : ٢٠

تعالى؛ وكذلك لو لم يزرع الأرض وطمع أن الله تعالى يخلق نباتاً من غير بذر أو تلة
زوجه من غير مباذعة كبريم، فكل ذلك جنون؛ بل يجب عليه أن يعلم أن الله
تعالى خالق الطعام واليد والأمتان وقوة الحركة، وأنه الذي يطعمه ويسقيه، وأن
يكون قلبه وأعماده على فضل الله تعالى لا على اليد والطعام، فليمد يده ويأكل
فإنه منوبل.

والدرجة الثانية: الأسباب التي ليست متعينة، ولكن الغالب أن المسببات لا تحصل
دونها؛ احتمال حصولها دونها بعيد كالذي يفارق الأمصار والقوافل ويسافر في البوادي
التي لا طرقاتها الناس إلا نادراً ويكون سفره من غير استصحاب زاد، فهذا ليس
شرطاً، التوكل، بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الأولين مع الاعتماد على
فضله عز وجل لا على الزاد؛ ولكن فعل ذلك جائز، وهو من أعلى مقامات
التوكل وهو فعل الخواص. قال القرطبي: فإن قلت: فهذا سعي في الهلاك وإلقاء
النفس إلى التهلكة، فأعلم أن ذلك يخرج عن كونه حراماً بشرطين: أحدهما أن
يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدتها حتى صبرت عن الطعام أسبوعاً أو ما يقاربه
بحيث أنه لا يناله ضيق قلب ولا تشوش خاطر. والثاني أن يكون بحيث يقوى
عمله يتقوت بالحشيش وما يتفق من الأشياء الخسيسة، فإنه لا يخلو غالب الأمر
في البرادي في كل أسبوع أن يلقاه آدمي أو ينتهي إلى محلة أو قرية أو إلى حشيش
يتقوت به؛ وعلى هذا كان يقول الخواص ونظرائه من المتوكلين. وقد كانت
الخواص مع توكله لا تفارقه الإبرة والمقراض والحبل والركوة، ويقول: هذا
لا يقدمه التوكل.

أما لو انحاز إلى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقة

... من متوكلاً فهو آثم به ساع في إهلاك نفسه.

- وأما القاعد في البلد بغير كسب فليس ذلك حراماً، لأنه لا يبعد أن يأتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتأخر عنه . فإن أُلْغِيَ باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لأحد إليه ففعله ذلك حرام . فإن فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة فالكسب والخروج له أولى ، ولكن ليس فعله حراماً إلا أن يُسْرِف على الموت، فعند ذلك يلزمه الخروج والسؤال والكسب . وإن كان مشغول القلب بالله غير متطّلع إلى الناس ولا إلى من يدخل من الباب فيأتيه برزق، بل تطلّعه إلى فضل الله تعالى واشتغاله بالله فهو أفضل وهو من مقامات التوكل، فإن الرزق يأتيه لا بحالة . فلو هرب العبد من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لأدركه .

- قال ابن عباس رضي الله عنهما : اختلف الناس في كلّ شيء إلا في الرزق والأجل [فإنهم] ^(١) أجمعوا أن لا رازق ولا مُميت إلا الله تعالى . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لو توكلتم على الله تعالى حقّ توكله لرزقكم ^(٢) كما يرزق الطير تفتدو نعاماً وتروح بطناً وزالت بدعاتكم الجبال" . وقال عيسى عليه السلام : أنظروا إلى الطير لا تززع ولا تحصد ولا تذر واقه تعالى يرزقها يوماً بيوم، فإن قتم نحن أكبر بطونا، فانظروا إلى الأنعام كيف قبض الله تعالى لما هذا الخلق [للرزق] ^(٣) . وقال أبو يعقوب السوسى : المتوكلون تجرى أرزاقهم على أيدي العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكودون . وقال بعضهم : العبد كلهم في رزق الله تعالى ، لكن بعضهم يأكل بذل كالسؤال، وبعضهم يأكل بتمب كالنجار، وبعضهم بامتنان كالصانع، وبعضهم بمز كالصوفية، يشهدون العزيز فيأخذون رزقهم من يده ولا يرون الوسطة .

- والدرجة الثالثة : ملازمة الأسباب التي يتوهم إفضاؤها إلى المسببات من غير جهة ظاهرة، كالذي يستقصى في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الأكسباب ووجوهه،

(١) زيادة الإحياء . (٢) كما في الإحياء . في الأصل : «لرزقكم ...» .

وذلك يُخرج بالكَلِّية عن درجات التوكل كلها، وهو الذى الناس كلهم فيه من التكسب بالحيل الدقيقة اكتساباً مباحاً لمالٍ مباح . هذا ملخص ما أورده رحمه الله تعالى في جلب النافع، وذكر لذلك أمثلة ونظائر تركها اختصاراً .



وأما حفظ النافع فهو التعرض لأسباب الأذى، فن حصل له مال بإرث أو كسب أو سؤال أو سبب من الأسباب فله في الأذى ثلاث أحوال :

الأولى : أن يأخذ قدر حاجته في الوقت فيأكل إن كان جائعاً، ويلبس إن كان طارياً، ويشتري مسكناً مختصراً إن كان محتاجاً، ويُفترق الباقي في الحال ولا يتذخر منه إلا ما أرصده لمحتاج؛ فهذا هو الموفق بموجب التوكل تحقيقاً، وهى الدرجة العليا .
الحالة الثانية المقابلة لهذه المخرجة له عن حدود التوكل : أن يتذخر لسنه لما فوقها، فهذا ليس من المتوكلين أصلاً .

الحالة الثالثة : أن يتذخر لأربعين يوماً فما دونها، فهذا يُوجب حرمانه من المقام المحمود الموعود في الآخرة للتوكلين . وقال الخواص : لا يخرج بأربعين يوماً ويخرج بما زاد عليها .



وأما دفع الضار عن النفس والمال فقد قال الفزائى رحمه الله : ليس من شرط التوكل ترك الأسباب الدافعة للضرر . أما في النفس فكالنوم في الأرض المتسبعة أو في مجارى السيل من الوادى أو تحت الجدار المسائل أو السقف المتكسر، فإن ذلك منتهى عنه وصاحبه قد عرض نفسه إلى الهلاك بغير فائدة . وأما في المال فلا ينقص التوكل إغلاق باب البيت عند الخروج منه ولا أن يُعقل البعير . فهذه أسباب عرفت بسنة الله تعالى ، فقد روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه

قال : جاء رجل على ناقة فقال : يا رسول الله ، أدعها وأتوكل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إِعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ " .



وأما إزالة الضرر فقد قال الغزالي رحمه الله تعالى : إن الأسباب المزيلة للضرر تنقسم إلى مقطوع به كإلغاء المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع ، وإلى مظنون كالقصد والحجامة وشرب الدواء وسائر أبواب الطب ، وإلى موهوم كالكي والرقية .

أما المقطوع به فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف الموت .
وأما الموهوم ، فشرط التوكل تركه ، إذ بتركه وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم ' المتوكلين . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لم يتوكل من استرق وأكتوى " .
وقال سعيد بن جبير : لدغني عقرب فقسمت على أمي تتسرقين ، فناولت الراقي يدي التي لم تدغ .

وأما بدرجة 'وسطى وهي 'المظنونة كالمداواة بالأسباب الظاهرة عند الأطباء ففعل ذلك لأية قض 'التوكل بخلاف 'الموهوم ، وتركه ليس بخطور بخلاف المقطوع به . وقد تدوى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بالتداوى وقال : " ما من داء إلا وله دواء عرّفه من عرفه وجهله من جهله إلا السام " من الموت ؛ وتضافرت الأحاديث بالأمر بالدواء .

وممنهم من رأى أن ترك التداوى قد يُحمد في بعض الأحيان إذا اقترن به أحد أسباب ستة :

الأول : أن يكون المريض من المكشفين وقد كُشف بأنه انتهى أجله وأن الدواء لا ينفعه . وتحقق ذلك إما برؤيا صادقة أو بحس وطق أو بكشف محقق

كحال أبي بكر الصديق رضى الله عنه لما قيل له فى مرض موته : لو دعوتك طبيباً ! فقال : الطبيب نظر إلى - وقال إني فقال لما أريد . وكان رضى الله عنه من المكاشفين ؛ والدليل على ذلك أنه قال لعائشة رضى الله عنها فى أمر الميراث : إنما هن أختاك ؛ وما كان لها إلا أخت واحدة وكانت أمراًته حاملاً فولدت أنثى ؛ فلا يبعد أن يكون كشف بآتهاء أجله ؛ ومحال أن ينكر التداوى وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله .

الثانى : أن يكون المريض مشغولاً بحاله وبخوف عاقبته وأطلاع الله تعالى عليه ، فينسى ذلك ألم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوى شغلاً بحاله ، كحال أبي ذر لما رمدت عيناه ، فقيل له : لوداويتهما ! فقال : إني عنهما مشغول . فقيل له : لو سألت الله أن يفايك ! فقال : أسأل فيما هو أهم علىّ منهما . وكحال أبي لدرء فإنه قيل أنه فى مرضه : ما تشكى ؟ قال : ذنوبى . قيل : فما تشتهى ؟ قال : مغفرة ربى . قالوا : ألا ندعوك طبيباً ؟ قال : الطبيب أمرضى . ويكون حال هذا كالمصاب بموت عزيز من أحببه أو كالحائف من ملك فيشغله ذلك عن ألم الجوع .

(١٢٥)

الثالث : أن تكون نعمة مزمنة والدواء الذى يؤمر به بالإضافة إلى علته موهوم كالكي والرقية ، فتركه للتوكل كإبراهيم بن خيثم فإنه أصابه فالج ، فقيل له : لوداويت ! فقال : لقد هممت ثم ذكرت عاداً وثمود وقروناً بين ذلك كثيراً وكان فيهم الأطباء فهلك المداوى والمداوى ولم تقن الرقى شيئاً . أى إن الدواء غير موثوق به .

الرابع : أن يقصد العبد ترك التداوى استيفاءً للرض لئال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى وليجرب نفسه فى القدرة على الصبر .

الخامس : أن يكون لعبد قد سبق له ذنوب وهو خائف منها طاجز عن تكفيرها فيرى المرض إذا طال تكفيراً ، وترك التداوى خوفاً من أن يسرع زوال

المرض ورغب في مضاعفة الأجر . فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
 «نُحْمَى يَوْمَ كَفَّارَةِ سَنَةٍ» .

- السادس : أن يستشعر العبد في نفسه مبادئ البَطَر والطُغيان بطول مدة الصبحة ،
 فيترك التداوى خوفاً من أن يُعاجله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر والطغيان
 أو طولُ الأمل والتسويُّف في تدارك الفائت وتأخير الخيرات ؛ فإن الصبحة تُحْزَك
 المسوى وتبعث على الشهوات وتدعو إلى المعاصي ، وأقلها أن تدعو إلى التمتع
 في المباحات وهو تضييع الأوقات وإهمال الربح العظيم في مخالفة النفس وملازمة
 الطاعات . وإذا أراد الله بعيد خيراً لم يُخلِّه عن التنبيه بالأمراض والمصائب ؛ ولذلك
 قيل : لا يغفلو المؤمنون من علة أو قلة أو ذلة . قال : فلما أن كثرت فوائد المرض
 رأى جماعة ترك الحيلة في زوالها ، إذ رأوا لأنفسهم مزيداً فيها لا من حيث رأوا
 التداوى نُقصاناً ، وكيف يكون ذلك قصصاً وقد فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ! .
 فهذه بُدْءُ كافية في مقامى الزهد والتوكل . فلنذكر الأدعية .

الباب الرابع

من القسم الرابع من الفن الثاني

في الأدعية

- وهذا الباب — يقبل الله منا ومنك وفيك صالح الدعوات ، وجعلنا وإياك من
 أعتمد على كرمه وسمته في الحركات والسكنات ؛ ووقفنا للتضرع والسكون إلى فضله ،
 وطأنا بما هو من أهله لا مانع من أهله — هو مشرع الظمان إلى موارد الكرم العذبة ،
 ومقرع الحيران إذا ألمت به الضائقة وحصرته الكربة ؛ فيه يُتَوَسَّلُ إلى الله تعالى
 في مطالب الدنيا والآخرة ، ويُتَوَسَّلُ إلى النعم الوافية والخيرات الواقعة ؛ كيف لا وقد

أمرنا الرب العظيم بالدعاء والإنابة ، ووعدهنا وهو الوفي الكرم بالقبول والإجابة ؛ وترادفت بفضلها الأخبار الصحيحة ، وجاءت بشرفه الآثار الصريحة ؛ على ما ستقف على ذلك إن شاء الله تعالى واضحا ، وتقول عليه مقيا وطاعنا وغاديا ورائحا . فلا يزمه في سائر أحوالك ، وتعا هذه في بُرُكِّ وأصالك ؛ فستجنى إن شاء الله منه ثمار غرسك ، وتجد حلوة ذلك في قلبك وأمنه في نفسك .

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِلدَّعَاءِ ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ ، أَرْكَانًا وَأَجْنَعةَ وَأَسْبَابًا وَأَوْقَانًا . قَالَ : فَإِنْ وَافَقَ أَرْكَانَهُ قَوًى ، وَإِنْ وَافَقَ أَجْنَعتَهُ طَارَ فِي السَّمَوَاتِ ، وَإِنْ وَافَقَ مَوَاقِيتَهُ فَازَ ، وَإِنْ وَافَقَ أَسْبَابَهُ أَتَمَّجَ . فَأَرْكَانُهُ حُضُورُ الْقَلْبِ وَالرِّقَّةُ وَالْاِسْتِكَانَةُ وَالْخُشُوعُ وَتَعَلُّقُ الْقَلْبِ بِاللَّهِ وَقَطْعُهُ مِنَ الْأَسْبَابِ . وَأَجْنَعتُهُ الصَّدَقُ . وَمَوَاقِيتُهُ الْأَحْصَارُ .

وَأَسْبَابُهُ الصَّلَاةُ عَلَى عَهْدِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ . رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكُنْتُ تَرَى لِبَعْضِ دَعَائِكَ الْإِجَابَةَ وَلَا تَرَى لِبَعْضِهِ فَيَقُولُ نِمَ فَيَقُولُ لَهُ أَمَا إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي بِدَعْوَةٍ إِلَّا وَقَدْ اسْتَجَبْتُ لَكَ فِيهَا أَلَيْسَ دَعَوْتَنِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا فَارَأَيْتَ الْإِجَابَةَ فَيَقُولُ نِمَ وَيَقُولُ وَدَعَوْتَنِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا فَلَمْ تَرَ الْإِجَابَةَ فَيَقُولُ فَرَأَيْتَ الْإِجَابَةَ فَيَقُولُ لَكَ فِي الْجَنَّةِ فَلَا يَبْقَى لَهُ دَعْوَةٌ إِلَّا يَبْنَاهُ لَهُ حَتَّى يَتِمَّتْ الْمُؤْمِنُ أَنْ دَعَوَاتِهِ كُلُّهَا كَانَتْ ذَخَائِرَهُ فِي الْآخِرَةِ " .

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنْ ائْتَمَّ هُوَ الْعِبَادَةُ " قَالَ : وَقَدْ رُبَّمَا أَذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنْ أَلَدَّيْنِ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدَّعَاءِ " . وَعَنْ

ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِنْ ائْتَمَّ يَنْفَعُ

- مما نزل وما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء". وعن أنس رضى الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله عز وجل حيٌّ كريم يستحي إذا بَسَطَ الرجلُ إليه يديه أن يردهما صَفْرًا ليس فيهما شيء". وعن أبي سعيد الخُدريّ رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "دعوة المسلم لا تُردُّ إلا بإحدى ثلاث ما يُدْعُ بِإِيْمٍ أو قِطْعَةٍ رَاحِمٍ إِمَّا أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ فِيمَا دَعَا أَوْ يَقْرَأَ فِي الْآخِرَةِ أَوْ يُصِرُّ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ بِقَدَرٍ مَا دَعَا". وعن أنس رضى الله عنه قال: قبل يارسول الله: إنا ندعو بدعاء كثير منه ما نرى إجابته ومنه ما لا نرى إجابته فقل: "والذى نفسى بيده ما من أحد يدعو بدعوة إلا أستجيب له أو صُرف عنه مثلها شرًا". قلوا: يارسول الله، إذا نُكِرَ؟ قال: "الله أكثر وأكثر" ثلاث مرات.
- وعنه رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "دعوة في السر تعيل سبعين دعوة في العلانية". وعن أبي سعيد الخُدريّ رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله عز وجل في الليل والنهار عَتَقَاءَ مِنَ النَّارِ وَلِكُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ". وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله تعالى يقول من ذا الذى دعانى فلم أُجِبْهُ وسألنى فلم أُعْطِه واستغفرنى فلم أُغْفِرْ لَهُ وأما أرحم الراحمين". وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا فتح الله على عبدٍ بابَ الدِّعاءِ فليكثر فإن الله يستجيب له". وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من فُتِحَ له بابٌ في الدِّعاءِ فُصِّحَ له أبوابُ الإجابة". وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من لم يسأل الله يغضب عليه". وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ قوله تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) الآية فقال صلى الله عليه وسلم: "اللهم إنك

أمرت بالدعاء وتوكلت بالإجابة ليك اللهم ليك لا شريك لك ليك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك أشهد أنك فردٌ أحد صمدٌ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد وأشهد أن وعدك حق ولقاءك حق والجنة حق والنار حق وأن الساعة آتيةٌ لا ريب فيها وأنت تبعث من في القبور“ . هذا مما ورد في الحديث على الدعاء .



وأما ما ورد في نفع الدعاء ودفعه للبلاء؛ روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: “إن أنواع البر كلها نصفُ العبادة والنصف الآخر الدعاء“. وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : “لا ينفع حذرٌ من قدر والدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل وإن الدعاء ليلقي البلاء فيعتلجان إلى يوم القيامة“ . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : “الدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل وإن الدعاء ليرد القضاء المُبرم وإن الدعاء والبلاء ليلتقيان بين السماء والأرض فلا يزال أحدهما يدفع صاحبه إلى يوم القيامة“ . وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : “لا يرَد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر“ . وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : “الدعاء سلاحُ المؤمن وعمادُ الدين ونورُ السموات والأرض“ .



وأما ما ورد في الإلحاح في الدعاء وهيئة الدَّلَّة والإجابة؛ قال الله تعالى : **رَادُّوْا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُتَعَدِّينَ** . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : “إن الله يحبُّ المُلِحِّينَ في الدعاء“ . وعن أبي هريرة

- رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أدعوا الله وأتمموا موفونون بالإجابة وأعلموا أن الله عز وجل لا يستجيب دعاء من قلب ساه لاه". وعن أنس رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه في الدعاء حتى يرى بياض إبطيه . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا جعل باطن كفيه إلى وجهه . وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "سلوا الله ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها فإذا فرغتم فأمسحوا بها وجوهكم" وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن ربكم عز وجل حي كريم يستحي أن يرفع العبد يديه فيردهما صغرا لا خير فيهما فإذا رفع أحدكم يده فليقل يا حي لا إله إلا أنت يا أرحم الراحمين ثلاث مرات ثم إذا رده فليفرغ ذلك الخبير على وجهه" . وعن عمر رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه . وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "الإخلاص هكذا ورفع إصبعاً واحداً من اليدين والدعاء هكذا وجعل بطونهما مما يلي السماء والابتهاج هكذا ومد يديه شيئاً وجعل ظهر الكف مما يلي السماء" . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء" .



- وأما ما ورد من كراهية استعجال الإجابة ورفع البصر والسجعة في الدعاء قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ يَدْعُونَ يَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "يستجاب لأحدكم ما لم يعجل" .

فيقول قد دعوتُ فلم يُسْتَجَبْ لِي“ . وعنه صلى الله عليه وسلم : ”لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل“ . قالوا : وكيف يستعجل ؟ قال : ”يقول قد دعوت الله صرارا فلا أراه يستجيب لي“ . وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لَيَتَّبِعَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ رِنْعِ أَبْصَارِهِمْ عِنْدَ الدَّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ إِلَى السَّمَاءِ أَوْ لَتُخَطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ“ . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لِيَاكَ وَالسَّجْعَ فِي الدَّعَاءِ فَإِنِّي شَهِدْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ لَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ .



وأما ما ورد فيمن نجاب دعواتهم . قال الله عز وجل : ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ . وقال تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ﴾ . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ”عَسُ دَعَوَاتٍ لَا تُرَدُّ دَعْوَةُ الْحَاجِّ حَتَّى يَصْدُرَ دَعْوَةُ الْفَازِي حَتَّى يَرْجِعَ دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ حَتَّى يَتَخَيَّرَ دَعْوَةُ الْمَرِيضِ حَتَّى يَبْرَأَ دَعْوَةُ الْأَخِي لِأَخِيهِ بِالْغَيْبِ وَأَسْرَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ إِجَابَةٌ دَعْوَةُ الْأَخِ لِأَخِيهِ بِالْغَيْبِ“ . وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ”ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْوَالِدِ وَدَعْوَةُ الْمَسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ“ . وفي حديث آخر : ”دَعْوَةُ الصَّائِمِ بِدَلِّ دَعْوَةِ الْوَالِدِ“ . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمُعَاذِ بْنِ جَعْفَرٍ : ”إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَأَتِيكَ دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ“ . وعنه صلى الله عليه وسلم : ”الْإِمَامُ الْعَادِلُ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُ“ . وقال صلى الله عليه وسلم : ”ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ إِمَامٌ مُقْسِطٌ وَدَعْوَةُ الصَّائِمِ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا تُعْزِزُكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ“ . وعنه صلى الله عليه وسلم : ”دَعَاءُ الْوَالِدِ لَوْلَدِهِ مِثْلُ دَعَاءِ النَّبِيِّ لِأُمَّتِهِ“ . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

- ”أمرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب“. وعن أبي الدرداء، رضى الله عنه، عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ”دعوة الرجل لأخيه بظهر الغيب تعدل سبعين دعوة مستجابة ويؤكل الله عز وجل ملكا يقول آمين ولك مثل ما دعوت“. وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ”ما من مؤمن يدعو لأخيه المؤمن بظهر الغيب إلا قال له ملك عن يمينه وملك عن شماله ولك مثله“. وعن أبي أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ”حامل القرآن له دعوة مستجابة“. وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ”إذا دخلت على المريض فسله يدعو لك فإن دعاءه كدعاء الملائكة“. وعن أنس رضى الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ”من أظم الدعاء لم يحرم الإجابة لأن الله تعالى يقول: (أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) ومن أظم التوبة لم يحرم القبول لأن الله تعالى يقول: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ) ومن أظم الشكر لم يحرم الزيادة لأن الله تعالى يقول: (وَلَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) ومن أظم الاستغفار لم يحرم المغفرة لأن الله تعالى يقول: (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا) ومن أظم المقة لم يحرم الخلف لقوله تعالى: (وَمَا أَنتَقِمُ مِنْ شَيْءٍ قَهْوًا مُحَلْفَةً)“.

١٥ ذكر الأوقات التي تُرجى فيها إجابة الدعاء

- قال الله عز وجل: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ بِحَمْدِهِ فَافْلِلْ لَكَ). وقال تعالى: (إِنَّ مَآشِقَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَضْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا). وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ”ينزل الله حين يبقى ثلث الليل إلى السماء الدنيا فيقول من يسألني فأعطيه ومن يدعوني فأستجيب له ومن يستغفرني فأغفر له“. وعنه صلى الله عليه وسلم: ”تفتح أبواب السماء ويستجاب دعاء المسلم عند إقامة الصلاة وعند

- تزول الغيث وعند زحف الصفوف في سبيل الله وعند رؤية الكعبة . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إذا فابت الأقياء وهبت الرياح فأركعوا إلى الله حوائجكم فإنها ساعة الأوابين إنه كان للأوابين غفورا" . وعن أبي أمامة قال قلت : يا رسول الله ، أى الدعاء أسمع ؟ قال : "جوف الليل وأدبار المكتوبات" . وعن ابن عمر قال : أفضل الساعات مواقيت الصلاة فأدعوا فيها . وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : "خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة إن فيه لساعة لا يوافقها عبدٌ يصل يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه" . وقد اختلف في ابتداء وقت هذه الساعة ف قيل : أول ساعة من طلوع الشمس ، وقيل : آخر ساعة من غروبها ، وقيل : عند جلوس الإمام على المنبر ، وقيل : من الزوال إلى ابتداء الصلاة ، وقيل : من بعد العصر إلى الغروب ، وقيل : إنها تنتقل في ساعات اليوم كما تنتقل ليلة القدر في شهر رمضان . روى عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري قال : قال لى عبد الله بن عمر رضى الله عنهم : أسمعت أباك يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن ساعة الجمعة ؟ قال : نعم ، سمعته يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن ساعة الجمعة يقول : "هى ما بين أن يحلوس الإمام إلى أن تُقضى الصلاة" . وعن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها عن أبيها صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إن في الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه" . فقلت : يا أبت ، أى ساعة هى ؟ قال : "إذا تلتى نصف الشمس للغروب" . فكانت فاطمة رضى الله عنها إذا كان يوم الجمعة تأمر غلاما لها يقال له زيد يرصد لها الشمس ، فإذا تلتى نصف الشمس للغروب أعلمها ، فتقوم فتدخل المسجد فتدعو حتى تغرب الشمس وتصل .

وحيث ذكرنا هذه المراتب فلنذكر الأدعية المنصوص عليها .

ذكر دعوات ساعات الأيام السبعة ولياليها

قد أورد الشيخ أبو العباس أحمد بن علي بن يوسف القرشي البوني رحمه الله تعالى دعوات الساعات في اللغة النورانية ^(١) فبدأ بيوم الأحد وذكر دعاء كل ساعة منه، ثم ذكر يوم الاثنين فقال: ساعة كذا يدعى فيها بدعاء ساعة كذا من يوم الأحد، ثم ذكر يوم الثلاثاء فقال: ساعة كذا يدعى فيها بدعاء ساعة كذا من يوم الاثنين وكذلك في بقية ساعات الأيام والليالي، يذكر كل ساعة ويُحِيل في دعائها على ساعة من اليوم أو الليلة التي قبلها. فرأيت أن الرغب في الدعاء يحتاج في معرفته إلى كشف طويل وتحقيق إلى أن يصل إلى تلك الساعة من يوم الأحد، وربما تعدر ذلك على كثير من الناس، فرتبت الأدمية على ما ستقف إن شاء الله تعالى عليه ليسهل على المتناول طريقها ويدنو من المحاول تحقيقها، فقلت وبالله التوفيق:

- ١٠ دعاء يُدعى به في الساعة الأولى من يوم الأحد، وفي الثامنة من ليلة الاثنين، وفي العاشرة من يوم الاثنين، وفي الخامسة من ليلة الثلاثاء، وفي السابعة من يوم الثلاثاء، وفي الثانية من ليلة الأربعاء وفي الرابعة من يوم الأربعاء، وفي الحادية عشرة من ليلة الخميس وفي الأولى من يوم الخميس، والحادية عشرة من ليلة الجمعة والعاشرة من يوم الجمعة، وفي الثامنة من ليلة السبت وفي السابعة من يوم السبت، وفي الخامسة من ليلة الأحد، وهو:

^(٢) "رب أغمسنى في بحر [من] بور هيتك حتى أخرج منه وفي وجهي شعاعات هية تحطف أبصار الحاسدين من الجن والإنس فتعصمهم عن رمي سهام الحسد في قرطاس

(١) في الأصل: "العلم النورانية" وصحة الاسم ما ذكرناه. وفي دار الكتب المصرية منه نسخة مطبوعة تحت رقم (١٩٩٣ و ٨٥ م تصوف).

(٢) زيادة عن اللغة النورانية.

نعمتي، وأُخجني عنهم بحجاب النور الذي باطنه النور وظاهره النار . أسألك باسمك النور وبوجهك النور يانور النور أن تحجيني في نور اسمك بنور اسمك سبحانه يمنعني من كل قيس يمازج متى جوهرها أو عرّضها إنك نور الكل ومتور الكل بنورك » .

قال البوني : تدعو بهذا الدعاء ثمانيا وأربعين مرة في هذه الساعة على وضوء بعد صلاة ركعتين فيما يتعلق بسؤال الهيبة وإقامة الكلمة وقهر العدو . ويناسب هذا الدعاء من القرآن قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الآية ، قال : من قرأ هذه الآية هذا العدد المتقدم في بيت مظلم وميناء مغلقتان شاهد أنوارا عجيبة تملأ قلبه ، وإن استدام ذلك تشكّلت له في عالم الحمس . وهو ذكر يصلح لأرباب المهم وأهل الخلوات ، وكتبه وحامله تظهر له زيادات في قوى نفسه وقهر مدوّه وخضمه لم يكن يهدأ من قبل ، ومن أمكنه أن يداوى به اللعل الكائنة في الرأس خصوصا من البرودة وجد تأثير ذلك لوقته .

دعاء يدعى به في الساعة الثانية من يوم الأحد والتاسعة من ليلة الاثنين وفي الحادية عشرة من يوم الاثنين ، وفي السادسة من ليلة الثلاثاء وفي الثامنة من يوم الثلاثاء ، وفي الثالثة من ليلة الأربعاء وفي الخامسة من يوم الأربعاء ، وفي الثانية عشرة من ليلة الخميس وفي الثانية من يوم الخميس ، وفي الحادية عشرة من يوم الجمعة ، وفي التاسعة من ليلة السبت وفي الثامنة من يوم السبت ، وفي السادسة من ليلة الأحد وهو :

« ربّ فرحنى بما ترضى به عني فرحا يُبهجنى بحيل المسائر ، حتى لا ينسط شيء من وجودي إلا بما بسطه جودك العليّ . ربّ فرحنى بنيل المراد منك بفناء إرادتي متى حتى لا يكون في كوني إرادة إلا إرادتك محفولة من عوارض التكوين ، وأبهج

بذلك في سرّ سماء الأفراح في الوجودين برزق الباطن والظاهر ، إنك بأسط الرزق والرحمة يا ذا الجودِ الباسطِ يا ذا البسط والجود .

هذا الذكر من ذكره في ساعة من هذه الساعات تسعاً وأربعين مرة أذهب الله تعالى عن قلبه الحزن وعن صدره الحرج والضيق ، وفقى عنه كل هم وغم ، وبه

- يدعو المسجونون والمأسورون والمهزونون فيفرج الله تعالى عنهم ، وذلك بعد صلاة تسليتين ؛ والآيات المناسبة لهذا القسم ^(١) ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ الآية ، ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ ﴾ الآية . قال البوني : ويقدم على ذكر هذه الآيات :

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الْفَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، يقول ذلك بعد الذكر الأول مثل العدد المذكور ، فيرى المهموم من فضل الله تعالى به عجباً ، ويزداد ^(٢) [به]

- ذو السرور سروراً لا يعرف سببه . ويصلح هذا الذكر لأرباب الفيض من أهل الخلوات فإنهم يمتدحون منه أسما في خلواتهم ومخاطبات بالفاظ مختلفة بقدر الفيض والمقام والسبب ، يعرف ذلك من كانت له إحاطة بكشف أسرار الدعوات والأسماء .

(١١)

دعاء يُدعى به في الساعة الثالثة من يوم الأحد ، والعاشرة من ليلة الاثنين

وفي الثانية عشرة من يوم الاثنين ، وفي السابعة من ليلة الثلاثاء وفي التاسعة من يوم

- الثلاثاء ، وفي الرابعة من ليلة الأربعاء وفي السادسة من يوم الأربعاء ، وفي الأولى من ليلة الخميس وفي الثالثة من يوم الخميس ، وفي الأولى من ليلة الجمعة وفي الثانية عشرة من يوم الجمعة ، وفي العاشرة من ليلة السبت وفي التاسعة من يوم السبت ، وفي السابعة من ليلة الأحد . وهو :

(١) كذا في اللغة النورانية . وفي الأصل : « والآية » .

(٢) الذي في اللغة النورانية : « يضاف بعد الذكر الأول مثل هذا العدد المذكور » .

(٣) زيادة من اللغة النورانية .

«رَبِّ قَلْبِي فِي أَطْوَارِ مَعَارِفِ أَسْمَاكَ تَقْلِيًا تُشْهِدُنِي بِهِ فِي ذَرَّاتٍ وَجُودِي
مَا أودعته ذَرَّاتٍ وَجُودِي الْمَلِكِ وَالْمَلَكُوتِ حَتَّى أَطَايِنَ مَرَّيَانٍ سَرَّ قُدْرَكَ^(١٢) فِي مَعَالِمِ
الْمَعْلُومَاتِ، فَلَا يَبْقَى مَعْلُومٌ إِلَّا وَبِيْدِي سِرِّ دَقِيقَةٍ مِنْهُ مَجْذُوبَةٍ بِيَدِ الْكَمَالِ وَنُورِ الطُّلُوعِ؛
وَأَذْهَبَ ظَلَمَةُ الْإِكْرَاهِ حَتَّى أَتَصَرَّفَ فِي الْمُهْجِ بِمُهْجَاتِ الْمَحَبَّةِ إِنَّكَ أَنْتَ الْمَحَبُّ الْمَحْبُوبُ
يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ» .

قال : من دما بهذا الأسم والذكر ست عشرة مرة بعد صلاة ثلاث تسليّات
قلب الله قلبه عن كل خاطر فيه ^(١٣) قص إلى كل خاطر فيه كمال^(١٤) [في حقه^(١٥)]، ويصلح
لأرباب الاستخارات، وفيه لمرعة قضاء الحاجات معنى بدیع . والآيات^(١٦) المناسبة له
(قَوْلُهُ الْحَقُّ [وَلَهُ الْمُلْكُ])، وقوله تعالى : (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ) ، بل آخر الآية،
وقوله تعالى : (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) الآية؛ وما يناسب ذلك
من القرآن .

وهو ذكر يصلح لأرباب القلوب من تكرار الخواطر والوساوس، وله في تقلب
الأحوال أمور عجيبة عظيمة لمن فهم ذلك؛ وكذلك من كتب الذكر كله وطقه عليه
عصمه الله في تقلباته من الآفات حتى في أمور دنياء وآخرته .

(١) كذا في اللغة النورانية . وفي أحد الأصلين : «أودعته في دور ت» وفي الأصل الآخر:
«ما أودعته من ذوات ...» .

(٢) في إحدى نسخ اللغة المخطوطة : «سرفدرك ...» .

(٣) كذا في اللغة النورانية . وفي الأصلين : «مَجْذُوبَةٌ بِيَدِ كَمَالٍ يَبْدُو الْكَمَالُ وَنُورُ الطُّلُوعِ أَذْهَبَ» انخ

(٤) كذا في اللغة النورانية . وفي الأصلين : «قلب الله قلب كل من خضره فيه قص ...» .

(٥) زيادة من اللغة النورانية .

(٦) كذا في اللغة النورانية : وفي الأصلين : «والآية ...» .

- دعاء يدعى به في الساعة الرابعة من يوم الأحد، وفي الحادية عشرة من ليلة الاثنين وفي الأولى من يوم الاثنين، وفي الثامنة من ليلة الثلاثاء وفي العاشرة من يوم الثلاثاء، وفي الخامسة من ليلة الأربعاء وفي السابعة من يوم الأربعاء، وفي الثانية من ليلة الخميس وفي الرابعة من يوم الخميس، وفي الثانية من ليلة الجمعة والأولى من يوم الجمعة، وفي الحادية عشرة من ليلة السبت وفي العاشرة من يوم السبت، وفي الثامنة من ليلة الأحد . وهو :

- « رَبِّ قَابِئِ بنورِ اسمِكَ مقابلةً تَعْلَا وجودي ظاهراً و باطنا حتى تحوطني حفظوظ
الأشكال كلها فيبدولي في وجودي ومن وجودي سرّ ما كتبه قلم تقديرِكَ من كل
مُسْتَوْدَعٍ في مُسْتَقَرٍّ ومستقرٍّ في مستودعٍ فلا يَخْفَى عني ما غاب عني فَأَنْظِرْنِي بك
وَأَنْظِرْ مَنْ سِوَايَ بنورِ اسمِكَ قَابِئِ الكمال المطلق في المَلِكِ المطلق، يَا مُودِعَ الأنوار
١٠ قلوبَ عبادِهِ الأبرارِ يَا سَرِيعُ يَا قَرِيبُ » .

- قال : من دعا بهذا الدعاء في ساعة من هذه الساعات ست عشرة مرة ثم قصد
أى حاجة أراد، أسرع الله تعالى قضاءها ونمى له ما يملكه من مال أو جاه أو حال
أو مقام . ومن خاصّة هذا الذكر وضع البركة في أى شيء وُضِعَ عليه . ويصلح هذا
الذكر لطالبي المكاشفات من أرباب الخَلَوَاتِ فإنهم إذا داوموا هذا الذكر أُلْقِيَ اليهم
١٥ الخاطر الصحيح . قال : وإن أضيف له يا سَرِيعُ يَا قَرِيبُ يَأْمِينُ ظهر له ما يريد
من كشف العواقب في الأفعال المرتبطة بعالم الغيب والشهادة .

دعاء يدعى به في الساعة الخامسة من يوم الأحد، وفي الثانية عشرة من ليلة
الاثنين وفي الثانية من يوم الاثنين، وفي التاسعة من ليلة الثلاثاء وفي الحادية عشرة

من يوم الثلاثاء، وفي الساعة من ليلة الأربعاء وفي الثامنة من يوم الأربعاء ،
وفي الثالثة من ليلة الخميس وفي الخامسة من يوم الخميس، وفي الثالثة من ليلة الجمعة
وفي الثانية من يوم الجمعة، وفي الثانية عشرة من ليلة السبت وفي الحادية عشرة من
يوم السبت، وفي التاسعة من ليلة الأحد . وهو :

«رب أسألك مدداً روحانياً تقوى به قواى الكفة والجزية حتى أقهر بمبادئ
نفسى ككل نفس قاهرة فتقبض لى رقابها آقباضاً تسقط به قواها ، فلا يبق
فى الكون ذورٌ روح إلا وتأثر القهر أحمدت ظهوره ، يا شديد يا ذا البطش يا قهار
يا جبار أسألك بما أودعته عزرائيل من قوى أسمائك القهرية فافعلت له النفوس
بالقهر أن تكسوفى ذلك السر فى هذ الساعة حتى ألين به كل صعب، وأذل به كل
منيع بقوتك يا ذا القوة المتين» .

قال : من دعا بهذا الدعاء فى ساعة من هذه الساعات تسعاً وثمانين مرة، ثم دعا
على ظالم أخذ لوقته ، وذلك بعد صلاة خمس تسليمات بالفاتحة لا غير . ويناسب
هذا الدعاء من أى القرآن العظيم ، وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن
أخذهم أليم شديد . قال : فى هذا الذكر كرم الجبارة، وقطع دابر الظالمين . ونجى
ديار الماسدين ، وما شابه ذلك . وهو ذكر يلى بالسالكين فى مبادئ لرياضات
والمتئين فى مقامات التجل إلى الخسوة ، وهو من الأسرار العجيبة : ولا يذكره من
طلبته الشيخوخة إلا وجد فى قلبه خفقاناً بالخاصية . ولا يذكره محمود إلا برئ من
حماه لوقته ، وإن كتبه وعلقه عليه دامت صحته .

دعاء يدعى به فى الساعة السادسة من يوم لأحد، وفى أول من ليلة الاثنين
وفي الثالثة من يوم الاثنين، وفى هـ شذ من ليلة الثلاثاء وفى ثلثية عشرة من يوم

(١) كذا فى نسخة مسجورة ١٠٠ فى مـ ص ١٠ : "و كسى ..."

الثلاثاء ، وفي السابعة من ليلة الأربعاء وفي التاسعة من يوم الأربعاء ، وفي الرابعة من ليلة الخميس وفي السادسة من يوم الخميس ، وفي الرابعة من ليلة الجمعة وفي الثالثة من يوم الجمعة ، وفي الأولى من ليلة السبت وفي الثانية عشرة من يوم السبت ، وفي العاشرة من ليلة الأحد . وهو :

- «ربَّ صَغْنِي [من كدرات الأغيار ^(١)] صفاء من صفته يدُ عنايتك من قصص ^(٢) التكوين حتى يجلي في مرآة قلبي ومستوى نفسي كلَّ أسمٍ أنطبع في قُوَّة جبرائيل قفوي به على كشف ما في اللوح من أسرار أسمائك وجماع رسالتك ، فكلَّ نفس مغسوة امتدت لما من دقائقه دقيقة ^(٣) طرفها منه والثاني لمن هو به ، وجماع هذه الدقائق في دقيقة ^(٣) الأسم الجبرائيل العالم العليم العلام ، ياذا الكرم الذي علم بالقلم ، فوادة الوحي والإلهام والتحديث والفهم تسرى بنفحة منه في هذه الساعة إلى مثلها . إلهي ^(١) متطفني بالدقيقة العظمى منه حتى ألتقي عنك بما به تلقى [عنك جبرائيل] بما أملاً به وجودي بلا ميل لغلبة حتى ألتذ بمصافاتك تلتذ جبريل برسالتك ، إنك علام الغيوب » .

- قال : من دعا به خمسا وعشرين مرة في ساعة من هذه الساعات ألهم رشده في عواقب أموره . والأسم اللائق بهذا الدماء يا علام الغيوب يا عالم الخفيات وما شا كل هذا النمط من الأسماء ، ومن القرآن العظيم ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ الآية . قال : وهو من الكبريت الأحمر وبعضه من الدرياق الأكبر . وهذا الذكر للذي فُتِّح عليه باب من المعارف فإنه مهما أستدامه ألهم قلبه إلى علوم حليمة ، ويُحاطب

(١) زيادة من اللة النورانية .

(٢) كذا في إحدى نسخ اللة النورانية . وفي الأصلين : « من قصص التكوين ... » .

(٣) كذا في الأصلين بالهال في هذه الكلمات . وفي اللة النورانية بالراء فيها جميعا .

في نفسه بالقلاعات^(١) من وحى الإلهام ، ويخاطبه الحيوان بمعنى يفهمه فيستفيد علوما عظيمة ، يعرف ذلك أرباب المنازلات لفهم الحديث .

دعاء يدعى به في الساعة السابعة من يوم الأحد ، وفي الثانية من ليلة الاثنين وفي الرابعة من يوم الاثنين ، وفي الحادية عشرة من ليلة الثلاثاء وفي الأولى من يوم الثلاثاء ، وفي الثامنة من ليلة الأربعاء وفي العاشرة من يوم الأربعاء ، وفي الخامسة من ليلة الخميس وفي السابعة من يوم الخميس ، وفي الخامسة من ليلة الجمعة وفي الرابعة من يوم الجمعة ، وفي الثانية من ليلة السبت وفي الأولى من يوم السبت ، وفي الحادية عشرة من ليلة الأحد . وهو :

« رَبِّ أَوْقِنِي مَوْقِفَ الْعَزَّ حَتَّى لَا أَجِدَ فِي ذُرَّةٍ وَلَا رَقِيقَةٍ وَلَا دَقِيقَةٍ إِلَّا وَقَدْ غَشَاها مِنْ عَزِّ عِزَّتِكَ مَا مَنَعَهَا مِنَ الذَّلِّ لِعَظِيمِكَ ، حَتَّى لَا أَشْهَدَ دَلَّ مِنْ سِوَايَ لِعِزَّتِي بِكَ مُؤَيِّدًا بِرَقِيقَةٍ مِنَ الرِّعْبِ يَخْضَعُ لَهَا كُلُّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ، وَجَبَّارٍ عَنِيدٍ ، وَأَبْقِي عَلَيَّ ذُلَّ الْعَبودية فِي الْعِزَّةِ بَقَاءً يَسِطُرُ لِسَانَ الْاعْتِرَافِ ، وَيَقْمِضُ لِسَانَ الدَّعْوَى ، إِنَّكَ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ الْقَهَّارُ » .

قال : من دعا بهذا الدعاء في هذه الساعة أو في ساعة من هذه الساعات ست عشرة مرة بعد صلاة وحضور قلب يُصِرُّ على أيِّ عملٍ قصده ظاهراً وباطناً .

دعاء يدعى به في الساعة الثامنة من يوم الأحد ، وفي الثالثة من ليلة الاثنين وفي الخامسة من يوم الاثنين ، وفي الثانية عشرة من ليلة الثلاثاء ، وفي الثانية من يوم

(١) كذا في النسخة الوراثية . وفي الأصل : « بالقلوب » .

(٢) كذا في إحدى نسخ النسخة الوراثية . وفي نسخة أخرى منها : « حتى يخضع ... » . وفي الأصلين :

« حتى يخضع به ... » .

(٣) في هامش إحدى نسخ النسخة الوراثية : « ثلاث سنين ... » وكتب عليها كلمة « صح » وشر

الى موضعها بكلمة « صلاة » .

الثلاثاء ، وفي التاسعة من ليلة الأربعاء وفي الحادية عشرة من يوم الأربعاء ، وفي السادسة من ليلة الخميس وفي الثامنة من يوم الخميس ، وفي السادسة من ليلة الجمعة وفي الخامسة من يوم الجمعة ، وفي الثالثة من ليلة السبت وفي الثانية من يوم السبت ، وفي الثانية عشرة من ليلة الأحد . وهو :

- «إلى أطلع على وجودي شمس شهودي منك في الأكوان والألوان حتى أمتي بما أشهدني في آفاق الملوك فاكشف منه معنى كلمة التكوين فيفعل لي كل مكون أنفعاله للكلمة بإذنك الذي تختر به ما في الوجودين بلا ظلمة وضع ولا ظلمة طبع ، إنك منور الكل بكلك ومنور الأنوار بنورك الذي صسدوره عن أسمك النور والظاهر والحي والقيوم ، كل شيء هالك إلا وجهه» الآية .

- ١٠ قال البوني : لا يذكر أحد هذا الذكر في ساعة من هذه الساعات تسعاً وأربعين مرة إلا كساه الله نوراً يمد ذلك في نفسه ، ويسر عليه المقسوم من الرزق ، وتسرى كلمته في الأسباب سرّاً عجيباً . وهو ذكر يصلح لأرباب المكاشفات يُنته لهم ما يكاشفون .

دعاء يدعى به في الساعة التاسعة من يوم الأحد ، وفي الرابعة من ليلة الاثنين

- ١٥ وفي السادسة من يوم الاثنين ، وفي الأولى من ليلة الثلاثاء وفي الثالثة من يوم الثلاثاء ، وفي العاشرة من ليلة الأربعاء وفي الثانية عشرة من يوم الأربعاء ، وفي السابعة من ليلة الخميس وفي التاسعة من يوم الخميس ، وفي السابعة من ليلة الجمعة وفي السادسة من يوم الجمعة ، وفي الرابعة من ليلة السبت وفي الثالثة من يوم السبت ، وفي الأولى من ليلة الأحد . وهو :

- ٢٠ «سيدى أدخلني في بواطن رياض أسمك من الباب الخاص الذي لا يُجَبَّب بنور ولا بظلمة ولا بشيء منه ولا بشيء خارج عنه ، وأطلق يد قواي في نيل النعمة ،

والحمى تحقيق فوق كل مدق منه حتى أكون بك فيه وأكون فيه بك مبتهجا منك
وبك، رب إناك لطيف عطوف رحيم رحمن .

قال : هذا الذكر بحاصبة فيه يحلب الفرح وينهب الحزن ويغلب الوقت ويملو
الكره ؛ ومن دعا به أربعين مرة في ساعة من هذه الساعات على طهارة ^(١) واستقبال
فرج به كربه وأنجل غمه .

دعاء يدعى به في الساعة العاشرة من يوم الأحد، وفي الخامسة من ليلة الاثنين
وفي الساعة من يوم الاثنين ، وفي الثانية من ليلة الثلاثاء وفي الرابعة من يوم
الثلاثاء، وفي الحادية عشرة من ليلة الأربعاء وفي الأولى من يوم الأربعاء، وفي الثامنة
من ليلة الخميس وفي العاشرة من يوم الخميس، وفي الثامنة من ليلة الجمعة وفي الساعة
من يوم الجمعة، وفي الخامسة من ليلة السبت وفي الرابعة من يوم السبت، وفي الثانية
من ليلة الأحد . وهو :

« يا من نسبة العلوم إلى علمه نسبة لشيء لشيء لا ينأى، أظهرت الحروف بالقلم
فكان لها صريف في ألواح الملكوت قام لها مقام مخارج الحروف من الخلق والصدور
واللها واللسان، كل جنس صدر عنه أسم لا يعلم تركيبه سوى ملك قلبك، وكل نوح
صدر عنه مرتجا، فلوح إسرائيل أظهره بقوة ما في أحاديثه من جريئات تراكبه،
أسألك بهذا السر الخفي الذي وقف العقل دونه وتقدم إليك السر بسر أودعته فيه
يوم إمكان وجوده، أسألك كشف حجاب الغيب حتى أعان الغيب بما به تحي
الروح الباقي، يا حي، يا ه، يا هو، يا أنت يا مهيمن يا خالق يا ماري أنت هو . »

(١) في فائش إحدى سحر اجمعة اسرايية : « وصلاة ثلاث تسبيات » وكذا - - كلمة « صح »

وموصهاة كلمة « طهارة » .

(٢) في لمة الوراثة : « الغيب » .

قال البوني: هذا الذكر من ذكره في ساعة من هذه الساعات مائة مرة يسر له قضاء أى حاجة قصد بها بغير مشقة .

دعاء يدعى به في الساعة الحادية عشرة من يوم الأحد، وفي السادسة من ليلة الاثنين وفي الثامنة من يوم الاثنين، وفي الثالثة من ليلة الثلاثاء وفي الخامسة من يوم الثلاثاء، وفي الثانية عشرة من ليلة الأربعاء وفي الثانية من يوم الأربعاء، وفي التاسعة من ليلة الخميس وفي الحادية عشرة من يوم الخميس، وفي التاسعة من ليلة الجمعة وفي الثامنة من يوم الجمعة، وفي السادسة من ليلة السبت وفي الخامسة من يوم السبت، وفي الثالثة من ليلة الأحد . وهو :

« يا من لوجوده العلى باعتبار حكمته إلى كل موجود حصل من وجوده أسم يلحق به هو مفتاحه الخاص، ومعناه الغيب، وحقيقته الوجودية وسره القابل، لما في الأكران جوهر فرد من جواهر آحاد العالم العلوى والسفلى إلا ومقاليده أحكامه متعلقة بأسم من أسمائه . وأجتماعها برفاقهما بيد أسمك الذى آستأرت به عن جميع خلقك فلم يظهر لهم إلا ما ناسب الأعمال، فاستأذك إلى لا تُخفى، ومعلوماتك لا نهاية لها، أسألك غمسة في بحر هذا النور حتى أعود إلى الكمال الأول فأنصرف في الكون بأسم الكمال تصرفاً ينشئ القص بالوقوف على عبودية القص، إنك المميز المُنْذِل اللطيف الخبير العدل الحبيب » .

قال : من ذكر هذا الذكر ستّة عشرة مرة في ساعة من هذه الساعات ثم سأل الله تعالى فيها رزقاً، وتيسير أسره . وسكون بحر هائج، وسلطان عاصب، وهيس

(١) كذا في إحدى نسخ مئة - ير لأصليين : « من وجوده ... » .

(١) كذا في لغة البورصة ثم سأل الله تعالى من سألته فيها رزقاً .. .

(٢) كذا في إحدى نسخ مئة مئة - وفي لأصليين : « بحر هائل » .

متزودة من شيطاني الإنسان وإلحق وما ناسب ذلك إلا أجيب له لوقته، وذلك على طهارة وصلابة^(١) وجمع همة في موضع خال من الأصوات .

دعاء يدعى به في الساعة الثانية عشرة من يوم الأحد، والسابعة من ليلة الاثنين والتاسعة من يوم الاثنين، وفي الرابعة من ليلة الثلاثاء وفي السادسة من يوم الثلاثاء، وفي الأولى من ليلة الأربعاء وفي الثالثة من يوم الأربعاء، وفي العاشرة من ليلة الخميس وفي الثانية عشرة من يوم الخميس، وفي العاشرة من ليلة الجمعة وفي التاسعة من يوم الجمعة، وفي السابعة من ليلة السبت وفي السادسة من يوم السبت، وفي الرابعة من ليلة الأحد . وهو :

«تسَالَيْتَ يَا مَنْ تَقَاصَرَ كُلُّ فِكْرٍ عَنْ حَصْرِ مَعْنَى مِنْ مَعَانِي أَسْمَائِهِ . فكل علو ورفعة فمن ذلك العلو والرفعة صدوره ظاهرا وباطنا ؛ تقدس مجدك يا من أَسَارُ عرشه أظهر فيها كبرياءه ومجده، أسالك بالصفات التي لا تَمُوتُ لها بموجود ، وإذا المظلمة والكبرياء والجلال والجمال والبهاء، أسالك الأُنْسَ بمقابلات سرِّ القَدَرِ أُنْسَا يَحْوِ آثَارَ وحشة الفكر حتى يطيب وقتي بك فأطيب بوقتي لك ، فلا يضرّك ذو طمع لمخالفتي إلا صَغُرَ لعظمتك وقُصِمَ بكبريائك ، إلك جِيسَارُ الأرض والسماء، وقاهر الكلِّ مقهرك يا مجيب» .

قال البوني : من ذكر هذا الذكر سبعا وعشرين مرة في ساعة من هذه الساعات ودعا [بما يريد]^(٢) كُنِيَ لوقته [شرًّا بمحادره]^(٣) . فهذه دعوت ساعت الأيم والليالي .

(١) في إحدى نسخ نسخة مكتبة «صلاة» بين الأسطر . «فلا تَمُوتُ» .

(٢) كما في نسخة «وإله» . وفي الأسطر . «من دون ذلك» .

(٣) «ال» . عن نسخة «سبعا وعشرين» .

ذكر ما يدعى به في المساء والصباح، والغدق والرواح،
والصلاة والصوم، والجماع والنوم؛ والورد والصنتر،
والسفر والحصر؛ وغير ذلك .

- فأما ما يقال عند المساء والصباح؛ فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد سأله فقال : يا رسول الله مُرْنِي بِشَيْءٍ أَقُولُهُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ . قَالَ : "قُلِ اللَّهُمَّ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَ أَسْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَ قُلُهْنِ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ وَإِذَا أَخَذْتُ مَصَجَّتْكَ" . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَصْبَحَ يَقُولُ : "أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ وَدِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِلَّةِ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ ۚ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ : "أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمَلِكُ وَالْكَبِيرُ وَالْعَظِيمُ وَالْخَلْقُ وَالْأَمْرُ وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا سَكَنَ فِيهِمَا مِنْ شَيْءٍ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَوَّلَ هَذَا النَّهَارِ لَنَا صَلَاحًا وَأَوْسَطَهُ فَلَاحًا وَآخِرَهُ نَجَاحًا أَسْأَلُ خَيْرَ بَدِيَا وَخَيْرَ آخِرَةٍ بِأَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ" . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ : "لَهُمَّ بِنَا صَبِّحْ بِنَا أَسْبِغْ بِنَا وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ النُّشُورُ" . وَإِذَا أَمْسَى قَالَ : "لَهُمَّ بِنَا أَمْسِ بِنَا وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ" . وَهوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : "مَنْ مِنْ حِينَ يَصْبِحُ أَوْ يَمْسِي أَلْهَمَ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ أَسْتَطِيعُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَبَّغْتَ أَوْهًا

(٢) في نسخة: "وَدَعَا" كَمَا وَقَعَتْ فِي سَائِرِ نُسَخٍ مِنْ مَسْنَدِ أَبِي حَنِيفَةَ .

[لَكَ] بِنِعْمَتِكَ [عَلَيْكَ] وَأَبُوهُ بِذَنْبِي فَأَغْفِرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَمَنْ يَوْمَهُ
أَوْ مِنْ لَيْلَتِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ". وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : "مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ بَعْدَ مَا يُصَلِّيُ الْغَدَاةَ
عَشْرَ مَرَّاتٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ
وَكُنَّ لَهُ عِدْلُ رَقَبَتَيْنِ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَكُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُمِىَ فَإِنْ قَالَهَا
حِينَ يُمِىَ كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ وَكُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُصْبِحَ"، وَفِي رِوَايَةٍ :
"مَنْ قَالَهَا فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عِدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَبُحِثَ
عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمِىَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ
بِمِثْلِهِ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ وَمَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي الْيَوْمِ
مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ". وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ
قَالَ : "مَنْ قَالَ حِينَ يُمِىَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ الثَّلَاثَاتِ كُلِّهَا مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَصْرِهِ
لَدَغَةِ عَقْرَبٍ حَتَّى يُصْبِحَ". وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَاقْلُ
يَوْمَهُ أَوْ فِي أَوَّلِ لَيْلَتِهِ بِاسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ نَلَا لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَوْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ". وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . "مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ بِاسْمِ اللَّهِ الْعَلِيِّ - الْأَعْلَى الَّذِي لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا صَحْبَةَ
وَلَا شَرِيكَ أَشْهَدُ أَنَّ نُوْحًا رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللَّهِ وَأَنَّ مُوسَى نَبِيُّ اللَّهِ وَأَنَّ
دَاوُدَ حَلِيفَةُ اللَّهِ وَأَنَّ عِيسَى رُوحُ اللَّهِ وَكَلَّمَتْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ
وَحَاقَتْهُ النَّبِيُّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ لَمْ تَلْسَمْهُ حَيَّةٌ وَلَا عَقْرَبٌ وَنُحِصَ مِنْ سَبْضَانٍ وَلَا كَاهِنٍ
وَلَا سَاحِرٍ حَتَّى يُمِىَ وَإِذَا قَالَهَا إِذَا أَمْسَى لَمْ يَخَفْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ".

❦



- وأما ما يقال عند النوم؛ روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
 ”وإذا أخذت مضجعتك فوضّأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل
 أسألت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت طهرى إليك رهبةً ورغبةً إليك
 لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك اللهم آمنت بكتابك الذى أنزلت ونييتك الذى
 أرسلت فإن مت من ليلتك مت على فطرة الإسلام وأجعلن آخر ما نتكلم به“ .
 قال البراء بن عازب : فرددتها على النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغت اللهم آمنت
 بكتابك الذى أنزلت قلت : ورسولك قال : ”ونيتك الذى أرسلت“ . وعن
 عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من
 الليل يقول : ”اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد أنت قيام
 السموات والأرض ومن فيهن أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق
 والجنة حق والنار حق والساعة حق اللهم لك أسألت وبك آمنت وطلبك توكلت
 وإليك أتيت وبك خاسمت وإليك حاكمت فاغفرلى ما قدمت وما أخرت
 وما أسررت وما أعلنت أنت إلهي لا إله إلا أنت“ .



- وأما ما يقال عند دخول المنزل والمسجد والخروج منهما ؛ روى عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ”إذا وجَّع الرجل بيته فليقل بسم الله اللهم
 إني أسألك خير المولج وخير المخرج باسم الله ولحنا وباسم الله نرجنا وعى الله توكلنا
 ثم ليسم على أهله“ . وعنه صلى الله عليه وسلم : ”إذا دخل الرجل بيته فقل بسم الله
 قعد الشيطان على الباب وقال ما من مقيم فهل من غداء فإذا أتى بفدائه فقال باسم الله

(١) كذا في رواية الأدكار لم يروى من رواية صحيحين . وقد ورد في الأصل بدون ما الموصوف
 إلا في العمل الأول دون الأهل الباقية .

قال ما مِنْ غَدَاءٍ وَلَا مَقِيلٍ . وعنه صلى الله عليه وسلم : " إذا خرج الرجلُ من بيته فقال سبحان الله قال الملكُ مُدِيَّتْ وإذا قال لا حول ولا قُوَّةَ إلا بالله قال الملكُ وُجِيَّتْ فإذا قال توكلت على الله يقول الملكُ كُفِيَّتْ يقول الشيطان عند ذلك كيف أعملُ بمن تُكفِي ويُهْدِي ووَقَى " . وعن أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : ما نرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيته صباحاً قط إلا قال : " اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَرِزَلَ أَوْ أُضِلَّ أَوْ أَظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ " . وعنه صلى الله عليه وسلم : " ما من مسلم خرج من بيته يريد سفراً أو غيره فقال حين يخرج باسم الله آمَنْتُ بالله أَحْصَمْتُ بالله توكلت على الله لا حول ولا قُوَّةَ إلا بالله إلا رَزِقَ خَيْرَ ذَلِكَ الْخُرْجِ وصُرف عنه شَرُّ ذَلِكَ الْخُرْجِ " . وعن أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ فَضِيلُ بْنُ مَرْزُوقٍ — أَحْسَبُهُ رَفَعَهُ — قَالَ : " من قال حين يخرج إلى الصَّلَاةِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ طِبِكَ وَبِحَقِّ تَشَائِي هَذَا إِنِّي لَمْ أَتُجِرْ أَثَرًا وَلَا بَطَرًا وَلَا رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً نَجَرْتُ خَوْفَ مَضْطَئِكَ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ أَسْأَلُكَ أَنْ تُنْقِذَنِي مِنَ النَّارِ وَأَنْ تَغْفِرَ ذُنُوبِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ وَكَلَّ اللهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَأَقْبَلَ اللهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ صَلَاتِهِ " . وعن فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالُ : " بِاسْمِ اللهِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللهِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ وَإِذَا خَرَجَ قَالَ بِاسْمِ اللهِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللهِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ " . وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ وَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ " .

(١) وضع على حاشية إحدى النسخ « لعلها يت قيس » ووضعت هذه الزيادة في نسخة أخرى في صلب الكتاب . والظاهر أنها فاطمة الزهراء رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ؛ فقد روى هذا الحديث الإمام النووي في كتاب الأذكار عن عبد الله بن الحسن عن أمه عن جدته أم ولدته هي فاطمة الزهراء .

♦ ♦
وأما ما يقال عند النداء؛ فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
”إذا كان عند الأذان فُصِّحت أبواب السماء واستُجيب الدماء وإذا كان عند الإقامة
لم تُردَّ دعوة“ . وعنه صلى الله عليه وسلم : ”من قال حين يسمع المؤذن وأنا أشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأقَّعنا عبده ورسوله رضيَّتُ بالله رباً وبمحمد
رسولاً وبالإسلام ديناً غُفِرَ له ذنبه“ . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ”من سمع
المؤذن فقال اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ عبدك الوسيلة والفضيلة
وأبنته مقاماً محموداً الذي وعدته حَلَّتْ له شفاعتي يوم القيامة“ . وعنه صلى الله عليه
وسلم : ”إذا سمعتَ المؤذن تقولوا مثل ما يقول ثم صلُّوا علىّ فإنه من صلّى علىّ مرة
صلّى الله عليه بها عشرة“ .

١٠

♦ ♦
وأما ما يقال عند دخول الخلاء؛ فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا دخل الخلاء قال : ”اللهم إني أعوذ بك من الخُبث والخبائث“ وإذا خرج قال
”غفرانك“ . وفي لفظ إذا خرج قال : ”الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني“ .
وعن أنس رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء قال :
”لهم إني أعوذ بك من الرجس النجس الحيث الخُبث الشيطان الرجيم“ ، وإذا
خرج قال : ”الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني“ .

١٥

♦ ♦
وأما ما يقال عند الوضوء وغسل الأعضاء؛ قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : ”لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه“ . وعن عليّ
أبي طالب رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”يا عليّ

٢٠

إذا تَوَضَّأتَ قُفْلَ بِأَسْمِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ . وعن محمد بن الحنفية قال :
 دخلتُ على والدي علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - وإذا عن يمينه إناءٌ من ماءٍ ،
 فسَمِي ثم سَكَبَ على يمينه ثم تَمَضَّمُ فقال : اللَّهُمَّ حَصِّنْ قُرْبِي وَاسْتُرْهُورِي وَلَا
 تُثَبِّتْ بِي الْأَعْدَاءَ ؛ ثم تَمَضَّمُ وَاسْتَنْشَقُ وقال : اللَّهُمَّ لَقْنِي مُجْتَى وَلَا تُعْرِضْنِي رَاغِبَةً
 الْجَنَّةِ . ثم غَسَلَ وَجْهَهُ وقال : اللَّهُمَّ بَيِّضْ وَجْهِي يَوْمَ تَسْوَدُّ الْوُجُوهُ وَلَا تُسَوِّدْ وَجْهِي
 يَوْمَ تَبْيَضُّ الْوُجُوهُ . ثم سَكَبَ على يمينه فقال : اللَّهُمَّ أُعْطِنِي كِتَابِي يَمِينِي وَالْخُلْدَ بِشِمَالِي .
 ثم سَكَبَ على شماله وقال : اللَّهُمَّ لَا تُعْطِنِي كِتَابِي بِشِمَالِي وَلَا تَجْعَلْهَا مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِي .
 ثم مَسَحَ رَأْسَهُ وقال : اللَّهُمَّ غَسِّتُ بِرَحْمَتِكَ لِقَاتَا نَحْشِي عَذَابِكَ ، اللَّهُمَّ لَا تَجْمَعُ بَيْنَ
 نَوَاصِيئِنَا وَأَقْدَامِنَا . ثم مَسَحَ عَقْبَهُ فقال : اللَّهُمَّ نَجِّنَا مِنْ مُقَطَّعَاتِ النَّيْرَانِ (١) وَأَغْلَاظِهَا . ثم
 غَسَلَ قَدَمَيْهِ فقال : اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَدَمِي عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ يَوْمَ تَزَلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ .
 ثم أَسْتَوَى قائماً فقال : اللَّهُمَّ كَمَا طَهَّرْتَنَا بِالمَاءِ فَطَهِّرْنَا مِنَ الذُّنُوبِ ، ثم قال بيده
 هكذا ، يَقْطُرُ المَاءُ مِنْ أُنَامِلِهِ ، ثم قال : يَا بَنِيَّ ، أَفْعَلْ كَفَعْلِ هَذَا فَإِنَّهُ مِائِمَةُ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ
 مِنْ أُنَامِلِكَ إِلَّا خَلَقَ اللَّهُ مِنْهَا مَلَكًا يَسْتَغْفِرُ لَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . يَا بَنِيَّ ؛ مِنْ فَعْلٍ
 كَفَعْلِ هَذَا تَسَاقَطَتْ عَنْهُ الذُّنُوبُ كَمَا يَتَسَاقَطُ الْوَرَقُ عَنِ الشَّجَرِ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ .
 وعن علي رضي الله عنه قال : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ” يَا عَلِيُّ
 إِذَا تَوَضَّأتَ فَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ تَمَامَ الْوُضُوءِ وَتَمَامَ مَغْفِرَتِكَ وَرِضْوَانِكَ “ . وعن
 عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ” مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ
 وَضُوءَهُ ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
 وَرَسُولُهُ صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ فَفَتَحَ اللَّهُ لَهُ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ “ . وعن

(١) المقطعات من الثياب : شبه الجباب ، وفي التنزيل : (قطعت ثم ثياب من نار) أي قطعت

ونجست وبعثت ليوسلم . (عن لسان العرب) .

عن رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله صلى عليه وسلم : "يا على إذا فرغت من وضوئك فقل أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله اللهم أجعلنى من التوابين وأجعلنى من المتطهرين تخرج من ذنوبك كيوم ولدتك أمك وتفتح لك ثمانية أبواب الجنة فيقال أدخل من أيها شئت" .



وأما ادعية الصلاة، فهي إما أن تقع قبلها أو فيها أو بعدها . فأما ما يقال قبلها فقد روى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : سألت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها بأى شيء كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتح الصلاة إذا قام من الليل ؟ قالت : إذا قام يفتح صلاته يقول : "اللهم رب جبريل وميكائيل وإسراييل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلفت فيه من الحق بإذنك إني أتهدى من تشاء إلى صراط مستقيم" .

(١١٧)

وأما ما يدعى به فى نفس الصلاة، فقد روى من عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتم الصلاة رفع يديه حذو منكبيه ثم يقول : "سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك" . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كبر فى الصلاة سكت هنية قبل أن يقرأ . قللت : يا رسول الله، بأبى أنت وأمى، ما تقول فى سكوتك بين التكبير والقراءة ؟ قال : "أقول اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما ماعدت بين المشرق والمغرب اللهم قننى من الخطايا كما تقنّى التوب الأبيض من الدنس وأغسلنى من خطاياى بالثلج والماء والبرد" . وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه أنه رأى

١٥

٢٠

- النبي صلى الله عليه وسلم يصلي قال : فكبر فقال " الله أكبر كبيرا ثلاث مرات
والحمد لله كثيرا ثلاث مرات وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاث مرات اللهم إني أعوذ
بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه ونقسه " . قال راويه عمرو بن مرة :
نقسه : الكبر ، ونفثه : السحر ، وهمزه : الموت ، وهي الجنون . وعن علي
٥ ابن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أتمعت الصلاة كبر
ثم قال : " وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حقيقا مسلما وما إنا من
المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك
أُمرت وأنا أول المسلمين اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت أنت ربي وأنا عبدك ظلمت
نفسى وأعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا لا يغفر الذنوب إلا أنت وأهدني لأحسن
الأخلاق لا يهدي لأحسنا إلا أنت وأصير عني سيئها لا يصير سيئها إلا أنت
١٠ لبيك وسعديك والخير كله في يديك [والشر ليس إليك] وأنا بك وإليك تباركت
وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك " . فإذا ركع قال : " اللهم لك ركعت وبك أمنت
ولك أسلمت خشع لك سمى وبصرى ونحو وعظمى وعصبي " . فإذا رفع رأسه قال :
" سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ملء السموات والأرض وما بينهما وملء ما شئت
من شيء بعد " . فإذا سجد قال : " اللهم لك سجدت وبك أمنت ولك أسلمت
١٥ سجد وجهي للذي خلقه وصوره فأحسن صورته وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن
الخالقين " . فإذا فرغ من الصلاة وسلم قال : " اللهم أغفر لي ما قدمت وما أخرت
وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر
لا إله إلا أنت " . وقد ورد في لفظ آخر أنه يقول : اللهم أغفر لي آخر الدماء
بين التشهد والتسليم . ومن حديفة رضي الله عنه قال : صليت مع رسول الله

- صلى الله عليه وسلم فسمعتة يقول في ركوعه : "سبحان ربّي العظيم"، وفي سجوده :
 "سبحان ربّي الأعلى" . وفي لفظ أنه كان يقول ذلك ثلاث مرات . وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده وركوعه :
 "سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ" . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
 • كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع قال : "ربنا لك الحمد
 ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق
 ما قال العبد وكلنا لك عبد اللهم لا مانع لما أعطيت ولا منعت لما أعطيت
 ذا الجدة منك الجدة" . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : "من قال وهو ساجد ثلاث
 مرات رب اغفر لي لم يرفع رأسه حتى يغفر له" . وعن ابن عباس رضي الله عنهما
 قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من
 القرآن، وكان يقول : "التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ اللَّهُ سَلَامٌ عَلَيْكَ أَيُّهَا
 النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْنا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله
 وأشهد أن محمداً رسول الله" . وروى : "السلام" في الموضعين . وعن عبد الله بن
 مسعود رضي الله عنه قال . كما تقول في الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 • السلام على الله السلام على فلان . فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم :
 "إن الله هو السلام فإذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات
 السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
 فإذا قاما أصابت كل عبد صبح في السماء والأرض أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن
 محمداً عبده ورسوله ثم يتخير في سنة ما شاء" . وقد علم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم نحوه لصلاة عليه . روى عنه كعب بن عُجْرة عنها فقال . "قولوا اللهم
 صل على محمد وعلي آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حييد مجيد وبارك

على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد“ . ومن
أبي هريرة رضى الله عنه قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” إذا فرغ أحدكم
من التشهد فليتعوذ بالله من أربع : من عذاب جهنم وعذاب القبر وفتنة الحيا والممات
وشر المسيع الدجال“ . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن أبا بكر الصديق
رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله : علّني دعاء أدعوه به في الصلاة وفي بيتي قال :
” قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرةً
من عندك إنك أنت الغفور الرحيم“ . وروى بعد قوله من عندك : ” وأرحمني
إنك أنت التواب الرحيم“ .



- ١٠ وأما ما يدعى به بعد التسليم؛ فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما
قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دُبْرَ كُلِّ صلاة: ”لا إلهَ إلا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع
لما أعطيت ولا مُعْطَى لما منعت ولا ينفع ذا الجحَد منك الجحَد“ . وعن عبد الله
ابن الزبير رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم من
صلاته يقول بصوته الأمل : ”لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله ولا نبسده إلا بإياه له النعمة وله
الفضل وله الثناء الحسن لا إله إلا الله مُخلصين له الدين ولو كره الكافرون“ .
وفي طريق آخر: ”له الدين وهو على كل شيء قدير“ . وعن أمّ سلمة رضى عنها أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى الصبح قال : ”اللهم إني أسألك علماً نافعاً
ورزقاً طيباً وعملاً متقبلاً“ . وعن أس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم :
- ٢٠

- ”من قال حين ينصرف من صلاته سبحان الله العظيم وبجده لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثلاث مرات فإنه مغفور له“ . وعن أبي أمامة الباهلي رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت“ . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ”ما من عبد بسط كفيه في دبر صلاته ثم يقول
- إلى إلهي إله إبراهيم وإسماعيل ويعقوب إله جبريل وميكائيل وإسرائيل أسألك أن تستجيب دعوتي وتبصلي ديني فأني مبتلي وتأتني برحمتك فأني مذبذب وتغني عني الفقر فأني مُستمسك إلا كانت حقاً على الله ألا يردّ يديه خائبين“ . وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ”من قال دبر كل صلاة الحمد لله ثلاثاً وثلاثين مرة وسبحان الله ثلاثاً وثلاثين مرة والله أكبر ثلاثاً وثلاثين
- ١٠ مرة وعام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غُفِرَتْ ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر“ . وعن علي رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في آخر وُتره : ”اللهم إني أعوذ بركائك من يخطئك وأعوذُ بمُعاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك“ . وعن الحسن بن علي رضى الله عنهما قال : علّني رسول الله
- ١٥ صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوُتر، وفي لفظ : في قُتوت الوُتر : ”اللهم أعِزني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولّني فيمن تولّيت وبارك لي فيما أعطيت وقني شرّ ما قضيت إنك تقضي ولا يُقضى عليك وإنه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت“ . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فقال : ”اللهم اغفر لحينا وميتنا وصغيرنا وكبيرنا وذُرّنا وأنثانا وشاهدنا وغائبنا اللهم من أحييته منا فآحيه على الإيمان ومن توفيته منا فتوفّه على

الإسلام اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفضلنا بعده . وعن علي رضي الله عنه قال : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " يا علي - اذا صليت على جنازة رجل فقل اللهم هذا عبدك ابن عبدك ابن أمتك ما مضى فيه حكمك خلقته ولم يكن شيئاً مذكوراً نزل بك وانت خير متروك به اللهم لقنته محنته وألحقه بنيه محمد صلى الله عليه وسلم وثبته بالقول الثابت فإنه أقفر إليك وأستغثت عنه كان يشهد أن لا إله إلا الله فاغفر له وأرحمه ولا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده اللهم إن كان زانياً فزكه وإن كان خاطئاً فاغفر له . وإذا صليت على جنازة امرأة فقل اللهم أنت خلقتها وانت أحيتها وانت أمتها تعلم سرها وعلايتها جنتك شفعا لها فاغفر لها وأرحها ولا تحرمنا أجرها ولا تفتنا بعدها . وإذا صليت على جنازة طفل فقل اللهم أجعله لوالديه سلفاً وأجعله لها ذخراً وأجعله لها رشداً وأجعله لها نوراً وأجعله لها قرطاً وأعقب لوالديه الجنة ولا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده " . وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وصلى على جنازة يقول : " اللهم اغفر له وأرحمه وأعف عنه وعافه وأكرم نزلهم ووسع مدخله وأغسله بماء وثلج وبرد وقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجه وقه فتنة القبر وعذاب القبر وعذاب النار " . قال عوف رضي الله عنه : فتميت لو كنت أنا الميت لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .



وأما ما يقال عند رؤية الجنازة والتلقين والدفن ، وما في ذلك من الأجر ؛ روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من رأى جنازة فقال الله أكبر صدق الله ورسوله هذا ما وعدنا الله ورسوله اللهم زدنا إيماناً وتسليماً كتب له عشرون

- حسنة في كل يوم من يوم يقول إلى يوم القيامة“ . وقال صلى الله عليه وسلم :
 “لَقَدْ نَزَّلَ اللَّهُ مُوْتَاكُم لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ“ . وقال صلى الله عليه وسلم : “إِذَا وَضَعْتُمْ مَوْتَاكُم
 فِي الْقَبْرِ فَقُولُوا بِأَسْمِ اللَّهِ وَصَلِّ مِلَّةَ رَسُولِ اللَّهِ“ . وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه
 كَانَ إِذَا سُوِيَ عَلَى الْمَيِّتِ التُّرَابُ قَالَ : “اللَّهُمَّ أَسَلِمَهُ إِلَيْكَ الْأَهْلُ وَالْأَهْلُ وَالْعَشِيرَةُ
 وَنَحْبُهُ عَظِيمٌ فَافْغِرْ لَهُ“ . وعن سعيد بن عبد الله الأودي قال : شهدت أبا أُمَامَةَ
 وَهُوَ فِي التَّرْعِ فَقَالَ : إِذَا أَنَا مَيِّتٌ فَاصْنَعُوا بِي كَمَا أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 أَنْ نَصْنَعَ بِمَوْتَانَا ، أَمَرَنَا فَقَالَ : “إِذَا مَاتَ أَحَدٌ مِنْ إِخْوَانِكُمْ فَسُوِّمِ التُّرَابَ عَلَى قَبْرِهِ
 فَلْيَقُمْ أَحَدُكُمْ عَلَى رَأْسِ قَبْرِهِ فَلْيَقُلْ يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانَةَ فَإِنَّهُ يَسْمَعُهُ وَلَا يُجِيبُهُ ثُمَّ يَقُولُ
 يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانَةَ فَإِنَّهُ يَسْتَوِي قَاعِدًا ثُمَّ يَقُولُ يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانَةَ فَإِنَّهُ يَقُولُ أَرْشَدْنَا
 رَحِمَكَ اللَّهُ وَلَكِنْ لَا تَسْمَعُونَ فَلْيَقُلْ أَذْكُرُ مَا خَرَجْتَ عَلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا شَهِادَةً أَنْ لَا إِلَهَ
 إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ عَمِدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنْتَ رَضِيتَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِعَمَدٍ نَبِيًّا
 وَبِالْقُرْآنِ إِمَامًا فَإِنْ مُتَّكَرًا وَنِكَحًا يَأْخُذُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِيَدِ صَاحِبِهِ وَيَقُولُ أَنْطَلِقْ
 بِنَا مَا تَقَعِدُ عِنْدَ مَنْ لَقْنُ حُجَّتَهُ فَيَكُونُ اللَّهُ حُجَّتَهُ دُونَهُمَا“ . فقال رجل : يَا رَسُولَ اللَّهِ
 فَإِنْ لَمْ يَمُوتْ أُمُّهُ ؟ قَالَ : “فِي نَفْسِهِ إِلَى حَوَاءٍ يَا فُلَانُ بْنُ حَوَاءٍ“ .

١٥



- وَأَمَّا مَا يَقَالُ عِنْدَ زِيَارَةِ الْقُبُورِ عَنْ مَائِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا تَبِعَتْ النَّبِيَّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى زِيَارَةِ الْبَقِيعِ فَقَالَ لَهَا : “قُولِي السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدَّيَارِ مِنَ
 الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَرَحِمَهُ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ
 لَآخِقُونَ“ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَى الْقُبُورَ قَالَ : “السَّلَامُ
 عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدَّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَآخِقُونَ أَتَمَّ لَنَا قَرُطٌ
 وَنَحْنُ لَكُمْ تَبِعٌ أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ لَنَا وَلَكُمْ“ .

٢٠

(١٨٠)



- وأما ما يقال عند الإفطار من الصوم، والأكل والشرب؛ روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أفطر قال : «اللهم لك صُمتنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبل منا إنك أنت السميع العليم» . وعنه صلى الله عليه وسلم : «من قال اللهم لك صُمتُ وعلى رزقك أفطرتُ وعليك توكلتُ كُتِبَ له من الأجر بعدد من صام ذلك اليوم» . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنَّ أحدكم لَتَوْضَعُ مائدةً بين يديه لما تكاد أن تُرْفَعَ حتى يُفْقَرَه» . قيل يا رسول الله وكيف ذلك ؟ قال : «لأنه يُسمَّى الله إذا وُضِعَتِ المائدةُ وأُكِلَ ويحمد الله إذا رُفِعَت» . وعن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إذا نسي أحدكم أن يذكر اسم الله في أول طعامه فليقل بسم الله أولاً وآخراً» . وعنه صلى الله عليه وسلم : «من أكل طعاماً ثم قال الحمد لله الذى أطعمنى هذا الطعامَ ورزقنيه بغير حولٍ منى ولا قُوَّةٍ فُغْفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه» . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أكل قال : «الحمد لله الذى أطعم وسقَى وسوَّغَ وجعلَ له مخرجاً» . ومن رواية أنس : «الحمد لله الذى أطعمنى وسقانى وهدانى وكلَّ بلاء حسن أبلانى الحمد لله الرازقِ ذى القُوَّةِ اللهم لا تترُغْ منا صالحاً أعطيتناه ولا صالحاً رزقناه وأجعلنا لك من الشاكرين» . وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل قال : «الحمد لله الذى أطعماً وسقانا وأشبعنا وآوانا وكفانا» . وعن علي رضى الله عنه قال : دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «يا علي إذا شربت ماءً فقل الحمد لله الذى سقانا ماءً عذباً فراتاً برحمته ولم يعملهُ يلعاً أباجاً بذنوبنا تُكْتَبُ شاكرًا» . وكان صلى الله عليه وسلم إذا أفطر عند أهل بيت قال لهم : «أفطروا عندكم

الصائمون وأكل طعامكم الأبرار ونزلت عليكم الملائكة“؛ ورُوى : ”وصلت عليكم الملائكة وذكركم الله فيمن عنده“ .



- وأما ما يقال عند لباس الثوب والباسه؛ وعند النظر في المرأة والتسريح وفي المجلس؛ روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استجد ثوبا - سَمَاهُ بِاسْمِهِ قَيْصًا أَوْ إِزَارًا أَوْ عِمَامَةً - يقول : ”اللهم لك الحمد أنت كَسَوْتَنِيهَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ“ . وعن علي رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”يا علي إذا لبست ثوباً فقل بآسم الله الحمد لله الذي كساني ما أُواري به عورتِي وأستغني به عن الناس لم يبلغ الثوب رقبَتِكَ حتى يُغْفَرَ لَكَ يا علي من ليس ثوباً جديداً وكَسَا أَسْمَاهُ عُرْيَانًا أَوْ مِسْكِينًا كَانَ فِي جِوَارِ اللَّهِ وَأَمْنِهِ وَحَفِظَهُ مَا دَامَ عَلَيْهِ مِنْهُ سِلْكٌ“ . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”مَنْ لَبَسَ ثَوْبًا فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ خُفِّرَ لَهُ مَا تَقَسَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَثَّرَ“ . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نظر في المرأة يقول : ”الحمد لله رب العالمين الذي خلقني وسوّى خلقي وجعلني بشراً سَوِيًّا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ“ . قال ابن عباس رضي الله عنهما : فَا تَرَكْتُمَا مِنْذُ سَمِعْتُمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : لَا يَمَسُّ

(١) الذي في أذكار النوى ؛ «أسألك خيره ...» بدون كلمة «من» .

(٢) في الأصول : «أو كسا أسماه ...» وظاهر أن السياق يقتضي الراودون «أو» . وقد ورد ما يشبه

هذا الحديث في أذكار النوى (ص ١١) وأداة السلف فيه «ثم» . (٣) السلك : انطيط .

(٤) في الأصل : «إلا غفر له» بزيادة «إلا» وهي غير موجودة في أذكار النوى .

(٥) كلمة «وما تأثر» غير موجودة في أذكار النوى .

وجه من قلها سوء أبدا . وعن علي رضي الله عنه قال : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا علي إذا نظرت في المرأة فقل اللهم كما حسنت خلقي فأحسن خلقي وأرزقني » . وعن الرضا علي بن موسى عن أبيه عن آبائه أبا فابا رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أمر المشط على رأسه وليته في كل يوم سبع مرات وقال في كل مرة سبحان الله العظيم وبحمده لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لم يقارنه ذنب » . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من جلس في مجلس كثر لفظه فيه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك » .



١٠

(١٥١)

وأما ما يقال في المرض والرقى والوسواس والحريق : عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للربض : « بسم الله تربة أرضنا وريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا » . وعن عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبى وجع قد كاد يبطئني فقال لي صلى الله عليه وسلم : « أجعل يدك اليمنى عليه ثم قل بسم الله أعود بعزة الله وقدرته من شر ما أجد سبع مرات » ، ففعلت ذلك فشفاني الله تعالى . وعنه صلى

١٥

(١) كذا في الأصول . وفي صحيح مسلم : « بسم الله تربة أرضنا وريقة بعضنا يشفى به سقيمنا » . وبنا وقال ابن أبي شيبة : يشفى وقال زهير : يشفى به سقيم . وفي ذكر النورى (ص ٦١) : « وروينا في صحيح البخارى ومسلم وسنن أبي داود وغيرها » . أن قال : « بسم الله تربة أرضنا وريقة بعضنا يشفى به سقيمنا بإذن ربنا » . وفي رواية تربة أرضنا وريقة بعضنا » . هـ . قال لأصوب هنا يوافق بعض الروايات .

٢٠

(٢) الذى في صحيح مسلم : « عن عثمان بن أبي العاص الثقفى أنه شكك في رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده في جسده متأسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ضع يدك على الذى تألم من وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعود بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » .

- الله عليه وسلم : "مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ" فقال عنده سبع مررات أسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم أَنْ يَشْفِيكَ إِلَّا عَافَاكَ اللهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ" . وكان صلى الله عليه وسلم إذا دخل على مريض وضع يده اليمنى على خَدِّهِ وقال : "أَذْهَبِ الْبَاسَ، رَبُّ النَّاسِ وَأَشْفِ أُمَّتِ الشَّافِي شِفَاءً لَا يَغَادِرُ سَقَمًا" . وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أَنَّهُ قَرَأَ فِي أُذُنِ مَيْتَلٍ فَأُفِقَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 "مَا قَرَأْتَ فِي أُذُنِهِ؟" قال : قَرَأْتُ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَنَا ثُمَّ عَبَّادًا) إِلَى آخِرِ السُّورَةِ . فقال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "لَوْ أَنَّ رَجُلًا مُؤَمِّنًا قَرَأَهَا عَلَى جَبَلٍ لَزَالَ" . وعن ابن عمر أن النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : "مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ وَفَضَّلَنِي عَلَيْكَ وَعَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ اللهُ عَافَاكَ اللهُ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ كَأَنَّهُ مَا كَانَ أَبَدًا مَا حَاشَ" . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كنت أُرِيقُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْعَيْنِ فَاضْعُ يَدِي عَلَى صَدْرِهِ وَأَقُولُ : أَتُغِيبُ الْبَاسَ، رَبُّ النَّاسِ؛ بِيَدِكَ الشِّفَاءُ وَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا أَنْتَ . وعن ابن عباس رضى الله عنهما رفع الحديث أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : "هَذِهِ الْكَلِمَاتُ دَوَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ وَأَسْمَائِهِ كُلِّهَا عَاقِمَةٌ مِنَ السَّامَةِ وَالْمَاسَةِ وَشَرُّ الْعَيْنِ اللَّامَةِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ وَمِنْ شَرِّ أَبِي قَتَرَةٍ وَمَا وُلِدَ ثَلَاثُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَتَوْا رَبَّهُمْ
 عَنْ وَجَلٍ فَقَالُوا وَصَبُّ بَارِضًا فَقَالَ خُذُوا تَرَبُّهُ مِنْ أَرْضِكُمْ وَأَمْسَحُوا بِوَصَبِكُمْ رُقِيَّةٌ مَحْدُودَةٌ عَلَى اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَخَذَ طَلِيهَا صَفَدًا^(١) أَوْ كَتَمَهَا أَحَدًا فَلَا أَفْلَحَ أَبَدًا" . وعن عليٍّ رضى الله عنه قال : مَنْ أَشْتَكَى يَضْرُسُهُ فَلْيَأْخُذِ التُّرَابَ مِنْ مَوْضِعِ مَجْبُودِهِ ثُمَّ يَمْسَحْ يَدَهُ عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يَشْتَكِي، ثُمَّ يَقُولُ : بِأَسْمِ اللهِ ، وَالشَّافِي اللهُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . وعن أبي الدرداء رضى الله عنه أَنَّهُ أَنَاهُ رَجُلٌ فَذَكَرَهُ أَنَّ

(١) أبو قرة : الجليس . (٢) الصفد (بفتح السين) : السقاء .

أباه أحتسب بولته وأصابته حصاةً تمتعه البول فعلمه رقية سمعها من النبي صلى الله عليه وسلم وهي : "ربنا الله الذى فى السماء تقدس أسمك أمرتك فى السماء والأرض كما رحمتك فى السماء فأجعل رحمتك فى الأرض وأغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت ربّ الطيبين فأنزل شفاء من شفاك ورحمة من رحمتك على الوجع فيراً" ، فأمره برقيه بها فرقاه بها فبرئ . وعن علي رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فوافقه معتاً ، فقال : يا محمد ، ما هذا النعم الذى أراه فى وجهك ؟ قال : "الحسن والحسين أصابتها عين" ، فقال : يا محمد ، صدق العين فإن العين حق . ثم قال : أفلا حوّفتكما بهؤلاء الكلمات ؟ فقال : "وما هنّ يا جبريل" ، فقال : "قل اللهم ذا السلطان العظيم ، ذا المن القديم ، ذا الوجه الكريم ، والكلمات التامات ، والدعوات المستجابات عافِ الحسن والحسين من أنفُسِ الجنِّ وأعينِ الإنس" . فقالها النبي صلى الله عليه وسلم فقاما يلعبان بين يديه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : "هوّدوا أنفسكم بهذا التعوذ فإنه لم يتعوذ المتعوذون بمثله" . وعن علي رضي الله عنه قال : دعاني النبي صلى الله عليه وسلم فقال : "أمان لك من الحرق أن تقول سبحك ربّي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت ربّ العرش العظيم" . وعنه أيضاً رضي الله عنه قال : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : "يا عليّ أمان لك من الوسواس أن تقسرا" (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا) . (وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا) .



وأما ما يقال عند دخول السوق وشراء الجارية والدابة : روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل السوق قال : "اللهم إني أسألك من خير

(١٤٢)

- هذه السوق وأعوذ بك من الكفر والفُسوق“ . وعن عليّ رضي الله عنه قال : قال
 لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” يا عليّ - إذا دخلت السوق فقل حين تدخل
 باسم الله وبالله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله يقول الله
 عز وجل مبدئ هذا ذكركم والناس غافلون أشهدوا أنّي قد غفرتُ له“ . وعن عمر
 ابن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ”من دخل السوق فقال
 لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يُحيي ويُميت وهو حي لا يموت
 بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ورفع له ألف ألف
 درجة“ أو قال : ”ويجي له بيتاً في الجنة“ . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 ”إذا أفاد أحدكم الجارية أو المرأة أو الدابة فليأخذ بناصيتها وليدع بالبركة وليقل
 اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلت عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلت
 عليه فإن كان بعيراً فليأخذ بذروة ستامه“ .



- وأما ما يقال عند هبوب الرياح وفي الرعد والمطر؛ عن أبي بن كعب
 رضي الله عنه أن الريح هاجت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبها رجلٌ
 فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ”لا تسبها فإنها مأمورة ولكن قل اللهم إني أسألك
 خيرها وخير ما فيها وخير ما أمرت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أمرت
 به“ . وعن أبي عمر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
 سمع الرعد أو البرق قال : ”اللهم لا تقتلنا غضباً ولا تقتلنا بنّة وعافنا قبل ذلك“ .
 وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع الرعد
 والصواعق قال : ”اللهم لا تُهلكنا بنضيبك ولا تقتلنا بمذابك وعافنا قبل ذلك“ . وعن
 أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا في الاستسقاء

حتى يرى بياض إبطيه . وعن كعب بن مرة السلمي رضى الله عنه قال : تكأ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءه رجل فقال : يا رسول الله، أمتسق الله لمضر، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وقال : "اللهم أسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً عاجلاً غير راثٍ نافعاً غير ضار". قال : فاجتمعوا حتى أصبحوا^(١) . فأتوه فشكروا إليه المطر فقالوا : يا رسول الله قد تهذمت البيوت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه : "اللهم حوالينا ولا علينا"، بفعل السحاب يتقطع بيناً وشمالاً . وعن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى ناشئاً في أفق السماء ترك العمل وإن كان في صلاة، ثم يقول : "اللهم إني أعوذ بك من شرها"؛ فإن رأى مطراً قال : "اللهم صيباً هنيئاً" . وعنها رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى المطر قال : "اللهم صيباً نافعا"^{١٠} .



وأما ما يقال في الخوف وللشدائد؛ عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إذا تخوف الرجل من السلطان فليقل اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم كن لي جاراً من فلان بن فلان يسمى الذى يريد وشر الحين والانس وأحزابهم وأتباعهم أن يفرط على أحد منهم أو يطغى عز جارك وجل شأوك ولا إله غيرك" . وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم : "من خاف من السلطان أو غيره فليفرغ إلى هذه الدعوة الله أكبر وأعز من خلقه جميعاً الله أكبر وأعز مما أخاف وأحذر وأعوذ بالله الذى لا إله إلا هو يمسك السموات السبع أن يققن على الأرض إلا بذكره من شر فلان"

(١) جمعوا : شهدوا الجمعة .

(٢) أصبحوا : حيث ما شئتهم وحس حاسوا وصروا في المصعب (عن ياقوت).

ابن فلان يا رب كن لي جاراً من شره عز جارك وجل ثناؤك ولا إله إلا أنت العلي العظيم يقولن ثلاث مرات إلا أعاده الله من شر ذلك". وعن علي رضي الله عنه قال : دعاني النبي صلى الله عليه وسلم فقال : "يا علي إذا اشتد بك أمر فكبّر ثلاثاً وقل الله أكبر وأعز من كل شيء والله أكبر أعز من خلقه وأقدر وأعز مما أخاف وأحذر اللهم أدرك بك في تحسره وأعوذ بك من شره فإنك تكفي بإذن الله عز وجل".



وَأَمَّا مَا يُقَالُ فِي الْغَضَبِ وَالْفَزَعِ؛ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :
 اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَمِلَ أَحَدُهُمَا تَحَمُّزَ حِينَاءَ وَتَنْفِخَ أَوْدَاجَهُ .
 ١٠ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنِّي لَأَعْرِفُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَدَهَبَ عَنْهُ الَّذِي
 يَحِدُّ أَحْوَذُ بَالَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ " . وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِذَا فَزَعَ
 أَحَدُكُمْ فَيَقُلْ أَحْوَذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ الثَّامَةِ مِنْ غَضَبِهِ وَعَذَابِهِ وَمِنْ شَرِّ عِبَادِهِ وَمِنْ
 هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونَ فَإِنَّهَا لَمْ تَضُرَّهُ " . قَالَ فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَعْلَمُهَا مِنْ بَلْعٍ
 مِنْ وَلَدِهِ ، وَمَنْ لَمْ يَلْتِمْ مِنْهُمْ كَتَبَهَا فِي صَكٍّ وَعَلَّقَهَا عَلَيْهِ . وَفِي لَفْظٍ : " إِذَا فَزَعَ أَحَدُكُمْ
 ١٥ فِي النَّوْمِ فَلْيَقُلْ .. " بِعَنِ الْكَلِمَاتِ ، وَفِي طَرِيقٍ : كَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَجُلًا يَفْزَعُ فِي نَوْمِهِ
 فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ : " إِذَا أَضْطَجَعْتَ لِلنَّوْمِ فَقُلْ .. " بِعَنِ
 الْكَلِمَاتِ ، فَقَالَهَا فَذَهَبَ ذَلِكَ عَنْهُ .



وَأَمَّا مَا يُقَالُ فِي السَّفَرِ وَرُكُوبِ الدَّابَّةِ وَالسَّفِينَةِ وَدُخُولِ الْقَرْيَةِ ؛ عَنْ
 ٢٠ ثَلَاثَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا تَوَضَّأَ

(١) ذكر هذا الحديث في أذكار الووى مرات ولم تذكر فيه كلمة «وعدها» .

فأسبغ وضوءه وصلى ركعتين، ويقول وهو في مجلسه مستقبل القبلة: «الحمد لله الذي خلقني ولم أكن شيئاً ربّ أعني على أهوال الدنيا والآخرة ومن مصيبات الليالي والأيام في سفرى فأحفظني وفي أهل فأخلفني». وعن النبي صلى الله عليه وسلم: «ما استخلف العبد في أهله إذا هوشد عليه ثياب سفره خيراً من أربع ركعات يصلّي^(١) في بيته يقرأ في كل واحدة بآتمة الكتاب وقل هو الله أحد ثم يقول اللهم أنى أتقرب بينك فأجعلن خليفتي في أهل ومال قال فهو خليفته في أهله وماله وولده ودور حول داره حتى يرجع إلى داره». وعن أنس رضى الله عنه قال: لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم سفرًا قط إلا قال حين ينهض من جلوسه: «بك أنتشرت إليك وجهت وبك أعصمت أنت تقى ورجاى اللهم أكفينى ما يهينى وما لا أهتم به وما أنت أعلم به متى اللهم زدنى التقوى وأغفرلى ذنبى ووجهنى إلى الخير أينما توجهت». وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا ركبتم الإبل فتعوذوا بالله وأذكروا اسم الله عليه فإن على ستام كل بعير شيطاناً». وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استوى على بعيره يريد السفر كبر ثلاثاً ثم قل: «سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرين وإنا إلى ربّنا مستقبلون اللهم: نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون لنا سفرنا هذا واطو عنا بعده اللهم أنت

(١) كذا في شرح الإحياء طبع المخطبة الميمية (ج ٦ ص ٤٠٢) وفي لأمر «يصمون» .
 (٢) ورد هذا الحديث في كتاب منتخب كبر طبع في سنن لأهوال - موضوع به شرح به.
 الثالث من مسند الإمام أحمد بن حنبل طبع مصر سنة ١٣١٣ هـ (ج ٣ ص ٣٩ مع شرحه - يبرحه من
 القصص أو الزيادة - وفيه «فأحفظني حقيقى في هو وأمر من حقيق» ج .
 (٣) كذا في الأصح . وقد روى هذا الحديث في منتخب كبر طبع - هـ - به شرحه وشرحه وبيته
 توجهت وبك أعصمت اللهم أنت تقى وانت رجاى به كفى - تقى و - فتمت به و - أنت ثم
 به اللهم زدنى التقوى» الخ .

- الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والمال والولد“ ، وإذا رجع صلى الله عليه وسلم قاهن وزاد فيهن : ”أَيُّون تَأْتِيُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ“ . وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قفل من حج أو عمرة فأشرف على شرف كبر ثلاثاً ثم قال : ”لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير أَيُّون تَأْتِيُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ“ صدق الله وعده ونصر عبده وهزم
- الأحزاب وحده وكل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون اللهم إني أعوذ بك من وعاء السفر وكآبة المقلب وسوء المنظر في الأهل والمال“ . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”أَمَّا نَأْتِي مِنَ الْفَرَقِ إِذَا رَكِبُوا السُّفُنَ أَنْ يَقُولُوا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ بِاسْمِ اللَّهِ جَمْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ“ . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فاقبل الليل قال : ”يَا أَرْضُ رَبِّي وَرَبِّكَ اللَّهُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكَوْشَرِّ مَا فِيكَ وَشَرِّ مَا يَدْبُ عَلَيْكَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَسَدٍ وَأَسَدٍ وَمِنْ الْحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ وَمِنْ سَاكِنِي الْبَلَدِ وَمِنْ وَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ“ . وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”يَا عَلِيّ إِذَا نَزَلْتَ مَتَلًا فَقُلْ بِاسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ أَنْزِلْنَا مَتَلًا مَبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْتَزِلِينَ تُرْزَقُ خَيْرَهُ وَيُدْفَعُ عَنْكَ شَرُّهُ“ . وقال صلى الله عليه وسلم : ”مَنْ نَزَلَ مَتَلًا ثُمَّ قَالَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ كُلِّهَا مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنَازِلِهِ ذَلِكَ“ . وعن علي رضي الله عنه قال : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ”إِذَا أَرَدْتَ الدَّخُولَ إِلَى مَدِينَةٍ أَوْ قَرْيَةٍ فَقُلْ حِينَ تُبَايِنُهَا اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ مَا كَتَبْتَ فِيهَا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا كَتَبْتَ فِيهَا اللَّهُمَّ أَرْزُقْنِي خَيْرَهَا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا

وَحَبَّبْنَا إِلَى أَهْلِهَا وَحَبَّبَ أَهْلُهَا إِلَيْنَا“ . وعن صُحَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَرْقُرْهُ يُرِيدُ دُخُولَهَا إِلَّا قَالَ: ”اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَقَنَّ وَرَبَّ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَقَنَّ وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا قَذَّيَنَّ وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَقَنَّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا“ . وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَافَرَ فَأَرَادَ أَنْ يَتَزَلَ قَرْيَةً عَدَلَ إِلَيْهَا وَقَالَ: ”اللَّهُ أَكْبَرُ ثَلَاثًا اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا خَيْرَهَا وَأَصْرِفْ عَنَّا وَبَاءَهَا وَحَبَّبْنَا إِلَى صَاحِبِ أَهْلِهَا وَحَبَّبْهُمْ إِلَيْنَا“ .



وَأَمَّا مَا يُقَالُ فِي الزَّوْجِ وَالْجَمَاعِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ”إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمْ ثُمَّ دَخَلَ عَلَى أَهْلِهِ طَلَّقَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لِي فِي أَهْلِي وَبَارِكْ لِأَهْلِ فِي- وَأَرْزُقْنِي مِنْهَا وَارْزُقْهَا مِنِّي وَاجْمَعْ بَيْنَنَا مَا جُمِعَتْ فِي خَيْرٍ وَإِذَا فُرِقَتْ بَيْنَنَا فَفَرِّقْ فِي خَيْرٍ“ . وعن أَبِي عُبَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ”لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا آتَى أَهْلَهُ قَالَ اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنِي فَإِنْ قُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدْتُ لَهُ يَضُرُّهُ الشَّيْطَانُ“، أَوْ قَالَ: ”لَمْ يُسَلِّطْ عَلَيْهِ“ .



وَأَمَّا مَا يُقَالُ فِي قَضَاءِ الدَّيْنِ وَنَحَاحِ الْحَوَائِجِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ فَوَظَّ هُوَ بَرَجُلٌ مِنْ

(١) كذا في الأصلين . وفي أدكار سوري (١٢٥) عن رواية صحابي سحاري ومعه : «لو»

أحدكم إذا أتى أهله قال باسم الله اللهم جبب شيطان وجنب شيعته ما رزقك وقصص بينهم وبينه . وفي رواية البخاري : «... يضره شيطان أبدا» .

الأَنْصَارُ يَقَالُ لَهُ أَبُو أُمَامَةَ ، فَقَالَ : ” يَا أَبَا أُمَامَةَ مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ صَلَاةٍ ؟ “ قَالَ : هُمُومٌ لِي مَتْنِي وَدِيُونٌ يَارَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : ” أَفَلَا أُعَلِّمُكَ كَلَامًا إِذَا قَلَّتْهُ أَذْهَبَ اللَّهُ هُمُكَ عَنْكَ وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ “ ! قَالَ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : ” قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجَبَنِ وَالْبَخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدِّينِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ “ ، قَالَ : فَفَعَلْتَ ذَلِكَ فَأَذْهَبَ اللَّهُ هُمِيَّ وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي . وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ تَخَلَّفَ عَنْ صَلَاةٍ مِنَ الصَّلَوَاتِ فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَلَمَّا جَاءَهُ قَالَ : ” مَا خَلَّفَكَ عَنِ الصَّلَاةِ يَا مُعَاذُ “ ؟ قَالَ : لُبُوحًا يَهُودِيًّا عَلَى دِينٍ خَفِيفٍ إِنْ خَرَجْتُ أَنْ يَلْزِمَنِي فَلَا أَنَا وَصَلْتُ إِلَيْكَ وَلَا أَنَا كُنْتُ فِي أَهْلِ . فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ إِذَا قَلَّتْهُنَّ قَضَى اللَّهُ عَنْكَ دَيْنَكَ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ الْأَرْضِ أَوْ مِثْلَ صَبْرٍ ذَهَبًا أَوْ وَرِقًا قَضَاهُ اللَّهُ عَنْكَ “ ! قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : ” قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . تَوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتَوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ . وَرَحْمَنُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَحِيمُهُمَا تُعْطِي مِنْهُمَا مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ مِنْهُمَا مَنْ تَشَاءُ أَسْأَلُكَ بِعِزَّتِكَ وَرَحْمَتِكَ أَنْ تَقْضِيَ عَنِّي دَيْنِي “ . وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” مَنْ كَانَتْ لَهُ

(١) كذا في 'ذكار انورى' (ص ٣٩) . وفي الأصلين : «... من الجبن والحزن ..» .

(٢) كذا في نزل الأبرار بعلم الأنور من الأدعية والأذكار طبع مطبعة الجوائد (ص ٢٦٤).

٢٠ وفي الأصلين : « إلا أكلتك ... » .

(٣) صبر (يفتح فكسر): حمل من جبال اليمن مطل على قلعة «نصر» المدينة المشهورة بها . (عن تاج العربوس) .

(١٥٥)

حاجة إلى الله أو إلى أحد من بنى آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء وليصل ركعتين ثم
ليُثْنِ على الله عز وجل ويصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليَقُلْ لا إله إلا الله
الحكيم الكريم سبحانه الله ربَّ العرش العظيم والحمد لله رب العالمين أسألك موجبات
رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل ذنب لا تدع لي ذنباً
إلا غفرته ولا همماً إلا فرجته ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها . وعن علي رضي
الله عنه قال : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " يا علي إذا خرجت من
مترك تريد حاجة فافقرأ آية الكرسي فإنا حاجتك تُهَضِّى إن شاء الله تعالى . " وعنه
رضي الله عنه قال : " إذا أراد أحدكم الحاجة فليُكْرِ في طلبها يوم الخميس ويقرأ إذا
خرج من بيته آخر سورة آل عمران وآية الكرسي وإنا أنزلناه في ليلة القدر
وأم الكتاب فإنا فيها قضاء حوائج الدنيا والآخرة . "



وأما ما يقال في رد الضالة ؛ عن مكحول رضي الله عنه أنه كان يدعو
في الضالة : اللهم هادي وراي الضالَّ أرُدْ علي ضالِّي ولا تُعِنِّي بطلبها ولا تُفَجِّنِي
بمُصِيبَتِها فإنها من رزقك وعطائك . وكان يقول في الآبق : اللهم صَبِّقْ عليه البلادَ
وأجعلهُ في أضيَّق من ضرورة الحمل ^(١) حتى ترُدَّهُ .



دعاء الاستخارة ؛ عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول إذا أراد الأمر : " اللهم خِزْلِي وَاحْتَرِلِي " . وعن جابر

(١) كذا في الأصل . وقد واحسا كثيرا من كتب الحديث والأدعية طوَّقوه . وفي نسخة : لو ند
في الصلوات والموائد المطبوع بالخطبة الكاسلية سنة ١٢٩٦ هـ (ص ٢٨) وردت الصيغة الآتية في عربية
العبد الآبق وهي : « اللهم إني أسألك يا مالك السموات والأرض ومن فيهن تحصيهم سمهم وألهم
وما يهيم علي عبد قلاص من ثلاثة أصيب من حقة حتى يرجع إلي مولاه رحمتك يا رحيم براحين » .

أَبْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا الْاِسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: "إِذَا هُمْ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لْيَقُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَهْدِي وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أُمُورِي - أَوْ قَالَ فِي حَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَأَقْدِرْهُ لِي [وَيُسْرِهِ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ] وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أُمُورِي - أَوْ قَالَ فِي حَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَأَصْرِفْهُ عَنِّي [وَأَصْرِفْهُ عَنِّي] وَاقْدِرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ وَيُسِّئِي حَاجَتَهُ".

١٠ ذكر ما ورد في أسماء الله الحسنى والأسم الأعظم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا). وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنْ لِي مِنْ عِزٍّ وَجَلَّ تَسْعَةً وَتَسْعِينَ اسْمًا مَا تَعُدُّهُ غَيْرَ وَاحِدٍ إِنَّهُ يَرْجُو بِحَبِّ الْوُثْرِ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهِتَمُّ، الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، الْخَالِقُ، الْبَارِئُ، الْمَصْذُورُ، الْغَفَّارُ، الْقَهَّارُ، الْوَهَّابُ، الرَّزَّاقُ، الْفَتَّاحُ، الْعَلِيمُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الْخَافِضُ، الرَّافِعُ، الْمُعِزُّ، الْمُنْزِلُ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْحَكِيمُ، الْعَدْلُ، اللَّطِيفُ، الْخَبِيرُ، الْحَلِيمُ، الْعَظِيمُ، الْغَفُورُ، الشَّكُورُ، الْعَلِيُّ، الْكَبِيرُ، الْخَفِيفُ، الْمُثْقِلُ، الْحَسِيبُ، الْجَلِيلُ، الْكَرِيمُ، الرَّقِيبُ، الْجَبِيبُ، الْوَاسِعُ، الْحَكِيمُ، الْوَدُودُ، الْمُحِيطُ، الْبَاسِطُ، الشَّهِيدُ، الْحَقُّ، الْوَكِيلُ، الْقَوِيُّ، الْمُتَيْنُ، الْوَلِيُّ، الْحَيُّ،

(١٥١)

الْمُبْدِئُ ، الْمُعِدُّ ، الْمُحْيِي ، الْمُتِمِّتُ ، الْحَيُّ ، الْقَيُّومُ ، الْوَاحِدُ ، الْمَسْجُدُ ،
الْوَاحِدُ ، الصَّمَدُ ، الْقَادِرُ ، الْمُقْتَدِرُ ، الْمُقَدِّمُ ، الْمُؤَخَّرُ ، الْأَوَّلُ ، الْآخِرُ ، الظَّاهِرُ ،
الْبَاطِنُ ، الْوَالِي ، الْمُتَعَالِ ، الْبَرُّ ، الثَّوَابُ ، الْمُشْتَقُّ ، الْعَفْوُ ، الرَّحْمَةُ ، مَالِكُ الْمُلْكِ ،
ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، الْمُقْسِطُ ، الْجَامِعُ ، الْغَنِيُّ ، الْمُغْنَى ، الْمُنْعَى ، الْغَضَاوُ ، النَّافِعُ ،
النُّورُ ، الْهَادِي ، الْبَدِيعُ ، الْبَاقِي ، الْوَارِثُ ، الرَّشِيدُ ، الصَّبُّورُ .

وقد نبه البوني رحمه الله في ألعة النورانية على كيمية العلم والعمل بأسماء الله
الحسنى وخاصة كل أسم منها، ورتب ذلك وجعله عشرة أتماط فقال :

النمط الأول

مِنْ نَفْثِ الْأَسْمَاءِ أَسْمَاءُ اللَّهِ ، وَالْإِلَهِ ، وَالرَّبِّ ، وَالْخَالِقِ ، وَالْبَارِي ، وَالْمَصْغُورِ ، وَالْمُبْدِئِ
وَالْمُعِدِّ ، وَالْمُحْيِي ، وَالْمُتِمِّتِ . قال البوني : هذا النمط عشرة أسماء لا تكون إلا أذكارا
لِلذَّكَرِ [على اختلاف^(١) أحوالهم . فإله والإله ذِكْرُ الْأَكْبَرِ وَالْمُؤْمِنِينَ فِي الْغَالِبِ .
وَالرَّبُّ ، وَالْخَالِقُ ، وَالْبَارِي ذِكْرُ الْأَكْبَرِ مِنَ السَّالِكِينَ الْمُرِيدِينَ . وَالْمَصْغُورُ ،
وَالْمُبْدِئُ ، وَالْمُعِدِّ ، وَالْمُحْيِي ، وَالْمُتِمِّتِ ذِكْرُ عِبَادِ اللَّهِ الْمُتَعَبِّدِينَ وَالْمُتَبَصِّرِينَ .

النمط الثاني

الْأَحَدُ ، الْوَاحِدُ ، الصَّمَدُ ، الْفَعَالُ ، الْبَصِيرُ ، السَّمِيعُ ، الْقَادِرُ ، الْمُقْتَدِرُ ، الْقَوِيُّ ،
الْقَائِمُ . قال : هذه الأسماء العشرة يَلِكُ وَاحِدٌ فِي تَقَارُبِ الْأَذْكَارِ ، وَهَذَا الْقِسْمُ
فِيهِ أَذْكَارُ السَّالِكِينَ الْمُتَمَلِّقِينَ بِأَسْرَارِ التَّوْحِيدِ ذِكْرُهُمُ الْوَاحِدُ وَالْأَحَدُ . وَأَمَّا الصَّمَدُ

(١) الزيادة عن ألعة الرواية .

(٢) في إحدى نسق ألعة الرواية : من المسلمين المريدين :

(٣) في إحدى نسق ألعة : "المتعبدون والمتبصرون" .

فذكر يصلح للراضين بالجوع، فذاكره لا يُحسّ بالم الجوع البتّة ما لم يدخل عليه ذكر اغيروه . والفعال أسم للغولين بالخواطر والواسوس وكثرة الأفكار وأغتمام القلب [بهذا السبب]؛ فهما ذكره من هذه صفته قلبت أفكاره إلى ما يقع له به سرور وفرح . وأما السميع والبصير فتزيه جليل ، وهو ذكر يصلح للحين في الدعاء فإنه ربما أسرعت لهم الإجابة . وأما القادر، والمقتدر، والقوى، والقائم فذكر يصلح لأصحاب الإعياء والجوف الثقيلة ؛ ولو علم سرّه من يعاني الأثقال وأستدامه لم يحسّ بثقل فيما يتعاطاه البتّة ؛ ومن نقشها في فص خاتم وتحمّ به أدرك ذلك لوقته؛ ومن ضعف عن شيء ما وعلقه عليه وذكره قوى لوقته .

النمط الثالث

- ١٠ الحى^(١٦)، القيوم، الرحمن، الرحيم، الملك القدير، العلى، العظيم، الكبير، المتعال . قال : هذا القسم من الأسماء يحتوى على أذكار المراقين، وفيه أعمال جليلة البرهان . فالحى القيوم اسمان جليلان ، ذكر لأهل الحضرة ، وهو من أذكار إسرائيل وملائكة الصور أجمعين ، يصلح أن يذكر من مبادئ الفجر إلى طلوع الشمس، يحد ذاكره من الزيادة والحشية والتطلع إلى طلب الفضائل ما لم

- (١) فى نسخى القصة التوراتية : "لترصين" .
 (٢) كذا فى إحدى نسخى القصة . وفى الأخرى والأصلين : "ما لم يدخل عليه ذكر غيره" .
 (٣) الزيادة عن القصة التوراتية .
 (٤) فى نسخى القصة التوراتية : "قلبت" .
 (٥) فى الأصلين ونسخى القصة التوراتية : "ومن نقشهم" بميم الجمع . وظاهر أن قواعد القصة لا تقتضيهما
 (٦) كذا فى إحدى نسخى القصة . وفى الأصلين وفى نسخة أخرى من القصة : "يا حى يا قيوم الرحمن" الخ
 (٧) كذا فى إحدى نسخى القصة . وفى نسخة أخرى منها وفى الأصلين : "الهدوس" ووجه بأحد الأصلين كلمة "القدير" فوق كلمة القدوس .

بهنه قبل؛ ومن نقش الأسمين عند طلوع الشمس^(١) [من يوم الجمعة] مستقبل القبلة على ذكر وأمسكه عنده أحياء الله ذكره إن كان غاملاً، وأحياء رزقه إن كان قليلاً . وأما الرحمن الرحيم فأذكر شريطة للضعفين وأماناً للثقلين لا ينقسه أحد في خاتم في يوم جمعة آخر النهار يرى ما يكرمه مادام عليه . ومن أكثر من ذكره كان ملطوقاً به في كل أموره . وأما الملك والتقدير^(٢) [ذكر] يذكر عند كل ذي ملك وقدره فإنه ما من ملك يستديم هذا الذكر في عموم أوقاته إلا ثبت ملكه وأنسبط قدره؛ ويصلح للسالك الذي تغلبه شهوات نفسه؛ فإنه ما يستديم ذكره من هذا مقامه إلا يست الله إليه قوة ملكية تؤيده وتصره على من يخالفه من حواله . وأما الصلوة العظيم فالتزيه . والكبير المتثال مناسب للتزيه أيضاً ، وهما اسمان^(٣) لا تقآن بأهل التعظيم من أرباب الأحوال ليس للعامة في الذكر^(٤) جزء .

الخط الرابع

المهيمن ، المقيت ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، المحيط ، الخفيظ ، الفاطر ، الهيد ذو الجلال . قال البوني : أما المهيمن ، والمقيت فلهما والاستيلاء^(٥) والمراقبة في الجزئيات والكلديات . والعزيز ، والجبار ، والمتكبر من أسماء صفات الذات اللازمة للوقوف والرهبة والمظنة ، لا يذكرها دليل إلا عزاً ، ولا حقير إلا ارتفع ، ولا بين يدي جبار إلا ذل وخضع ، ولا يذكرها ملك من ملوك الأرض إلا وجد

(١) هذه الكلمة ساقطة من نسخي المة .

(٢) كذا في نسخي المة . وفي الأصلين : « أحياء الله ذكره وإن كان حاملاً وأحياء رزقه وإن كان قليلاً » . (٣) زيادة عن نسخي المة الوراثية .

(٤) كذا في نسخي المة النورانية . وفي الأصلين : « وهما اسمان يلحق » .

(٥) في الأصلين : « بهم » . (٦) في نسخي المة الوراثية : « مطول بالأشياء » .

(٧) في الأصلين ونسخي المة بهم الجمع ، ونوعاً المة تختص ما وضعه .

في نفسه ذلّةً وأنكاراً . وأما الحفيظ فإنه أسم سريع الإجابة للخاصين في الأسفار . وأما المحيط ، والمجيد ، والفاطر ، وذو الجلال ، فأسماء التنزيه وزيادات في التوحيد .

النمط الخامس

- ٥ . العليم ، الحكيم ، البديع ، النور ، القابض ، الباسط ، الأول الآخر ، الظاهر ، الباطن . قال : هذا القسم من الأسماء جليل القدر عظيم الشأن . فأما العليم ، والحكيم فالتوحيد الخاص ، لا يصلحان إلا لمن أُهيمَ عليه أمرٌ من كشف سرٍّ من أسرار الله تعالى يسرُّ على الفكر إدراكه ، فإنه إذا استلزم ذكر العليم الحكيم يسر الله عليه علم ماسأل وعرفه الحكمة فيه ، ومنه أسمه البديع أيضاً [مثل ذلك] . وأما النور ، والباسط ، والظاهر ، فذكر أرباب المكاشفات . ومن أراد أن ينظر شيئاً في منامه فليذكر هذه الأسماء على طهارة وهو في فراشه إلى أن ينام على هذا الذكر ، ويعمل همته فيما يريد . فإنه يُمثّل له في نومه كشف ذلك . وأما القابض ، والأول ، والآخر ، والباطن ، فكلها أسماء للتعظيم والتوحيد .

النمط السادس

- ١٥ . الحليم ، الرؤوف ، المتأن ، الكريم ، ذو الطول ، الوهاب ، المقور ، الغافر ، المقور ، الحبيب . قال : هذا النمط من الأسماء عليه مدار إبقاء الوجود ودفع الإخضرار وجمع المتفرق . أما الحليم ، والرؤوف ، والمتأن ، فذكر للخاصين ، ما دأبه من يخاف شيئاً إلا أوجده الله تعالى برّد العلمانية وسكن رَوْحَه . قال البوني : وذكر [إلى] من له

(١) هكذا في الأصلين . والقى في نسخي العلة : " طه فيما يناله ، وعرفه الحكمة فيما سأل " .

أطلاع أنه من استدام هذا الذكر إلى أن يئلب عليه حال منه على خلق مَعْدَةٍ ثم أمسك النار لم تَمُدَّ عليه، ولو تنفس حينئذ على قَدَرٍ قَتَلِي سَكَنَ غَلِيَّتُهَا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، ولا يكتبها أحد ^(١) ويقابل بها من يخاف منه إلّا أطفأ الله شره عند رؤيته، ولا يستديم هذا الذكر من غلبته شهوته إلا نزح الله منه التروع إليها في أثناء ذكره . وأما الكرم، الوهاب، وفو الطول؛ فلا يستديم على هذا الذكر من قَدَرٍ عليه رِزْقُهُ ومستته حاجة إلا يسر الله عليه من حيث لا يشعر، ومن نقش هذه الأسماء وعلقها عليه لم يدر كيف يسر الله عليه المطالب من غير عسر . وأما الغفوة والغافر، والعفو، فنظم متقارب لسؤال دفع المؤلم خصوصا من آلام الدين والدنيا . وأما المحيب، فيذكر في آخر الدعوات .

الخط السابع

١٥٨

الكافي، الغني، الفتاح، الرزاق، الودود، اللطيف، الواسع، الشهيد، نعم المولى ونعم النصير . قال : هذا الخط من الأسماء جليل القدر، به يُتَرَقَّى الله الرغائب من كل مفضل به على أحد من عباده . فأسمه الكافي، والغني، والفتاح، والرزاق لا يذكر أحد هذه الأسماء الأربعة وهو يخشى شيئا لم تبلغه أمينته إلا بلغه بإذن الله تعالى من جهة لا يعتمد عليها لم تحط بهاله . لا يذكر أحد هذا الذكر على التقليل إلا كثره الله ولا على طعام إلا ظهرت فيه زيادة، ولا يذكره من هو في رتبة وهيمته طالبة أعلى منها إلا يسر الله له الوصول إليها . وأما الودود، واللطيف، والواسع، والشهيد، فتمط جليل النظم لأرباب المجوع والخلوة واللطيف خصوصا لتفريج الكرب في أوقات الشدائد لا يضاف إليه غيره؛ لا يذكره من يؤله شيء في نفسه وبدنه إلا أزاله الله عنه أثناء الذكر .

(١) في الأصلين ونسخي الله : «ولا يكتبها أحد ويقابل بهم الخ» .

النمط الثامن

- الشديد، ذو القوة، المتين، السريع، الرقيب، المقتدر، القاهر، الوارث،
 الباحث، القوي^(١). هذا النمط من الأسماء عظيم الشأن. فأما الشديد، وذو القوة،
 والقاهر، والمقتدر، فهي أسماء القهر لا يذكرها ضعيف الهمة إلا قوت نفسه، ولا يدعو^(٢)
 بها أحد على ظالم في أحترق الشهر في السابعة من الليل في بيت مظلم حاصر الرأس
 على الأرض لا حائل بينه وبينها مائة مرة يقول في آنجها : يا شديد خذنى^(٣)
 بحق من فلان؛ ولا يشخص شيئاً فانه أعلم بما يعمل. قال : وقد جُرب مِئين من^(٤)
 المرات. ولا ينقشها أحد في خاتم ويقتّم به إلا ألبسه الله تعالى مهابة يُذكرها من^(٥)
 قهسه ويُذكرها غيره منه، ويرتاع منه كل جبار عِنْدَ عِنْدَ رؤيته، حتى كأن الجبال
 على كاهله ما دام ينظر إلى من هو معه. وأما السريع، والرقيب، والمتين، فذكر
 لأرباب المراقبة في الأفعال تنفتح لهم بذلك مكاشفات وأسرار. وأما الوارث،
 والباحث، فلحكمة الاعتبار والتصديق بآثار القدرة.

- (١) في إحدى نسخي القصة النورانية بدل اسم القوي بين السطور اسم « الشكور ». ولم يرد في نسخة
 القصة الثانية شيء. بد كلمة الباحث.
- (٢) في الأصلين ونسخي القصة : « لا يذكرهم ... ولا يدعوهم » ، وكذلك ما عليه رقم (٢).
- (٣) في المخصص (ج ٩ ص ٣١) : « وامتدق القمر احتراجه يوم الحاق آثار الشهر لأن الشمس تمحق
 الهال فيه ولا تبيته ».
- (٤) كما في إحدى نسخي القصة. وفي نسخة أخرى والأصلين : « لاحائل بينه وبينها يقول في آخرها
 مائة مرة : يا شديد خذنى الخ ».
- (٥) في الكلام حذف بدل عليه السياق بأن يقدر : « إلا استجيب له ».
- (٦) كذا في الأصلين وإحدى نسخي القصة. وفي أخرى : « ولا تجنسى ».

النمط التاسع

التواب، الشاكر، الولي، الحبيب، الوكيل، القريب، الصادق، البر، الباقي، الخلاق. قال: هذا القسم مرتب على سلوك مقامات السالكين، فالتواب للتائبين، والشاكر للشاكرين، والولي للأولياء، والحبيب لأهل الكفاية، والوكيل للتوكلين، والقريب من أهل القرب، والصادق مع الصادقين، والبر مع أهل البر، والباقي مع الشهداء. والخلاق لنوى الاختيار. ولشايخ في هذا الميدان مجال رحب بحسب اختلاف أحوالهم.

النمط العاشر

المهادي، الخبير، المبين، علام الغيوب، ذو الجلال والإكرام، القدوس، السلام، المؤمن، ويتنظم في ذلك المعز، والمُذِلُّ، وما في آتوسورة الإخلاص. قال: فالهادي، والخبير، والمبين، لمن أراد كشف حواقب الأمور مجروح وسهر، ويدُّ كُرُّ هذه الأسماء وعلى رأس مائة من أعداد الذكريات قول: آهـدي يا هادي، وخبـني يا خبير، ويـن لي يا مبين؛ ويسمى ما يريد ذلك في جوف الليل، فوذا أدركه النوم مُثَلَّ له كشف ما أراد من أي نوع شاء. هذا مختصر ما نقله البوني في ترتيب أسماء الله الحسنى. ١٥

وأما ما ورد في الآمم الأعظم؛ فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٥٣) أنه سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد، الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد؛ فقال: "لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سُئِلَ به أعطى وإذا دُعِيَ به أجاب". وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فإذا رجل من ٢٠

- الأخبار يقال له أبو عيَّاش الزُّرْقِيُّ ^(١) يَصَلِّي، فدنوت منه، فدعا في صلاته: اللهم إني أسألك — بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المَنَّانُ بديعُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ذُو الجلال والإكرام — أن تغفر لي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئِلَ به أعطى". وعن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أسم الله الأعظم في هاتين الآيتين وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ" وفاتحة سورة آل عمران (اَلَمْ يَكُنْ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ). وعن أبي أمامة وآسمه صدى بن عجلان الباهلي رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أسم الله الأعظم لفي ثلاث سور من القرآن في البقرة وآل عمران وطه". قال فآتمستها فوجدت في البقرة آية الكرسي (اَللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)، وفاتحة آل عمران (اَلَمْ يَكُنْ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)، وفي طه (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ).
- والأدعية المختارة كثيرة وقد آتينا منها بما فيه كفاية لمن توجه إلى الله تعالى وسأله.
- ونختم هذا الباب بما ختم به البخاري كتابه: كلمتان خفيتان على الناس، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

(١) في أحد الأصولين: «أبو عباس» وفي الآخر: «أبو عيَّاش» بالسين المهملة وهو معروف عن أبي «حيَّاش» الزُّرْقِيُّ الأخباري وهو صحابي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث صلاة الخوف بسفان كما في تهذيب التهذيب.

صورة ما ورد بآخر الجزء الخامس في أحد الأصولين الفتوغرافيين :

تم الجزء الخامس من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ،
والحمد لله وحده ، وصلى الله على من لا نبي بعده محمد وآله وسلم
يتلوه إن شاء الله الجزء السادس

صورة ما ورد بآخر الجزء الخامس في الأصل الثاني الفتوغرافي :

كل السفر الخامس من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب ، على يد
مؤلفه فقير رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري
التميمي القرشي ، عُرِفَ بالنويري ، عفا الله عنهم .

ووافق الفراغ من كتابته في يوم الأحد المبارك ثمان بقين من شهر
ربيع الأول سنة آتنتين وعشرين وسبعمائة بالقاهرة المعزية .

يتلوه إن شاء الله تعالى في أول الجزء السادس القسم الخامس
من الفن الثاني في الملك وما يحتاج إليه وما يجب له على الرعية وما يجب
للرعية عليه إن شاء الله تعالى .

الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه ، وسلم
تسليما كثيرا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .



